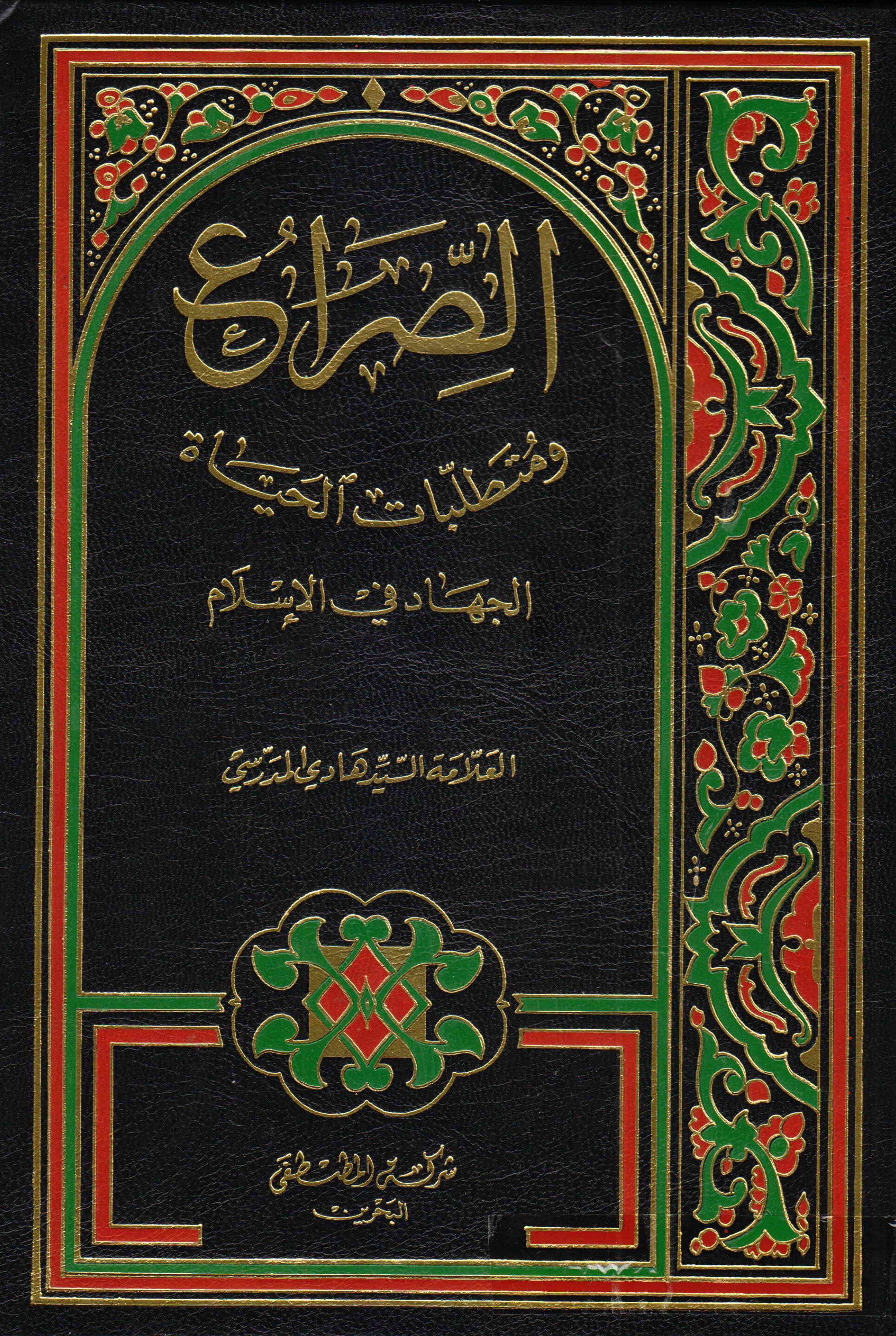
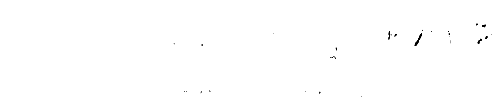

الصراع
ومتطلبات الحياة
الجهاد في الإسلام
العلامة السيد هادي المدرسي
شركة المصطفى
البحرين



الصراع ومتطلبات الحياة

الجهاد في الإسلام

هادي المدرسي

شركة المصطفى
البحرين

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

شركة المصطفى للتوزيع والخدمات الثقافية

البحرين - المنامة - ص ب: ٢٠٢٢ ت: ٥٥٤١١٥ فاكس: ٥٥٤١١٦

١

الصراع في الحياة

و

ضرورة الجهاد



الصراع في الحياة، حقيقة قائمة، فسنة الله جرت على أن تكون الدنيا، لكل الكائنات مسرح مجابهة ومنافسة، وصراع..

فالبذرة تصارع التراب حتى تخرج إلى النور، وتتحول إلى نبتة، والحيوانات تصارع عوامل الموت، حتى تبقى حية واللّيل والنهار يتصارعان، فتارة يغلب النهار الليل، وأخرى يغلب الليل النهار..

والإنسان يواجه عوامل المرض، والضعف، وأسباب الموت ومشاكل الحياة منذ أن تطأ قدماه الأرض، حتى يموت ويقبر..

ولولا هذا الصراع، لم يخترع الإنسان الزراعة.. ولا الصناعة ولا كان التطور والنجاح..

ومن الصراع مع مشاكل الحياة، إلى الصراع بين بني الإنسان فلا مجال لإنكار ذلك، وتصور انتهائه من على الأرض تصور ساذج، وحلم عقيم..

فمنذ أن وجد إنسان وإنسان، وقع بينهما خلاف في الرأي، واختلاف في العقيدة، ومن ثم صراع ثم حرب..

هذا الواقع مستمر إلى الآن..

وسيستمر على هذه الحال حتى يوم يبعثون، لأن طبيعة الإنسان لن تتغير

في هذه الدنيا. .

هي الشهوات، وهي الرغبات، وهي المتطلبات، وهي التطلعات التي كانت تعتمل في نفسه منذ ألوف السنين لا تزال تعتمل فيه، وستبقى كذلك حتى يرث الله الأرض ومن عليها. .

وكل الأسباب التي أدت إلى صراع الإنسان مع أخيه الإنسان في الماضي، تؤدي إليه اليوم، وهي نفسها ستؤدي إلى ذلك غداً. .

فكما لا يوجد إنسان لا عقل ولا شهوات فيه، كذلك لا يوجد مجتمع لا صراع فيه. .

فالصراع الذي في داخل النفس البشرية، هو ذاته يُطل على الحياة، ويتحول إلى صراع الجماعات. . وتنافس المجتمعات. . وحروب الشعوب.

* * *

ثم إن الحياة حق وباطل. . خير وشر. . صلاح وفساد.

ولكلٍ أهل. .

وكما أن الحق لا يجتمع مع الباطل، والخير لا يتوافق مع الشر، والصلاح لا ينسجم مع الفساد، كذلك أهل كلٍ منهما. .

وقد جعل الله هذه الحياة ميداناً لصراع موصل دائم ليستبين أهل الحق والباطل، وبذلك أيضاً سن شرعة الثواب والعقاب ﴿ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾[1] و﴿ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾[2].

وهكذا ففي صراع الحق مع الباطل ليس الذي يخوض المواجهة من الطرفين هو مجرد الفكرة الراقدة في الكبت . . لأن الحق ليس مجرد مفهوم ذهني، كما ليس الباطل كذلك، بل الحق والباطل يتمثلان في أشخاص، ومن

---

(١) سورة النجم (٣١).

(٢) سورة آل عمران (١٤١).

هنا فإن الذي يخوض الصراع بينهما هم رجال وأفراد وجماعات.

ولذلك كان صراع الحق والباطل بين أهل كلٍ منهما، باعتبارهم «أهل الحق» و«أهل الباطل».

وهذا الصراع قد يطول وقد يقصر، وقد يستعلى فيه صوت الباطل، ويغلب فيه الظلم، أو يسود الفساد على الصلاح، وينتصر الشرّ على الخير، ولكن حتماً لن يتحول الحق إلى باطل، ولن ينقلب الخير شراً، ولن يصبح الصلاح فساداً..

فعلى الصالحين أن يتحملوا مسؤولياتهم في دفع الظلم ونصرة الحق ويجاهدوا في سبيل الله ﴿ولنبلونّكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم﴾[٣].

هذه إذن سنة الله في الحياة: تدافع بين جنود الله، وجنود إبليس، وصراع بين الخير والشر..

يقول الله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرَن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾[٤].

والسؤال الآن هو: كيف نستعد لعملية الصراع؟

وكيف نحسمه لمصلحة الحق؟

وما هو الواجب على المؤمنين في زمن السلم وزمن المواجهة؟

والجواب:

إن الذي سن «سنة التدافع» سنّ أيضاً قانون الانتصار وفرض على المؤمنين في حالة السلم «الاستعداد» الدائم قائلاً ﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من

---

(٣) سورة محمد (ص) (٣١).

(٤) سورة الحج (٤٠).

قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدّو الله وعدوكم﴾[٥].

والخطوات اللازمة في ذلك هي كالتالي:

١ ـ الاعـداد.

٢ ـ وأن يكون ذلك بكل ما في الاستطاعة من:

(أ) القــوة.

(ب) ووسائل استخدامها.

٣ ـ على أن يكون ذلك لردع العدّو، لا للعـدوان فالاستعـداد ليس لاستخدام السلاح، واستعمال القوة بالفعل، بل لردع السلاح، ومنع استخدامه في الدرجة الأولى..

والمسألة لا تقتصر على قضية السلاح، بل تشمل إرادة القتال فالجهاد في الإسلام، هو الاستعداد له روحاً، وفكراً، وإرادة.. قبل أن يكون الاستعداد له سلاحاً وقوة، ورباط خيل..

يقول الإمام علي (ع): «خذوا للحرب أهبّتها، وأعدّوا لها عدّتها فقد شب لظاها، وعلا سناها، واستشعروا الصبر فإنه أدعى إلى النصر»[٦].

ويقول (ع): وهو يبين استعداده الدائم للجهاد..

«والله.. لا أكون كالضبع تنام على طول اللّدم (صوت العصا الذي يضرب لإخراجه) حتى يصل إليها طالبها ويختلها (يخدعها) راصدها!

ولكني أضرب بالمقبل إلى الحقّ، المدبر عنه، وبالسامع المطيـع العاصي المريب أبداً حتى يأتي عليّ يومي (الأجل).. فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقّي مستأثراً عليّ، منذ قبض الله نبيّه حتى يوم الناس هذا»[٧].

* * *

---

(٥) سورة الأنفال (٦٠).

(٦) نهج البلاغة خطبة رقم (٢٦).

(٧) نهج البلاغة خطبة رقم (٦):

ثم إن طبيعة الباطل هجومية في العدوان، سواء العدوان على الحق، أو العدوان على العباد..

ودفع الظلم، ضرورة وجدانية تؤكدها كل الشرائع والقوانين.

يقول الله تعالى: ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾[8].

فما دام أن المشركين يقاتلونكم، كافةً وبلا استثناء فقاتلوهم كافة وبلا استثناء..

ويقول الإمام علي (ع): «أغزوهم قبل أن يغزوكم، فواللهِ ما غُزي قوم قط في عقر دارهم إلاّ ذلّوا»[9].

ويقول: «ردّوا الحجر من حيث جاء فإنّ الشر لا يدفعه إلاّ الشر»[10].

ترى: من اعتدى على من؟

آدم ظلم إبليس، أم إبليس ظلم آدم؟

وإبراهيم اعتدى على نمرود، أم نمرود اعتدى على إبراهيم؟

وموسى حاول ذبح فرعون، أم فرعون حاول ذبح موسى؟

ومحمد (ص) أخرج قريش من بيوتهم، أم أن قريشاً هي التي أخرجته من بيته؟

وهكذا مع كل الأنبياء وكل الصالحين.

إن الباطل طبيعته عدوانية، لا يكفي لردعها النية الحسنة والطبيعة الخيّرة..

يقول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يقَاتِلُونَكُمْ وَلا تعْتَدُوا إِنَّ

---

(8) سورة التوبة (36).

(9) نهج البلاغة خطبة رقم (27).

(10) نهج البلاغة قصار الحكم (314).

اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) ، وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ،(١٩١) ، فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٢) ، وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) ، الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤)﴾ [١١] .

هكذا تأمر هذه الآيات أن يقاتل المسلمون في سبيل الله الذين يقاتلونهم وتأمرهم بتتبعهم حيث وجدوا، وتشتيتهم كما شتتوهم من قبل وتنهاهم عن الاعتداء وتؤكد هذا النهي بكراهة الله للعدوان وعدم محبته للمعتدين.

ثم ترشد إلى أن إخراج الناس من ديارهم وترويعهم من أمنهم، والحيلولة بينهم وبين الاطمئنان على الأنفس والأموال، فتنة أشد من فتنة القتل وإزهاق الأرواح، فليقاتل العاملون عليها والمثيرون لها كما يقاتل المقاتلون.

ثم تمنع الآيات المسلمين عن القتال في الأماكن المقدسة، والأزمنة المقدسة حتى يقاتلوا فيها، فإن انتهكت حرمتهم فيها، واستبيح قتالهم، ساغ لهم أن يردوا العدوان مثلا بمثل، وجزاء بجزاء.

ثم تخلص الآية بعد هذا وذاك إلى بيان الغاية التي تضع الحرب عندها أوزارها، وهي ألا تكون فتنة في الدين، وأن يكون الدين لله، ليحصل الناس على حريتهم الدينية من غير اضطهاد فيها ولا تعذيب عليها فإذا ما تحقق هذا الغرض، واطمأنت إليه النفوس وجب وقف القتال.

* * *

ثم إن الله تعالى لم يأذن للإنسان أن يخضع للظالم، أو للباطل، وكما

---

(١١) سورة البقرة (١٩٠ - ١٩٤).

جاء في الحديث للصادق (ع) «أن الله تبارك وتعالى فوض إلى المؤمن كل شيء إلا إذلاله نفسه»[١٢].

والظالم، والمظلوم، وشاهد الظلم شركاء ثلاثة.. إذ لولا من يتقبل الظلم لما وجد الظالم، ولولا من يقبل الظالم لما وجد المظلوم.

ولهذا يقول الله تعالى: ﴿إنّ الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً (٩٧) ، إلاّ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً (٩٨) ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً﴾ (٩٩) .

فلا عذر في قبول حالة الاستضعاف، إلاّ لمن لا يجد حيلة ولا يهتدي سبيلاً، أمّا غيره فإذا قبلهما فمأواة جهنم وساءت مصيراً..

إن الأمر بالنسبة إلى الجهاد، لدفع الظلم والباطل دائر بين أمرين لا ثالث لهما: إمّا الجنة أو العار.

يقول الإمام علي (ع):

«أين المانع للذّمار؟ والغائر (صاحب الغيرة) عند نزول الحقائق (الوقائع المؤلمة) من أهل الحفاظ؟ العار وراءكم. والجنة أمامكم (فاختاروا)»[١٤] .

* * *

هذا.. ومراجعة سريعة للتاريخ يكشف عن حقيقة شديدة الوضوح، وهي أن التغييرات الكبرى، إنما وقعت عبر المواجهة، فاستقلال الشعوب، وسقوط الحكام المستبدين، وإنهيار الأنظمة الجائرة، كل ذلك لم يتم من دون

---

(١٢) مشكوة الأنوار ص ٢٤٥ .

(١٣) سورة النساء (٩٧ ـ ٩٩).

(١٤) نهج البلاغة خطبة رقم (١٧١) .

الصراع. . فلم نسمع أن طاغوتاً نزل من العرش طواعية، كما لم نسمع نظاماً جائراً جرى تغييره من غير عنف. .

وحينما نعيش في مجتمع لا يقيم للكلمة وزناً، ولا للمتكلم حرمةً ولا للفكر احتراماً فأي خيار آخر يبقى غير خيار المواجهة لتغيير الواقع بقوة السلاح؟

وهكذا فلا سلام بدون استعداد للحرب. .
ولا حق بدون مواجهة للباطل. .
ولا خير إلّا بعد دفع الشر. .

ومسؤولية المؤمنين، تتعدى جيلهم الذي هم فيه، ليشمل الأجيال القادمة فإذا أدّوا واجباتهم في الصراع لسار التاريخ في طريق الخير، وإلّا فسيسير في طريق الشر. .

فإذا جاهدوا، أورثوا أبناءهم مجداً. .
وإذا تقاعسوا أورثوهم عاراً. . «فما كره قوم قط حرّ السيف إلّا ذلوا. . » ليس هم وحدهم، بل أبناءهم لفترة طويلة، أيضاً. .

* * *

ومن جهة أخرى. . فإن الله يعتبر الجهاد إمتحاناً للمؤمنين حتى يتبين المؤمن عن الكافر، والصادق عن الكاذب. .

فادعياء الخير كثيرون. ولكن الصادقين هم الذين يجاهدون من أجله. .

وادعياء الحق كثيرون. ولكن الصادقين هم الذين يستشهدون من أجله. .

يقول الإمام الحسين (ع): «الناس عبيد الدنيا والدّين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معائشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديانون»[15].

والبلاء، هو امتحان المواجهة، الذي يقول عنه تعالى ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضرّاء

---

(١٥) تحف العقول ص ١٧٦/بحار الأنوار ـ الجزء (٤٤) ص ١٩٥.

وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾[16] . .

ويقول ﴿ألم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾[17] .

وهكذا يبدو أن هذا الامتحان ليس خاصاً بأمة دون أمّة، بل هو عام لأمم الأنبياء جميعاً.

يقول الله تعالى: ﴿وكأين من نبيّ قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين (١٤٦) [17] .

وما كان قولهم إلاّ أن قالوا ربّنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين (١٤٧)﴾ ، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين (١٤٨) [18] .

وترك الجهاد، لا يؤدي إلى الهزيمة في الدنيا فحسب، بل هو سبب لمقت الله عز وجل في الآخرة أيضاً . .

يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلاّ قليل، إلاّ تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضرّوه شيئاً والله على كل شيء قدير﴾ [19] .

يقول الإمام علي (ع):

«انفروا ـ رحمكم الله ـ إلى قتال عدوّكم. ولا تثّاقلوا إلى الأرض، فتقروا (وتعترفوا) بالخسف (والظلم) وتبوءوا بالذلّ، ويكون نصيبكم الأخس

---

(١٦) سورة البقرة (٢١٤).

(١٧) سورة العنكبوت (١ ـ ٣).

(١٨) سورة آل عمران (١٤٦ ـ ١٤٨) .

(١٩) سورة التوبة (٣٨ ـ ٣٩).

(من الحياة)، وإن أخا الحرب، (ورجلها) الأرق (الذي يسهر اللّيل ولا يستسلم للكسل) ومن نام، لم ينم عنه. . . والسلام»[20].

ويقول رسول الله (ص) للجنة باب يقال له: «باب المجاهدون، يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلدون سيوفهم ، والجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم»[21].

قال: «فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً وفقراً في معيشته أو محقاً في دينه. إن الله تبارك وتعالى أعز أمتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها»[22].

ويقول الإمام علي (ع):
أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱلْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ ٱلْجَنَّةِ، فَتَحَهُ ٱللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ، وَدِرْعُ ٱللَّهِ ٱلْحَصِينَةُ، وَجُنَّتُهُ ٱلْوَثِيقَةُ. فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ ٱللَّهُ ثَوْبَ ٱلذُّلِّ، وَشَمِلَهُ ٱلْبَلَاءُ، وَدُيِّثَ بِالصَّغَارِ وَٱلْقَمَاءَةِ، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِٱلإِسْهَابِ، وَأُدِيلَ ٱلْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ ٱلْجِهَادِ، وَسِيمَ ٱلْخَسْفَ، وَمُنِعَ ٱلنَّصَفَ[23].

ومن ذلك نستنتج: إن الجهاد ليس عملاً مباحاً، أو مستحباً يمارسه من شاء، ويتركه من شاء، بل هو جزء من سنة الله في الحياة، فمن تركه ألبسه الله الذل وشمله البلاء.. ومن أداه أعزّه الله وآواه، وأسكنه جنته وأرضاه..

وهكذا فإن الجهاد ـ كما يقول الإمام (ع): «فرض على جميع المسلمين لقوله تعالى: ﴿كُتب عليكم الجهاد. . .﴾».

(٢٠) نهج البلاغة وكتاب رقم (٦٢).
(٢١) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص٩.
(٢٢) نوادر الراوندي ج ٤ ص ٥٠٦.
(٢٣) نهج البلاغة خطبة رقم (٢٧).

٢

أصالة الجهاد



نحن نعرف أن المواجهة بين الأمة، وبين الأمم الأخرى ليست بالضرورة مواجهة عسكرية، بل هي مواجهة حضارية كاملة، ومن الخطأ أن نحصر الأمر في مسألة القتال.

فالأمة القوية، تستمد عناصر قوتها من مجمل أوضاعها في مختلف الجوانب: الثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، بالاضافة إلى العسكرية..

فالنهضة الحضارية، تعتمد على الأخذ بكل أسباب التطور، والتوسع والبناء. ولكن مع الوضع القائم لا يمكن أن ننسى دور الجهاد، كعامل ردع، وحصن استقلال، ووسيلة عزة ومنعة.

فلكي لا تخضع للعدوان، لا بد أن تكون قادراً على رده..

ولكي لا تستكين إلى هوان، لا بد أن تكون مستعداً للجهاد..

ولكي لا تموت تحت أرجل الغزاة، لا بد أن تكون مهيوب الجانب.

إنّ نظرة سريعة للوضع الدولي تكشف عن مدى قوة الأمم الأخرى عسكرياً، فلقد تجاوزت استعداداتهم الأرض، وها هم يستعدون لحرب النجوم.

وها هم الظلمة يعتمدون كعادتهم على «منطق القوة» فهل يمكن مواجهتهم بقوة المنطق؟

وهل رأينا عاقلاً يصنع شيئاً ولا يفكر في صد المتطفلين عليه؟
هل نزرع جنينة من دون أن نضع لها سياجاً؟
هل نبني بيتاً من دون أن نبني له سوراً؟
وهل يخلق الله الوردة إلا وهي محاطة بالأشواك؟
إننا لا نقول إذا حملنا السلاح، فسوف تنتهي كل مشاكلنا.
ولا نقول أن العنف وحده يبني الأمة.
ولا نقول أن فوهة البندقية، تصنع المعجزات.
ولكننا نقول: سنكون مجموعةً من العبيد لو لم نكن أقوياء.
وسنتحول إلى وقود في ميزان الآخرين، لو لم نكن قادرين على إطفاء ما يشعلون منها.

نحن نطالب بأن نفعل ما فعله رسول الله (ص) وأصحابه الذين بنوا، وعاشوا، وصنعوا، وطوروا، وتوسعوا، وفي ذات الوقت كانوا يجاهدون ويحاربون ويقاتلون.

فقد كانوا يقاتلون بيد، ويبنون بيد أخرى.
وكانوا يتعلمون ويتفقهون من جهة، ويتدربون من جهة أخرى..

وكانوا يبنون البيوت، ويزرعون المزارع، كما كانوا يفتتحون البلدان أيضاً..

إن إلغاء الجهاد ـ على مستوى الأفراد أو على مستوى الأمة ـ أدى بنا أن نكون مطمع الطامعين، ومغمز الغامزين..

من وصية الامام علي (ع) لابنائه قبل موته : «لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فسيولى عليكم شراركم ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم» [1] ؟

(١) نهج البلاغة ـ .

ألم يقل رسول الله (ص): «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الآكلة على قصعتها».

فقالوا: ومن قلة نحن يومئذٍ يا رسول الله؟

فقال: «لا، بل أنتم حينئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن».

قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟..

قال: «حب الدنيا وكراهية الموت»[2].

* * *

إن الجهاد في موقعه، ضرورة، كالصلاة في موقعها..

وإن الحرب واجبة في وقتها، كالحج في موسمه..

وإن قتل الظالمين في ظروفه المناسبة فرض ديني، كالصوم في شهره الكريم فالجهاد ليس بدلاً عن العبادات.

ولا هو بديل عن الثقافة، والتربية، والعمل السياسي، والعمل الاجتماعي، والأخلاق، والعلم والصناعة.

كما أن تلك، ليست هي الأخرى بديلة عن الجهاد..

ولهذا فقد «كان رسول الله يبايع الحرّ على الإسلام والجهاد».

أمّا الإمام علي (ع) فكان يبايع الحر والعبد على ذلك.. فقد جاء في الحديث: «أن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين (ع) ليبايعه، فقال للإمام: أبسط يدك أبايعك على أن أدعو لك بلساني، وانصحك بقلبي، وأجاهد معك بيدي..

فقال الإمام (ع): أحرٌ أنت أم عبد؟

فقال: بل عبد يا أمير المؤمنين فصفق الإمام يده فبايعه..»[3] فالجهاد

---

(٢) الملاحم والفتن ص١٥٧ وكذا في سنن أبي داود خ ٤٢٩٧ .

(٣) الوسائل: ج ١١ ص ١٥ الباب ٤ من أبواب جهاد العدو ح ٣.

ضروري للنظام الاجتماعي، وقيام الكيان الإسلامي، أمّا العبادات فهي ضرورة للتربية النفسية والتزكية.. فلكل واحد منهما موقعه الخاص به، وضرورته الخاصة بها.

* * *

ثم.. قل لي: ماذا نفعل بالجلادين، والقتلة، والظلمة، والغزاة، والسرّاق، والمحتلين؟

هل نقدم لهم الورد، أم الرصاص؟
هل ننحني أمامهم، أم ندوس على رؤوسهم؟
هل نضحك معهم، أم نصفع على وجوههم؟

إن الله وهو، خالق الناس، وربهم نراه أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة، ولكن أشد المعاقبين في موقع النكال والنقمة..

إن استعمال الرحمة مع القاتل، كاستعمال القتل مع البريء فظيع، وكريه، وباطل..

* * *

صحيح أن الجهاد قد استغل من قبل البعض، استغلالاً سيئاً تماماً كما استغلت الصلاة والصيام، أو الحرية والعدالة، من قبل بعض الظالمين..

ولكن هل يعني ذلك أن علينا أن نلغي الجهاد، لأنه قد استُغل؟

وهل يجوز أن نلغي كل ما يتم استغلاله من قبل أية جهة كانت؟

وهل بقيت خصلة خيرة، أو فكرة حسنة، أو قضية هامة لم تتعرض للاستغلال من قبل الفاسدين؟

إن أهل الباطل لا يتظاهرون بالفساد عادة، بل يتجلببون بثياب الصالحين، وهكذا يتم استغلال المسائل من قبلهم.

ولكن علينا أن نبحث عن «النماذج» الخيّرة في كل فكرة، لا النماذج الشريرة.

ومن هنا تأتي أهمية قول الرسول (ص) «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً»[٤] فالكتاب هو المبادىء، والأصول، والرؤى، والمناهج، والعترة هم النموذج الخير في تطبيق ذلك.

أمّا النماذج الشريرة فهي أيضاً موجودة، وفي التاريخ كثير منها.

فهذا يزيد بن معاوية يعبّىء الناس باسم الجهاد ضد الإمام الحسين عليه السلام، وهذا عمر بن سعد يصرخ في جيشه صبيحة يوم عاشوراء قائلاً «يا خيل الله إركبي وبالجنة أبشري».

فهل أن يزيداً يمثل الجهاد الإسلامي
أم الإمام الحسين عليه السلام؟

وهل حينما استغل يزيد هذا الواجب الإسلامي المقدس، سقط وجوبه؟

ولنتصور أن كل فضيلة تم استغلالها من قبل جهة، جرى الاستغناء عنها، هل يبقى حينئذٍ شيء اسمه الخير في الحياة؟

أليست العبادات استغلت؟

والعدل، والحرية، والاستقلال، والكرامة، والأخلاق كلها قد استغلت من قبل هذا أو ذاك؟

فهل نلغيها جميعاً؟
وما هو البديل عنها؟
إذا ألغينا الجهاد كان البديل: التقاعس، وقبول الذل، والرضوخ للباطل.
وإذا ألغينا العبادات، كان البديل: الكفر.
وإذا ألغينا العدل: كان الظلم.
وإذا ألغينا الحرية: كان الكبت.
وإذا ألغينا الاستقلال: كان الاستعباد.
وهكذا..

* * *

---

(٤) البحار ج ٢٣ ص ١٠٨ ح ١١.

إن نظرة واحدة إلى التاريخ تكشف لنا كم هو الجهاد ضرورة في الحياة.

فلولا جهاد المسلمين، واسترخاصهم للغالي والنفيس في سبيل الله، لكان وجه التاريخ مظلماً. وتخلف موكب الحضارة الحديثة عن الظهور.

لقد كان لجهاد المسلمين الأوائل فضل تأسيس الحضارة الإسلامية، وشق الطريق للفتوحات العبقرية في ميادين العلم والصناعة، وتنظيم حياة البشر.

ولقد سبقت حكمة الله عز وجل، أن تكون الأمة الإسلامية أمة مجاهدة عزيزة، ولم يرد لها أن تخضع وترضى بالذلة، وتستكين إلى هوان.. فأوجب عليها الجهاد فى سبيله.

وكان اختياره لها لتكون «خير أمة» بسببين أساسيين:

الأول: أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

يقول الله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[٥].

الثاني: أنها تجاهد في سبيل الله، وتصمد في مواجهة الباطل والظلم والعدوان. وتقدم الشهداء تلو الشهداء في هذا الطريق.

يقول الله تعالى: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده، هو اجتباكم﴾[٦].

ويقول تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾[٧].

ولهذا كان المسلمون يعلّمون أبناءهم تاريخ الجهاد الإسلامي ويلقنونهم أخبار غزوات المسلمين.

يقول الإمام زين العابدين علي بن الحسين (ع): «كنا نعلّم مغازي رسول

---

(٥) سورة آل عمران (١١٠).

(٦) سورة الحج (٧٨).

(٧) سورةالبقرة (١٤٣).

الله (ص) كما نعلم السور من القرآن».

ويقول إسماعيل بن محمد: «كان أبي يعلّمنا المغازي والسرايا ويقول: «يا بني.. إنها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها».



٣

الجهاد مع النفس
الجهاد مع العدو
الجهاد لبناء الحضارة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قدر الإنسان أن يكافح، ويكابد، ويصارع الأهوال والصعاب، وحياته في هذه الأرض ليست دعةً وراحة، بل هي مزيج من التعب والنصب أيضاً. من هنا فإنه يولد باكياً ويموت باكياً وما بينهما لا يجد إلا فرصاً قليلة لكي يضحك..

﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾[1] ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات﴾[2] ﴿فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً﴾[3].

وهو مع ذلك يشتهي السعادة، ويبحث عن أسباب الخير، ويتمنى عوامل الراحة: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة﴾[4] ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾[5].

ومن هنا يجد نفسه في حالة من التصارع، بين مبتغاه ومشتهاه من جهة، وبين واقعه ومشكلاته من جهة أخرى..

---

(١) سورة البلد (٤).

(٢) سورة البقرة (١٥٥).

(٣) سورة التوبة (٨٢).

(٤) سورة آل عمران (١٤).

(٥) سورة العاديات (٨).

فكيف يتصرف؟ وماذا يعمل؟ هل يستسلم لما يشتهي؟ أم يرضى بما هو فيه؟ أم يصارع ويضارع؟

هذا من الناحية الفردية..

أمّا من الناحية الجماعية، فإن الأفراد ـ كما الفرد ـ يعيشون في حالة من التدافع الدائم مع بعضهم البعض نتيجة صراعهم مع أنفسهم..

ومن هنا كانت مسيرة الجهاد، كوسيلة من وسائل الانتصار في معترك الحياة، ذات محطات ثلاثة:

١ ـ الجهاد مع النفس.
٢ ـ الجهاد مع العدو.
٣ ـ الجهاد لبناء الحضارة، وعمارة الأرض.

وهي مترابطة، لا تقبل التفكيك، فمن اكتفى بواحدة منها، فلن يوفق، ولن يقبل منه الله، عمله لأنه آمن ببعض وكفر ببعض.

ولتوضيح ذلك نقول:

الجهاد مع النفس

ما دامت عوامل الشر والإنحراف موجودة في داخل النفس، فلنبدأها معركة من أجل الله من هناك.

لا بد من تربية النفوس، وإعداد الأفراد الصالحين، ولا بد من الجهاد مع عوامل الشر الذاتية، والسيطرة على نوازع الفساد، باعتبار ذلك جزءاً لا يتجزأ من الدين، وضرورة من ضرورات العمل الحضاري.

ومن هنا جاءت روايات مجاهدة النفس قبل روايات مجاهدة العدو.. باعتبار أن الثاني يكمل الأول.

جاء في الحديث الشريف: بعث رسول الله (ص) بسريّة فلما رجعوا قال: «مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر».

فقيل: «يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟».

قال : ـ هو ـ جهاد النفس ، ثم قال : «أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه» [٦] .

وجاء في الحديث : «احمل نفسك لنفسك ، فإن لم تفعل لم يحملك غيرك» [٧] . . وفي آخر : «حاسب نفسك لنفسك ، فإن غيرها من الأنفس لها حسيب غيرك» [٨] .

وفي آخر عن الامام الصادق (ع) : «إنك قد جُعلت طبيب نفسك ، وبُيّن لك الداء وعَرفت آية الصحة ، ودُلِلك على الدواء فانظر كيف قيامك على نفسك» [٩] .

ويقول الإمام علي (ع) :

«أفضل الجهاد جهاد النفس عن الهوى وفطامها عن لذات الدنيا» [١٠] .

ويقول : «أعلموا أن الجهاد الأكبر جهاد النفس فاشتغلوا بجهاد أنفسكم تسعدوا» [١١] .

ويقول : «جهاد النفس مهر الجنة» [١٢] .

ويقول (ع) : «لن يجوز الجنة إلاّ من جاهد نفسه» [١٣] .

ويقول : «أول ما تنكرون من الجهاد ، جهاد أنفسكم وآخر ما تفقدون مجاهدة أهوائكم وطاعة أولي الامر منكم» . [١٤]

---

(٦) بحار الأنوار ج ١٩ ص ١٨٢ .
(٧) وسائل الشيعة ج ١١ ص ١٢٢ .
(٨) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١١ ص ١٧٧ .
(٩) تحف العقول ص ٢٢٤ .
(١٠) غرر الحكم .
(١١) غرر الحكم .
(١٢) غرر الحكم .
(١٣) غرر الحكم .
(١٤) غرر الحكم .

ويقول: «مجاهدة النفس شيمة النبلاء»[١٥] .

ويقول رسول الله (ص): «الشديد من غلب هواه»[١٦] .

ويقول: «جاهدوا أنفسكم كما تجاهدون أعداءكم»[١٧] .

ويقول: (ص): «جاهدوا أنفسكم على شهواتكم تحل في قلوبكم الحكمة»[١٨] .

ويقول (ص): «أفضل الجهاد من أصبح لا يهتم بظلم أحد»[١٩] .

ويقول: الإمام الصادق (ع): «إجعل قلبك قريناً براً واجعل علمك والداً تتبعه، واجعل نفسك عدواً تجاهده، واجعل مالك عارية تردّها»[٢٠] .

ويقول: (ص) «من مقت نفسه دون مقت الناس آمنه الله من فزع يوم القيامة»[٢١] .

ويقول الحديث الشريف: «إن رجلاً في بني إسرائيل عبد الله أربعين سنة، ثم قدم قرباناً فلم يُقبل منه، فقال لنفسه: ما أتيت إلا منك، وما الذنب إلّا لك.. فأوحى الله تعالى إليه.. ذمّك لنفسك أفضل من عبادتك أربعين سنة»[٢٢] .

يقول الإمام علي: «كن مؤاخذاً نفسك مغالباً سوء طبعك، وإياك أن تحمّل ذنوبك على ربك».

ويقول أيضاً: «من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر ومن خاف أمن، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم»[٢٣] .

---

(١٥) غرر الحكم .
(١٦) الوسائل : ج ١١ ص ١٢٣ الباب ١ من أبواب جهاد النفس ح ٥ .
(١٧) الوسائل : ج ١١ ص ٢٢٢ الباب ٣٢ من أبواب جهاد النفس ح ٥ .
(١٨) تنبيه الخوزاطر ص ٣٦٢ .
(١٩) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣١٤ .
(٢٠) الوسائل : ج ١١ ص ١٢٢ الباب ١ من أبواب جهاد النفس ح ٣ .
(٢١) الوسائل : ج ١١ ص١٨٣ الباب ١٧ من أبواب جهاد النفس ح ٣ .
(٢٢) الوسائل : ج ١١ ص ١٨٣ الباب ١٧ من أبواب جهاد النفس ح ١ .
(٢٣) ميزان الحكمة ص ٤٠٩ باب الحساب .

ويقول الحديث عن رسول الله (ص) : «أكيس الكيسين من حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت» [٢٤] .

إن من يريد أن يملك نفسه فلا بد أن يجاهدها . .

يقول الإمام (ع) : «أملكوا أنفسكم بدوام جهادها» [٢٥] .

ويقول : «أقوى الناس من قوى نفسه» [٢٦] . وجهاد النفس ، أفضل أنواع الجهاد .

يقول الإمام علي (ع) : «ألا وإن الجهاد ثمن الجنة ، فمن جاهد نفسه ملكها وهي أكرم ثواب الله لمن عرفها» [٢٧] .

وتحقيق الأهداف العليا في الحياة لا يكون إلّا بالسيطرة على الذات .

يقول الإمام علي (ع) : «ذروة الغايات لا ينالها إلا ذووا التهذيب والمجاهدات» [٢٨] . وفي الحقيقة فإن من يقاوم شهوات نفسه ، هو الذي يعتبر صانعاً لها ومهتماً بها .

يقول الإمام علي (ع) : «أقبل على نفسك ، بالإدبار عنها» [٢٩] يقول : «من لم يسيس نفسه أضاعها» [٣٠] . ويقول : «من قوي على نفسه تناهى في القوة» [٣١] .

يقول : «من ساس نفسه أدرك السياسة» [٣٢] ويقول : «من تعاهد نفسه بالحذر آمن» [٣٣] .

---

(٢٤) بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٧٠ .
(٢٥) غرر الحكم .
(٢٦) غرر الحكم : حكمة ٣١٢٩ .
(٢٧) غرر الحكم .
(٢٨) غرر الحكم .
(٢٩) غرر الحكم .
(٣٠) غرر الحكم .
(٣١) غرر الحكم .
(٣٢) غرر الحكم : حكمة ٨١١٥ .
(٣٣) غرر الحكم : حكمة ٨١١٩ .

ويقول الإمام علي (ع): «جاهد نفسك، وحاسبها محاسبة الشريك شريكه، وطالبها بحقوق الله مطالبة الخصم خصمه» [٣٤].

ويقول: «في مجاهدة النفس كمال الصلاح» [٣٥].

ويقول: «جاهد شهوتك وغالب غضبك وخالف سوء عادتك، تزك نفسك، ويكمل عقلك، وتستكمل ثواب ربك» [٣٦].

ويقول: «جاهد نفسك على طاعة الله مجاهدة العدّو عدوّه، وغالبها مغالبة الضد ضدّه، فإن أقوى الناس من قوي على نفسه» [٣٧].

ويقول الإمام الصادق (ع): «من ملك نفسه إذا رغب، وإذا رهب، وإذا اشتهى، وإذا غضب، وإذا رضي: حرّم الله جسده على النار» [٣٨].

وتحدد الروايات الجهاد مع النفس في الأمور التالية:

١ ـ التفكر فيما يوجب الإعتبار:

يقول الحديث الشريف: «نبه بالتفكر قلبك. وجاف عن اللّيل جنبك. واتق الله ربك» [٣٩].

ويقول آخر: «أفضل العبادة إدمان التفكر في الله وقدرته» [٤٠].

ويقول آخر: «التفكر يدعو إلى البر والعمل به» [٤١].

ويقول آخر: «كان أكثر عبادة أبي ذر ـ رحمه الله ـ التفكر والاعتبار» [٤٢].

---

(٣٤) غرر الحكم.
(٣٥) غرر الحكم.
(٣٦) غرر الحكم.
(٣٧) غرر الحكم.
(٣٨) بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٢٤٣ عن أمالي المفيد.
(٣٩) بحار الأنوار ج ٧١ ص ٣١٨ عن الكافي ج ٢ ص ٥٤.
(٤٠) بحار الأنوار ج ٧١ ص ٣٢١ عن الكافي ج٢ ص ٥٥.
(٤١) بحار الأنوار ج ٧١ ص ٣١٨ عن مشكوة الأنوار ص ٣٢٨.
(٤٢) بحار الأنوار ج ٧١ ص ٣٢١ عن الخصال للصدوق.

٢ ـ التوكل على الله والاعتصام به والصبر على طاعته ، والتقوى منه :

كما في الحديث عن الامام الباقر : (ع) «إن الغنى والعزّ يجولان فإذا ظفرا بموضع التوكل أقطناه»[٤٣] يقول الله تعالى : ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾[٤٤] .

وقال الإمام الصادق (ع) : «من اعتصم بالله بتقواه عصمه الله»[٤٥] .

ويقول آخر: جاء في حديث قدسي : «ما أعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيّته، ثم تكيده السموات والأرض ومن فيهن إلّا جعلت له المخرج مما بينهن»[٤٦] ﴿إن المتقين في مقام أمين﴾[٤٧] .

ويقول حديث آخر: «إذا كان يوم القيامة، يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيقال لهم: من أنتم؟

فيقولون: «نحن أهل الصبر».

فيقال لهم: «على ما صبرتم؟».

فيقولون: «كنا نصبر على طاعة الله، ونصبر عن معاصي الله».

فيقول الله عز وجل: «صدقوا أدخلوهم الجنة»[٤٨] . وهو قول الله عز وجل ﴿إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[٤٩] .

ويقول حديث آخر: «عليكم بالورع، فإنه لا يَنال ما عند الله إلا بالورع»[٥٠] .

ويقول أمير المؤمنين (ع) : «اتق الله بعض التقى وإن قل ، واجعل بينك وبين الله ستراً وإن رق»[٥١] .

---

(٤٣) بحار الأنوار ج ٧٨ ص١٨٦ .
(٤٤) سورة الطلاق (٣) .
(٤٥) بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٢٨٥ عن عدّة الداعي .
(٤٦) كلمة الله ص ٨٠ . للسيد حسن الشيرازي (قدس) .
(٤٧) سورة الدخان (٥١) .
(٤٨) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٢٦ عن أصول الكافي .
(٤٩) سورة الزمر (١٠) .
(٥٠) أصول الكافي ج٢ ص ٧٦ .
(٥١) نهج البلاغة حكمة رقم ٢٤٢ .

٣ ـ استعمال العقل، واتباعه:

يقول الحديث الشريف : عن الامام الصادق (ع) «العقل دليل المؤمن» [٥٢] .

ويقول آخر: «لا فقر أشد من الجهل ولا مال أعود من العقل» [٥٣] .

ويقول آخر: «من كان عاقلاً كان له دين، ومن كان لـه دين دخل الجنة» [٥٤] .

ويقول آخر: «لما خلق الله العقل استنطقه. فقال له: اقبل فاقبل، ثم قال له: ادبر فادبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منك، ولا أكملتك إلّا فيمن أحب. أما إني اياك آمر وإياك أنهي، وإياك أعاقب وإياك أثيب» [٥٥] .

٤ ـ اجتناب الإنجرار وراء الشهوات:

يقول الحديث الشريف: «إن الله ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم» [٥٦] .

ويقول آخر: «طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد لم يره» [٥٧] .

ويقول آخر: «كم من شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً» [٥٨] .

ويقول آخر: «من عرضت له فاحشة أو شهوة فاجتنبها مخافة الله عز وجل حرّم الله عليه النار وآمنه من الفزع الأكبر، وانجز له ما وعده في كتابه[٥٩] في

---

(٥٢) أصول الكافي ج ١ ص ٢٥ .
(٥٣) تحف العقول ص ٦ .
(٥٤) أصول الكافي ج ١ ص ١١ .
(٥٥) أصول الكافي ج ١ ص ٢٦ وكذا في الاختصاص والمحاسن .
(٥٦) الوسائل : ج ١١ ص ١٦٤ الباب ٩ من أبواب جهاد النفس ح ٢ .
(٥٧) أمالي الطوسي ص ٣١ وكذا في نواب الأعمال .
(٥٨) بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٤٥ عن تحف العقول .
(٥٩) الوسائل : ج ١١ ص ١٦٣ الباب ٩ من أبواب جهاد النفس ح ١ .

قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [٦٠] .

٥ ـ التدبر في نهايات الأمور، وعواقبها:

يقول الحديث الشريف: «إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن يك رشداً فامضه، وإن يك غياً فانته عنه» [٦١] .

ويقول آخر: «من تورط في الأمور غير ناظر في العواقب فقد تعرض لمفظعات النوائب، والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم» [٦٢] .

ويقول آخر: «ليس بحازم من لا ينظر في العواقب، والنظر في العواقب تلقيح للقلوب» [٦٣] .

٦ ـ محاسبة النفس، وتدارك السيئات:

يقول الحديث الشريف: «يا بن آدم، إنك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همتك [٦٤] . يا بن آدم إنك ميّت ومبعوث وموقوف بين يدي الله فاعدّ جواباً [٦٥] .

ويقول آخر: «من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر» [٦٦] .

ويقول آخر: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتجهزّوا للعرض الأكبر» [٦٧] .

ويقول آخر: «ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فإن عمل حسناً

---

(٦٠) سورة الرحمن (٤٦ .
(٦١) الوسائل: ج ١١ ص ٢٢٣ الباب ٣٣ من أبواب جهاد النفس ح ١ .
(٦٢) الوسائل: ج ١١ ص ٢٢٣ الباب ٣٣ من أبواب جهاد النفس ح ٢ .
(٦٣) الوسائل: ج ١١ ص ٢٢٤ الباب ٣٣ من أبواب جهاد النفس ح ٦ .
(٦٤) ميزان الحكمة ص ٤٠٥ باب الحساب.
(٦٥) الوسائل: ج ١١ ص ٣٧٨ الباب ٩٦ من أبواب جهاد النفس ح ٣ .
(٦٦) بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٧٢ عن نهج البلاغة .
(٦٧) بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٧٣ عن محاسبة النفس .

استزاد الله ، وإن عمل شراً استغفر الله منه وتاب إليه» (٦٨) .

٧ ـ غسل السيئات بالعمل الصالح :

يقول الحديث الشريف : «إذا عملت سيئة فاعمل حسنة تمحوها» (٦٩) .

ويقول آخر وعن الباقر (ع) : «ما أحسن الحسنات بعد السيئات ، وما أقبح السيئات بعد الحسنات» (٧٠) .

وعن الامام علي ابن الحسين (ع) قال : «يا سوأتاه لمن غلبت أحداته عشراته» . يريد بذلك أن السيئة بواحدة والحسنة بعشرة (٧١) .

وقال في تفسير هذه الآية : ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلاّ مثلها﴾ فالحسنة الواحدة إذا عملها كُتبت له عشراً ، والسيئة الواحدة إذا عملها كتبت له واحدة ، فنعوذ بالله ممن يَرتكب في يوم واحد عشر سيئات ، ولا تكون له حسنة واحدة فتغلب حسناته سيئاته» (٧٢) .

٨ ـ الخوف من الله ، ورجاء رَوحه :

عن الإمام الصادق (ع) قال ان من وصايا لقمان لابنه : «خف الله خيفة لو جئته ببر الثقلين لعذبك ، وارج الله تعالى رجاءً لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك» (٧٣) .

قال الإمام الصادق (ع) كان أبي (ع) يقول : «ليس من عبد مؤمن إلاّ [و] في قلبه نوران : نور خيفة ، ونور رجاء . ولو وزن هذا لم يزد على هذا ، ولو وزن هذا لم يزد على هذا» (٧٤) .

وعن الصادق (ع) : «لا يكون العبد مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً ،

---

(٦٨) بحار الأنوار ٧٠ ص ٧٢ عن أصول الكافي والاختصاص .

(٦٩) الوسائل : ج١١ ص ٣٨٤ الباب ٩٨ من أبواب جهاد النفس ح ٥ .

(٧٠) بحار الأنوار ج ٧١ ص ٢٤٢ عن أمالي المفيد .

(٧١) تحف العقول ص ٢٠٣ .

(٧٢) بحار الأنوار ج ٧١ ص ٢٣٤ عن معاني الأخبار .

(٧٣) اصول الكافي ج ١ ص ٦٧ .

(٧٤) أصول الكافي ج ٢ ص ٦٧ .

ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو[٧٥] .

وجاء أيضاً عنه (ع) «ارج الله رجاءً لا يُجرئك على معصيته وخف الله خوفاً لا يؤيسك من رحمته»[٧٦] .

٩ ـ أداء الواجبات وترك المحرّمات:

يقول الحديث الشريف: «من أشد ما فرض الله على خلقه ذكر الله كثيراً». ثم قال: «لا أعني «سبحان الله» و«لا إله إلاّ الله» و«الله أكبر» ـ وإن كان منه ـ ولكن ذكر الله عند ما أحلّ وحرّم، فإن كان طاعة عمل بها، وإن كان معصية تركها[٧٧] .

ويقول آخر: قال الله في حديث قدسي: «يا بن آدم. . إن نازعك بصرك إلى بعض ما حرّمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين: فاطبق ولا تنظر. وإن نازعك لسانك إلى بعض ما حرّمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين: فاطبق فلا تتكلم. وإن نازعك فرجك إلى بعض ما حرّمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين: فاطبق فلا تأت حراماً»[٧٨] .

قال رسول الله (ص) : «إعمل بفرائض الله تكن من اتقى الناس وارض بقسم الله تكن من أغنى الناس ، وكف عن محارم الله تكن من أروع الناس ، وأحسن مجاورة من يجاورك تكن مؤمناً ، واحسن مصاحبة من صاحبك تكن مسلماً»[٧٩] .

١٠ ـ الاعتماد على الصبر :

يقول الحديث الشريف : «الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الايمان»[٨٠] .

---

(٧٥) بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٣٩٢ عن الاحتجاج .
(٧٦) بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٣٨٤ عن أمالي المفيد .
(٧٧) الوسائل : ج ١١ ص ٢٠٠ الباب ٢٣ من أبواب جهاد النفس ح ٢ .
(٧٨) الوسائل : ج ١١ ص ٢٠١ الباب ٢٣ من أبواب جهاد النفس ح ٦ .
(٧٩) اصول الكافي ج ٦٩ ص ٣٦٨ .
(٨٠) أصول الكافي ج ٢ ص ٨٧ وص ٨٩ .

ويقول آخر: «الق عنك واردات الهموم بعزائم الصبر. وعود نفسك الصبر فنعم الخلق الصبر، واحملها على ما أصابك من أهوال الدنيا وهمومها».

من وصايا النبي (ص) لأبي ذر: إن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فاصبر، فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب[٨١]، ﴿فإن مع العسر يُسراً، إنّ مع العسر يسراً﴾[٨٢].

وعن الباقر (ع) قال: «اصبر على الحق وإن كان مراً»[٨٣].

١١ ـ التخلق بمكارم الأخلاق:

يقول الحديث الشريف: إن الله تبارك وتعالى خصّ رسول الله (ص) بمكارم الأخلاق وهن: الورع، والقناعة، والصبر، والشكر، والحلم، والحياء، والسخاء، والشجاعة، والغيرة، والبر، وصدق الحديث، وأداء الأمانة»[٨٤].

ويقول آخر: «ألا أحدثك بمكارم الأخلاق؟: الصفح عن الناس، ومواساة الرجل أخاه في ماله، وذكر الله كثيراً»[٨٥].

ويقول آخر: «ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثماني خصال: وقور عند الهزاهز، صبور عند البلاء، شكور عند الرخاء، قانع بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء، ولا يتحامل للأصدقاء، بدنه منه في تعب، والناس منه في راحة»[٨٦].

ويقول آخر: «إن العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل أمير جنوده، والرفق أخوه، والبرّ والده».

ويقول آخر: «المؤمن له قوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين،

---

(٨١) بحار الأنوار ج ٧٧ ص ٨٨ عن مكارم الأخلاق.

(٨٢) سورة الشرح (٥ ـ ٦).

(٨٣) بحار الأنوار ج ٧٠ ص ١٨٤ عن مشكاة الأنوار والكافي.

(٨٤) بحار الأنوار ج ٦٩ ص ٣٦٨ عن معاني الاخبار والخصال والامالي وفيه اختلاف يسير.

(٨٥) معاني الأخبار ص ١٨٤.

(٨٦) الخصال للصدوق باب الثمانية.

وحرص في فقه، ونشاط في هدى، وبر في استقامة، وعلم في حلم، وشكر في رفق، وسخاء في حق، وقصد في غنى، وتحمل في فاقة، وعفو في قدرة، وطاعة في نصيحة، وانتهاء في شهوة، وورع في رغبة، وحرص في جهاد، وصلاة في شغل، وصبر في شدة، ولا يغتاب ولا يتكبر ولا يقطع الرحم، وليس بواهن ولا فظ ولا غليظ ولا يسبقه بصره، ولا يفضحه بطنه، ولا يغلبه فرجه، ولا يحسد الناس، ولا يعيّر، ولا يُسرف. . ، ينصر المظلوم ويرحم المسكين. نفسه منه في عناء والناس منه في راحة، لا يرغب في عزّ الدنيا، ولا يجزع من ذلّها، لا يُرى في همّه نقص، ولا في رأيه وهن، ولا في دينه ضياع. يرشد من استشاره، ويساعد من ساعده ويكيع عن الخنا والجهل».

١٢ ـ الالتزام بالإنصاف من النفس للناس:

يقول الحديث الشريف: «إن أشد ما افترض الله على خلقه: إنصاف الناس من أنفسهم، ومواساة الإخوان، في الله عز وجل، وذكر الله على كل حال.

ويقول آخر: «انفق ولا تخف فقراً، وافش السلام في العالم، واترك المراء وإن كنت محقاً، وانصف الناس من نفسك».

ويقول آخر: «ثلاث هم أقرب الخلق إلى الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب: رجل لم تدعه قدرته في حال غضبه أن يحيف على من تحت يده، ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع أحدهما على الآخر بشعيرة، ورجل قال بالحق فيما له وعليه».

١٣ ـ اقامة العدل، وتجنب الظلم:

يقول الحديث: «العدل أحلى من الماء يصيبه الظمآن، وما أوسع العدل إذا عدل فيه وإن قل».

ويقول آخر: «إن أشد الناس حسرة يوم القيامة من وصى عدلاً ثم عمل بغيره».

ويقول آخر: «إن البغي يقود أصحابه إلى النار».

ويقول آخر: «إن أسرع الشر عقوبة البغي».

ويقول آخر: «لو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغي منهما دكاً».

ويقول آخر: «إتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة» (٨٧).

ويقول آخر: «ما يأخذ المظلوم من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من دنيا المظلوم» (٨٨).

١٤ ـ تجنّب المساوىء:

يقول الحديث الشريف: «أصول الكفر ثلاثة: الحرص والاستكبار والحسد» (٨٩).

ويقول آخر: «إن أول ما عُصي الله به ستة: حب الدنيا، وحب الرياسة، وحب الطعام، وحب النوم، وحب الراحة، وحب النساء».

ويقول آخر: «ثلاث من كن فيه كان منافقاً وإن صام وصلّى وزعم أنه مسلم: من إذا إئتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف» (٩٠).

ويقول آخر: «خطب رسول الله (ص) فقال: ألا أخبركم بشراركم قالوا: بلى يا رسول الله؟ فقال: الذي يمنع رفده ويضرب عبده، ويتزود وحده.

ثم قال: ألا أخبركم بمن هو شر من ذلك؟ قالوا: بلى.

فقال: الذي لا يُرجى خيره، ولا يُؤمن شرّه.

ثم قال: ألا أخبركم بمن هو شر من ذلك؟ قالوا: بلى.

فقال: المتفحش اللّعان الذي إذا ذكر عنده المؤمنون لعنهم وإذا ذكروه لعنوه».

والجدير بالذكر ان من المساوىء التي تذكرها الروايات بالإضافة إلى ما ذكر هي:

---

(٨٧) الكافي ج ٢ ص ٣٣٢.

(٨٨) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣١١.

(٨٩) الكافي ج ١ ص ١٢١.

(٩٠) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ١٠٨ عن الكافي.

«حب الرياسة» و«الكسل والضجر» و«السفه» و«الطمع» و«الخرق» و«الفسق» و«الغلو» و«النميمة» و«ترك الجماعة» و«التظاهر بالمساوىء» و«ذكر عيوب الناس».

* * *

في هذا الإطار إذن يجب الجهاد مع أهواء النفس، بحملها على الصلاح وردعها عن الفساد.

وبكلمة فإن مجاهدة النفس تكون بتكريس مبادىء الخير في الذات، وتحديد الميزان الذي نقيس به حركتنا في الحياة حتى لا نميل ذات اليمين وذات الشمال، وذلك عبر تعديل أمور أربعة.

١ ـ تعديل ميزان الأهداف والدوافع.

٢ ـ تعديل ميزان الولاء والعداء.

٣ ـ تحديد محاور التحرك.

٤ ـ الالتزام بالقيم الأخلاقية جميعاً.

فمن غير أن تكون الأهداف سليمة كيف تكون الدوافع كذلك؟

ومن دون أن نعرف لمن نتولى؟ وممن نتبرى؟ هل نعرف كيف نعمل وكيف نعيش وكيف نموت؟

ومن دون أن نحدد محاور الحركة كيف نقيّم الأعمال؟

ومن غير الإلتزام بالقيم ما معنى الحياة؟

ثم: كيف يستطيع من لم ينتصر الحق في قلبه، أن ينصر الحق في المجتمع؟ وكيف يستطيع من لم يتمكن خط الخير من نفسه، أن يؤسس خط الخير في الحياة..

يقول الله تعالى: ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب (١٩)، الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق (٢٠). والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل، ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب (٢١)، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وانفقوا مما

رزقناهم سراً وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار (٢٢) ، جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب (٢٣) ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار (٢٤)﴾ [٩١] . .

فالذين عرفوا الحق وتمسكوا به لهم الصفات التالية:

١ ـ يوفون بعهد الله، ولا ينقضون الميثاق معه/ هذا في العلاقة مع الله.

٢ ـ وروابطهم العائلية، وثيقة إلى الحد الذي يستحيل معه أن يقطعوها منهم ﴿يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ [٩٢] .

٣ ـ وهم في قرارة أنفسهم يخشون ربهم، فلا يرتكبون أيّة تجاوزات لأنهم ﴿يخافون سوء الحساب﴾ [٩٣] .

٤ ـ وهم يتمتعون بنفسيات صابرة على الحق ابتغاء وجه ربهم.
٥ ـ وفي عباداتهم يلتزمون باقامتها.
٦ ـ وفي العطاء للناس ينفقون مما عندهم سراً وعلانية.
٧ ـ وفي علاقاتهم الاجتماعية يدرؤون بالحسنة السيئة. .

ومثل هؤلاء يفوزون برضوان الله، وجنات عدن فنعم عقبى الدار. .

وحينما يعتدل ميزان الأهداف والدوافع، يتعدل ميزان الحب والبغض والولاء والعداء. . فـ ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ [٩٤] .

وجاء في مضمون الحديث الشريف :

«إذا أردت أن تعرف من أنت؟ فانظر إلى قلبك فإذا كان قلبك يوالي أحباء

---

(٩١) سورة الرعد (١٩ ـ ٢٤) .
(٩٢) سورة الرعد (٢١) .
(٩٣) سورة الرعد (٢١) .
(٩٤) سورة المجادلة (٢٢) .

الله ويتبرأ من أعداء الله فانت على خير، وإذا كان قلبك يحب أعداء الله ويبغض أحباء الله فلست في خير. والمرء مع من أحب».

* * *

الجهاد مع العدو

أمّا تحديد محاور التحرك فلا بد من أن تكون على أساس:

١ ـ مرمّة لمعاش.

٢ ـ أو خطوةٍ في معاد.

٣ ـ أو لذةٍ في غير محرّم.

ولا بدّ لذلك من تحديد الأولويات/ وتبيين مواقع العدل والخير/ وأن يكون العمل لتقوية الحق واضعاف الباطل.

ذلك هو الجهاد مع النفس.

وهو الخطوة الأولى للجهاد مع العدو، لا بمعنى أنّ هناك فاصلاً زمنياً بينهما، فلا يقوم بالجهاد مع العدو إلّا من أتم الجهاد مع النفس، بل بمعنى أن يكون الجهادان متزامنان، فلا يقاتل على الصلاح، من لا يحاول تحقيق ذلك في نفسه، ولا يصارع على الصلاة من لا يقيمها في بيته، ولا يعادي الآخرين على العدل من لا يلتزم به مع من هو دونه... ولا يرمي الآخرين بحجر من لم يُطهّر جيبه من الأدران... ولا يحطم زجاج الآخرين من كانت داره من الزجاج.

ومن هنا فإن أمر الله لنبيّه بالقيام والإنذار، يترافق مع أمره تعالى بالتطهير وهجران الرجز.. يقول: ﴿يا أيها المدّثر (١)، قم فأنذر (٢)، وربك فكبّر (٣)، وثيابك فطهّر (٤)، والرجز فاهجر﴾ (٥) [٩٥].

---

(٩٥) سورة المدّثر (١ ـ ٥).

يقول الإمام علي (ع): «كيف يصلح غيره من لا يصلح نفسه، وكيف يعدل في غيره من يظلم نفسه، وكيف يهدي غيره من يضل نفسه، وكيف ينصح غيره من يغش نفسه؟».

ويقول: «عجبت لمن يتصدى لإصلاح الناس، ونفسه أشد شيء فساداً».

أمّا الجهاد مع العدّو، فهو طبيعي ما دام التناقض بين عبودية الله وعبودية الطاغوت قائماً ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ [٩٦].

ومراحل هذا الجهاد هي:

١ ـ التبيين: فهو يأتي بعد الإنذار والتبشير. ﴿إذهبا إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾ [٩٧].

فالقتال بعد التذكير والتبصير، لأن إقامة البينات تسبق غيرها من الخطوات.

٢ ـ المواجهة. فأهل الحق وأهل الباطل «فريقان يختصمان».

٣ ـ القتال لإزالة المنكر، وإقامة المعروف.

﴿فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم﴾ [٩٨].

غير أن الجهاد ليس هدفاً للجهاد.. والحرب ليست للحرب.. والقتال ليس للقتال، وإنما هو من أجل تحقيق العدل، ودفع الظلم، وتحرير الناس.

﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع الناس﴾ [٩٩].

---

(٩٦) سورة البقرة (٢٥٦).

(٩٧) سورة طه (٤٣).

(٩٨) سورة التوبة (١٢).

(٩٩) سورة الحديد (٢٥).

١ ـ فالرسل بعثهم إليه لتبيان البينات ﴿ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بينة﴾.

٢ ـ والكتاب هو تحديد المبادىء، ليكون ميزاناً للحق والباطل فلا قيمة لقانون لا يلتزم بالقيم، ولا حرمة لموقف لا ينبع من المبدأ..

٣ ـ وكل ذلك لكي يقوم الناس بالقسط فليس الدين هيكلاً مادياً له مصالحه في مقابل مصالح الناس. ومن جعل للإسلام قيمة منفصلة عن مصالح المسلمين افترض باطلاً، وأفشى حراماً..

فالإسلام هو للمسلمين، ومصالح المسلمين هي مصالح الإسلام. فلا إنفصال بين الإسلام والمسلمين. كما لا انفصال بين الكتاب والقسط بين الناس..

٤ ـ ومن هنا فالحديد ليس مجرد بأس شديد، بل هو أيضاً منافع للناس.

تماماً كما أن الله دعى الناس إلى الحج لا ليعبدوه فحسب بل ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ [١٠٠] أيضاً.

إن الدنيا والآخرة إذن أمران مرتبطان، من أراد أحدهما هلك ومن أرادهما معاً نجى فـ«من لا معاش له لا معاد له» ويؤكد على ذلك القرآن.. ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق (٢٠٠)، ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (٢٠١)﴾ [١٠١].

وجاء في الحديث الشريف: «وليس منا من ترك آخرته لدنياه، وليس منا من ترك دنياه لآخرته» وجاء أيضاً و«إعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً واعملَ لآخرتك كأنك تموت غداً» [١٠٢].

---

(١٠٠) سورة الحج (٢٨).

(١٠١) سورة البقرة (٢٠٠ ـ ٢٠١).

(١٠٢) مستدرك الوسائل ج١ ص ١٨.

ومن هنا كان لأكل الطعام ثواباً.
وللجماع ثواباً.
وللاستحمام ثواباً.
وللراحة ثواباً.

ولاستعمال العطر، ولبس الثياب، والمضمضمة، والاستنشاق، وتنظيف الدار، والتشجير، والتزيّن والتمشيط، وكل حاجات الإنسان ثواباً..

أمّا الحاجات العامة للمجتمع الإنساني فهي من الواجبات الكفائية، إذا تركها الجميع عذبهم الله، وإن أدى من يقوم به المجتمع سقط عن الآخرين..

فالدنيا والآخرة وجهان لعملة واحدة، بشرط أن لا ينفصلا «فالدنيا مزرعة الآخرة» ﴿وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾(١٠٣).

إن الحياة إذن مقدسة، وهي «وحدة متماسكة» يريدها الله للجميع ومن أجل المجموع ولذلك فإن ﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكانما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعاً﴾(١٠٤).

وفي الإسلام قيمة الحياة، إنما هي بانطلاقة الإنسان بعيداً عن كل العقد التي تختلقها النفس البشرية، وكل القيود التي يضعها الطغاة. ولذلك كانت مهمة رسول الله (ص) في الناس أن ﴿يضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾(١٠٥).

من هنا فإن الإسلام يضع حداً لكل التجاوزات سواء جاءت في صورة قوانين ما أنزل الله بها من سلطان، أم في صورة الإنحلال الخلقي عن رباط الإنسانية، أم في صورة مصادرة الحقوق والحريات من قبل الظالمين..

وهكذا فإن الجهاد في الإسلام، ليس في موقع الهدم والتدمير بل هو في موقع البناء والتعمير، لأنه حركة باتجاه إزالة العقبات عن طريق الإنطلاقة

---

(١٠٣) سورة القصص (٧٧).
(١٠٤) سورة المائدة (٣٢).
(١٠٥) سورة الأعراف (١٥٧).

البشرية، وليس حركة باتجاه فرض مزيد من القيود والسدود.

فالجهاد هو مواجهة السيف للسيف، والعنف للعنف، والضرب للضرب، والقتل للقتل.

ومحرابه، ليس قلوب الناس، بل أسلحة الطغاة..

ومسجده رقاب الظالمين، لا أفئدة المستضعفين..

ولذلك فهو يطال أئمة الكفر، لا العامة، وهدفه إخراج الناس من عبادة الناس إلى عبادة الله، والقضاء على الظلم والطغيان.

ومن هنا فإنه لن يكون مشروعاً لو كان في ظل سلطان جائر. فليس الجهاد لاستبدال ظالم بآخر، فلو افترضنا ظالمين أحدهما يحكم باسم الكفر والآخر باسم الإسلام فلا فرق بينهما، ولا يعتبر حرب الحاكم الظالم المسلم للآخر الكافر جهاداً في سبيل الله..

ولذلك كان لا بد في الجهاد الذي يسميه الفقهاء جهاد الغزو، وهو ما يكون من أجل إعلاء كلمة الإسلام في بلاد الله وعباده، من إذن الإمام، أو تحت راية إمام عادل..

يقول الإمام علي (ع):

«لا يخرج المسلم في الجهاد مع من لا يؤمن على الحكم ولا ينفذ في الفيء أمر الله عزَّ وجلَّ فإنّه إن مات في ذلك كان معيناً لعدوّنا في حبس حقّنا والإشاطة بدمائنا وميتته ميتة جاهلية».

وجاء في الحديث أن الإمام الصادق (ع) سأل عبد الملك بن عمرو، وهو من أصحابه: لِمَ لا تخرج إلى هذه المواضع التي يخرج إليها أهل بلادك (أي لم لا تجاهد مع الحاكم)؟

فقال عبد الملك: «انتظر أمركم، والاقتداء بكم!».

فقال الإمام (ع): «أي، والله لو كان خيراً ما سبقونا إليه».

فقال عبد الملك: «إن جماعة يقولون: ليس بيننا وبين جعفر بن محمد

خلاف إلّا أنه لا يرى الجهاد!»

فقال الإمام (ع): «أنا لا أرى الجهاد!! بلى واللهِ اني أراه ولكني أكره أن أدع علمي إلى جهلهم».

فالإمام يرى الجهاد، ولكن لا يراه إلّا لأهداف مقدسة، وهي إقامة العدل، والقضاء على الباطل، فإذا كان الذي يقود الجهاد على باطل، ويسوس الناس بالظلم، فلا جهاد معه. بل لا بد من الجهاد ضدّه..

لأن الظلم ظلم، سواء جاء بلون الكفر أم بلون الإسلام.

وقد جاء في حديث طويل عن الإمام الصادق (ع) ما يبيّن هذه الحقيقة..

ويقول: «أبو عمرو الزبيدي» قلت لأبي عبد الله الصادق (ع): «أخبرني عن الدعاء إلى الله والجهاد في سبيله أهو لقوم لا يحل إلّا لهم، ولا يقوم به إلّا من كان منهم؟

أم هو مباح لكل من وحّد الله عز وجل، وآمن برسوله، فكل من كان هكذا جاز له أن يدعو إلى الله، وإلى طاعته وأن يجاهد في سبيل الله؟

فقال الإمام (ع): ذلك (قيادة الجهاد) لقوم لا يحل إلّا لهم، ولا يقوم لك به إلّا من كان منهم...
فقلت: من أولئك؟

فقال: من قام بشرائط الله عز وجل في القتال والجهاد، فهو المأذون له في الدعاء إلى الله عز وجل، ومن لم يكن قائماً بشرائط الله عز وجل في الجهاد على المجاهدين، فليس بمأذون له في الجهاد والدعاء إلى الله، حتى يحكم في نفسه بما أخذ الله عليه من شرائط الجهاد».

وأضاف الإمام قائلاً: «إن الله عز وجل أخبر في كتابه الدعاء إليه، ووصف الدعاة إليه، فجعل ذلك لهم درجات يُعرّف بعضها بعضاً، ويستدل ببعضها على بعض. فأخبر أنّه تبارك وتعالى أول من دعا إلى نفسه، ودعا إلى طاعته واتباع أمره، فبدأ بنفسه فقال: ﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط

مستقيم﴾ [١٠٦] . ثم ثنّى برسوله فقال : ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [١٠٧] .

ولم يكن داعياً إلى الله عز وجل من خالف أمر الله ، ودعا إليه بغير ما أمر في كتابه ، الذي أمر أن لا يدعى إلاّ به ، وقال تعالى في نبيه : ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [١٠٨] ، ثم ذكر من اذن له في الدعاء إليه بعده وبعد رسوله في كتابه فقال : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ [١٠٩] ، ثم ذكر اتباع نبيه واتباع هذه الأمّة التي وصفها في كتابه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلها داعية إليه ، وأذن له في الدعاء إليه فقال : ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ [١١٠] ثم وصف اتباع نبيه من المؤمنين فقال عز وجل ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً﴾ [١١١] وقال : ﴿قد أفلح المؤمنون (١) ، الذين هم في صلواتهم خاشعون (٢) ، والذين هم عن اللّغو معرضون (٣)﴾ [١١٢] وقال في صفتهم : ﴿الذين لا يدعون مع الله الهاً آخر﴾ ثم أخبر أنه ـ تعالى ـ اشترى من هؤلاء المؤمنين ومن كان على مثل صفتهم : أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ، ثم ذكر وفاءهم به بعهده ومبايعته فقال : ﴿ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذين بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ [١١٣] .

---

(١٠٦) سورة يونس (٢٥) .

(١٠٧) سورة النحل (١٢٥) .

(١٠٨) سورة الشورى (٥٢) .

(١٠٩) سورة آل عمران (١٠٤) .

(١١٠) سورة الأنفال (٦٤) .

(١١١) سورة الفتح (٢٩) .

(١١٢) سورة المؤمنون (١ ـ ٣) .

(١١٣) سورة التوبة (١١١) .

وأضاف الإمام (ع): «ومن لم يكن مستكملاً لشرائط الإيمان فهو ظالم ممن يبغي، ويجب جهاده حتى يتوب، وليس مثله مأذوناً له في الجهاد والدعاء إلى الله عز وجل لأنه ليس من المؤمنين المظلومين الذين اذن لهم في القرآن في القتال في قوله تعالى: ﴿أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وأن الله على نصرهم لقدير﴾ وبحجة هذه الآية يُقاتل مؤمنوا كل زمان، وإنّما أذن الله عز وجل للمؤمنين الذين قاموا بما وصف الله عز وجل من الشرائط التي شرطها الله عز وجل على المؤمنين في الإيمان والجهاد، ومن كان قائماً بتلك الشرائط فهو مؤمن وهو مظلوم ومأذون له في الجهاد بذلك المعنى، ومن كان على خير ذلك فهو ظالم، وليس من المظلومين، وليس بمأذون له في القتال ولا بالنهي عن المنكر والأمر بالمعروف، لأنه ليس من أهل ذلك، وليس مجاهداً من قد أمر المسلمون بجهاده».

وأضاف: «ولسنا نقول لمن أراد الجهاد وهو على خلاف وصفنا من شرائط الله عز وجل على المؤمنين والمجاهدين: «لا تجاهدوا».

ولكن نقول: قد علمناكم ما شرط الله عز وجل على أهل الجهاد الذين بايعهم واشترى منهم أنفسهم وأموالهم بالجنان، فليصلح امرؤ ما علم من نفسه من تقصير عن ذلك، وليعرضها على شرائط الله عز وجل. فإن رأى أنه قد وفى بها وتكاملت فيه فإنّه ممن أذن الله عز وجل له في الجهاد، وإن أبى إلا أن يكون مجاهداً على ما فيه من الإصرار على المعاصي والمحارم، والإقدام على الجهاد بالتخبيط والعمى والقدوم على الله عز وجل بالجهل، فلقد ـ لعمري ـ جاء الأثر فيمن فعل هذا الفعل «إن الله ينصر هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم» فليتق الله عز وجل امرؤ، وليحذر أن يكون منهم».

* * *

(١١٤) سورة الحج (٣٩).

وجاء في حديث آخر:

«لقي عبّاد البصري، عليّ بن الحسين (ع) في طريق مكّة فقال له: يا عليّ بن الحسين! تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت على الحجّ ولينه وإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إنَّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنَّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون﴾ إلى قوله: ﴿وبشِّر المؤمنين﴾[١١٥].

فقال عليُّ بن الحسين عليهما السَّلام: إذا رأينا هؤلاء الّذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحجّ».

ومن هنا فإن الحرب قد تشن في ظل عبادة الفرد، ومن أجل أن تكون كلمته ـ وليس كلمة الله تعالى ـ هي العليا، أو تكون لتثبيت سلطانه، وتوسعة ملكه هي في نظر الإسلام حرب محرمة لا يجوز المشاركة فيها..

يقول رسول الله (ص) «من ضرب الناس بسيفه، ودعاهم إلى نفسه، وفي المسلمين من هو أعلم منه فهو ضال متكلّف».

وكيف يمكن أن تكون الحرب مع «الضال» «المتكلّف» حرباً مقدسة؟

وإذا كان الفرد ضالاً بمجرد أن يكون في الأمة من هو أجدر منه بالقيادة فكيف إذا كان هذا الشخص حاكماً غير شرعي، ولا ملتزماً بأهم مبادىء الإسلام في الحكم وهو مبدأ الشورى، وحرية الاختيار؟.

إن الروايات تتحدث أنه حينما شاع خبر مقتل رسول الله (ص) في غزوة أحد ـ والنبي من نعرف مكانته، وموقعه ـ وهرب البعض من المعركة، عاتبهم الله عتاباً شديداً وقال: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾[١١٦].

---

(١١٥) سورة التوبة (١١١).

(١١٦) سورة آل عمران (١٤٤).

فالجهاد هو لله . . ولإعلاء كلمة الله . . وتطبيق شريعة الله، لا لأيّ شيء آخر، ولا لأي شخص آخر، حتى لو كان هذا الشخص محمداً ـ صلى الله عليه وآله ـ فمحمد (ص) ليس إلا عبد الله ورسوله . .

ولهذا فلا يجوز للمسلم أن يقاتل للزعيم.

كما لا يجوز له أن يهرب لموت الزعيم . .

فالجهاد هو حرب للمبادىء والقيم، وكما أن دور الفرد في الإسلام، ليس دوراً شخصياً، بل هو دور مبدئي، وبمقدار ما يذوب في القيم تزداد قيمته، وبمقدار ما يبتعد عنها ينقص قدره: ﴿إن أكرمكم عند الله اتقاكم﴾ (١١٧) .

كذلك هو دوره في الجهاد. فإذا تحول الجهاد من عملية مقدسة تدور من أجل مبادىء الحق والعدل والإيمان، إلى عمل من أجل شخصيات بشرية، تثبيتاً لسلطتهم، وتعميماً لقدرتهم، فإنه يفقد مشروعيته، ويتبدل الحكم بالنسبة إليه من واجب إلى حرام . .

عن أبي عروة السلمي، عن أبي عبد الله (ع) قال: «سأل رجل فقال: اني كنت أكثر الغزو وأبعد في طلب الأجر وأطيل في الغيبة فحجر ذلك عليّ فقالوا: لا غزو إلا مع إمام عادل فما ترى أصلحك الله؟

فقال أبو عبد الله (ع): إن شئت أن أجمل لك أجملت، وإن شئت أن الخص لك لخصت.

فقال: بل أجمل.

فقال (ع): إن الله يحشر الناس على نياتهم يوم القيامة . .».

فإذا كانت نية الفرد تدور حول أمور أخرى غير القيم والمبادىء، فلا يكون مجاهداً، وإذا قتل فليس بشهيد.

ويذكر التاريخ هنا عن شخص كان على عهد رسول الله (ص) اسمه «قزمان» واشترك في غزوة أحد، وكان قوياً شجاعاً ماهراً في الحرب، وقد قاتل

---

(١١٧) سورة الحجرات (١٣)

قتالاً شديداً حتى صرع سبعة من الأعداء. .

وأعجب بعض المسلمين بقوة الرجل فقالوا إنه من أهل الجنّة ولكن النبي (ص) قال: «إنه من أهل النار»!

وقد ظل قزمان يُقاتل حتى أصيب بجراح خطيرة، وسقط صريعاً على الأرض، وجاءه بعض المسلمين يقولون له: «هنيئاً لك أبا الغيداق: الشهادة». .
فقال لهم ـ: «بم تبشرونني؟» وأضاف:

«والله ما قاتلتُ إلا على الأحساب، وما قاتلت على جنة ولا على نار».

ثم أخرج سهماً من كنانته، وجعل يطعن به جسمه هنا وهناك، ثم أخرج سيفه واتكأ عليه في جنون وقنوط، فخرج السيف من ظهره، فمات منتحراً، وأخذ طريقه إلى النار.
وصدق الله الذي يقول: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ [١١٨].

والذي يموت فيه يتحول من شهيد تفتح له الجنة أبوابها، إلى قتيل تبتلعه نيران جهنم. . يقول الإمام علي (ع) «إنما يجاهد في سبيل الله رجلان: إمام هدى أو مطيع له مقتد بهداه».

إنّ الظالم يجب الجهاد ضده، لا الجهاد معه. .

وإن السلطان الذي لا يليق بالحكم، لا يجوز الجهاد في ظله حتى من أجل الإسلام، إلّا بمقدار الدفاع عن النفس، وفي الحالات القصوى. .

عن أبي عبد الله (ع) قال: سألته عن رجل دخل أرض الحرب بأمان فغر القوم الذين عليهم قوم آخرون.

قال (ع): «على المسلم أن يمنع نفسه ويقاتل عن حكم الله وحكم رسوله، وأما أن يقاتل الكفار على حكم الجور وسنتهم فلا يحل له ذلك».

---

(١١٨) سورة المائدة (٢٧).

وعن أبي الحسن عليه السَّلام قال: قلت له: جعلت فداك إنَّ رجلاً من مواليك بلغه أنَّ رجلاً يعطي السَّيف والفرس في السبيل فأتاه فأخذهما منه ثمَّ لقيه أصحابه فأخبروه أنَّ السَّبيل مع هؤلاء لا يجوز وأمروه بردِّهما، قال: فليفعل، قال:

قلت: قد طلب الرَّجل فلم يجده وقيل له: قد شخص الرجل.

قال: فليرابط ولا يقاتل.

قال: قلت له: ففي مثل قزوين والديلم وعسقلان وما أشبه هذه الثغور؟

فقال: نعم، فقال له: يجاهد؟

فقال: لا إلّا أن يخاف على ذراري المسلمين، أرأيتك لو أن الروم دخلوا على المسلمين لم ينبغ لهم أن يتابعوهم؟

قال: يرابط ولا يقاتل فإن خاف على بيضة الإسلام والمسلمين قاتل فيكون قتاله لنفسه ليس للسَّلطان.

قال: قلت: فإن جاء العدوّ إلى الموضع الّذي هو فيه مرابط كيف يصنع؟

قال: يقاتل عن بيضة الإسلام لا عن هؤلاء لأنَّ في دروس الإسلام دروس ذكر محمّد (ص).

والمسألة الأساسية هنا أن الجهاد في الإسلام، ليس هو مجرد القتال، بل هو «عبادة» كالصلاة والصيام، يشترط فيها الكثير مما يشترط في العبادات الأخرى.

فمثلاً كما لا تجوز الصلاة في «دار غصب» كذلك لا يجوز الجهاد مع «حكم غصب». . وكما تجب النية في قبول العبادات، كذلك لا بد من النية في قبول الجهاد. .

فحتى في الجهاد المقدس الذي اجتمع فيه كل شروط الجهاد الإسلامي لا بد أن تكون نية «التقرب» إلى الله تعالى كما لا بد أن تدور فعاليته من أجل المبادىء والقيم، ولإعلاء كلمة الله، لا تحقيق المكاسب والمغانم.

* * *

الجهاد لبناء الحضارة

ومن الجهاد مع النفس إلى الجهاد من أجل بناء الحضارة، كل واحد منهما يكمل الآخر. فبدون بناء الإنسان لا يمكن بناء الحضارة، ومن دون الجهاد مع العدو لا تزول العقبات في هذا الطريق..

إذن هنالك جهادان أساسيان، وجهاد آخر فرعي.

أمّا الأساسيان فهما:

١ ـ الجهاد مع النفس.

٢ ـ الجهاد لبناء الحضارة وعمارة الأرض..

أمّا الجهاد الفرعي فهو الجهاد مع العدو.. وهو فرعي لأنه ليس هدفاً بحد ذات، بل هو طريق إلى الهدف أعني بناء الحضارة.

إن الإنسان مطالب بتهذيب النفس كهدف من أهداف وجوده على هذه الأرض يقول الله تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها﴾ (١١٩) ويقول: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ (١٢٠) ويقول: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ (١٢١) ويقول: ﴿ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه﴾ (١٢٢).

وهو مطالب ببناء الحياة وعمارة الأرض يقول تعالى: ﴿هو انشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ (١٢٣).

فبناء «الأمة المؤمنة» هو لبناء «حضارة مؤمنة» فإذا ما كانت هنالك عقبات في هذا الطريق ـ سواء كانت في صورة أفراد أو أنظمة أو كيانات ـ فلا بد من مجابهتها والقضاء عليها، وتجاوزها..

---

(١١٩) سورة الشمس (١٠).

(١٢٠) سورة الجمعة (٢).

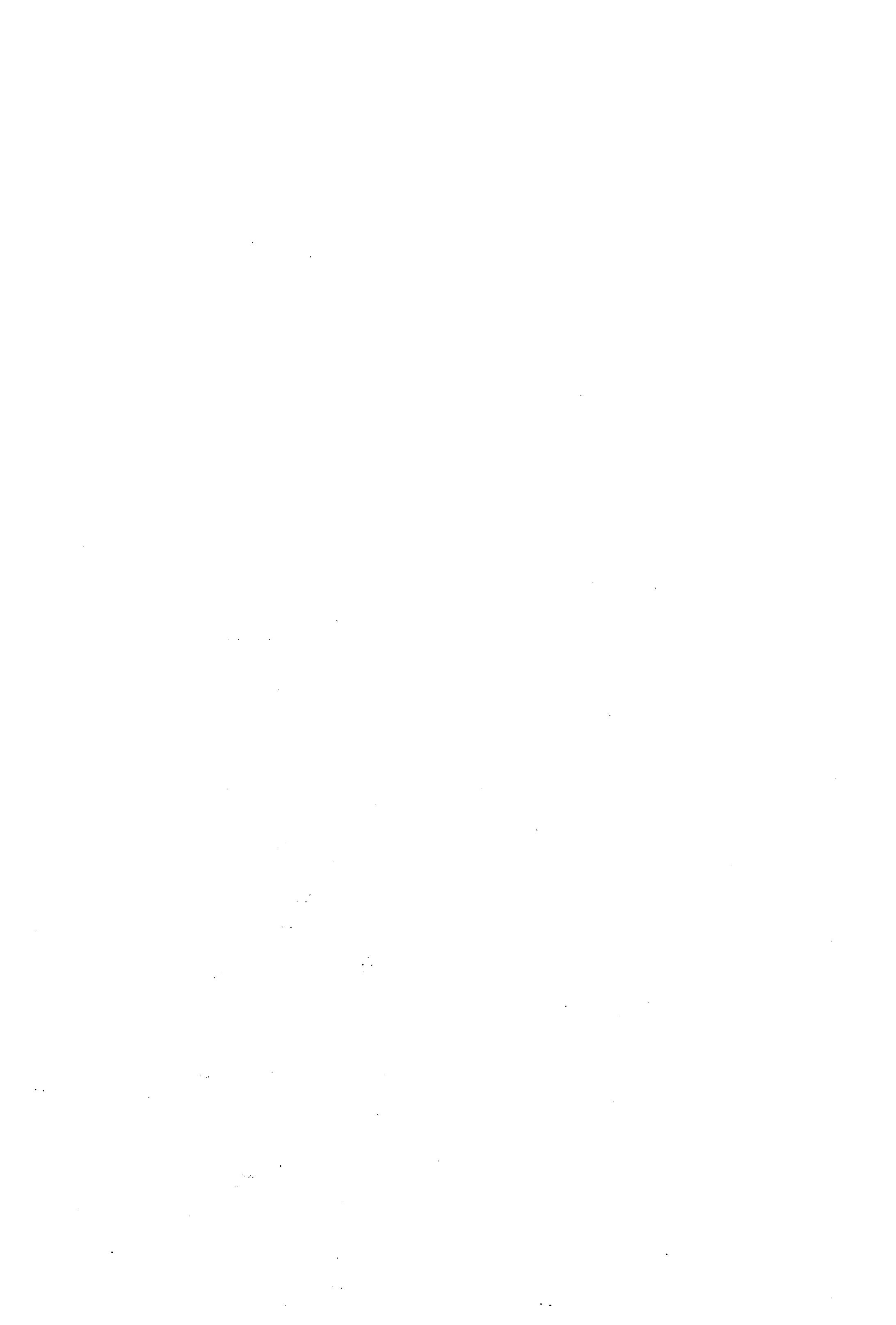
(١٢١) سور الأعلى (١٤).

(١٢٢) سورة فاطر (١٨).

(١٢٣) سورة هود (٦١).



٤
التواصي بالجهاد



لسببين لا بدّ من التواصي بالجهاد، والتحريض عليه:

الأول: إن الجهاد عمل صعب وشاق، يقوم فيه الفرد بالمغامرة بحياته، فهو لذلك يجد ألف سبب للتقاعس عنه، ولولا تشجيع المؤمنين للجهاد، وتحريضهم عليه فلربّما تهاون فيه الكثيرون.

الثاني: إن الإسلام دين يحمّل اتباعه رسالته، فلا يكتفي مثلاً بأن يؤدي المسلم الفرائض، بل يطالبه باقامتها في المجتمع والدعوة إليها بين الناس، وتربية الأولاد عليها:

وتتجلى هذه الحقيقة في عدة أمور:

١ ـ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ ـ وجوب هداية الآخرين، وإرشادهم.

٣ ـ وجوب التحريض على الجهاد.

٤ ـ وجوب التواصي بالحق والتواصي بالصبر..

يقول الله تعالى: ﴿يا أيّها النبي حرّض المؤمنين على القتال﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلّفُ إلاّ نفسك وحرّض المؤمنين

---

(١) سورة الأنفال (٦٥).

عسى الله أن يكفّ بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً﴾[٢].

وفي الحقيقة فإن وجوب التحريض على الجهاد، جاء بسببين:

الأول: إن الجهاد عمل يؤديه المسلم باختياره وحرّيته، وقناعته، فهو كالصلاة والصيام عمل عبادي، لا يقبل إلّا بنية التقرّب إلى الله عز وجل وحرية الاختيار.

فالجهاد قرار فردي يتخذه المؤمنون، وليس قراراً حكومياً ينفذونه بالجبر والإكراه.

الثاني: إنّ الجهاد يشكِّل نقطة قوة كبيرة لمصلحة المسلمين، وهو حسب تعبير الإمام علي (ع) «ذروة الإسلام وسنامه»[٣] وبه تقام بقية الفرائض.. فإذا تعرّض للنسيان فلا تقوم للإسلام قائمة.

ومن هنا حيكت مؤامرات كثيرة قديماً وحديثاً لتجريد المسلمين منه، أو تحريفه عن أهدافه..

فقديماً حاول الأعداء حذف الجهاد، حتى من الحوزات والمدارس العلمية، وقد انفق البريطانيون ملايين الجنيهات في الهند ـ مثلاً ـ ليحذفوه، ونجحوا فعلاً، في زحلقته من قائمة الأوليات الهامّة عند المسلمين، وإن كانوا قد فشلوا في حذفه كفرع من فروع الدين، أي أنهم حذفوه كوجود خارجي، ولكنه بقي كفريضة تاريخية!.

فلكي لا يتحول الجهاد إلى فريضة منسية لا بد من التحريض عليه، والتواصي به، والتعاون على إعادته، وإلّا فلا أحد يرغب في تحمل المشاق، والتعرض للآلام، وتقديم التضحيات.

ولا بدّ أن يعرف الجميع أن الجهاد رغم أنه «كره» كما يقول القرآن

---

(٢) سورة النساء (٨٤).
(٣) نهج البلاغة خطبه رقم (١٢٢).

الكريم فهو ضرورة من ضرورات الحياة، فلولاه لما انتصرت الأمة، ولا قام لها عود.. يقول الإمام علي (ع):

«ولقد كنا مع رسول الله (ص) نقتل آباءنا، وأبناءنا، وإخواننا، وأعمامنا: ما يزيدنا ذلك إلّا إيماناً وتسليماً ومضياً على اللّقم (الطريق) وصبراً على مضض الألم، وجداً في جهاد العدوّ.

ولقد كان الرجل منّا، والآخر من عدوّنا يتصاولان (يهاجم أحدهما الآخر) تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما: أيهما يسقي صاحبه كأس المنون؟ (كل يحدّث نفسه بقتل الآخر) فمرةً لنا (الانتصار) من عدوّنا ومرّةً لعدوّنا منّا.

فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدوّنا الكبت (والهزيمة) وأنزل علينا النصر (وهكذا ثبتنا على تحمل الموت) حتى استقرّ الإسلام مُلقياً جرانه (ثقله من رحلة العذاب) ومتبوِّئاً أوطانه.

ولعمري.. لو كنّا نأتي ما أتيتم (من التقاعس) ما قام للدّين عمود، ولا أخضرّ للإيمان عود.

وأيّم الله... (لو استمر تقاعسكم) لتحتلبنّها (النتيجة) دماً، ولتتبّعنها ندماً»[٤].

وتلك هي النتيجة الطبيعية: إن الذين يرفضون تقديم الشهداء على طريق العزّ والانتصار، سيُقدمون أضعاف ذلك: ضحايا على طريق الذلّ والهزيمة.

فمن يرفض أن يرفع السلاح، لا بدّ أن يرضى بالعيش في ظل الخوف منه.

الجهاد لماذا؟

الجهاد ضد من؟

هل كل حكم جائرٍ يجوز إعلان الجهاد ضده، وإن كان حاكمه مسلماً، أم

---

(٤) نهج البلاغة خطبه رقم (٥٦).

أن الجهاد يخص الكفار، وبشروط قد لا تتوفر في عصرنا هذا غالباً؟

إذا أخذنا بعين الاعتبار أن التسميات ليست هي المقياس في إعلان الولاء أو العداء، والتولي أو التبري، بل الحقائق. .

وأن الإسلام ليس مجرد شعار يرفعه المسلم ثم يعمل في ظله ما يريد ويفعل ما يشاء، وإنما هو قيم ومبادىء وأحكام، وقوانين فمن تملص منها كان بينه وبين الله عاصياً، وبينه وبين الناس مجرماً. لا بد من تقويمه. .

وأنّ الجهاد إنما هو سعي المؤمن، أو الجماعة المؤمنة لتحقيق مبادىء العدل، والحق، والخير والصلاح والحرية، فهو إذن مشروع وواجب إذا اختل ميزانها في أي زمان ومكان. .

إذا أخذنا ذلك بعين الاعتبار نعرف أنّ الجهاد لا يخص من يُسمّى كافراً، ولا يتجاوز من يُسمّى مسلماً. .

ثم إن دفع العدو الأجنبي واجب لا يشك فيه أحد، ولكن ماذا عن العدو الداخلي؟

وهل كان جهاد الأنبياء ضد أعداء من الخارج فقط؟

أليس العدو الداخلي أكثر خطورة، كما هو أكثر شراسة؟

وأليس تاريخنا مليئاً بقصص الجهاد ضد أدعياء الدين، كما هو مليء بقصص الجهاد ضد الكافرين؟

ألا يقول ربنا: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾[٥] فيجعل للجهاد موردين: «الكفار» وهم أعداء من الخارج. و«المنافقون» وهم أعداء من الداخل؟

ألم يقل النبي (ص) لعلي (ع): «يا علي إن الله تعالى قد كتب على

---

(٥) سورة التوبة (٧٣).

المؤمنين الجهاد في الفتنة من بعدي كما كتب عليهم الجهاد مع المشركين معي.

فقال علي: يا رسول الله وما الفتنة التي كتب علينا فيها الجهاد؟

قال فتنة قوم يشهدون ان لا إله إلا الله وأني رسول الله وهم مخالفون لسنتي وطاعنون في ديني.

فقال: فعلام نقاتلهم يا رسول الله وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله؟

فقال: على احداثهم في دينهم وفراقهم لأمري واستحلالهم دماء عترتي»[٦].

ألم يخطب الإمام علي (ع): في أصحابه بعد أن لفق البعض بعدم مشروعية الجهاد ضد الذين تظاهروا بالإسلام قائلاً؟

عَضُّوا عَلَى ٱلْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ، وَلاَ تَلْتَفِتُوا إِلَىٰ نَاعِقٍ نَعَقَ: إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ. وَقَدْ كَانَتْ هٰذِهِ ٱلْفَعْلَةُ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوهَا. فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَإِنَّ ٱلْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَىٰ ٱلآبَاءِ وَٱلأَبْنَاءِ وَٱلإِخْوَانِ وَٱلْقَرَابَاتِ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَىٰ كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إلا إِيمَاناً، وَمُضِيًّا عَلَىٰ ٱلْحَقِّ، وَتَسْلِيماً لِلأَمْرِ، وَصَبْراً عَلَىٰ مَضَضِ ٱلْجِرَاحِ. وَلٰكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي ٱلإِسْلاَمِ عَلَىٰ مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَٱلاِعْوِجَاجِ، وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ[٧].

ألا يقول الحديث الشريف:

يقاتل أهل البغي ويقتلون بكل ما يقتل به المشركون، ويستعان بكلّ ما

---

(٦) الوسائل: ج ١١ ص ٦١ الباب ٢٦ من أبواب جهاد العدو ح ٧.

(٧) نهج البلاغة خطبه رقم (١٢٢).

أمكن أن يستعان به عليهم من أهل القبلة، ويؤسرون كما يؤسر المشركون إذا قدر عليهم.

* * *

إن الذين يشكّكون في مشروعية الجهاد في هذه الأيام، ينسون أن الجهاد ليس نوعاً واحداً، ولذلك فقد يكون نوع معين منه، لم تتوفر شروطه بعد، فهو «جهاد مؤجل» ولكن الأنواع الأخرى تبقى واجبة وتاركها يحاسب ويعاقب..

يقول الإمام الصادق (ع): الجهاد فريضة واجبة من الله عزَّ وجل على خلقه بالنفس والمال مع إمام عادل، فمن لم يقدر على الجهاد معه بالنفس والمال فليخرج بماله من يجاهد عنه، ومن لم يقدر على المال وكان قويّاً ليست له علّة تمنعه فعليه أن يجاهد بنفسه.

والجهاد على أربعة أوجه: فجهادان فرض، وجهاد سنّة لا يقام إلَّا مع فرض وجهاد سنَّة.

فأمّا أحد الفرضين فمجاهدة نفسه عن معاصي الله وهو من أعظم الجهاد، ومجاهدة الّذين يلونكم من الكفَّار فرض، وأمّا الجهاد الّذي هو سنّة لا يقام إلَّا مع فرض، فإنَّ مجاهدة العدوِّ فرض على جميع الأمّة ولو تركت الجهاد لأتاهم العذاب وهذا هو من عذاب الأمّة وهو سنّة على الإمام أن يأتي العدوَّ مع الأمّة فيجاهدهم، وأمّا الجهاد الّذي هو سنَّة فكلُّ سنَّة أقامها الرَّجل وجاهد في إقامتها وبلوغها وإحيائها فالعمل والسَّعي فيها من أفضل الأعمال لأنّه إحياء سنَّة[٨].

وقد قال رسول الله (ص): «من سنَّ حسنة عُمل بها من بعده كان له أجره ومثل أجورهم فله أجرها وأجر من غير أن ينتقص من أُجورهم شيء»[٩].

ويقول الإمام الصادق (ع): «إن الله عز وجل بعث رسوله بالإسلام إلى الناس عشر سنين، فأبوا أن يقبلوا حتى أمره بالقتال.. فالخير في السيف وتحت

(٨) تحف العقول ص ١٧٥ وكذا في مشكاة الأنوار ص ٢٤٦.
(٩) كنز العمال خبر ٤٣٠٧٩.

السيف ، والأمر يعود كما بدأ . . »[10] .

وكلمة «الأمر يعود كما بدأ» تعطي مفهوم الفتوى في مشروعية الجهاد بالسلاح كلّما كان الظرف مثل ما مر على رسول الله (ص).

* * *

وهناك حديث آخر عن الإمام الباقر (ع) يكشف المزيد عن أنواع الجهاد ، وكيف أنها تبقى واجبة «حتى تطلع الشمس من مغربها» حسب تعبير الإمام ، مما يعني أنها لن تسقط إلى يوم يبعثون . .

يقول الإمام الباقر (ع) : بعث الله محمّداً (ص) بخمسة أسياف : ثلاثة منها شاهرة لا تغمد إلى أن تضع الحرب أوزارها لن تضع الحرب أوزارها حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت الشمس من مغربها آمن النَّاس كلّهم في ذلك اليوم فيومئذ ﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾[11] وسيف منها ملفوف ، وسيف منها مغمود سلّه إلى غيرنا وحكمه إلينا[12] .

فأمّا السَّيوف الثلاثة الشاهرة فسيف على مشركي العرب قال الله عزَّ وجلَّ ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كلَّ مرصد فإن تابوا﴾[13] يعني آمنوا ﴿فإخوانكم في الدِّين﴾ فهؤلاء لا يقبل منهم إلاَّ القتل أو الدَّخول في الإسلام وأموالهم وذراريهم سبي على ما سبى رسول الله (ص) فإنّه سبى وعفا وقبل الفداء .

والسَّيف الثاني على أهل الذمّة قال الله جلَّ ثناؤه ﴿وقولوا للنّاس حسناً﴾

---

(١٠) فروع الكافي ج ٥ ص ٧ .

(١١) سورة الأنعام (١٥٨) .

(١٢) تحف العقول ص ٢١١ .

(١٣) سورة التوبة (٥ ـ ١١) .

(١٤) سورة البقرة (٨٣) .

نزلت في أهل الذمّة ثمَّ نسخها قوله: ﴿قاتلوا الّذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرِّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحقَّ من الّذين أوتوا الكتاب حتَّى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾[١٥] .

فمن كان منهم في دار الإسلام فلن يقبل منهم إلّا الجزية أو القتل ومالهم وذراريهم سبي فإذا قبلوا الجزية حرم علينا سبيهم وحرمت أموالهم وحلّت لنا مناكحتهم، ومن كان منهم في دار الحرب حلّ لنا سبيهم وأموالهم ولم يحلّ لنا نكاحهم ولم يقبل منهم إلّا القتل أو الدّخول في الإسلام.

والسيف الثالث على مشركي العجم قال الله جلَّ ثناؤه في أوَّل السَّورة الّذي يذكر فيها الّذين كفروا فقصَّ قصَّتهم قال: ﴿فإذا لقيتم الّذين كفروا فضرب الرقاب حتَّى إذا أثخنتموهم فشدَّوا الوثاق فإمّا منّاً بعد﴾[١٦]ي بعد السبي منهم ﴿وإمّا فداء﴾ يعني المفاداة بينهم وبين أهل الإسلام، فهؤلاء لا يقبل منهم إلَّا القتل أو الدَّخول في الإسلام ولا يحلّ لنا نكاحهم ما داموا في الحرب.

وأمّا السيف الملفوف فسيف على أهل البغي والتأويل قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا الّتي تبغي حتَّى تفيء إلى أمر الله﴾[١٧]ما نزلت هذه الآية قال رسول الله (ص): وإنَّ منكم من يقاتل بعدي على التأويل كما قاتلتُ على التنزيل فسئل النبيُّ (ص) من هو؟ فقال: خاصف النعل يعني أمير المؤمنين (ع)، وقال عمَّار بن ياسر:

قاتلت تحت هذه الراية مع رسول الله (ص) ثلاثاً وهذه الرَّابعة والله لو ضربونا حتَّى بلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنَّا على الحقَّ وأنَّهم على الباطل.

فكانت السّيرة فيهم من أمير المؤمنين صلوات الله عليه ما كانت من رسول الله (ص) في أهل مكَّة يوم فتح مكَّة، فإنَّه لم يسب لهم ذريَّة وقال:

(١٥) سورة التوبة (٢٩).
(١٦) سورة محمد (ص) (٤).
(١٧) سورة الحجرات (٩).

من أغلق بابه فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، وكذلك قال أمير المؤمنين (ع) فيهم يوم البصرة: لا تسبوا لهم ذريَّة، ولا تجهِّزوا على جريح ولا تتبعوا مدبراً، ومن أغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن.

وأمّا السيف المغمود فالسَّيف الّذي يقام به القصاص قال الله ﴿النّفس بالنفس﴾ ﴿والجروح قصاص فمن تصدّق به فهو كفارة له﴾[18] فسلّه إلى أولياء المقتول وحكمه إلينا، فهذه السيوف الّتي بعث الله بها نبيَّه (ص) فمن جحدها أو جحد واحداً منها أو شيئاً من سيرتها وأحكامها فقد كفر بما أنزل الله على محمّد (ص)[19].

* * *

وفيما يلي بعض أنواع الجهاد، بمزيد من التفصيل..

الجهاد دفاعاً عن حقوق الإنسان

حق الإنسان في الحياة..
وحقه في الحرية..
وحقه في ممتلكاته..

ومجمل حقوقه كإنسان، هي منح إلّهية، لا يجوز لأحد التعرض لها ومصادرتها. ومن حقه الدفاع عنها إذا تعدى عليها شخص أو نظام، وإذا قتل فهو شهيد عند الله. لأن الجهاد دفاعاً عن النفس أو العقيدة أو العرض أو المال هو جهاد مقدس ومشروع.

يقول رسول الله (ص) «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد»[20].

(١٨) سورة المائدة (٤٥).
(١٩) نهج البلاغة خطبة رقم (٣٤).
(٢٠) كنز العمال خبر (١١١٩٧).

إن الله زود الحيوانات بوسائل الدفاع عن نفسها، ولا يمكن أن نمنع الإنسان عن حقه في الدفاع عن نفسه، بينما نعطي هذا الحق للحيوان. .

وفي الحقيقة فإنّ الدفاع عن النفس وما يتعلق بها من أمور مادية أو معنوية ليس مشروعاً فحسب، بل إنه واجب أيضاً إذ ليس من حق الإنسان أن يقبل العبودية، أو يتقبل الظلم، أو يسمح بالعدوان. . كما ليس من حقه التنازل عن إنسانيته وحياته.

وقد جاء في الحديث عن طلحة بن زيد قال: «سألت أبا عبد الله (ع) عن رجل دخل أرض الحرب بأمان فغزا القوم الذين دخل عليهم قوم آخرون قال (ع) على المسلم أن يمنع عن نفسه ويقاتل على حكم الله وحكم رسوله»[٢١].

ويقول الإمام علي (ع):

تكادون ولا تكيدون، وتنتقصُ أطرافكم فلا تمتعضون، لا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون؟!.

واللهِ إنّ امرأً يُمكّن عدوّه من نفسه، يعرق لحمه ويهشم عظمه ويفرى جلده لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمّت عليه جوانح صدره.

أنت فكن ذلك إن شئت، فأمّا أنا وَالله دون أن أُعطي ذلك ضرب بالمشرفيّة تطير منه فراش الهام، وتطيح السّواعد والأقدام ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء»[٢٢].

ويقول (ع): «لنا حق فإن أُعطيناه. . وإلا ركبنا أعجاز الإبل وإن طال السرى»[٢٣]. وفي الحديث: «من مات دون مظلمة فهو شهيد ومن مات دون كلمة الحق فهو شهيد»[٢٤].

---

(٢١) الوسائل: ج ١١ ص ٢٠ الباب ٦ من أبواب جهاد العدو ح ٣.

(٢٢) نهج البلاغة الخطبة (٣٤).

(٢٣) نهج البلاغة قصار الحكم رقم (٢٢).

(٢٤) كنز العمال خبر (١١٢٠٥).

فالحقوق تؤخذ ولا تعطى، ومن واجب كل فرد أن يعيش إنساناً في هذه الحياة، وكما لا يجوز له أن يعتدي، كذلك لا يجوز أن يرضى بالعدوان، وكما لا يجوز له أن ينتحر، كذلك لا يجوز له أن يقبل من الآخرين أن ينحروه، وكما لا يجوز أن يفرض على الآخرين رأيه كذلك لا يجوز أن يقبل منهم أن يفرضوا عليه آراءهم..

إن الإنسان أعزّ على الله من أن يخلقه بعقل وإرادة ويمنحه الحرية والاختيار ثم يرضى له بالذل والهوان، أو يقبل منه أن يفرّط في نفسه وأهله ومعتقداته وأمواله..

❊ ❊ ❊

لنستمع إلى إحدى قصص الدفاع عن النفس في تاريخنا:

في صلح الحديبية الذي وقع في السنة السادسة للهجرة اضطر النبي (ص) ولظروف قاهرة، واستجابة لنظرة بعيدة، أن يقبل وقف الحرب مع المشركين.

وكان من شروط الاتفاق أنه إن إرتد أحد من المسلمين، وذهب إلى المشركين، فإنهم لا يردونه، وإن أسلم أحد من المشركين، وجاء إلى المسلمين، فإنهم يردونه. وكان الشرط في ظاهره شديد الوطأة، ولكن النبي (ص) قال لأتباعه مهوِّناً ومشجعاً: «إنه من ذهب منّا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم فرددناه فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً».

وبعد كتابة عهد الحديبية، ورجوع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، جاءه أبو بصير عتبة بن أسيد الثقفي. جاءه هارباً من مكة بعد أن أسلم، وجاء وراءه رجلان من المشركين يطلبان رده، فلم يسع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ أن ينفذ الشرط، ولما تألم أبو بصير من ذلك، قال له الرسول: «يا أبا بصير: إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت (من عهد)، ولا يصلح في ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً».

يا لشدة الموقف العصيب! ماذا يصنع أبو بصير؟ أيعصي رسول الله (ص)؟ وكيف هو المؤمن الموقن الذي شهد أنه لا إله إلّا الله، وأن محمداً رسول الله؟ أيرجع إلى مكة حيث ينتظره التعذيب والاضطهاد والفتنة؟ وكيف يرضى بهذا الهوان؟!.

فبيت أبو بصير نية الدفاع عن نفسه، واستسلم لمن جاء لاسترداده..

وعاد الرجلان ومعهما أبو بصير، وهو يسبح في بحر لجيّ من التفكير العميق، والتأمل الدقيق. إن رسول الله قد أخبر بمجيء الفرج وتهيؤ المخرج، فأين هما يا ترى؟

وحينما انتهى الرجال الثلاثة إلى «ذو الحَليفة» وهو مكان يبعد سبعة أميال عن المدينة، جلسوا يستريحون على الطريق، وأخذ أحد الرجلين المشركين يثير أبا بصير، ويسخر بالمسلمين، إذ قال وقد رفع سيفه:

«لأضربن بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوماً إلى الليل». وهو يقصد بالأوس والخزرج الأنصار من المسلمين.

وكتم أبو بصير غيظه، ثم قال للرجل: أرى سيفك هذا سيفاً جيداً، فأرنيه.

وأخذ أبو بصير السيف من يده في خفة، ثم ضربه به ضربة قاتلة، وفزع المشرك الثاني، فأطلق ساقيه للريح عائداً إلى المدينة، وخلفه أبو بصير، ولما أراد الرجل أن يطالب بإعادة أبي بصير إلى مكة مرة أخرى، سارع أبو بصير يقول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

يا رسول الله، وفت ذمتك، وأطلقني الله عز وجل!.

وهنا قال النبي (ص) مشيراً إلى أمر جليل له دلالته ومغزاه: «ويلُ أمِّه مِسْعَر حرب، لو كان له رجال أو أصحاب»، وكلمة: «ويلَ أمه» تعبير تعود العرب قوله للإعجاب بالرجل الداهية. و«مسعر الحرب» هو الماهر فيها الخبير بها، وقد قال ذلك إعجاباً بأبي بصير وشجاعته، وتمنياً أن يكون بجواره أمثال له.

ثم قال النبي (ص) لأبي بصير: «اذهب حيث شئت».

وفهم البطل المجاهد ما فهم من كلام الرسول، وسارع بالخروج، وهو يفكر فيما يستطيع أن يفعله من أجل هذه الدعوة الإلهية المضطهدة، ومن أجل هؤلاء المؤمنين المعذّبين في الأرض، ومن أجل حريته التي يراد لها أن تذل وتضيع.

ثم هداه تفكيره ـ في ضوء ما سمع وما فهم ـ أن يقيم على ساحل البحر الأحمر، عند موضع يقال له «العيص» بالقرب من الطريق الذي تمر به قوافل التجارة للمشركين، ذاهبةً وآيبة بين مكة والشام، واستقر رأيه على أن يهاجم هذه القوافل في حركات بطولية، ليستولي منها على ما يستطيع، وبذلك يفيد نفسه، ويفيد المسلمين بإضعاف أعدائهم، ويغيظ المشركين بالاستيلاء على ما يمكن من تجارتهم.

ونجحت الفكرة...

وأخذ أبو بصير يسدد ضربات موجعة لقوافل المشركين، وسرت كلمة الرسول هنا وهناك، وهي قوله عن أبي بصير: «ويل أمه مسعر حرب، لو كان له رجال أو أصحاب». وسمع بها أمثال أبي بصير، فجعل كل منهم يفر بدينه، وينضم إلى أبي بصير، لأنهم خافوا إن ذهبوا إلى المدينة أن يردهم الرسول نزولاً على حكم الشرط.

وتزايد عدد هؤلاء الشجعان حتى قاربوا الثلثمائة، وأخذوا يكيلون الضربات للمشركين وقوافلهم، حتى ضج المشركون من هجماتهم، وأدركوا أن بقاءهم في المدينة كان خيراً وأحسن، فأرسلوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام يرجونه في أن يستدعيهم إليه، وأن يبقيهم عنده، وهم لن يطالبوه بردهم، ولا بردّ أمثالهم بعد ذلك. وقالوا لرسول الله: إنا قد أسقطنا هذا الشرط من الشروط، فمن جاء منهم فأمسكه لديك في غير حرج.

وهكذا هيأ الله تبارك وتعالى لمسعر الحرب رجالاً وأصحاباً استجابوا لإشارة الرسول ورمزه، فجعل الله لهم فرجاً ومخرجاً. وهكذا صدقت نظرة

الرسول العميقة البعيدة المدى، فانقلب هذا الشرط القاسي في ظاهره خيراً وبركة على الإسلام والمسلمين: ﴿والله غالبٌ على أمره ولكن أكثرَ الناس لا يعلمون﴾ [٢٥] .

وأرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً من لدنه إلى أبي بصير ومن معه يستقدمهم إلى المدينة، لتقوى بهم الجبهة الإسلامية، ولكن الكتاب النبوي الكريم وصل إلى أبي بصير وهو في آخر حياته، فقد مرض مرض الموت.

وتناول أبو بصير الكتاب وهو فرح به، وأنفاسه الأخيرة يسلم زمامها إلى بارئها نَفَساً بعد نفس، ثم أسلم أبو بصير روحه كلها، وما زال كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في يده، فتناوله منه رفيقه «أبو جندل ابن سهيل»، وقام على تجهيز أخيه المجاهد الراحل إلى رضوان ربه، ثم دفنوه في معقل كفاحه. . . هناك على ساحل البحر، ودفنوا معه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ليكون شاهداً له يوم يلقى ربّ العزة والجلال.

وعاد أولئك المجاهدون إلى المدينة ليواصلوا كفاحهم مع إخوتهم، وكأن آذانهم وقلوبهم تدوي بصوت الحق جل جلاله حين يقول: ﴿مِنَ المؤمنين رجالٌ صَدقوا ما عاهَدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بَدَّلوا تبديلاً﴾[٢٦] .

* * *

إن الفقهاء قد يتساءلون عن وجوب الجهاد ضد الكفار من غير قيادة إمام عادل، ولكنهم يجمعون على وجوب الجهاد دفاعاً عن النفس، وعن الحقوق الطبيعية للإنسان. .

لنأخذ مسألة الحرية كمثال، ترى لو حاول الطاغوت مصادرتها فهل يجوز قبول ذلك منه؟ هل يجوز أن نقبل العبودية، لأن الطاغوت يريد الناس عبيداً؟ أم لا بد من مقاومته مهما كلّف الأمر؟

---

(٢٥) سورة يوسف (٢١) .

(٢٦) سورة الأحزاب (٢٣) .

أليست النصوص الواردة من رسول الله (ص) ومن الأئمة كلّها تؤكد على أن الإنسان يولد حراً، ويموت حراً، ولا حق لأحد في مصادرة حريات الآخرين؟.

ألا يقول الإمام علي (ع): «أيها الناس.. إن آدم لم يلد عبداً، ولا أمة وإن الناس كلهم أحرار»(١٨).

ويقول (ع): «لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً»(١٩).

ويقول (ع): «جمال الحرّ تجنب العار»(٢٩).

ويقول (ع): «من قام بشرائط الحرّية أهلٌ للعتق، ومن قصرّ عن أحكام الحرية أعيد إلى الرّق»(٣٠).

ويقول (ع): «لن يتعبد الحرّ حتى يزال عنه الضرّ»(٣١).

ويقول (ع): «المنية ولا الدنية»(٣٢).

ألا يقول الإمام الحسين (ع): «ألا وأن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنين بين السلة والذّلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله ذلك لنا، ورسوله، وحجور طابت وطهرت وأنوف أبيّة ونفوس زكيّة من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام»(٣٣).

ويقول الإمام علي (ع): «الموت ولا ابتذال الحرية»(٣٤)..

ويقول (ع): «ساعة ذل لا تفي بعزّ الدهر»(٣٥).

---

(٢٧) نهج السعاده ج ١ ص ١٩٨.

(٢٨) بحار الأنوار ج ٧٧ ص ٢١٤ عن كشف المهجه.

(٢٩) غرر الحكم.

(٣٠) غرر الحكم.

(٣١) غرر الحكم.

(٣٢) قصار الحكم ورقمها (٣٩٦).

(٣٣) شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد ج ١٩ ص ٣٦٢.

(٣٤) غرر الحكم رقم ٤٢٧.

(٣٥) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٨، ٩.

ويقول: «من تذلل لابناء الدنيا تعرّى من لباس التقوى» [٣٦] .

يقول الإمام الباقر (ع): «إن يزيد بن معاوية دخل المدينة وهو يريد الحج، فبعث إلى رجل من قريش فأتاه، فقال له يزيد: «أتقر لي أنك عبدٌ لي، إن شئتُ بعتك وإن شئتُ استرقتك»؟

فقال له الرجل ـ «واللهِ يا يزيد، ما أنت بأكرم مني في قريش حسباً، ولا كان أبوك أفضل من أبي في الجاهلية والإسلام، وما أنت بأفضل مني في الدين، ولا بخير منّي، فكيف أقرّ لك بما سألت؟

فقال له يزيد: «إن لم تقرّ لي قتلتك»!.

فقال له الرجل: «ليس قتلك إياي بأعظم من قتلك الحسين بن علي عليهما السلام، وهو ابن رسول الله..».

فأمر به يزيد فقتل (رضوان الله عليه)!.

إن الله أجاز لنا الدفاع عن أنفسنا، وحقوقنا أمام كل من يريد سلبها واعتبر من يفعل ذلك بحق الآخرين محارباً لله ولرسوله، ومفسداً في الأرض، وقرر له أشد أنواع العقوبة.

يقول تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتّلوا أو يصلبوا أو تُقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفوا من الأرض..﴾ [٣٧] .

يقول الإمام الباقر (ع): «إذا دخل عليك رجل يريد أهلك وما تملك، فابدره بالضربة إن استطعت، فإنّ اللّص محارب لله ولرسوله، فاقتله فما تبعك فيه من شيء فهو عليّ» [٣٨] .

---

(٣٦) غرر الحكم رقم ٨٩٦٩ .

(٣٧) سورة المائدة (٣٣).

(٣٨) الوسائل: ج ١١ ص ٩١ الباب ٤٦ من أبواب جهاد العدو ح ٣.

ويقول الإمام علي (ع): «في رجل أقبل بنار فاشعلها في دار قوم فاحترقت واحترق متاعهم، إنّه يُغرّم قيمة الدار وما فيها، ثم يُقتل» [٣٩].

أترى: يكون الدفاع عن النفس أمام اللّص واجباً، وأمام نظام جائر حراماً؟

أو يكون جزاء اللّص القتل، أما جزاء حاكم يسرق حرية الناس غير ذلك.

الجهاد لتأمين حرية العقيدة

إذا كان الله تعالى قد قرر أن «لا إكراه في الدين» [٤٠]، فمن الأولى أن يقرر أن لا إكراه في الكفر..

إن أوضح حق معنوي من حقوق الناس هو حقهم في العقيدة فأي فرد، أو نظام يحاول أن يفرض عليهم الكفر، ويقاتلهم إن آمنوا واصلحوا، يجب الجهاد ضده..

لأن «فرض الرأي» هو الفتنة التي قال الله تعالى عنها ﴿والفتنة أشد من القتل﴾ [٤١].

إن من حق أي إنسان أن يؤمن، وإن من واجب كل مؤمن أن يدافع عن حرية معتقده، وحرية نشر الإسلام، سواء بالكلمة الصادقة أم بالسلاح وقوة النار..

يقول الله تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدّين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلّا على الظالمين﴾ [٤٢].

---

(٣٩) الوسائل: ج ١٨ ص ٥٣٨ الباب ٣ من أبواب حد المحارب ح ١.

(٤٠) سورة البقرة (٢٥٦).

(٤١) سورة البقرة (١٩١).

(٤٢) سورة البقرة (١٩٣).

إن الدّين شريعة الله، ويجب أن لا يكون أمام وصولها إلى الناس أي مانع، فإذا وجد المانع، فلا بد من القضاء عليه. .

فالذين يصدّون عن سبيل الله، لا يقومّهم إلّا السيف في الدنيا وعذاب الله يوم القيامة.

يقول الله تعالى: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾ [٤٣].

ويقول تعالى : ﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم (٣٢) ، يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم (٣٣) ، إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم (٣٤) ، فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾ (٣٥) [٤٤] .

ويقول تعالى: ﴿ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءُوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾ [٤٥] ؟

ولقد أجاز الله القتال في الأشهر الحرم، إذا قام المشركون بعملية الافتتان للمؤمنين ـ فالقتال محرم، ولكن أكبر منه الصد عن العقيدة، ومصادرة حرية الرأي . .

يقول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِيْنِكُمْ إِن اسْتَطَاعُوا

---

(٤٣) سورة البروج (١٠).
(٤٤) سورة محمد (٣٢ ـ ٣٥).
(٤٥) سورة التوبة (١٣).

وَمَنْ يَرْتَدّ مِنْكُمْ عَنْ دِينه فَيَمُت وَهُوَ كَافِر فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة وَأُولَئِكَ أَصْحَابِ النّارِ هُمْ فِيها خَالِدُونَ﴾[٤٦] .

❋ ❋ ❋

ثم إنّ من شيمة الطغاة الصدّ عن سبيلِ الله عبر منع الناس من الإستماع إلى أصحاب الرسالات، ومن ثم منعهم من الإيمان بما يعتقدون.

ومن هنا فقد تعرض المؤمنون على مرّ التاريخ لحملات القمع والإضطهاد لمجرد أنهم آمنوا بما كفر به الطغاة، ورفضوا عبادتهم.

يقول الله تعالى : ﴿وألقي السحرة ساجدين (١٢٠)، قالوا آمنا برب العالمين (١٢١) ، رب موسى وهارون (١٢٢) ، قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون (١٢٣) ، لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنّكم أجمعين (١٢٤) ، قالوا إنا إلى ربّنا منقلبون (١٢٥) ، وما تنقم منّا إلاّ أن آمنّا بآيات ربنا لمّا جاءتنا . ربنا افرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين (١٢٦) ، وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليُفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنّقتِل أبناءهم ونستحي نساءهم وإنا فوهم قاهرون (١٢٧)﴾[٤٧] .

وهكذا كان الذين كفروا يصدون عن سبيل الله، ويجابهون إيمان الناس بالقتل والسبي والتشريد والتسفير وكل شيء نكر. .

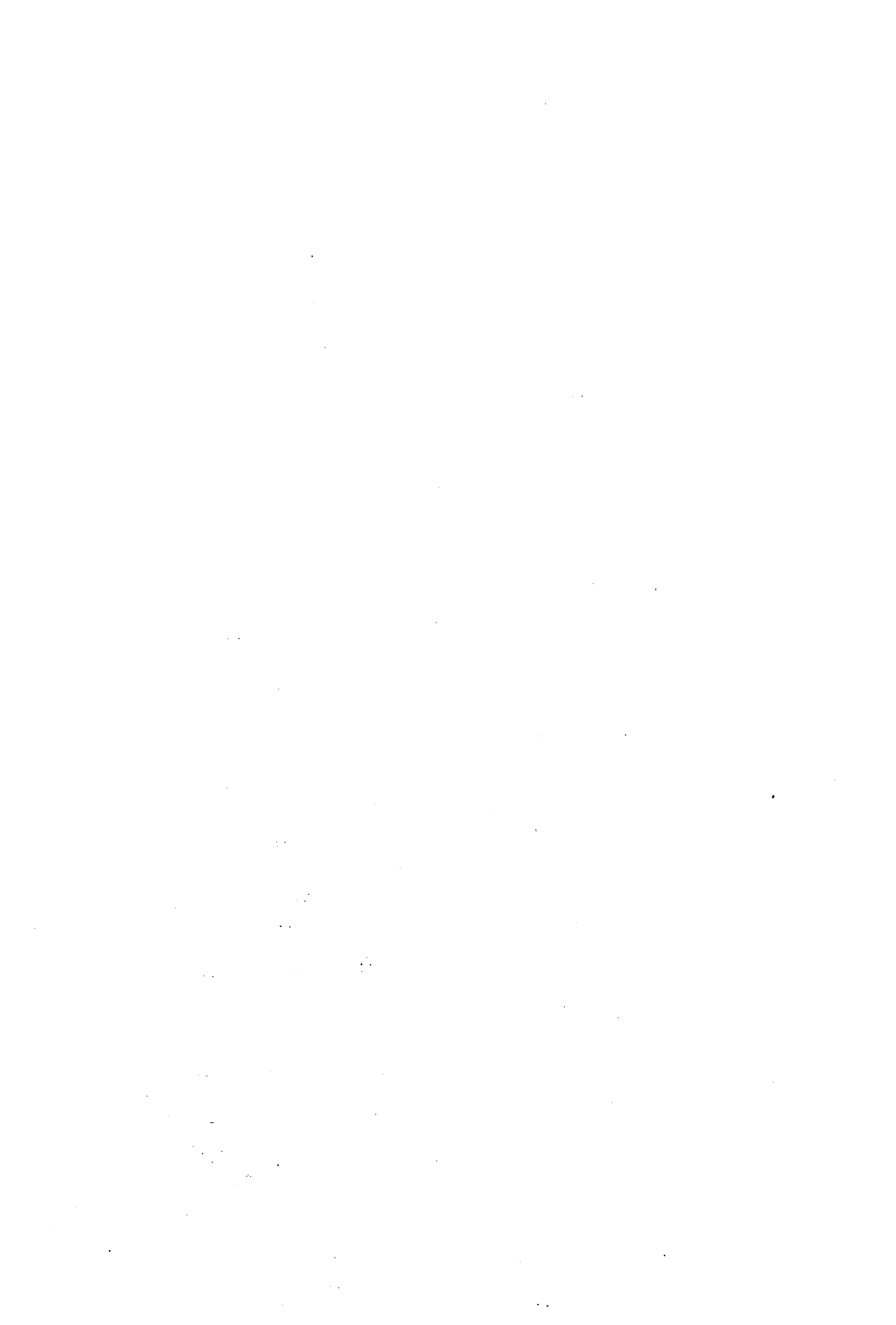
فهلاّ يدافع الناس عن أيمانهم؟

وهل غير الجهاد وسيلة لذلك؟

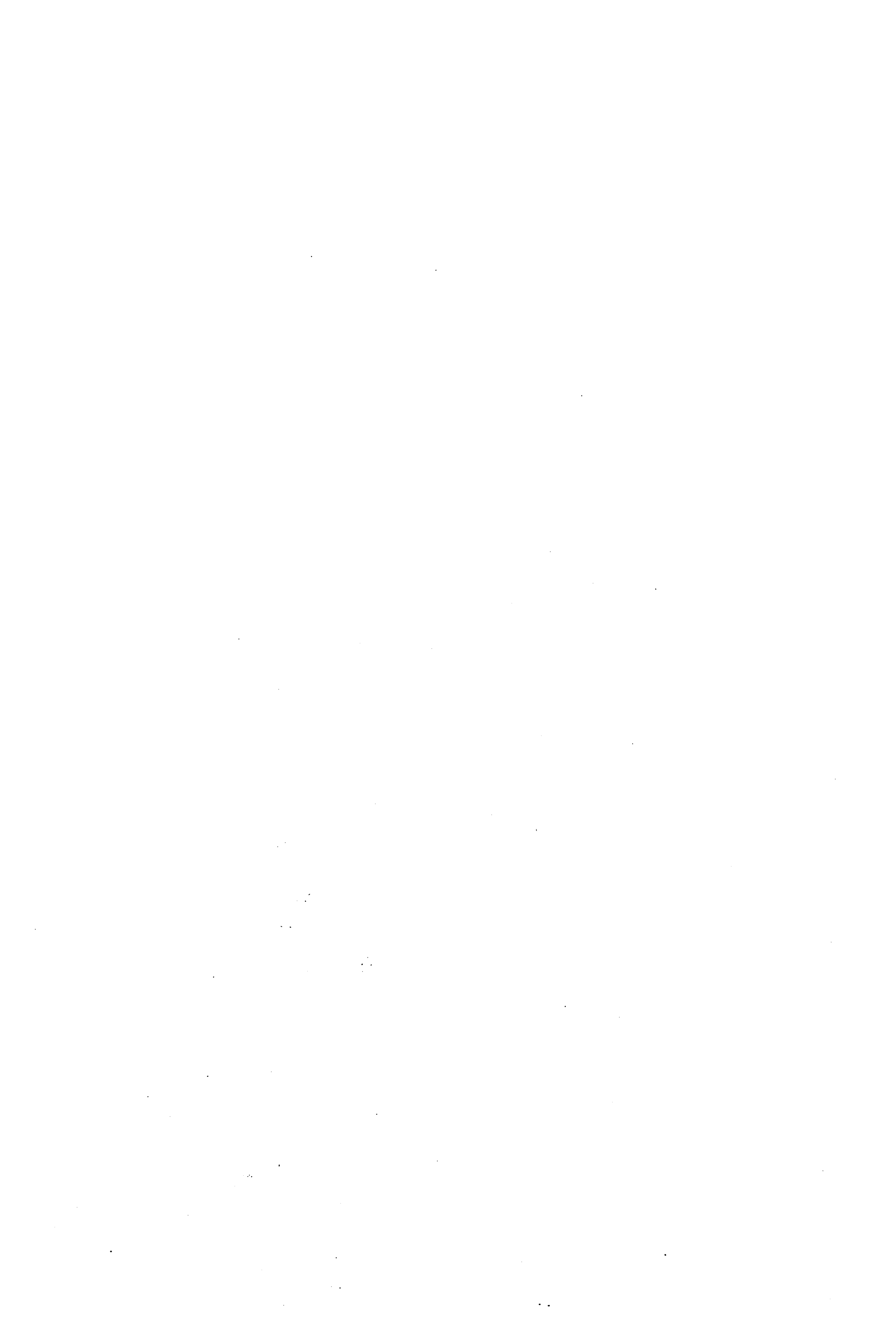
---

(٤٦) سورة البقرة (٢١٧).

(٤٧) سورة الأعراف (١٢٠ ـ ١٢٧).



٥
أنـواع الجهاد



الجهاد لاقامة العدل

﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكَّرون﴾[1].

من أجل رفع الحيف الذي يلحق بالناس، ودفع الظلم الواقع بهم، وإقامة العدل في المجتمع، لا بد من التوسل بالجهاد، إذ لا شيء يصدّ شهوات الظالمين غير استعداد الأمة أفراداً وجماعات لحمل السلاح في وجوههم.

ويتمثل الجهاد للعدل في أمرين:

١ ـ الجهاد ضد الظلم من جهة.

٢ ـ والجهاد لإقامة العدل من جهة أخرى.

فالمجتمع الحساس تجاه الظلم إلى درجة المقاومة المسلحة، هو وحده القادر على إقامة العدل، أمّا المجتمع الخنوع فلن يقيم حقاً ولن يدحض باطلاً. .

لقد روى التاريخ: أن أبا بكر قال للمسلمين بعد توليه الخلافة:

«ماذا لو ملت بكم عن الجادة؟

فقام إليه أحد المسلمين وهو يلوح له بالسيف وقال:

---

(١) سورة النحل (٩٠).

إذن.. لقومناك بهذا»..

فحينما يكون المؤمنون مستعدين لتقويم الإنحراف بالسيف، فلن يستطيع طاغية أن يميل بهم..

ويروي الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان في هذا المجال قائلاً: «قلت يا رسول الله، أيكون بعد الخير الذي أعطينا شر، كما كان قبله؟

فقال (ص): نعم..

قلت: فبمن نعتصم؟

قال: بالسيف»[٢]!

وإذا كان البعض يتساءل عن مشروعية الجهاد ضد الظالمين، فهو لا يفهم الهدف من إنزال الكتب وبعثة الأنبياء وهو ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ إذ كانت بعثتهم غالباً في الفترات التي يختل فيها ميزان العدل، ويسود الجور، فكانوا يؤمرون بإقامة العدل، ومواجهة الظلم..

يقول الله تعالى: ﴿فادع واستقم كما أُمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأُمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم﴾[٣].

بل إن الله يطالبنا باقامة العدل حتى مع الأعداء.. يقول تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألّا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله﴾[٤].

ويقول: ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾[٥].

ويقول: ﴿فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا﴾[٦].

ويأمرنا أن نكون قوامين بالقسط، نشهد بالعدل، ولو على أنفسنا..

يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على

---

(٢) البحار ج ٢٢ ص ١٠٦ ح ٦٥.

(٣) سورة الشورى (١٥).

(٤) سورة المائدة (٨).

(٥) سورة النساء (٥٨).

(٦) سورة النساء (١٣٥).

أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلوُوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾[٧].

ويأمر نبيّه الكريم أن يستقيم على درب العدالة، وأن لا يتبع أهواء أحد في ذلك..

يقول تعالى: ﴿فلذلك فادعُ واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حُجّة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾[٨].

* * *

وبمقدار ما أمر الله بالعدل حذّر من الظلم، وتوعد الظالمين فقال: عزّ من قائل: ﴿قال أمّا من ظلم فسوف نعذّبه ثم يُردّ إلى ربّه فيعذّبه عذاباً نُكراً﴾[٩].

ويقول: ﴿ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به واسرّوا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يُظلمون﴾[١٠].

وطالبنا الله بإن لا نخشى الذين ظلموا، لأن القوة لله جميعاً.

يقول تعالى: ﴿إلّا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني﴾[١١].

ويقول: ﴿ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أنّ القوة لله جميعاً..﴾[١٢].

فالظلم مرتعه وخيم: ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لمّا ظلمُوا﴾[١٣]﴿وتلك القرى أهلكناهم لمّا ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً﴾[١٤].

---

(٧) سورة النساء (١٣٥).

(٨) سورة الشورى (١٥).

(٩) سورة الكهف (٨٧).

(١٠) سورة يونس (٥٤).

(١١) سورة البقرة (١٥٠).

(١٢) سورة البقرة (١٦٥).

(١٣) سورة يونس (١٣).

(١٤) سورة الكهف (٥٩).

ومن المحرمات الركون إلى الظالمين كما في سورة هود ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾[١٥] .

وكما جاء في الحديث فإن «الركون» هنا هو أدنى الميل.

ومع هذا التأكيد على العدل، وهذا التحذير من الظلم فأي شيء غير الجهاد يبقى لردع الظالمين؟

إن العدل ليس مطلوباً فقط من الناحية النظرية، كما أن الظلم ليس مكروهاً من هذه الناحية فقط، بل المطلوب إقامة العدل، والقضاء على الظلم..

يقول الإمام علي (ع): «ضادّوا الجور بالعدل»[١٦] .

وسواء تمثل الظلم في الظلم الاقتصادي، واحتكار نعم الله عز وجل والاستئثار بما الناس فيه أسوة، أم تمثل في الظلم السياسي واستعباد الأحرار، أم تمثل في الظلم الاجتماعي، وتقريب الفاسقين وإبعاد الصالحين، فلا بدّ من الجهاد ضدّه، جهاداً فردياً وجماعياً بلا خوف ولا وجل..

يقول الإمام علي (ع): « لا عدل أفضل من رد المظالم»[١٧] .

يقول الله تعالى : ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون (٣٨) ، والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون (٣٩) ، وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى واصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين (٤٠) ، ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل (٤١) ، إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم (٤٢) ، ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور (٤٣)﴾[١٨] .

---

(١٥) سورة هود (١١٣) .

(١٦) غرر الحكم رقم ٥٩٩٧ .

(١٧) غرر الحكم .

(١٨) سورة الشورى (٣٨ - ٤٣) .

فمن صفات المؤمنين ـ بموازاة استجابتهم لربهم واقامتهم للصلاة ـ إنهم يقاومون الظالمين، وإذا أصابهم البغي هم ينتصرون، ويجاهدون ضده. فلا ملام لمن يواجه الظلم، بل الملام على الذين يظلمون الناس.. أو يسكتون عليه، ولا يقاومونه.

* * *

وفي ذلك يقول رسول الله (ص): «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر»[19] . **ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنّه (لتدخلونه في الحق، وتجبرونه عليه)** على الحق أطراً، أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض، ثم تدعون فلا يستجاب لكم.

ويقول (ص): «إذا رأيتم الظالم فلم تأخذوا على يديه يوشك الله، أن يعمكم بعذاب من عنده»[20] .

يقول الإمام علي (ع): وهو يبين السبب الذي يدعوه إلى الطلب من الناس إعلان الجهاد ضد العدو:

«خذوا للحرب أهبتها، وأعدّوا التهيؤ لها، فإنها قد وقدت نارها، وعلا سناها، وتجرد لكم الظالمون كيما يطفئوا نور الله، ويقهروا عباد الله.

ألا.. انه ليس أولياء الشيطان ـ من أهل الطمع والجفاء ـ بأولى في الجد في غيهم وضلالهم وباطلهم، من أهل النزاهة والحق والاخبات بالجد في حقهم وطاعة ربهم ومناصحة إمامهم»[21] .

«... إنّي ـ والله ـ لو لقيتهم واحداً (لوحدي) وهم طلاع الأرض كلّها (ملء الأرض) ما باليتُ ، ولا استوحشتُ» !

وإني من ضلالهم الذي هم فيه، وللهدى الذي أنا عليه لَعَلى بصيرة

---

(١٩) التزغيب والترهيب ج ٣ ص ٢٢٨ .
(٢٠) كنز العمال : ج ٣ ح ٥٥٧٥ ومثله في الترغيب والترهيب : ج ٣ ص ٢٢٩ .
(٢١) نهج البلاغة خطبة رقم (٢٦) .

من نفسي ، ويقين من ربّي ، وإني إلى لقاء الله لمشتاق وحسن ثوابه لمنتظر راج ، ولكنّي آسى (آسف وأحزن) أن يلي أمر هذه الأمة (يكون والياً عليها) سفهاؤها ، وفجارها ، فيتخذوا مال الله دولاً (يداولونه فيما بينهم) وعباده خولاً (ويحولونهم إلى عبيد) والصالحين حرباً ، والفاسقين حزباً . فإنّ منهم الذي قد شرب فيكم الحرام وجُلد حداً في الإسلام وإنّ منهم من لم يُسلم حتى رُضخت له على الإسلام الرضائخ .

فلولا ذلك (الخوف من حكم هؤلاء) ما أكثرت تـأليبكم (ضدهم) وتـأنيبكم (على الخضوع لهم) وجمعكم وتحـريضكم ولتركتكم إذ **(حينما) أبيتم ونيتم (تكاسلتم) .**

ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقصت (واستولى عليها العدوّ)؟ وإلى **أمصاركم قد افتُتِحَتْ ، وإلى ممالككم تزوُىٰ (تُقبض) ؟ وإلى بلادكم تُغزى ؟ . . . . »[٢٢] .**

* * *

إن الدين ليس مجموعة نصائح للناس، بل هو تعليمات صارمة لتابعيه بمعاقبة المجرمين، وملاحقة الظالمين، واقامة مجتمع العدل والحق والحريّة . .

ولهذا فإن جهاد المؤمنين ـ وعلى الأخص علماء الدين ـ ضد الظلم ليس جميلاً يتفضلون به على الناس، بل هو عهد بينهم وبين الله عز وجل .

يقول الإمام علي (ع): «أخذ الله على العلماء أن لا يُقّاروا على كظة (شبع) ظالم، ولا سغب (جوع) مظلوم»[٢٣]. ويقول (ع): «دولة العادل من الواجبات»[٢٤].

---

(٢٢) نهج البلاغة كتاب رقم (٦٢) .

(٢٣) نهج البلاغة خطبة رقم (٣) .

(٢٤) غرر الحكم رقم ٥١٩٦ .

وهكذا فإن عليهم عهد أن لا يسمحوا ـ على الأقل ـ للظالم أن يهنأ بشبع، ولا يسمحوا باستمرار الجوع في المظلومين فلا يكفي أن لا تكون ظالماً إنما يجب أن تدافع عن المظلومين أيضاً. . ولا يكفي أن تكره الباطل بل لا بد أن تحاربه وتقاومه.

يقول الإمام علي (ع): في رسالة له إلى عامله على منطقة همدان وأصفهان:

«وأمّا بعد. . .

فإن جهاد من صدف (ابتعد) عن الحق (ليس جهلاً به بل) رغبة عنه، وهبّ في نعاس العمى والضلال اختياراً، (جهاد أمثال هؤلاء) له فريضة على العارفين. . .

وإنّا قد هممنا بالسير إلى هؤلاء القوم الذين عملوا في عبادة الله بغير ما أنزل الله، واستأثروا بالفيء (مع أن الناس فيه شركاء) وعطلوا الحدود وأماتوا الحق، وأظهروا في الأرض الفساد، واتخذوا الفاسقين وليجة (وبطانة) من دون المؤمنين، فإذا ولى الله أعظم أحداثهم (إذا جعل الله أحسنهم والياً عليهم) أبغضوه. . . وإذا (حكمهم) ظالم. . . أحبوه. . . أصرّوا على الظلم، وأجمعوا على الخلاف: وقديماً ما صدوا عن الحق، وتعاونوا على الإثم وكانوا ظالمين. فإذا أتيت كتابي هذا فاستخلف على عملك أوثق أصحابك في نفسك، وأقبل إلينا، لعلك تلقى معنا هذا العدو، فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتجامع المحق، وتباين المبطل، فإنه لا غنى بنا ولا بك عن أجر الجهاد وحسبنا الله ونعم الوكيل»[٢٥].

ويقول (ع):

«ولعمري. . . ما عليّ من قتال من خالف الحق، وخابط الغيّ (ارتكب الظلم) من إدّهان (مراوغة) ولا إيهان (ضعف).

---

(٢٥) شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد ج ٣ ص ١٨٢ .

فاتّقوا الله، عباد الله . . .
وفروا إلى الله من الله . . .
وامضوا في الذي نهجه لكم. وقوموا بما عصبه بكم (كلفكم به)، فعليّ ضامن لفلجكم (نصركم) آجلاً، إن لم تمنحوه عاجلاً»[٢٦].

وهكذا فإن كل حاكم، وسلطان وإمام إذا جار عن الحق، وظلم الناس، فلا بد من مقاومته بالسلاح بلا إدّهان، أو إيهان.

لأن البغي يجب أن يُحارب، بلا رحمة ولا هوادة..

وحتى يتحقق هذا الهدف: فإن القتال يبقى مشروعاً وإن أدّى ذلك إلى القضاء على جيش كامل، ما دام هذا الجيش يقف حائلاً دون تحقيقه . . .

إنّ الظلم، هو «ظلم» مع قطع النظر عن نوعية، وعدد من يقع عليه..

فإذا تعمّد جيش ضخم كامل قتل إنسان واحد بلا جريمة وبقي مصرّاً على ذلك فإن مقاتلته حتى إبادته تبقى مشروعة..

يقول الإمام علي (ع): عن الأسباب التي دعته لخوض حرب الجمل . . .
«اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي، وصغّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي. ثم قالوا: إن في الحق أن تأخذه، وفي الحق أن تتركه:
«فخرجوا يجرون حرمة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ، كما تجرّ الأمة عند شرائها، متوجهين بها إلى البصرة، فحبسا نساءهما في بيوتهما، وأبرزا حبيس رسول الله (ص) لهما، ولغيرها. في جيش ما منهم إلّا وقد أعطاني الطاعة، وسمح لي بالبيعة طائعاً غير مكره . . .

فقدموا على عاملي بها (بالبصرة) وخزّان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها، فقتلوا طائفة صبراً، وطائفة غدراً..

---

(٢٦) نهج البلاغة خطبة رقم (٢٤).

فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلّا رجلاً واحداً معتمدين (قاصدين) لقتله بلا جرم جرّه، لحلّ لي قتل ذلك الجيش كلّه، إذ حضروه فلم ينكروا، ولم يدفعوا عنه بلسان ولا بيد.

دع ما أنهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدّة التي دخلوا بها عليهم (مثل عددهم هم»[٢٧].

فالجهاد ضد الظلمة، جزء هام من جهاد الأمة في سبيل اقامة صرح العدل في الأرض.. فلا ينفصل الجهاد من أجل العدل عن الجهاد ضد الحاكم الظالم.. كما لا ينفصل الجهاد ضد الحاكم الظالم عن الجهاد لاقامة العدل.

يقول الإمام علي (ع):
«قاتلوا الخاطئين الضالين الذين ليسوا بقراء للقرآن ولا فقهاء في الدين، ولا علماء في التأويل؛ ولا بأهل لهذا الأمر (الحكم) ولو ولّوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وقيصـــر».

ويقول رسول الله (ص): « أبغض الناس إلى الله تعالى وابعدهم مجلساً امام جائر»[٢٨].

ويقول (ص): « ما من أمير يلي أمور المسلمين ثم لا يجتهد لهم ولا ينصح لهم إلا لم يدخل الجنة»[٢٩].

ويقول: «ما من والي ثلاثة إلا لقي الله مغلولة يمينه إلا فكه عدله، أو قيده ظلمه وأهلكه»[٣٠].

ويقول (ع): «شر الملوك من خالف العدل»[٣١].

(٢٧) نهج البلاغة خطبة رقم (١٧٢).
(٢٨) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٠ باب من أدعى الامامة.
(٢٩) كنز العمال ج ٦ رقم ١٤٦٤٤.
(٣٠) كنز العمال ج ٦ رقم ١٤٧٣٠.
(٣١) غرر الحكم رقم ٥٧٥٩.

وأي شيء يقدم شرّ الملوك غير حد السيف؟

والعدل كما يقول الإمام علي (ع) : «قوام الرعية» [٣٢] **و «روح الشهادة»** [٣٣] **و «أقوى أساس» و «حياة الأحكام»** [٣٤] **و «فوز وكرامة» وهو أيضاً «ميزان الله سبحانه الذي وضعه في الخلق»** [٣٥] **فكيف إذن لا يجب إقامته ، والجهاد ضد من يرفض العمل به ؟**

يقول الإمام علي (ع): «من لوازم العدل التناهي عن الظلم»[٣٦].

* * *

وقد يتساءل البعض: قد لا نكون واثقين من قدرتنا على إقامة العدل فكيف العمل من أجله إذن؟

والجواب: إن الظلم يجب أن يزول، وذلك واجب أولى، لا يعفى عنه من شك في قدرته على إقامة العدل.

صحيح أن هناك تلازماً بين الأمرين: إزالة الظلم وإقامة العدل، إلا أنه لو كان هنالك ظلم فلا بد من مقاومته، مع قطع النظر عما سيخلفه، وذلك لأن الظلم وخيم العاقبة، ونتائجه لا تقتصر على الظالم نفسه بل تعم الناس جميعاً.

يقول الإمام علي (ع): «البغي يزيل النعم، ويجلب النقم»[٣٧].

ويقول (ع): «الظلم يدمر الديار»[٣٨].

ويقول (ع): «الظلم يُزّل القدم، ويسلب النعم، ويهلك الأممْ»[٣٩].

ويقول (ع): «الظلم أعظم الجرائم وأكبر المآثم»[٤٠].

---

(٣٢) غرر الحكم .
(٣٣) غرر الحكم .
(٣٤) غرر الحكم .
(٣٥) غرر الحكم .
(٣٦) غرر الحكم رقم ٩٤٣٨.
(٣٧) غرر الحكم .
(٣٨) غرر الحكم رقم ١١٣٢ .
(٣٩) غرر الحكم رقم ١٨١٢ .
(٤٠) غرر الحكم رقم ٨٧٠ وفيه «الظلم ألأم الرذائل».

ولهذا فهو (ع)، يوصي ولديه الحسن والحسين (ع) قائلاً: «كونا للظالمين خصماً وللمظلوم عوناً»[41].

ويتوقع للمظلوم الانتصار، قائلاً: «ما أقرب النصرة للمظلوم»[42].

كما يتوقع الموت للظالم قائلاً: «لكل ظالم عقوبة لا تعدوه، وصرعة لا تخطوه»[43]. ويقول (ع): «من سل سيف البغي غُمّد في رأسه»[44] ويقول: «من عامل رعيته بالظلم أزال الله ملكه، وعجل بواره وهلكه»[45] وذلك لأنه «لا ظفر مع بغي»[46] و«من جارت ولايته زالت دولته»[47].

الجهاد لتطبيق الشريعة

هل الشريعة تقام بالقوة، أم بالاقتناع؟

قد يتراءى للبعض، أن الشريعة ليست بحاجة إلى الجهاد لتطبيقها، لأنها تقوم أساساً على الإيمان، لا الإكراه، فإذا اقتنع بها الناس فهم يقيمونها، ولا حاجة لتطبيقها عليهم بالقوة، وأمّا إذا لم يقتنعوا بها فكيف نكرههم على ذلك؟

وفي الحقيقة، فإن هناك خلطاً بين «المبادىء العامة» التي جاء بها الدين، وبين القوانين التي أوجبها الله تعالى للصالح العام.

فالمبادىء لا إكراه فيها..

ولكن ماذا عن القانون؟

وعلى أيّ أساس يتم تنظيم شؤون الناس، وأية قوانين تكون مرجعاً في النهاية في القضايا الحياتية؟ وفي المشاكل والمنازعات؟

---

(٤١) نهج البلاغة كتاب رقم (٤٧).

(٤٢) غرر الحكم رقم ٩٦١٩ وفيه: «ما أقرب النقمة من الظلوم».

(٤٣) غرر الحكم رقم ٧٣٩١.

(٤٤) نهج البلاغة :الحكمة ٣٤٩ وغرر الحكم رقم ٨٥٧٨ وفيه :«من سل سيف العدوان قتل به».

(٤٥) غرر الحكم رقم ٨٨٢٣ وفيه «من عمل بالجور، عجّل الله هلكه».

(٤٦) غرر الحكم رقم ١٠٦٢٠.

(٤٧) غرر الحكم رقم ٨٤٦٧.

ثم. . إذا كان الناس بأكثريتهم مقتنعين بالشريعة، ويطالبون بتطبيقها، ولكن نظاماً ظالماً وقف ضد ذلك، فكيف السبيل معه؟

أو لنفترض أن كل من ارتكب جريمة، أو ذنباً خالف الشريعة وعارض تطبيقها، فكيف التعامل معهم؟

وكيف نسمح بإقامة قوانين ما أنزل الله بها من سلطان بقوة الحديد والنار، ثم نتساءل عن مشروعية تطبيق شرائع الله على عباد الله؟

وهل الأنبياء والصالحون قاتلوا من أجل غير ذلك؟ يقول الله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق﴾[٤٨].

ويقول الإمام علي (ع):

«يا أيها الناس. . . استعدوا للمسير إلى عدوّ، في جهاده القربة إلى الله، ودرك الوسيلة عنده: حيارى في (معرفة) الحق، جفاة عن الكتاب نكّب عن الدّين يعملون في الطغيان، ويعكفون في غمرة الضلال، فأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، وتوكلوا على الله، وكفى بالله وكيلاً، وكفى به نصيراً»[٤٩].

* * *

إن البعض قد يظن أن معنى تطبيق الشريعة أن نبدأ فوراً بتطبيق قانون العقوبات، فنقطع أيدي السراق، ونذبح اللّواطين، ونرمي الزناة، ونعاقب الفسقة، ونقيم الحدّ على الفجرة. .

غير أن هذا نابع من نظرة ضيقة، لا تمت إلى الشريعة بصلة، إذ قبل العقوبات هنالك الحريات التي يجب أن نؤمنها للناس، وقبل إقامة الحدود هنالك توفير العيش الذي يجب أن نضمنها للجميع، وقبل القتل والإعدام هنالك

---

(٤٨) سورة التوبة (٢٩).

(٤٩) نهج البلاغة خطبة رقم (١٢٥).

تأمين حاجات المجتمع الأساسية، وقبل أية محكومية، هنالك ضرورة إشاعة الثقة والتعاون بين أبناء الأمّة، وإثارة الكوامن الخيّرة فيهم. . فالجهاد ليس من أجل الانتقام من أحد، بل من أجل شريعة مقدسة تعطي المجتمع خير الدنيا والآخرة ويكشف الإمام علي (ع) عن ذلك بقوله: «الشريعة صلاح البريّة»[٥٠] ومن أجل ذلك كان عليه السلام يجاهد في هذه الحياة، كما يقول (ع):

«اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتُقام المعطلة من حدودك»[٥١].

فأهداف الجهاد هي أمور أربعة : كما يتضح من كلام الأمام علي (ع) :

الأول : رد المعالم ، وإعادة الدين ، وتطبيق حكم الله على أرضه :

«لنرد المعالم من دينك» .

الثاني : الإصلاح في العباد ، وعمارة الأرض .

«ونُظهر الإصلاح في بلادك» .

الثالث : إنصاف المظلومين ، وتأمين السلامة والأمن لهم :

«فيأمن المظلومون من عبارك» .

الرابع : إقامة الحدود المعطلة .

«وتقام المعطّلة من حدودك» .

وهكذا تأتي إقامة «الحدود المعطلة» بعد «رد العالم» و«إظهار الإصلاح» و«الأمن للمظلومين».

الجهاد دفاعاً عن الكيان الإسلامي

جهاد الأمة ينتهي ولا شك إلى إقامة الكيان الإسلامي، ولا بد أن يُحافظ

---

(٥٠) غرر الحكم .

(٥١) نهج البلاغة خطبة رقم (١٣١) .

عليه، وعلى المكتسبات الحضارية فيه، وهو ما يعبّر عنه بالمرابطة التي قد تعني الحراسة عن المجاهدين، كما قد تعني الحراسة عن الدولة الإسلامية، وكيانها..

فالجهاد ليس مقتصراً على حالة المجابهة، بل يشمل ما يسبق أو يلحق بها أيضاً..

ومن هنا جاءت الآيات والروايات لتؤكد على ما للمرابطة من الأجر والثواب، باعتبار أن ذلك يترتب عليه مصير الأمّة كلّها.

يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾(٥٢).

ويقول رسول الله (ص): «موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود»(٥٣).

ويقول (ص): «رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه، ومن مات فيه وقي فتنة القبر، ونما له عمله إلى يوم القيامة»(٥٤).

ويقول (ص): «رحم الله حارس الحرس»(٥٥).

ويقول (ص): «عينان لا تمسهما النار: عين بكت خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»(٥٦).

ويقول (ص): «رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل»(٥٧).

---

(٥٢) سورة آل عمران (٢٠٠) الأخيرة.
(٥٣) كنز العمل ج ٤ رقم ١٠٥٦٠.
(٥٤) كنز العمال ج ٤ رقم ١٠٥٣٧.
(٥٥) صحيح ابن ماجه ج ٢ ص ٩٢٥.
(٥٦) كتاب التّاج ج ٤ ص ٣٣٦ عن الترمذي وسنن النسائي.
(٥٧) كنز العمال ج ٤ رقم ١٠٥١١.

ويقول (ص): «من مات مرابطاً في سبيل الله أُجري عليه عمله الصالح الذي كان يعمل، واجري عليه رزقه، وأمن الفتنة، وبعثه الله يوم القيامة آمناً من الفزع»(٥٨).

ويقول (ص): «رباط يوم خير من صيام شهر وقيامه»(٥٩).

ويقول (ص): «إن صلاة المرابط تعدل خمسمائة صلاة»(٦٠).

ويقول (ص): «لأن أحرس ثلاث ليال مرابطاً من وراء بيضة المسلمين أحبّ إليّ من أن تصيبني ليلة القدر في أحد المسجدين: المدينة أو بيت المقدس»(٦١).

الجهاد لتحرير المستضعفين

ليس المسلمون مكلفين برفع الحيف عن أنفسهم فحسب، بل عن الآخرين أيضاً، ذلك لأنّهم يحملون رسالة الإسلام.. وهي رسالة كونية تجعل الإنسان المسلم مسؤولاً عن أخيه الإنسان في كل مكان..

يقول الله تعالى: ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربّنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾(٦٢).

فلا تقتصر إذن مسؤولية المؤمنين على بقعة دون أخرى، ولا على جنس دون آخر، ولا على قوم دون قوم..

فالله لم يميّز قوماً على آخر، بل جعل الناس شعوباً وقبائل لتتعارف وأرسل أنبياءه للجميع، وحمّل المؤمنين مسؤولية تطهير الأرض من الشرك

(٥٨) كنز العمال ج ٤ رقم ١٠٥٥٩ .
(٥٩) كنز العمال خبر (١٠٥١٠) .
(٦٠) كنز العمال خبر (١٠٧١٤) .
(٦١) كنز العمال خبر (١٠٧٣٠) .
(٦٢) سورة النساء (٧٥).

والفساد والعدوان، ووعدهم بخلافة الأرض جميعاً..

يقول الله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يُشركون بي شيئاً﴾[٦٣].

ويقول تعالى: ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكّن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾[٦٤].

ومن الواضح أن المؤمنين إنما يرثون الأرض، إذا تحملوا مسؤوليتها، وإنّهم مكلّفون فعلاً بمسؤولية دولية، لأن الانتصار لن يتجزأ، فأمّا أن تتحرر الأرض، أو لا يتحرر منها شيء.

ولهذا وجدنا الأنبياء ينادون الناس كل الناس إلى الله، ويسعون لتحرير الأرض كل الأرض.

يقول الله تعالى: ﴿وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً، إنك إن تذرهم يُضلّوا عبادك ولا يلدوا إلّا فاجراً كفاراً﴾[٦٥].

وفي الحقيقة فإن الصراع بين الحق والباطل ليس صراعاً إقليمياً، بل هو صراع دولي، وأية جماعة تتعاهد مع نفسها نصرة الحق، لا بد أن تبني حساباتها على هذا الأساس، وتسعى لتحرير الأرض كل الأرض، وإقامة الحق في كل مكان.

يقول الله تعالى: ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز، الذين إن مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾[٦٦].

---

(٦٣) سورة النور (٥٥).
(٦٤) سورة القصص (٥ ـ ٦).
(٦٥) سورة نوح (٢٦ ـ ٢٧).
(٦٦) سورة الحج (٤٠ ـ ٤١).

الجهاد ضد الإحتلال

في مجابهة عدو ينوي غزو بلاد المسلمين، لا يكفي مجرد مقاومته بعد الغزو، بل لا بدّ من المبادرة إلى غزوه، فاعتماد نظرية: «الهجوم أفضل وسيلة للدفاع» هو الرد السليم على كل من تسوّل له نفسه احتلال الأرض، واستعباد العباد..

يقول الإمام علي (ع):
أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَىٰ قِتَالِ هَؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ لَيْلاً وَنَهَاراً، وَسِرًّا وَإِعْلَاناً، وَقُلْتُ لَكُمُ: ٱغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا. فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُم حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ ٱلْغَارَاتُ، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَوْطَانُ. وَهٰذَا أَخُو غَامِدٍ وَقَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ ٱلْأَنْبَارَ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ ٱلْبَكْرِيَّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى ٱلْمَرْأَةِ ٱلْمُسْلِمَةِ، وَٱلْأُخْرَىٰ الْمُعَاهَدَةِ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرُعُثَهَا، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ. ثُمَّ ٱنْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ، وَلَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ؛ فَلَوْ أَنَّ ٱمْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هٰذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً(٦٧).

إن المهاجم متقدم على المدافع بثلاث مرّات، فإذا وقع الإحتلال فعلى أبناء الأمة مضاعفة جهودها، وتضحياتها، ثلاث مرات أكثر ممّا لو منعوا الإحتلال بالغزو المبكر للعدّو الذي يبيّت نية غزوهم..

إن أبناء الأمة يجب أن يكونوا شديدي المراس، مهيبو الجانب، بتمسكهم بالحق ومقاومتهم للباطل، واستعدادهم للدفاع، وقدرتهم على الهجوم، حتى لا

---

(٦٧) نهج البلاغة خطبه رقم (٢٧).

يطمع فيهم الطامعون. .

يقول الإمام علي (ع):

«أيها الناس. . لو لم تتخاذلوا عن نصرة الحق، ولم تهنوا عن توهين الباطل لم يطمع فيكم من ليس منكم، ولم يقو من قوي عليكم.
لكنكم تهتم متاه بني إسرائيل، ولعمري ليضعفن لكم التيه من بعدي أضعافاً بما خلّفتم الحق وراء ظهوركم، وقطعتم الأدنى ووصلتم الأبعد»(٦٨).

ويقول (ع):

«أَلَا تَرَوْنَ إِلَىٰ أَطْرَافِكُمْ قَدِ ٱنْتَقَصَتْ، وَإِلَىٰ أَمْصَارِكُمْ قَدِ ٱفْتُتِحَتْ، وَإِلَىٰ مَمَالِكِكُمْ تُزْوَى. وَإِلَىٰ بِلَادِكُمْ تُغْزَىٰ! ٱنْفِرُوا - رَحِمَكُمُ ٱللَّهُ - إِلَىٰ قِتَالِ عَدُوِّكُمْ، وَلَا تَثَّاقَلُوا إِلَى ٱلْأَرْضِ فَتُقِرُّوا بِٱلْخَسْفِ، وَتَبُوؤُا بِالذُّلِّ. وَيَكُونَ نَصِيبُكُمُ ٱلْأَخَسَّ. وَإِنَّ أَخَا ٱلْحَرْبِ ٱلْأَرِقُ، وَمَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عَنْهُ، وَالسَّلَامُ»(٦٩).

الجهاد لتثبيت الحاكم العادل

قضية الحكم في الإسلام ليست متروكة للأهواء، بل هي مسألة محسومة تماماً، وأساس ذلك أنه لا بد للمسلمين من إمام عادل تختاره أكثرية أبناء الأمة بحرية كاملة، بشرط أن تتوفر فيه مجموعة شروط من أبرزها شرطان:

الأول: قدرته على القيادة وأهليته لذلك.

الثاني: علمه بحكم الله في قضايا الحكم، ومسائل الإدارة. .

ومن واجب المسلمين السعي لإقامة الحكم الإسلامي، وتثبيت نظام يتوفر في حاكمه تلك الشروط، تماماً كما أن عليهم محاربة أئمة الجور، وسلاطين

---

(٦٨) نهج البلاغة خطبة رقم (١٦٦).

(٦٩) نهج البلاغة كتاب رقم (٦٢).

الفجور، وأنظمة الجاهلية..

يقول الله في حديث قدسي: «لأعذبن كل أمة دانت لغير وليّ من أوليائي، وإن كانت الأمّة في نفسها برّة»[٧٠].

ويقول الإمام علي (ع):
«أيها الناس.. إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر أقومهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه. فإن شغب مشاغب (وأثار الفتنة) استُعتب، فإن أبا قُوتل.
ولعمري، لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى يحضرها عامة الناس، فما إلى ذلك سبيل، ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها، ثم ليس للشاهد أن يرجع، ولا للغائب أن يختار، ألا وإني أقاتل رجلين: رجلاً إدّعى ما ليس له. وآخر منع الذي عليه»[٧١].

الجهاد ضد الإستبداد

ممّا لا شك فيه أن الحكم في الإسلام، قائم على مبدأين هما: الاختيار والشورى.

فإذا جاء الحاكم إلى سدة الحكم من غير اختيار الأمّة، أو استبد برأيه بعد اختيارها له، فهو خارج عن دائرة الإسلام، فإذا لم ينفع المنطق في تقويمه فلا بد من الجهاد ضده، وكما يقول الإمام علي (ع): «إذا لم تنفع الكرامة فالإهانة أحزم وإذا لم ينجع السوط فالسيف أحشم»[٧٢].

إن الله أمر بالشورى قائلاً:﴿وشاورهم في الأمر﴾[٧٣]،ووصف المؤمنين بقوله: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾[٧٤] مما يعني أن الاستبداد محرّم في الحكم

---

(٧٠) الكافي ج ١ ص ٣٧٦ كتاب الحجة ح ٤.
(٧١) نهج البلاغة خطبة رقم (١٧٣). المفهرس لألفاظ النهج ص ٢١٩.
(٧٢) غرر الحكم رقم ٤٢٥١ و ٤٢٥٢.
(٧٣) سورة آل عمران (١٥٩).
(٧٤) سورة الشورى (٣٨).

لأن «من استبد برأيه هلك» مما يعني أن من حق الأمّة عزل المستبد برأيه إذ «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[٧٥].

يقول رسول الله (ص) : «ان رحى الإسلام دائرة ، وان الكتاب والسلطان سيفترقان فدوروا مع الكتاب حيث دار وستكون عليكم ائمة مضلّون ، يقضون لأنفسكم ما لا يقضونه لكم ، إن أطعتموهم أضلوكم ، وإن عصيتموهم قتلوكم . .

فقال الأصحاب : كيف تصنع يا رسول الله ؟

فقال (ص) : كونوا كأصحاب عيسى نصبوا على الخشب ونشروا بالمناشير لموت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله . . .»[٧٦] .

وهذا يعني أنه لا بد من المقاومة للسلطان الذي يفترق عن القرآن، ويستبد برأيه، ويسمح لنفسه ما لا يسمح لغيره. . حتى وإن أدى ذلك إلى أن يُحمل المجاهدون على الخشب، أو ينشروا بالمناشير. .

* * *

ثم إنّ هناك العشرات من الأحاديث التي تأمر بالمشاورة، وتنهي عن الاستبداد مما يكتشف الإنسان حرمة الاستبداد، وسقوط العدالة عمن يستبد برأيه، ومن ثم حرمة اطاعته والانقياد له. .

يقول الإمام علي (ع): «من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها[٧٧].

ويقول (ع): «قد خاطر من استغنى برأيه»[٧٨].

---

(٧٥) قصار الحكم (١٦٥)ـ وبحار الأنوار ج ٧٣ ص ٣٩٣ .
(٧٦) كنز العمال خبر (١٠٨١) .
(٧٧) بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٨٢ .
(٧٨) بحار الأنوار ج ٧٧ ص ٣٨٤ .

ويقول (ع): «الاستشارة عين الهداية»[٧٩].
ويقول (ع): «المستشير على طرف النجاح»[٨٠].
ويقول (ع): «إذا عزمت فاستشر»[٨١].
ويقول (ع): «شاور قبل أن تعزم، وفكر قبل أن تقدم»[٨٢].
ويقول (ع): «جماع الخير في المشاورة والأخذ بقول النصيح»[٨٣].

ولا أظنّ أن كل ذلك يرتبط بالمشاورة في قضايا مثل شراء البيت أو الزواج، أو السفر، ولكنه لا يرتبط بالحكم والإدارة، والشؤون العسكرية، والاجتماعية.

وهنالك حديث صريح في حرمة المستبد برأيه، الذي يجعل نفسه في مقام الألوهية، ويتكبر على حسبه ونسبه..

يقول الإمام علي (ع):
ألا.. الحذر، الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبّروا عن حسبهم، وترفّعوا فوق نسبهم، وألقوا الهجينة على ربّهم، وجاحدوا الله على ما صنع بهم»[٨٤].

الجهاد ضد البغاة والمارقين

إذا قام الحكم الإسلامي العادل، فمن حق الآخرين أن يعارضوا آراء الحاكم بالمنطق، وليس من حقهم معارضته بالسلاح..
فما دامت الأكثرية معه..
وما دام عادلاً في الحكم لا يجوز.

---

(٧٩) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ١٧٣.
(٨٠) غرر الحكم.
(٨١) غرر الحكم رقم ٤٠٧٦.
(٨٢) غرر الحكم.
(٨٣) غرر الحكم رقم ٤٨٥٦.
(٨٤) نهج البلاغة خطبة رقم (١٩٢).

وما دام لا يستبد برأيه في إدارة شؤون الدولة. .

وما دام يعمل بنظام الشورى، ويستمع للرأي الآخر. .

فإن حمل السلاح ضده يجب أن يقاوم بقوة السلاح، أمّا معارضته الرأي بالرأي والمنطق بالمنطق، فلا شك في أنّه حق من حقوق عامة الناس.

جاء في كتاب دعائم الإسلام: خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) بالكوفة، فقام رجل من الخوارج فقال: لا حكم إلّا لله!

فسكت أمير المؤمنين. . ثم قام رجل آخر من الخوارج، وآخر وآخر فلما أكثروا قال أمير المؤمنين: كلمة حق يُراد بها باطل[٨٥].

ثم قال لهم: «لكم عندنا ثلاث خصال: لا نمنعكم مساجد الله أن تصلّوا فيها، ولا نمنعكم الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نبدأكم بحرب حتى تبدؤنا»[٨٦].

وهكذا فمن حق كل جماعة أن تعارض، بشرط أن لا تتحول إلى فئة باغية، وإلّا فليس لها إلا السلاح.

يقول الإمام علي (ع): «القتال قتالان: قتال الفئة الباغية حتى يفيئوا، وقتال الفئة الكافرة حتى يسلموا»[٨٧].

فالمنشقون على الحكم العادل إذا أصرّوا على تمردهم، وحاولوا فرض آرائهم بقوة السلاح فلا بدّ من مجاهدتهم.

يقول الإمام «علي» في رسالة له إلى عامله على البصرة، بعد أن أُخبر هذا أن جماعة متمردة تتخذ مواقعها ضد القيادة:

«. . . فإن عادوا إلى ظل الطاعة، فذاك الذي نحبُّ. وإن توافت الأمور

---

(٨٥) نهج البلاغة خطبة رقم (٤٠).

(٨٦) دعائم الإسلام: ج ١ ص ٣٩٣.

(٨٧) بحار الأنوار ـ باب وجوب الجهاد ـ ص ٩٠ ج ٩٧.

بالقوم إلى الشقاق والعصيان (اجتمع رأيهم على ذلك) فانهد (فاهجم) بمن أطاعك إلى من عصاك، واستغن بمن انقاد معك عمّن تقاعس عنك. فإن المتكاره (المتثاقل عن حمل السلاح) مغيبُه خير من مشهده، وقعوده أغنى من نُهُوضِهِ»[٨٨] .

* * *

في خلافة الإمام علي اشتهرتْ ثلاث فئات من الذين قاتلهم الإمام، وهم:

١ ـ الناكثون، وهم أصحاب الجمل الذين نكثوا بيعته، وأعلنوا التمرد المسلح عليه.

٢ ـ المارقون، وهم الخوارج الذين جردوا السيوف في وجهه.

٣ ـ القاسطون، وهم أصحاب معاوية الذين تجمعوا حول صاحبهم يبغون الحكم والسلطان.

يقول الإمام علي (ع) عن ذلك..

«.. فلّما نهضت بالأمر نكثت طائفة، وفوقت أخرى، وقسط آخرون، كانهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾[٨٩].. بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها.. أما والذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أوّلها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»[٩٠].

ومن هنا يتبين أن من حق الإمام العادل مواجهة الفئات المارقة بالسلاح،

---

(٨٨) نهج البلاغة كتاب رقم (٤).

(٨٩) سورة القصص (٨٣).

(٩٠) نهج البلاغة خطبة رقم (٣).

إذا بدأوها هم كذلك. . وبعد أن تستنفد كافة الوسائل معهم. .

يقول الإمام علي (ع) عن وقعة الجمل:

«وكان طلحة والزبير أول مَن بايعني ثم نقضا بيعتي على غير حدَث. وأخرجا أمّ المؤمنين إلى البصـرة، فصرتُ إليهما في المهاجـرين والأنصار، فدعوتُهما إلى أن يرجعا إلى ما خرجا منه فأبَيا. فبالغت في الدعاء، وأحسنتُ في اللقاء!» وكان عليّ قد بعث إليهما وهو ببعض الطريق إلى الكوفة بابنه الحسن وابن عمه عبد الله بن عباس وعمّار بن ياسر وقيس بن سعد ابن عبادة، لعلّهما يقطعان الفتنة، فأبَيا. وفي ذلك يقول عليّ (ع).

«وسرتُ بهم - أي بالمهاجرين والأنصار - حتى نزلتُ بظهر البصرة فأعذرتُ في الدعاء وأقلتُ العثرة، وناشدتهم عقد بيعتهم فأبوا إلّا قتالي، فاستعنتُ الله عليهم. فقُتل مَن قتل وولّوا مدبرين. فسألوني ما كنتُ دعوتُهم إليه قبل اللقاء، فقبلتُ العافية ورفعتُ عنهم السيف واستعملتُ عليهم عبد الله بن عباس، وبعثتُ إليهم زُفرَ بن قيس، فاسألْه عنّا وعنهم!».

ويقول (ع) عن موضوع قتاله لمعاوية: «ولقد ضربتُ أنفَ هذا الأمر وعينه، وقلّبت ظهره وبطنه، فلم أرَ لي إلّا القتالَ أو الكفر»[٩١].

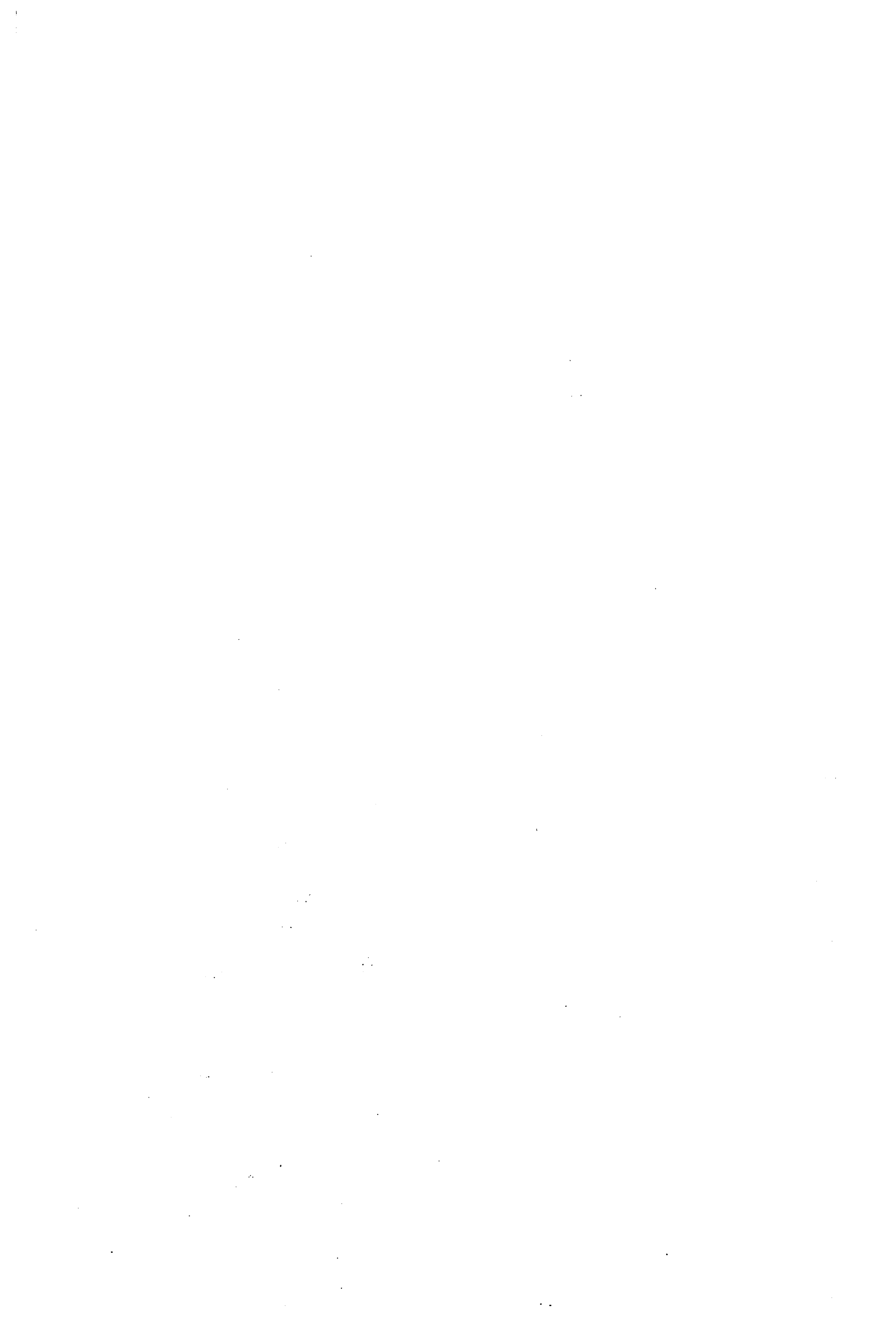
ويقول (ع): «إلّا وقد أمرني الله بقتال أهل النكث والبغي والفساد»[٩٢].

---

(٩١) نهج البلاغة خطبة رقم (٤٣).

(٩٢) نهج البلاغة خطبة رقم (١٩٢).

٦
أبعاد الجهاد



الجهاد بمعناه الواسع يعني بناء الحضارة، وعمارة الأرض، وهو بهذا **المعنى** يشمل كل حقول الحياة. فأي جهد يبذله الإنسان في البيت، أو **المدرسة**، أو المعمل، أو أي مكان آخر في المجتمع إذا كان بالشكل السليم، **فهو جهاد** في سبيل الله..

ولهذا جاء في الحديث الشريف: «جهاد المرأة: حسن التبعّل»[1].
وجاء أيضاً: «الكاد على عياله من حلال كالمجاهد في سبيل الله»[2].

وجاء كذلك: «أفضل دينار: دينار أنفقه الرجل على عياله، ودينار أنفقه على دابته في سبيل الله، ودينار أنفقه على أصحابه في سبيل الله»[3].

وروي أن رجلاً مرّ برسول الله (ص) وأصحابه، وكان جلداً نشيطاً فأعجبهم فقالوا: ليته كان يجاهد في سبيل الله!

فقال رسول الله (ص): «إن كان خرج يسعى على أولاد صغار فهو في سبيل الله. وإن كان خرج يسعى على أبوين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان

---

(١) بحار الأنوار ج ١٠ ص ٩٩.
(٢) الوسائل: ج ١٢ ص ٤٢ باب ٢٣ من أبواب مقدمات التجارة ح ١.
(٣) كنز العمال ج ٦ رقم ١٦٢٢٢.

يسعى على نفسه يعفّها فهو في سبيل الله».

وعن الإمام (ع): «من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله وأهل بيته مات شهيداً»[٤].

* * *

أمّا الجهاد في إطار المجابهة مع العدّو فهو يشمل ـ فيما يشمل الحقول التالية:

١ ـ الجهاد بالهجرة.
٢ ـ الجهاد بالمال.
٣ ـ الجهاد بمساعدة المجاهدين.
٤ ـ الجهاد بتأييد المجاهدين.
٥ ـ الجهاد بتأمين حاجات الجهاد.

وقبل الخوض في التفاصيل لا بد أن نقول: إذ كان من الطبيعي أن يكون للجماعة المؤمنة أعداء.. فمن الطبيعي أيضاً أن تنتهي حالة العداء إلى المجابهة معهم في يوم ما سواء جاءت في صورة مجابهة فردية، أم جماعية. فما هي مهمة كل فرد مسلم في عملية المجابهة؟

والجواب:

مبدئياً كل فرد لا بد أن يكون له فيها دور بحجم قدراته وطاقاته، فلا يجوز الحياد بين الحق والباطل حين المجابهة.. لأن الشاهد على الظلم، بدون أن يسعى للقضاء عليه، شريك في الجريمة وكما جاء في الحديث عن الامام الصادق (ع) قال: من سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجب فليس بمسلم»[٥]..

وفي الحديث عن المعصوم: «من سمع ناعيتنا فلم ينصرنا أكبه الله في نار جهنم»[٦]..

---

(٤) نهج البلاغة خطبة رقم (١٩٠).
(٥) أصول الكافي ج ٢ ص ١٦٤ خ ٥.
(٦) الإرشاد للمفيد ص ٢٢٦ وفيه: «فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ثم لا ينصرنا إلا هلك».

وهكذا فالجهاد، مهمة الجميع بلا استثناء، وهو مطلوب بكل الطاقات، وكل الإمكانيات، وكل الأوقات. .

لأنّ الجهاد «حالة» في الأمّة تجعلها ذات «توثب» في أوقات الشدة والمجابهة، وفيها يكون المؤمن كالأسد متهيء في كل الأوقات للصد أو الهجوم، والمقاتلة، أو المنازلة. .

وهذه «الحالة» يجب أن تكون لدى الجميع في وقت السلم أو الحرب، لأن الجهاد في الإسلام هو جهاد الفرد والمجموع، جهاد الخفاف والثقال، جهاد الشباب والشيوخ، لا جهاد مجموعة منفصلة من غير أن يكون للآخرين دخل فيه. .

* * *

ثم إن الأفراد، في حالة المجابهة، على خمسة أقسام:

الأول: من يشترك عملياً في الجهاد.

الثاني: من يساعد بالمال، أو بأي جهد آخر.

الثالث: من يُخالف ويصد عنه.

الرابع: من يقف على الحياد، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

الخامس: من ينافق مع الطرفين. مثل ذلك الرجل الذي كان ساعة المواجهة بين الإمام علي ومعاوية، يصلي مع الإمام ويأكل مع معاوية، وإذا التحم الجيشان كان يجلس على التل، ولا يشترك مع أي طرف، ويقول:

«الصلاة مع عليّ أتمْ، والطعام مع معاوية أدسمْ، والوقوف على التل أسلمْ»!.

* * *

والآن ما هي أوجه الجهاد بالتفصيل؟

والجواب:

أولاً: الجهاد بالهجرة

الهجرة بحد ذاتها ضرورة حضارية، لأنها عامل استقامة، ووسيلة وعي، والمهاجرون هم وحدهم الشهداء على مجتمعاتهم، المطهرون من سلبياتها، القادرون على تغيير مسارها..

وسنة الهجرة جارية حتى على الكائنات الأخرى، حيث تهاجر الطيور والأسماك من مواطنها، إلى حيث تجد مراغماً وسعة.. وتتخذ من الهجرة وسيلة للبقاء، والاستمرار في الحياة..

من هنا قلّ أن نجد عظيماً لم يهاجر من موطنه، كما قلّت الأعمال التي أنجزت من غير ما هجرة..

فالأنبياء والرسل هم على رأس قائمة المهاجرين، ومنجزاتهم كثيراً ما نمت على أرض الهجرة..

هذا نبي الله إبراهيم الخليل (ع)، هاجر من بابل إلى مكة، وهناك بنى بيت الله للرّكع السجود..

وذاك نبي الله موسى (ع)، هاجر من مصر إلى أرض فلسطين ومن هناك عاد ليحرّر بني إسرائيل، ويهدم حكم فرعون..

وكذلك عيسى ابن مريم (ع)، الذي كان مهاجراً مع حوارييه من بلد إلى بلد، ومن مدينة إلى أخرى..

ورسول الله محمد (ص) يهاجر من مكة إلى المدينة لينقل أمتّه نقلة عظيمة، لم يسبق لها مثيل..

ولهذا فالمؤمن يجب أن يكون مستعداً للهجرة في كل زمان، وذلك شرط من شروط الإيمان، إذ قد يتعرض الفرد للفتنة، فلا يسلم له دينه من غير الهجرة به إلى دار الأمن.

يقول الله تعالى: ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك

منكم﴾[7].

أمّا غيرهم.. فليسوا منكم.. لأنّ من ليس مستعداً للهجرة يتثاقل إلى الأرض، ومن يتثاقل الأرض، لن يكون مضحياً، ومن لم يكن مضحياً، فلن يكون مجاهداً..

وعلى العكس الذين يهاجرون بدينهم من أرض إلى أرض، هم القادرون على تحقيق أهدافهم في الحياة.. وهم المؤمنون حقاً..

يقول الله تعالى: ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم، خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم﴾[8].

وسواء حققت الهجرة نجاحاً، أم لم تحقق فهي قيمة حضارية يُثاب الإنسان عليها عند الله.. فلا خوف من الخسارة بالهجرة حتى وإن كانت خسارة الروح..

يقول الله تعالى: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً﴾[9].

ويقول: ﴿والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين (٥٨)، ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم حليم﴾ (٥٩)[10].

ويقول رسول الله (ص): «مَن فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً

---

(٧) سورة الأنفال (٧٥).
(٨) سورة التوبة (٢٠ ـ ٢٢).
(٩) سورة النساء (١٠٠).
(١٠) سورة الحج (٥٨ ـ ٥٩).

من الأرض استوجب الجنة، وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد عليهما السلام»[١١].

وفي الحقيقة فإن الهجرة تقوي شوكة المسلمين، فكلّما وجدت «نواة» للعمل الرسالي فلا بد من تقويتها بالهجرة إليها، والتعاون معها، ومن هنا كانت الهجرة واجبة، ليس باعتبارها هروباً من المشاكل والضغوط، بل قفزة إلى الأمام، وخروجاً من دار الكفر إلى دار الإسلام، ومن الجماعة الكافرة إلى الجماعة المؤمنة، ومن السكون والاستسلام إلى الثورة والحركة..

إذ لا يجوز تبرير التقاعس بضغوط الطاغوت، لأن أرض الله واسعة و«ليس بلد أولى بك من بلدٍ، خيرُ البلاد ما حملك» كما يقول الإمام علي (ع)[١٢].

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾[١٣] عن الإمام الباقر قوله: «لا تطيعوا أهل الفسق من الملوك، فإن خفتموهم أن يفتنوكم عن دينكم فإن أرضي واسعة»[١٤].

ومن هنا فقد وردت مسألة «الهجرة» أكثر من ثلاثين مرة في القرآن الكريم، وهي تأتي تارة متصلة بمسألة «الجهاد» وأخرى منفصلة عنها، والنوع الأول أكثر من الثاني..

يقول الله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله..﴾[١٥].

فالهجرة مدعاة لرحمة الله، وهي لذلك وسيلة لثوابه العظيم يوم القيامة..

يقول الله تعالى: ﴿فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفّرن عنهم سيئاتهم ولأدخلّنهم جنات تجري من تحتها الأنهار

(١١) مجمع البيان ج ٣ ص ١٠٠.
(١٢) نهج البلاغة باب حكم أمير المؤمنين حكمه رقم (٤٤٢).
(١٣) سورة العنكبوت (٥٦).
(١٤) ميزان الحكمة ـ باب الهجرة ـ ص ٣٠٥.
(١٤) تفسير القمي ج ٢ ص ١٥١.

ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾[16].

ويقول تعالى: ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله﴾[17]..

والهجرة بعد ذلك عامل من عوامل تغيير واقع الناس من الشقاء إلى السعادة.

يقول الله تعالى: ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة﴾[18].

كما أن الإيمان لا يكتمل إلّا بالهجرة.

ويقول تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلّا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير (٧٢)، والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلّا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير (٧٣)، والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم (٧٤)، والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إنّ الله بكل شيء عليم﴾ (٧٥)[19].

إنّ الهجرة في الحقيقة فعل إيجابي وليس هروباً وفراراً من المسؤولية فهي زيادة في عدد المؤمنين، ومن ثم زيادة في قوتهم، فهي إذن جهاد في سبيل الله.

ولا بد من دفع الثمن من أجلها..

---

(١٦) سورة آل عمران (١٩٥).

(١٧) سورة التوبة (٢٠).

(١٨) سورة النحل (٤١).

(١٩) سورة الأنفال (٧٢ ـ ٧٥).

جاء في الحديث: «إن صهيب الرومي، أراد أن **يهاجر إلى رسول الله، فاحتبسه المشركون في** ظلم وطغيان» وقالوا له: أتيتنا صعلوكاً **حقيراً فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت**، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟ **والله لا يكون ذلك.**

فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلتُ لكم مالي، **اتخلّون سبيلي؟**

قالوا له: نعم..

فقال: فإني قد جعلت لكم كل ما عندي..

وهكذا فعل، ودفع ثمن هجرته كل ما كان يملك، وحينما بلغ رسول الله (ص) ما فعله، قال (ص): ربح صهيب.. ربح صهيب»[٢٠].

وهكذا كان أصحاب رسول الله يهاجرون، ويدفعون الثمن لهجرتهم، وكانوا يخافون إن لم يهاجروا..

فهذا جندب بن ضمرة، حينما نزلت آية الهجرة، كان مريضاً، شديد المرض، فلم يكن يستطيع الحركة، بل كان يحمل على سرير، فلما سمع الآية، قال: «واللهِ ما أنا ممن استثنى الله، إني لأجد قوة، وإني لعالم بالطريق.

ثم استدعى بنيه وقال لهم: واللهِ لا أبيت بمكة حتى أخرج منها، فإني أخاف أن أموت فيها.

فخرجوا يحملونه على سرير حتى إذا بلغوا به التنعيم فاضت روحه»[٢١].

هكذا فهموه جهاداً من أجل الله..

ألم يقل لهم رسول الله (ص): «يا أيّها الناس هاجروا وتمسكوا بالإسلام، فإن الهجرة لا تنقطع ما دام الجهاد»[٢٢].

وقال: «لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يُقاتل»[٢٣].

---

(٢٠) سيرة ابن هشام: ص ٨٧.

(٢١) **الإصابة**: ج ١ ص ٢٥١ وأسد الغابة: ج١ ص ٣٥٧.

(٢٢) كنز **العمال** خبر (٤٦٢٦٠).

(٢٣) كنز **العمال** خبر (٤٦٢٧٤).

وحينما قيل له: «أي الإيمان أفضل؟.

قال: الهجرة..

قيل: وما الهجرة؟

قال: أن تهجر السوء..

قيل: فأي الهجرة أفضل؟

قال: الجهاد»[٢٤]**..**

ولهذا كان أصحابه مستعدين، كالطيور، للهجرة إلى أي موقع، ولربما هاجروا إلى أكثر من مكان..

هذا هو «أبو سلمة المخزومي» المهاجر إلى الله تعالى مرتين، إلى الحبشة وإلى المدينة معاً..

ولقد لقي أبو سلمة في أول إسلامه أذى شديداً من المشركين، حتى اضطر أن يلجأ إلى خاله أبي طالب ليحميه ويجيره، فحماه وأعلن بين الناس أنه في جواره، فذهب فريق من المشركين ـ من بني مخزوم ـ إلى أبي طالب يقولون له:

لقد منعتَ منّا ابن أخيك محمداً، فما لك ولصاحبنا تمنعه منّا؟

فقال أبو طالب: إنه استجار بي، وهو ابن أختي وإن أنا لم أمنع ابن أختي، لم أمنع ابن أخي!

ولكن لم يأمن أذى قريش، فقد تلقى المزيد منه حتى اضطر أن يهاجر مع زوجته «رملة» المعروفة بأم سلمة إلى الحبشة مرتين، وكانت الهجرة إلى الحبشة في رجب سنة خمس من البعثة، فخرجا في أول طائفة هاجرت إلى الحبشة، وكانت تضم نحو عشرة أشخاص، ثم توالى المهاجرون، ورُوي أنهما كانا أول من هاجر إلى الحبشة، وظل المهاجر وزوجته هناك سنوات، لم تغيّر الهجرة ولا الغربة ولا الوحشة ولا طول المدة من إيمانهما قليلاً أو كثيراً.

---

(٢٤) كنز العمال خبر ١٧ .

وحينما دخل نور الإسلام أرض المدينة المنورة، وقال رسول الله (ص) لأصحابه عن المدينة وأهلها: «إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً»[٢٥]، وبدت تباشير الهجرة إليها، كان أبو سلمة أول من هاجر أيضاً، وخرجت معه زوجته الوفية لتشاركه رحلته وهجرته، ولكنها لم تستطع، وحيل بينها وبين ما تريد، فقد تكبكب المشركون البغاة حول المهاجرين العظيمين، وفرقوا بين أبي سلمة وزوجته وولده «سلمة» الصغير، فقد انتزعها أهلوها بالقوة وضموها إليهم، وأما ولده الطفل الصغير «سلمة» فقد اختلفوا عليه، وتجاذبوه فيما بينهم كأنه فريسة بين جمع من الوحوش، حتى خلعوا يده، واستولى عليه أعمامه، ومضى أبو سلمة وحيداً مرغماً نحو المدينة، حتى نزل في «قُباء» هناك.

وظلت أم سلمة حبيسة في مكة ما يقرب من سنة، بعيدة عن زوجها، وظل أبو سلمة بعيداً عن زوجته وولده هذه المدة، وظل يجاهد ويناضل، لا يضطرب إيمانه ولا يتزلزل، وبعد ذلك بعام جمع الله بين أبي سلمة وزوجته وولده: في رحاب المدينة.

ولكن اجتماع الشمل لم يصرف أهل الإيمان عن مواصلة النضال والكفاح، فحينما بدت غزوة بدر سارع إليها أبو سلمة، فقاتل فيها قتال الصادقين، وجاهد جهاد الفدائيين، ورمى نفسه على الموت في سبيل الله عز وجل.

وبعد غزوة بدر اشترك أبو سلمة في غزوة أحد، وواصل فيها جهاده وجلاده، حتى ناله وسام إلهي من هذه الغزوة، وهو جرح عميق في عضده، ظل شهراً يتداوى منه.

وما كاد يبلغ عضده مبلغ النقاهة حتى تطلع إلى الجهاد، وحينذاك بلغ رسول الله (ص) أن طليحة بن خالد الأسدي وأخاه سلمة قد جمعا جيشاً باغياً يعتزمان الهجوم به على المسلمين، وذلك عند مكان يقال له «قَطَن»، وهو

(٢٥) ذكر القصة ابن هشام في سيرته ج ٢ ص ١٥ وص ٨٠ ـ ٨١ وذكر مثله ابن الأثير في أسد الغابة وابن حجر في الإصابة.

موضع فيه ماء لبني أسد في نجد، وذلك في سنة أربع من الهجرة.

وكان أبو سلمة قد تماثل للشفاء، فاستدعاه النبي (ص)، وكلّفه قيادة سرية مجاهدة لتشتيت هذا الجيش قبل هجومه، ففرح أبو سلمة بذلك فرحاً شديداً، وعقد له الرسول اللواء، وأرسل معه مائة وخمسين من المؤمنين، وأوصاه بتقوى الله تعالى التي هي حصن المجاهد في سبيل الله، كما أوصاه بمن معه من المسلمين خيراً.

وقال له (ص) : **«أخرج في هذه السرية ، فقد استعملتك عليها ، فسرْ حتى تأتي أرض بني أسد ، فأغر عليهم قبل أن تتلاقى عليك جموعهم»** .

وسارع أبو سلمة بالتنفيذ، وتباعد مع رفاقه عن الطرق المألوفة المطروقة، وتكتم كل ما استطاع من أمره، وواصل المسير ليلاً ونهاراً، لأنه كان حريصاً على أن تسبق خطواته أخباره، حتى يفجأ أعداء الله؛ وحينما بلغ أبو سلمة موطن المهاجمة قسم سريته إلى ثلاثة أقسام، فقسم منها يهاجم الأعداء، وقسم يغير على الإبل والشاء، وقسم يقوم بالحراسة والحماية.

ونجحت الخطة المحكمة، وظل أبو سلمة ورفاقه يهاجمون أعداءهم ويناوشونهم، وينزلون بهم ما يستطيعون من خسائر، ثم يعتصمون بمعاقلهم، ثم يعادون في هجومهم هكذا قرابة شهر.

ثم تلاقى الفريقان في معركة فاصلة، فأعز الله تعالى جنده، وأيد عباده، فنزل الرعب في صدور المشركين، فتفرقوا وهربوا، وخلفوا من ورائهم قدراً كبيراً من الغنم، وعدداً من الأسرى.

ورجع أبو سلمة ورفاقه بكل ذلك إلى رسول الله (ص) ففرح بتوفيقهم في مهمتهم أكثر مما فرح بالغنائم التي عادوا بها.

ولكن جرح أبي سلمة انتكس من جديد، ولم يمكث كثيراً حتى لحق بالرفيق الأعلى..

* * *

ثانياً: الجهاد بالمال

الجهاد يستهلك الكثير من المال، فعجلات التاريخ تسرع الخطىٰ في الحرب، فهي القتال، واتلاف الطاقات والقدرات والأموال.

فمن يؤمن ذلك غير أصحاب المال؟

ثم إن المجاهدين يبذلون أرواحهم، فكيف لا يبذل من يملكون أموالهم؟

يقول الله تعالى: ﴿ومالكم ألّا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير (١٠)، من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم (١١)﴾[٢٦].

ترى.. أي إنفاق أفضل من الإنفاق على المجاهدين الذين يبذلون مهجهم في سبيل الله؟

يقول الله تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبةٍ أنبتت سبع سنابل في كل سنبلةٍ مائة حبّة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾[٢٧].

ويقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وممّا أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمّموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلّا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد﴾[٢٨].

ويقول تعالى: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة﴾[٢٩].

---

(٢٦) سورة الحديد (١٠ ـ ١١).

(٢٧) سورة البقرة (٢٦١).

(٢٨) سورة البقرة (٢٦٧).

(٢٩) سورة النساء (٩٥).

ويقول عن رسول الله وأصحابه: ﴿لكن الرسول والذين معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون﴾[٣٠].

وعاتب الله المخلفين الّذين لم يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم قائلاً: ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾[٣١].

ويقول تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون﴾[٣٢].

وجاء في الحديث أن رسول الله (ص) قال لأحد أصحابه الأغنياء: «إنك رجل من الأغنياء، ولن تدخل الجنّة إلاّ حبواً، فاقرض الله عز وجل يُطلق قدميك».

ولقد كانت خديجة (ع) سيدة المجاهدات، مع أنّها لم تشترك في الحرب، ولم تضرب بالسيف، ولكنها جاهدت بتصديقها لرسول الله، والوقوف معه، وتأييده، وبذل أموالها في سبيل الله وتحمل الأذى من أجل الرّسالة..

❋ ❋ ❋

يقول رسول الله (ص): «من جهّز غازياً بسلك أو ابرة غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر»[٣٣].

ويقول (ص): «من جبن من الجهاد فليجهّز بالمال رجلاً يجاهد في سبيل الله، والمجاهد في سبيل الله إن جهّز بمال غيره فله فضل الجهاد ولمن جهّزه فضل النفقة في سبيل الله وكلاهما فضل والجود بالنّفس أفضل في سبيل الله من الجود بالمال»[٣٤].

---

(٣٠) سورة التوبة (٨٨).
(٣١) سورة التوبة (٨١).
(٣٢) سورة الحجرات (١٥).
(٣٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٤٥ .
(٣٤) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٤٥ .

وسئل أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام عن النّفقة في الجهاد إذا لزم أو استحبّ؟ فقال: «أمّا إذا لزم الجهاد بأن لا يكون بإزاء الكافرين من ينوب عن ساير المسلمين فالنّفقة هناك الدّرهم بسبعمائة ألف، فأمّا المستحبّ الّذي هو قصد الرّجل وقد ناب عليه من سبعة واستغنى عنه فالدّرهم بسبعمائة حسنة، كلّ حسنة خير من الدّنيا وما فيها مائة ألف مرّة»[٣٥].

* * *

ترى. . . من يرزق الأموال؟
ومن يهب النفوس؟
إنّ رازق المال هو الله. وإن خالق النفوس هو الله أيضاً.

إذن. . . لماذا نبخل على الله حين يدعونا لبذل المال في سبيله، وفي سبيل المستضعفين الذين هم في صفّ الله أيضاً.

ولِمَ نهرب من المخاطرة بالنفس من أجل ذلك؟
إنَّ الذي أعطى المال يطالب به. والذي خلق النفس يريد المخاطرة بها.
ولكن هل نفعل؟
يقول الإمام علي (ع):
«لا أموال بذلتموها للذي رزقها؟
ولا أنفس خاطرتم بها للذي خلقها؟
تكرمون بالله على عباده ولا تكرمون الله في عباده (بل تعصونه يوم يطلب منكم بذل المال، والمخاطرة بالنفس من أجله). . . فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم وانقطاعكم عن أوصل (أقرب) إخوانكم»[٣٦].

ويقول رسول الله (ص): «من أعان غازياً بدرهم، فله مثل أجر سبعين دراً من درر الجنة، وياقوتها ليست منها حبة إلا وهي أفضل من الدنيا»[٣٧].

---

(٣٥) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٥٧.
(٣٦) نهج البلاغة خطبة رقم (١١٧).
(٣٧) مستدرك الوسائل: ج ٢ ص ٢٤٥ الباب ٣ من أبواب جهاد العدو ح ٥.

وروي أن رجلاً أعطى رسول الله ناقة مخطومة (أي مزمومة) وقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله (ص): «لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة»[٣٨].

* * *

ثالثاً: الجهاد بمساعدة المجاهدين

حينما تقع المجابهة، فلا بدّ أن تعبىء الأمة كل طاقاتها، حتى يتم الانتصار لجبهة الحق، فيجب أن تتساعد الزنود جميعاً، وأن يضع كل مسلم نفسه في خدمة المعركة..

فهناك حقول كثيرة، غير حقل القتال المباشر نفسه، يجب أن يساهم فيها المؤمنون، لأن النصر حصيلة عوامل كثيرة جداً، والمعركة نتاج ألوف الخطوات. فلا بدّ من العمل بشعار «كل شيء من أجل المعركة» وإلّا فالهزيمة محققة.

إن الجهاد مثل خيمة، لا بدّ أن يساهم كل فرد برفع جانب منها، حتى يتم نصبها، ولا يجوز أن يقول قائل في غيري كفاية إذ لا كفاية لأي فرد في حالة الجهاد..

يقول الإمام علي (ع): «.. المغرور من آثر الضلالة على الهدى... فلا أعرفن أحداً تقاعس وقال: في غيري كفاية فإن الزود (العدد القليل من الإبل) إلى الزود إبل (كثير) ومن لا يزد عن حوضه يتهدّم»[٣٩].

وهكذا فلكل إنسان دوره في الجهاد، فعملية المجابهة بحاجة إلى كل جهد. خاصةً حينما يكون العدو أقوى وأكثر مالاً ورجالاً.. قبل حالات الجهاد الفردي ضد الطاغوت الحاكم..

---

(٣٨) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٥٠٥ الباب ٣٧ ح ١٣٢.
(٣٩) مستدرك نهج البلاغة ص ٤٧.

يقول الإمام علي (ع): وهو يدعو على من يرفض مساعدة المجاهدين، قائلاً:

«اللّهم أيما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة، والمصلحة في الدّين والدّنيا غير المفسدة، فأبى بعد سمعه لها إلّا النكوص عن نصرتك، والإبطاء عن إعزاز دينك، فإنّا نستشهدك عليه بأكبر الشاهدين شهادة، ونستشهد عليه جميع من أسكنته أرضك وسمواتك، ثم أنت بعدُ المُغنى عن نصره والأخذ له بذنبه»[٤٠].

* * *

والمساعدة قد تتخذ شكل المساعدة المالية، وقد تتخذ شكل المساعدة الشخصية، وقد تتخذ شكل الحماية، وقد تكون في مسائل مثل تأمين المسكن، أو تكون بمساعدة عوائل المجاهدين، ورعاية أولادهم.

وكلها ضرورية، حتى يشعر المجاهدون أن الأمّـة تحمي ظهورهم، وتتكفّل بشؤونهم..

يقول رسول الله (ص) : «من بلّغ رسالة غاز ، كان كمن أعتق رقبة ، وهو شريكه في ثواب غزوته»[٤١] .

ويقول الإمام علي (ع): عن دور عائلة المجاهد، وما لهم من الأجر في مساعدته: «كتب الله الجهاد على الرّجال والنساء.. فجهاد الرجل بذل ماله ونفسه، حتى يُقتل في سبيل الله، وجهاد المرأة أن تصبر على ما ترى من أذى زوجها وغيرته»[٤٢]..

رابعاً: الجهادُ بتأييد المجاهدين

نظراً إلى أن الجهاد، عملية يقوم بها المتطوعون من أبناء الأمة فهي لن

---

(٤٠) نهج البلاغة خطبة ٢١٢ ص ٣٢٩ .

(٤١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ١٤ .

(٤٢) الوسائل ج ١١ ص ١٤ باب ٤ من أبواب جهاد العدو ح ١ .

تتم إلّا في أجواء مساندة، فالمجاهدون بحاجة إلى اطمئنان قلبي، وتأييد جماهيري، لكي يقوموا بعملهم وهم واثقون مما يقدمون عليه..

ولهذا فقد حرّم الإسلام، تثبيط العزائم في الجهاد، كما حرّم اغتياب المجاهدين، والغمز واللّمز لهم، واشاعة الحالة السلبيّة تجاههم..

يقول رسول الله (ص): «من اغتاب غازياً، أوَ آذاه، أو خلفه في أهله بخلافة سوءٍ نصب له يوم القيامة عَلَمٌ فيستفرغ بحسناته، ويركس في النار»[٤٣].

ويقول (ص): «إتّقوا أذى المجاهدين في سبيل الله فإنّ الله يغضب لهم كما يغضب للرّسل، ويستجيب لهم كما يستجيب لهم»[٤٤].

❋ ❋ ❋

ثم إن الجهاد باللّسان لا يقتصر على تأييد المجاهدين، وتجنب اتهامهم واغتيابهم، بل يشمل جهاد العدّو بالكلمة الصارخة، والقول الحكيم.. أيضاً..

فالجهاد حالة نفسية، تبتدىء بالقلب، ثم تمر باللسان، ثم باليدين فالقلب المؤمن يرفض الباطل، ويكفر بالطاغوت، ومن القلب إلى اللّسان، ومن اللسان إلى القتال.

إن المؤمنين يحصّنون مجتمعهم بالجهاد بالكلمة، ليمنعوا الطغيان في المهد، كما يحاربونه من الخارج. فلا بد من وقاية المجتمع من الإنحراف والظلم وقطع جذور الطغيان ويتم ذلك عبر طريقين:

الأول: اشاعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الثاني: إطلاق كلمة الحق في مواجهة السلطان الجائر.

يقول الإمام علي (ع):

---

(٤٣) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٥٧.

(٤٤) كنز العمال خبر (١٠٦٦٤).

«الجهاد على أربع شعب: على الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، والصّدق في المواطن، وشنآن الفاسقين.. فمن أمر بالمعروف شدّ ظهر المؤمن، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق، ومن صدق في المواطن قضى الّذي عليه، ومن شنأ الفاسقين وغضب لله عزّ وجلّ غضب الله له»[٤٥]..

ويقول (ع): «جاهدوا في سبيل الله بأيديكم فإن لم تقدروا فجاهدوا بألسنتكم، فإن لم تقدروا فجاهدوا بقلوبكم»[٤٦].

ويقول (ع): «إنّ أوّل ما تقلبون عليه من الجهاد، الجهاد بأيديكم ثمّ بألسنتكم ثمّ بقلوبكم، فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ولم ينكر منكراً، قُلب، فجعل أعلاه أسفله»[٤٧].

ويقول (ع): «إنه من رأى عدواناً يعمل به، ومنكراً يُدعى إليه، فأنكره بقلبه فقد سلم وبرىء. ومن أنكره بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه. ومن أنكره بالسيف ـ لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى ـ فذلك الذي أصاب سبيل الهدى وقام على الطريق، ونوّر في قلبه اليقين»[٤٨].

ويقول: «.. ومِن الناس: المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه فذلك المستكمل لخصال الخير.

ومنهم المنكر بلسانه وقلبه، والتارك بيده، فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير، ومضيّع خصلة.

ومنهم المنكر بقلبه، والتارك بيده ولسانه، فذلك الذي ضيّع أشرف الخصلتين من الثلاث (وهما: الإنكار باللسان واليد) وتمسك بواحدة.

---

(٤٥) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٩٠ .
(٤٦) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٤٩ .
(٤٧) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٨٩ .
(٤٨) نهج البلاغة قصار الحكم حكمه (٣٧٣) .

ومنهم تارك لإنكار المنكر بلسانه، وقلبه ويده، فذلك ميّت الأحياء.

وما أعمال البرّ كلها، والجهاد في سبيل الله، عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلاّ كنفثة في بحرّ لجيّ!

وأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقرّبان من أجل، ولا ينقصان من رزق.

وأفضل من ذلك كلّه كلمة عدل عند إمام جائر»[٤٩].

ويقول رسول الله (ص): «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[٥٠].

ويقول (ص): إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه»[٥١].

والجهاد باللّسان، يشمل الأمور التالية:

(ا) إقامة الحجة على الأعداء.

(ب) دعاؤهم إلى الله ورسالته.

(ج) القيام بالعمل السياسي والإعلامي لصالح المجاهدين.

(د) مقاومة العدو في حربه النفسية.

(هـ) تعبئة طاقات الأمة بالكلمة الصادقة.

(و) توظيف العمل الأدبي والانتاج الفني لصالح المعركة.

(ز) ترويع العدو والزجر لهم..

يقول الله تعالى: ﴿.. ولا ينالون من عدوّ نيلاً إلاّ كُتب لهم به عمل صالح..﴾[٥٢]. ويقول تعالى: ﴿ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين﴾[٥٣].

---

(٤٩) نهج البلاغة قصار الحكم حكمه (٣٧٤).

(٥٠) كنز العمال ج ٤ رقم ١٠٥٧١.

(٥١) كنز العمال خبر (١٠٨٨٥).

(٥٢) سورة التوبة (١٢٠).

(٥٣) سورة الأنفال (٧).

هذا في المجابهة بين الجماعة المؤمنة وأعدائها..

أمّا في مجابهة الفرد المؤمن للعدّو الظالم، فإن **أفضل الجهاد هو كلمة حق أمام سلطان** جائر.

يقول الإمام الباقر (ع): «من مشى إلى سلطان جائر **فأمره** بتقوى **الله، ووعظه وخوّفه** ، **كان له مثل أجر الثقلين من الجن والإنس ومثل أعمالهم**»[٥٤] .

ويقول رسول **الله (ص)** : **«سيد الشهداء حمزة ابن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله ..**[٥٥] .

خامساً: الجهاد بتأمين حاجات الجهاد

إذا كان الجهاد في عصر رسول الله (ص) يتخذ شكل مجابهة جماعية أو فردية بسيطة، فهو اليوم يتخذ شكل مجابهة معقدة جداً..
وبحجم تعقيداتها، تكون حاجاتها أيضاً..

فلقد تطورت البشرية في وسائل القتال، ومن ثم تطورت في أساليبها، وخططها، وطريقة قتالها..

فمثلاً حاجات المجابهة سابقاً كانت تقتصر على تأمين السلاح الأبيض والترس والخوذة، والخيل، وربما المنجنيق للمقاتلين..

أمّا اليوم فتنوع الأسلحة لا يسمح للإنسان بتعدادها، إذ كل يوم هنالك الجديد، وكما في السلاح كذلك في الأساليب والخطط والحاجات..

إن المجابهة اليوم تتخذ شكل مجابهة بالطائرات، والغواصات والصواريخ. والحاجات تتعدى الحاجات الفردية إلى بناء المطارات وتجهيز مواقع الدفاع، والصناعة الحربية، وما إلى ذلك..

---

(٥٤) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٧٥ .
(٥٥) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢٢٥ .

وهناك حاجات خلف الجبهة، وما يرتبط بتعبئة الموارد.. وكلها اليوم ضرورية ويجب الإهتمام بها بشكل جاد وحازم..

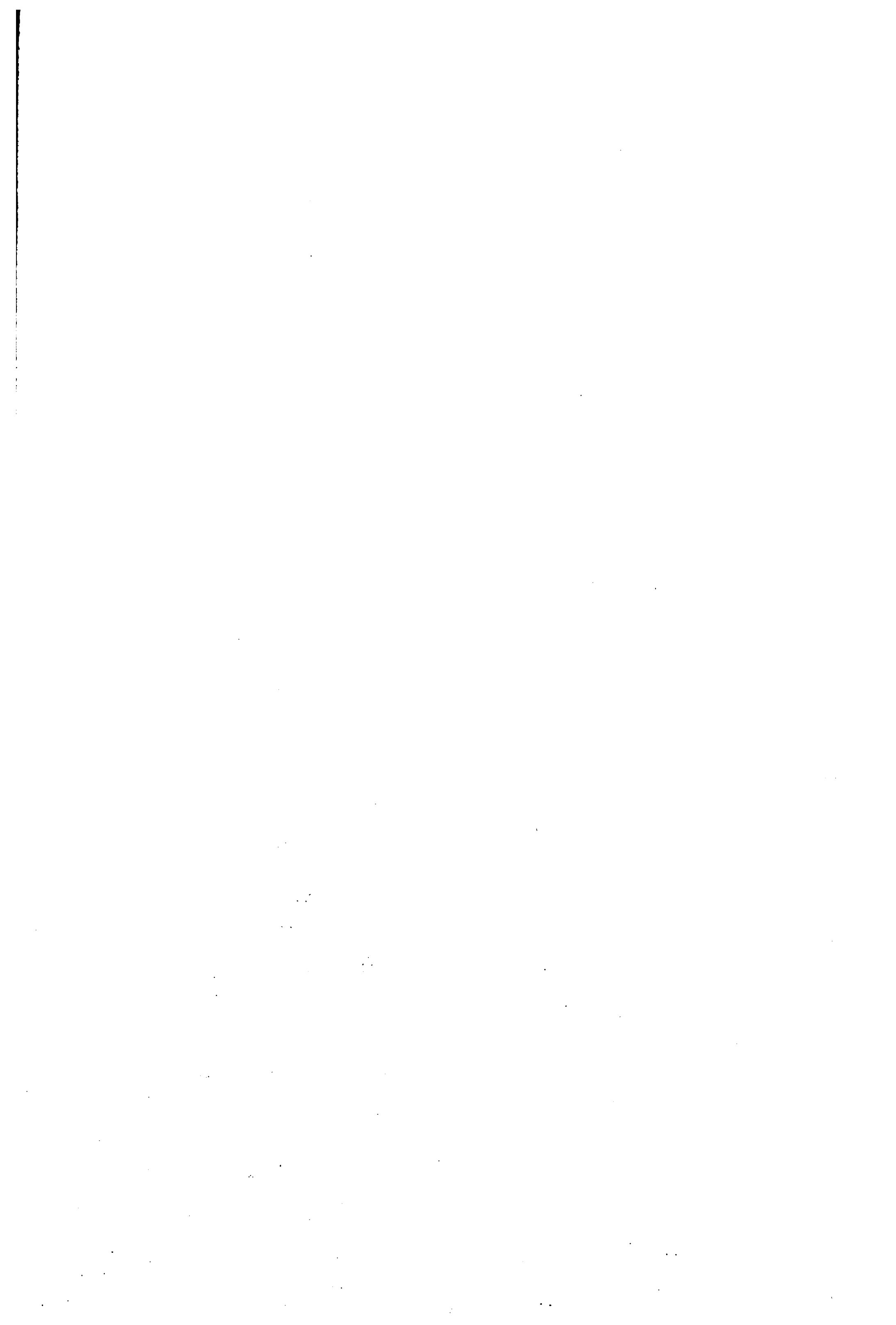
فمن يؤمن ذلك غير أبناء الأمة جميعاً؟

وأي ثواب أعده الله لمن يؤمن حاجات المجاهدين؟

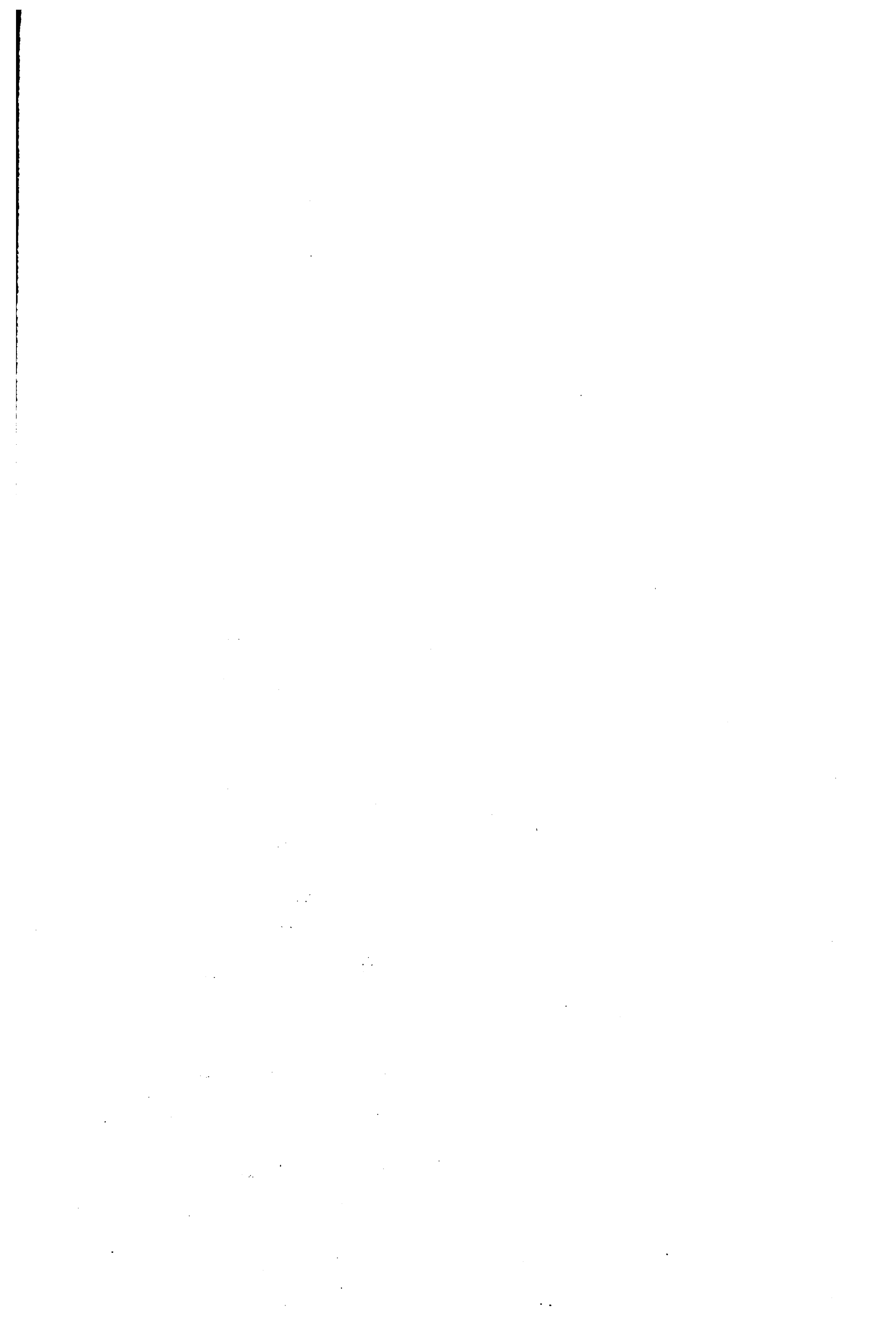
يقول رسول الله (ص): «من جهّز غازياً بسلك، أو إبرة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[٥٦].

---

(٥٦) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٤٥ .



٧
ثواب الجهاد



الأجر على الجهاد

لا يقف الثواب على الجهاد عند حدّ معيّن.

فمجرد أن ينويه الإنسان، يحصل الأجر على نيته، ثم تتنزل عليه ملائكة الله بالثواب على كل خطوة من خطواته، وبالرحمة على كل نقلة من نقلاته. .

وكيف لا. . والمجاهدون يتحملون في سبيل الله أقسى الأهوال، ويقارعون أصعب ما يتصوره الإنسان، كل ذلك من أجل الرسالة، ولمصلحة الآخرين.

ومن هنا كان للجهاد ثوابان.

دنيوي، وأخروي. . أمّا الأول فهو وعد الله للمجاهدين بالغلبة، والنصر.

وأمّا الثاني فوعده لهم بالرحمة والرضوان، وجنة فيها عينان تجريان، فيهما من كل فاكهة زوجان، متكئين على فرش بطانتها من استبرق، وجنى الجنتين دان، فيهن قاصرات الطرف، لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كانهن الياقوت والمرجان، هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

* * *

وفيما يلي، بعض ما ورد في الآيات والروايات عن ثواب الله للمجاهدين في سبيل الله . .

١ ـ المجاهدون أعظم درجة:

يقول الله تعالى: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنىٰ وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً (٩٥)، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً (٩٦)﴾ [1] .

ويقول الله تعالى: ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون (٢٠)، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم، خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم(٢١)﴾[2]

٢ ـ لا يقاس بالجهاد أي عمل:

يقول الله تعالى: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين (١٩)، الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله (٢٠)، وأولئك هم الفائزون (٢١)، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم (٢٢)، خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم﴾ [3] .

٣ ـ ثمن الجهاد غفران السيئات وجنة الله:

يقول الله تعالى: ﴿فاستجاب لهم ربهم إني لا أضيع عمل عاملٍ منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في

---

(١) سورة النساء (٩٥ ـ ٩٦).

(٢) سورة التوبة (٢٠ ـ ٢٢).

(٣) سورة التوبة (١٩ ـ ٢٢).

سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيآتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾[٤].

ويقول رسول الله (ص): «إذا خرج الغازي من عتبة بابه بعث الله ملكاً بصحيفة سيئاته فطمس سيئاته»[٥].

ويقول (ص): «من قاتل في سبيل الله صابراً محتسباً دخل الجنة».

٤ ـ الجهاد تجارة الله مع العباد:

يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم (١٠)، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم (١١)، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم (١٢)، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين (١٣)﴾[٦].

٥ ـ الجهاد بيعة الله مع المؤمنين:

يقول الله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فَيَقْتُلون ويُقْتَلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾[٧].

٦ ـ الجنة وسيوف المجاهدين:

يقول الإمام علي (ع): «الجنة تحت ظلال السيوف»[٨].

ويقول الإمام علي (ع): «الخير كل الخير في ظِل الرماح».

---

(٤) سورة آل عمران (١٩٥).

(٥) مستدرك الوسائل: ج ٢ ص ٢٤٣ الباب ١ من أبواب جهاد العدوح ١٩.

(٦) سورة الصف (١٠ ـ ١٣).

(٧) سورة التوبة (١١١).

(٨) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٥١١.

٧ - دماء المجاهدين مشاعل يوم القيامة:

يقول رسول الله (ص): «من رمى بسهم في سبيل الله فبلغ أخطأ أو أصاب كان سهم ذلك كعدل رقبة من ولد إسماعيل ومن خضبت به شيبة في سبيل الله، كانت له نوراً في القيامة»[٩].

٨ - الترحيب بالمجاهدين، ترحيب بالملائكة:

يقول رسول الله (ص): «من قال لغاز مرحباً واهلاً، حيّاه الله يوم القيامة، واستقبلته الملائكة بالترحيب والتسليم»[١٠].

٩ - الجهاد من أفضل العبادات:

يقول رسول الله (ص): «مقام أحدكم يوماً في سبيل الله أفضل من صلاة في بيته سبعين عاماً»، و«يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه»[١١].

روي أن رجلاً أتى جبلاً ليعبد الله فيه، فجاء به أهله إلى رسول الله (ص) فنهاه عن ذلك، وقال له: «إن صبر المسلم في بعض مواطن الجهاد يوماً واحداً خير له من عبادة أربعين سنة»[١٢].

وعن أبي ذر قال: «قلت لرسول الله (ص) أي الأعمال أفضل؟ فقال (ص) الإيمان بالله والجهاد في سبيله»[١٣].

١٠ - ثواب الصداع في طريق الجهاد:

يقول رسول الله (ص): «إنه قال: أن جبرئيل أخبرني بأمر قرت به عيني وفرح به قلبي، قال: يا محمد (ص) من غزا غزوة في سبيل الله من أمتك فما أصابته قطرة من السماء أو صداع إلا كانت له شهادة يوم القيامة»[١٤].

---

(٩) كنز العمال ج ٤ رقم ١٠٨٥٩.
(١٠) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٤٥ باب ٣ من أبواب جهاد العدو ح ٣.
(١١) كنز العمال ج ٤ رقم ١٠٦٩٥.
(١٢) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٤٥.
(١٣) أمالي الطوسي ص ٥٥١.
(١٤) الوسائل ج ١١ ص ٧ الباب ١ من أبواب جهاد العدو ح ١٠.

١١ ـ غبار الجهاد يصدّ عن النيران:

يقول رسول الله (ص): «من اغبرّت قدماه للجهاد في سبيل الله حرّم الله سائر جسده على النار»[١٥].

ويقول: «لا يجتمع غبار في سبيل الله، ودخان في جهنم»[١٦].

١٢ ـ المجاهد حي عند الله:

قال النبي (ص) لجابر: «إن الله لم يكلم أحداً إلا من وراء حجاب وكلم أباك مواجهة فقال له: سلني أعطك.

قال أسألك أن تردني إلى الدنيا حتى أجاهد مرة أخرى فاقتل.

فقال تعالى: أنا لا أرد أحداً إلى الدنيا، سلني غيرها.

فقال أخبر الأحياء بما نحن فيه من الثواب حتى يجتهدوا في الجهاد لعلهم يقتلون فيجيئون إلينا.

فقال تعالى: أنا رسولك إلى المؤمنين، فانزل: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما أتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم الاّ خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[١٧]»[١٨].

١٣ ـ الجهاد سياحة الأمة:

جاء رجل إلى رسول الله (ص) وقال له: إئذن لي في السياحة فقال النبي (ص): «ان لكل أمة سياحه وسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عزوجل»[١٩].

١٤ ـ من لا يريد الجهاد على شعبة من النفاق:

يقول رسول الله (ص): «من مات ولم يغز، ولم يحدّث نفسه بالغزو مات

---

(١٥) كنز العمال ج ١٥ رقم ٤٣٠٨٦.
(١٦) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٤٣.
(١٧) سورة آل عمران (١٦٩ ـ ١٧٠).
(١٨) مستدرك الوسائل ج ٣ ص ٢٤٣.
(١٩) كنز العمال خبر (١٠٥٢٧).

على شعبة من النفاق»[٢٠].

وفي حديث آخر يقول (ص): «من لقى الله بغير أثر من جهاد لقى الله وفيه ثلمة»[٢١].

١٥ ـ الجهاد خير من الدنيا:

يقول رسول الله (ص): «لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها»[٢٢]، ولموضع قدم أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها.

١٦ ـ عيون المجاهدين لا تبكي يوم القيامة:

يقول رسول الله (ص): «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»[٢٣].

١٧ ـ المجاهد كالقائم في الصلاة والصيام:

يقول رسول الله (ص): «مثل المجاهدين في سبيل الله كمثل القائم القانت لا يزال في صومه وصلاته حتى يرجع إلى أهله»[٢٤].

١٨ ـ درجات المجاهدين:

يقول رسول الله (ص): «يرفع الله المجاهد في سبيله على غيره مائة درجه في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض»[٢٥].

١٩ ـ المجاهدون خير الناس:

يقول رسول الله (ص): «خير الناس رجل حبس نفسه في سبيل الله يجاهد أعداءه يلتمس الموت أو القتل في مصافّة»[٢٦].

---

(٢٠) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٥١٧.
(٢١) كنز العمال خير (١٠٤٩٥).
(٢٢) كنز العمال ج ٤ رقم ١٠٦٩٣.
(٢٣) التّاج ج ٤ ص ٣٣٦.
(٢٤) كنز العمال ج ٤ رقم ١٠٦٥٢.
(٢٥) مستدرك الوسائل: ج ٢ ص ٢٤٤ الباب ١ من أبواب جهاد العدو ح ٣٩.
(٢٦) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٤٤.

٢٠ ـ الجهاد مهر الحور العين:

يقول الإمام أبوعبد الله (ع): «ثلاث من كنّ فيه زوّجه الله من الحور العين كيف شاء: كظم الغيظ، والصّبر على السّيوف لله عزَّ وجلَّ، ورجل أشرف على مال حرام فتركه لله»[٢٧].

٢١ ـ إجعلوا نشاطكم في جهادكم:

في الحديث: «أتى رجل رسول الله (ص) فقال إني راغب نشيط في الجهاد.

فقال (ص): فجاهد في سبيل الله فإنك إن تقتل كنت حياً عند الله ترزق، وإن مت فقد وقع أجرك على الله وإن رجعت خرجت من الذنوب إلى الله، وهذا تفسير ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾[٢٨].

٢٢ ـ الجهاد ذروة الإسلام:

يقول الإمام علي (ع):
«إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ ٱلْمُتَوَسِّلُونَ إِلَىٰ ٱللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ٱلْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَٱلْجِهادُ فِي سَبِيلِهِ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ ٱلْإِسْلَامِ»[٢٩].

٢٣ ـ كل الثواب للمجاهد في سبيل الله:

يقول الإمام عليّ بن الحسين (ع): «بينما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) يخطب النّاس ويحضّهم على الجهاد إذ قام إليه شابٌّ فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن فضل الغزاة في سبيل الله؟

فقال عليٌّ عليه السّلام: كنت رديف رسول الله (ص) على ناقته العضباء ونحن قافلون من غزوة ذات السّلاسل فسألته عمّا سألتني عنه.

فقال: إنَّ الغزاة إذا همّوا بالغزو كتب الله لهم براءة من النّار، فإذا تجهّزوا

---

(٢٧) الوسائل ج ٨ الباب ١١٤ من أبواب أحكام العشرة ح ١٥.
(٢٨) تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٤٠٩.
(٢٩) نهج البلاغة خطبة رقم (١١٠).

لغزوهم باهى الله تعالى بهم الملائكة، فإذا ودَّعهم أهلوهم بكت عليهم الحيطان والبيوت ويخرجون من ذنوبهم كما تخرج الحيَّة من سلخها، ويوكِّل الله عزَّ وجلَّ بهم بكلِّ رجل منهم أربعين ألف ملك يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، ولا يعمل حسنة إلاَّ ضعفت له ويكتب له كلَّ يوم عبادة ألف رجل يعبدون الله ألف سنة كلَّ سنة ثلاث مائة وستون يوماً، واليوم مثل عمر الدَّنيا.

وإذا صاروا بحضرة عدوِّهم انقطع علم أهل الدُّنيا عن ثواب الله إيّاهم.

فإذا برزوا لعدوّهم وأشرعت الأسنَّة وفوِّقت السِّهام وتقدَّم الرَّجل إلى الرَّجل حفَّتهم الملائكة بأجنحتهم ويدعون الله لهم بالنَّصر والتثبيت، فينادي مناد: الجنَّة تحت ظلال السّيوف. فتكون الطعنة والضربة على الشهيد أهون من شرب الماء البارد في اليوم الصَّائف.

وإذا زال الشهيد عن فرسه بطعنة أو ضربة لم يصل إلى الأرض حتَّى يبعث الله عزَّ وجلَّ زوجته من الحور العين فتبشِّره بما أعدَّ الله له من الكرامة، فإذا وصل إلى الأرض تقول له:

مرحباً بالرُّوح الطيِّبة الّتي أُخرجت من البدن الطيِّب، أبشر فإنَّ لك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ويقول الله عزَّ وجلَّ: أنا خليفته في أهله ومن أرضاهم فقد أرضاني ومن أسخطهم فقد أسخطني.

ويجعل الله روحه في حواصل طير خضر تسرح في الجنَّة حيث تشاء تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلّقة بالعرش، ويعطي الرَّجل منهم سبعين غرفة من غرف الفردوس. [ما بين صنعاء والشام يملأ نورها ما بين الخافقين في كلِّ غرفة سبعون باباً على كلِّ باب] سبعون مصراعاً من ذهب على كلِّ باب ستور مسبلة، في كلِّ غرفة سبعون خيمة في كلِّ خيمة سبعون سريراً من ذهب قوائمها الدّر والزبرجد موصولة بقضبان من زمرّد على كلِّ سرير أربعون

فرشاً غلظ كلِّ فراش أربعون ذراعاً، على كلِّ فراش زوجة من الحور العين عرباً أتراباً.

فقال الشابُّ: يا أمير المؤمنين أخبرني عن العربة؟ قال: هي الغنجة الرضيّة المرضيّة الشهيّة لها سبعون ألف وصيف وسبعون ألف وصيفة صفر الحليّ بيض الوجوه عليهم تيجان اللؤلؤ، على رقابهم المناديل بأيديهم الأكوبة والأباريق.

وإذا كان يوم القيامة يخرج من قبره شاهراً سيفه تشخب أوداجه دماً، اللّون لون الدَّم والرّائحة رائحة المسك يخطو في عرصة القيامة.

فوالّذي نفسي بيده لو كان الأنبياء على طريقهم لترجّلوا لهم لما يرون من بهائم حتّى يأتوا إلى موائد من الجواهر فيقعدون عليها.

ويشفع الرَّجل منهم سبعين ألفاً من أهل بيته وجيرته، حتَّى أنَّ الجارّين يختصمان أيّهما أقرب فيقعدون معه ومع إبراهيم على مائدة الخلد فينظرون إلى الله تعالى في كلِّ بكرة وعشية»[٣٠].

٢٤ ـ المجاهد في ضمان الله:

يقول رسول الله (ص): «من خرج في سبيل الله مجاهداً فله بكل خطوة سبعمائة ألف حسنة، ويمحى عنه سبعمائة ألف سيئة، ويرفع له سبعمائة ألف درجة.

وكان في ضمان الله بأي حتف مات كان شهيداً، وإن رجع رجع مغفوراً له مستجاباً دعاؤه»[٣١].

٢٥ ـ الجهاد خلاص من الهموم:

يقول رسول الله (ص): «جاهدوا في سبيـل الله القريب والبعيـد في الحضر

---

(٣٠) البحار ٩٧ ص ١٢ ح ٢٧.
(٣١) الوسائل: ج ١١ ص ١٢ ح ٢٧.

والسفر، فإن الجهاد باب من أبـواب الجنة وأنـه ينجي صاحبـه من الهم والغم»[٣٢].

٢٦ ـ الله يباهي بالمجاهدين:

يقول رسول الله (ص): «إن الله عز وجل يباهي بالمتقلد سيفـه في سبيل الله ملائكته، وهم يصلّون عليه ما دام متقلده»[٣٣].

٢٧ ـ الصلاة مع السلاح أفضل:

يقول رسول الله (ص): «صلاة الرجل متقلداً بسيفه تفضل على صلاته غير متقلّد بسبعمائة ضعف»[٣٤].

٢٨ ـ المجاهدون قادة أهل الجنة:

يقول رسول الله (ص): «حملة القرآن عرفاء أهل الجنة والمجاهدون في سبيل الله قوادها والرسل سادة أهل الجنة»[٣٥].

٢٩ ـ حسنات المجاهدين لا تحصى:

يقول رسول الله (ص): «كل حسنات بني آدم تحصيها الملائكة إلا حسنات المجاهدين فإنهم يعجزون عن علم ثوابها»[٣٦].

٣٠ ـ الجهاد باب الجنة:

يقول الإمام علي (ع): «أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصته وأوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجُنته الوثيقة»[٣٧].

يقول الحديث الشريف: «عليكم بالجهاد في سبيل الله مع كل إمام

---

(٣٢) عوالي اللآلي ج ١ ص ٨٨ ح ٢٠.
(٣٣) كنز العمال خبر (١٠٧٨٧).
(٣٤) كنز العمال خبر (١٠٧٩١).
(٣٥) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٧٧.
(٣٦) مستدرك الوسائل: ج ٢ ص ٢٤٣ الباب ١ من أبواب جهاد العدو ح ١٧.
(٣٧) نهج البلاغة خطبة رقم (٢٧).

عادل. فإن الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة»[٣٨].

ويقول رسول الله (ص) للجنة باب يُقال له: «باب المجاهدين، يمضون إليه فإذا هو مفتوح، وهم متقلدون بسيوفهم، والجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم»[٣٩].

٣١ ـ الجهاد عماد الدين وعزّه:

يقول الإمام علي (ع): «الجهاد عماد الدين، ومنهاج السعداء»[٤٠].
ويقول: «فرض الله الجهاد عزاً للإسلام»[٤١].

٣٢ ـ الجهاد أفضل ما توسل به المتوسلون:

يقول الإمام علي (ع):
«إن أفضل ما توسل به المتوسلون (للتقرب) إلى الله: سبحانه وتعالى: الإيمان به وبرسوله، والجهاد في سبيله، فإنّه ذروة الإسلام»[٤٢]!

٣٣ ـ دعاء المجاهدين مستجاب:

يقول رسول الله: «لما دعى موسى وهارون ربّهما. قال الله: قد أجيبت دعوتكما، ومن غزا في سبيلي استجبت له، كما استجبت لكما إلى يوم القيامة»[٤٣].

٣٤ ـ السلاح لباس التقوى.

يقول الإمام علي بن الحسين (ع) في تفسير قوله تعالى: ﴿ولباس التقوى﴾ قال: التقوى: «لباس السلاح في سبيل الله»[٤٤].

---

(٣٨) كنز العمال ج ٤ رقم ١٠٥٩٠.
(٣٩) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٩.
(٤٠) غرر الحكم.
(٤١) غرر الحكم رقم ٦٦٨٨.
(٤٢) نهج البلاغة خطبة رقم (١١٠).
(٤٣) نوادر الراوندي: ص ٢٠ وفي ترتيب نوادر الراوندي: ص ٩٤ ح ٥.
(٤٤) الدعائم ج ١ ص ٣٤٤.

٣٥ ـ إبراهيم الخليل أول المجاهدين:

يقول الإمام علي (ع):
أوّل من جاهد في سبيل الله إبراهيم (ص) أغارت الرّوم على ناحية فيها لوط (ع) فأسروه فبلغ ذلك إبراهيم (ص) فنفر فاستنقذه من أيديهم، وهو أول من عمل الرّايات عليه أفضل السّلام[٤٥].

٣٦ ـ الجهاد من أركان الإيمان:

يقول الإمام علي (ع): «للإيمان أربعة أركان: الصبر، واليقين والعدل والجهاد»[٤٦].

٣٧ ـ اغزوا تغنموا..

يقول رسول الله (ص): «سافروا تصحّوا، واغزوا تغنموا، وحجّوا تستغنوا»[٤٧].

٣٨ ـ رسول الله نبيّ السيف:

عن علي بن إبراهيم قال: العلة في تنحيّ النبيَّ (ص) عن قريش أنَّ النبيَّ (ص) كان نبيَّ السّيف، والقتال لا يكون إلاَّ بأعوان فتنحَّى حتَّى وجد أعواناً ثمَّ غزاهم[٤٨].

٣٩ ـ السيف سلطان المؤمنين:

يقول زيد بن علي (ع): «في قوله تعالى: ﴿واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً قال يعني السيف»[٤٩].

---

(٤٥) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٦٦.
(٤٦) نهج البلاغة قصار الحكم حكمه رقم (٣).
(٤٧) كنز العمال خبر (١٧٤٧١).
(٤٨) البحار ج ٩٧ ص ٤٣ ح ٥٤.
(٤٩) البحار ج ٩٧ ص ١٤ ح ٣٠.

٤٠ ـ الجهاد وصية رسول الله لأمته:

يقول رسول الله (ص): «أُوصي أُمّتي بخمس بالسَّمع والطاعة والهجرة والجهاد والجماعة، ومن دعا بدعاء الجاهليّة فله حثوة من حثي جهنَّم»[٥٠].

٤١ ـ القليل في الجهاد كثير:

يقول رسول الله (ص): «من ختم له بجهاد في سبيل الله، ولو قدر فواق ناقة (أي بمدة حلب الناقة) دخل الجنة»[٥١].

٤٢ ـ أجود الناس من جاد بنفسه:

يقول رسول الله (ص): «أجود الناس من جاد بنفسه وماله في سبيل الله»[٥٢].

٤٣ ـ السهم في الجهاد كعتق رقبة من ولد إسماعيل:

يقول رسول الله (ص): «من رمى بسهم في سبيل الله فبلغ، أخطأ أو أصاب كان سهمه ذلك كعدل رقبة من ولد إسماعيل، ومن خرجت به شيبة كانت له نوراً في القيامة»[٥٣].

٤٤ ـ الجهاد فلاح:

يقول الله تعالى: ﴿وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون﴾[٥٤].

٤٥ ـ الغزو يورث المجد:

يقول رسول الله: «إغزوا تورثوا أبناءكم مجداً»[٥٥].

---

(٥٠) البحار ج ٩٧ ص ١٥ ح ٣٨.
(٥١) مستدرك الوسائل ج ٣ ص ٢٤٢.
(٥٢) البحار ج ٩٧ ص ١٥ ح ٣٧.
(٥٣) عوالي اللآلي ج ١ ص ٨٤ ح ١٠.
(٥٤) سورة المائدة (٣٥).
(٥٥) الوسائل ج ١١ ص ٩ الباب ١ من أبواب جهاد العدو ح ١٦.

٤٦ ـ السهم في الجهاد يدخل ثلاثة في الجنة:

يقول رسول الله(ص): إلا أن الله عز وجل ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة في الجنة: عامل الخشبة، والمقوي به في سبيل الله، والرامي به في سبيل الله»(٥٦).

٤٧ ـ إذا ترك الجهاد جاء العذاب:

يقول رسول الله (ص): «مجاهدة العدو فرض على جميع الأمّة، ولو تركوا الجهاد لأتاهم العذاب»(٥٧)

ويقول (ص): «من ترك الجهاد ألبسه الله ذلاًّ في نفسه وفقراً في معيشته، ومحقاً في دينه»(٥٨).

ويقول الإمام علي (ع): «إنفروا ـ رحمكم الله ـ إلى قتال عدوكم، ولا تثاقلوا إلى الأرض فتقرّوا بالخسف، وتبؤُّوا بالذل، ويكون نصيبكم الأخس»(٥٩).

ويقول (ع): «من تركه الجهاد رغبةً عنه، ألبسه الله ثوب الذّل، وشمله البلاء، ودُيّث بالصغار، والقماءة، وضرب على قلبه بالأسداد، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف ومنع النصف»(٦٠).

٤٨ ـ لا شيء أفضل من خطوة في جهاد:

يقول الحديث الشريف: «ما من قدم أحب إلى الله من خطوة يتم بها زحفاً في سبيل الله»(٦١).

٤٩ ـ الجهاد من أحب الأمور إلى الله:

يقول رسول الله (ص): «إن أحب الأعمال إلى الله عز وجل الصلاة والبرّ

---

(٥٦) وسائل الشيعة ج ١١ ص ١٠٧.
(٥٧) البحار ج ٩٧ ص ٢٣ ح ١٥.
(٥٨) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٨.
(٥٩) نهج البلاغة كتاب رقم (٦٢).
(٦٠) نهج البلاغة خطبة رقم (٢٧).
(٦١) البحار ج ٩٧ ص ١٤ ح ٣١.

والجهاد»[٦٢].

٥٠ - في الجهاد كل الفضائل:

يقول الإمام علي (ع): «إن الجهاد أشرف الأعمال بعد الإسلام، وهو قوام الدين والأجر فيه عظيم، مع العزّة والمنعة وهو الكرّة فيه الحسنات والبشرى بالجنة بعد الشهادة، وبالرزق غداً عند الرب والكرامة»[٦٣].

٥١ - السيف رداء المجاهد:

يقول الإمام علي (ع): «السيوف أردية المجاهدين»[٦٤].

٥٢ - السيوف تردع المناكر:

يقول الإمام علي (ع): «السيف فاتق، والدّين راتق، فالدين يأمر بالمعروف، والسيف ينهى عن المنكر[٦٥]، قال الله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾[٦٦].

٥٣ - في ترك الجهاد ذل:

يقول زيد بن علي (ره): «ما كره قوم حرّ السيف إلاّ ذلوا».

٥٤ - الجهاد زكاة البدن.. وزكاة الشجاعة:

يقول الإمام علي (ع): «زكاة البدن الجهاد»[٦٧].

ويقول (ع): «زكاة الشجاعة الجهاد في سبيل الله»[٦٨].

---

(٦٢) الوسائل ج ١١ ص ١٢ الباب ١ من أبواب جهاد العدو ح ٢٨.
(٦٣) تفسر نور الثقلين ج ١ ص ٤٠٨.
(٦٤) كنز العمال ج ٤ ص ٢٩٩.
(٦٥) غرر الحكم.
(٦٦) سورة البقرة (١٧٩).
(٦٧) غرر الحكم رقم ٥٥٣٥.
(٦٨) غرر الحكم.

٥٥ ـ ما يتبقى بعد الجهاد أقوى وأنمى:

يقول الإمام علي (ع): «بقية السيف أنمى عدداً وأكثر ولداً»[٦٩].

٥٦ ـ الجهاد المتواصل مطلوب:

روي عن رسول الله (ص) أنه قال: «لولا أن أشق على أمتي، ما قعدت (ما استرحت) خلف سرّية، ولوددت أن أُقتل في سبيل الله، ثم أحيا ثم أُقتل، ثم أحيا ثم أُقتل»[٧٠].

٥٧ ـ الجهاد حرفة رسول الله (ص):

يقول النبي (ص): «إن لي حرفتين اثنتين: الفقر والجهاد» (وربما يعني من الفقر الإنفاق في سبيل الله حتى يفتقر)[٧١].

٥٨ ـ الجهاد يمنع نزول البلاء:

يقول الإمام علي (ع): «ثلاثة إن أنتم فعلتموهن لم ينزل بكم بلاء: جهاد عدوّكم، وإذا دفعتم إلى أئمتكم حدودكم فحكموا فيها، ما لم يتركوا الجهاد. .»[٧٢].

٥٩ ـ من ترك الجهاد فهو ميت الأحياء:

يقول الإمام علي (ع): «من ترك إنكار المنكر بقلبه ولسانه ويده فهو ميت بين الأحياء»[٧٣].

---

(٦٩) غرر الحكم.
(٧٠) كنز العمال ج ٤ رقم ١٠٥٣٦.
(٧١) مستدرك الوسائل: ج ٢ ص ٢٤٣ الباب ١ من أبواب جهاد العدو ح ٢١.
(٧٢) مستدرك الوسائل: ج ٢ ص ٢٤٢ الباب ١ من أبواب جهاد العدو ح ٧ والجعفريات: ص ٢٤٥.
(٧٣) التهذيب ج ٦ ص ١٨١ ح ٢٣ والبحار: ج ٩٧ ص ٩٤ ح ٩٦.

٨
أخلاقيات الجهاد

لا تكمن البطولة في القدرة على القتل، بمقدار ما تكمن في القدرة على التحكم بالنفس في القتال..

ولا تكمن الرجولة في الثبات على الموقف في ميدان المعركة، بمقدار ما تكمن في الثبات على المبدأ في ساحة الصراع..

ولا تكون البسالة في حمل السلاح في وجه الأعداء بمقدار ما تكون في حمل قلب مفعم بالرحمة والعطاء..

فأخلاقيات المجاهدين هي التي تميزهم عن غيرهم، وتجعل قدرتهم الأساسية في رسالتهم، لا في أسلحتهم..

وقوتهم في إنسانيتهم، لا في زنودهم.
وعظمتهم في قيمهم، لا في فتوحاتهم.

فالذين يحملون رسالة الخير للناس، هم أقدر المقاتلين على إحراز النصر، لأنهم أقدر الناس على كسب الناس..

فالنصر يقوم على قائمتين من الصفات:

إحداهما تشمل التربية العسكرية والإقدام على التضحية واتقان فنون القتال، والثبات في مواطن البأس..

والثانية تشمل التربية الأخلاقية والتمسك بمبادىء الفروسية والالتزام بالمثل الإنسانية وهي التي تمنع صاحبها من الضلال والطغيان. .

إن جند الله تحارب بالأخلاق، وتنتصر بالفضائل، وتتخذ من القيم العليا وسائل للنصر. . بينما جند الشيطان تقاتل بالسلاح وتنتصر بالمصالح وتتخذ من التفوق في القوى وسائل للنصر.

ولقد شهد التاريخ أن الأخلاق، التي تمّتع بها المسلمون كالعفة والاستقامة والطهر وتقوى الله كانت من أقوى الأسلحة في كسبهم للمعارك. .

يقول منتغمري ـ قائد قوات الحفاء في الحرب العالمية الثانية ـ «إن المسلمين كانوا يُستقبلون في كل مكان يصلون إليه كمحرّرين للشعوب من العبودية، وذلك لما اتسموا به من تسامح وإنسانية وحضارة، فزاد إيمان الشعوب بهم، علاوة على تميزهم في نفس الوقت بالصلابة والشجاعة في القتال، وقد ظلت جميع المناطق التي فتحها المسلمون في القرن السابع حتى يومنا هذا ـ ما عدى أسبانيا ـ تحتفظ بالإسلام، وكذلك بالعادات والتقاليد والتراث الإسلامي».

ويقول «الكونت هنري كاستري»: «إن المسلمين إمتازوا بالمسالمة وحرية الأفكار في المعاملات، ومحاسنة المخالفين، وهذا ما يحملنا على تصديق ما قاله «روبنون»: إن أتباع محمد هم وحدهم الذين جمعوا بين المحاسنة ومحبة انتشار دينهم، وهذه المحبة هي التي دفعت المسلمين في طريق الفتح، فنشر القرآن جناحيه خلف جيوشه المظفرة، ولم يتركوا أثراً للعسف في طريقهم إلّا ما كان لا بد منه في كل حرب وقتال».

ويقول «جوستاف لوبون»: «إن القوة لم تكن عاملاً في نشر القرآن، وأن العرب تركوا المغلوبين أحراراً في أديانهم، فإذا كان بعض النصارى قد أسلموا واتخذوا العربية لغة لهم، فذلك لما كان يتصف به المسلمون الغالبون، من ضروب العدل الذي لم يكن للناس بمثله عهد، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم تعرفها الأديان الأخرى، وقد عاملوا كل قطر استولوا عليه بلطف عظيم. . والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل المسلمين».

إن مبادىء الإسلام وأخلاقهم، كانت أقوى أسلحة المواجهة بين قوى الإسلام من جهة، وقوى الجاهلية من جهة أخرى وكثيراً ما كان المسلمون يكسبون المعارك من دون أن يجردوا أسلحتهم، بهذا السبب.

وهذا ما يكشفه موقف جعفر بن أبي طالب وكلامه، أمام النجاشي قبل أن يهاجر المسلمون إلى المدينة، ويشرع لهم القتال..

ذلك أنهم هاجروا إلى الحبشة، هروباً من طغيان قريش عليهم، فأرسلت قريش وفداً في محاولة لإعادتهم إلى مكة ليعذبوهم من جديد، والتقى الوفد بالنجاشي، وطلب منه إعادة المسلمين لهم، فأرسل النجاشي إلى أصحاب رسول الله، فلما جاؤوا قال لهم ـ «ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني، ولا دين أحد من هذه الملل».

فقال له جعفر بن أبي طالب: «أيها الملك.. كنا قوماً أهل جاهلية.. نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويُ منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه، وصدقه وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله، لنوحدَّه ونعبُدَه، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان.. أمرنَا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدّقناه وآمّنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده، ولم نشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومُنا فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليَردُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك».

وهكذا ربح المسلمون المعركة مع الكفار، ورفض النجاشي أن يسلمهم لهم..

إن تلك الصفات التي تحدث عنها جعفر بن أبي طالب (ع) كانت رسالة الخير التي حملها المسلمون على مشارف سيوفهم ورماحهم، وانتصروا بها. .

هذا مقوقس عظيم القبط، بعث رسلاً إلى جيش المسلمين، فبقوا يومين عندهم، ولما عادوا إليه، سألهم:

ـ كيف رأيتم المسلمين؟

فقالوا له: «رأينا الموت أحبّ إلى أحدهم من الحياة».

«والتواضع أحب إليهم من الرفعة». .

«ليس لأحدهم في الدنيا رغبة، ولا نهمة، وإنما جلوسهم على التراب، وأكلهم على ركبهم، وأميرهم كواحد منهم. . لا يُعرف رفيعُهم عن وضيعهم، ولا سيدُهم عن عبدهم. . وإذا حضرت عبادتهم الصلاة، لم يتخلف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء، ويخشعون في صلاتهم». .

فقال المقوقس: «والذي يحلف به. . لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد».

وهذا كسرى عظيم الفرس يُرسل رسوله مع هدايا إلى ملك الصين يطلب منه النجدة والعون لمواجهة المسلمين بعد هزيمته منهم فيقول ملك الصين لرسول كسرى.

ـ «قد عرفت أن من حق الملوك على الملوك مساعدتهم، على مَن غلبهم فصف لي صفة هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم، فإني أراك تذكر أنهم قلة وأنكم كثرة، ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذين تصف منكم فيما أسمع من كثرتكم إلّا لِخير عندهم، وشرٍّ فيكم».

فقال رسول كسرى: سلني عمّا أحببت.
فقال ملك الصين: أيوفون بالعهد؟
قال رسول كسرى: نعم. .
فقال ملك الصين: «وماذا يقولون لكم قبل أن يقاتلونكم»؟

قال رسول كسرى: «يدعوننا إلى واحدة من ثلاثة: إمّا قبول دينهم، فإن أجبناهم أجرونا مجراهم. . أو الجزية. . أو المنابذة».

فقال ملك الصين: «فكيف طاعتهم لأمرائهم»؟
قال رسول كسرى: «هم أطوع قوم لمرشدهم». .
فقال ملك الصين: «فما يحلّلون. . وماذا يحرّمون»؟

فأخبره رسول كسرى عما كان يعرف من ذلك.

فقال ملك الصين ـ «أيحرّمون ما حُلّل لهم، أو يحلّلون ما حُرّم عليهم»؟

قال رسول كسرى ـ «لا».

فقال ملك الصين: «هؤلاء قوم لا يُهلكون أبداً حتى يُحلّوا حلالهم، ويحرّموا حرامهم».

ثم كتب ملك الصين كتاباً إلى كسرى عظيم الفرس يقول له فيه: «إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوّله بمرو، وآخره بالصين: الجهالة بما يحق عليّ. . ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك صفتهم لو يحاولون الجبال لهدّوها، ولو خليّ سربهم أزالوني ما داموا على ما وُصف، فسالمهم وأرض منهم بالمساكنة، ولا تهجهم ما لم يهجوك».

* * *

وهذا هرقل عظيم الرّوم، يسأل جيشه المنهزم ـ وهو على انطاكية ـ قائلاً:

ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم، أليسوا بشراً أمثالكم؟
فقالوا: «بلى». .
فقال لهم: «أنتم أكثر أم هم»؟
فقالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل مواطن.
فقال: فما بالكم تنهزمون؟

فقال شيخ من عظمائهم: «من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم، ومن

أجل أنّا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام وننقض العهد ونغصب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عما يرضي الله ونفسد في الأرض».

فقال هرقل: «صدقت»!

إن تلك الأخلاق هي التي دفعت الأمم الأخرى إلى استقبال المسلمين أينما حلّوا، وحببتهم إلى الناس، وخذلت عنهم الأعداء، فهي التي دفعت بأهل حمص، إلى البكاء والنحيب حينما غادرهم الجيش الإسلامي إلى اليرموك، وجعلتهم يغلقون أبواب مدينتهم في وجه الروم.. وهي التي دفعت بأهل سمرقند إلى أن يتمنوا انتصار جيوش المسلمين.. وهي التي دفعت الألوف من أهل الأندلس إلى الإنضمام في جيش طارق بن زياد.. وهي التي دفعت شعوب جنوب شرقي آسيا، وبلاد أفريقيا إلى الدخول في الإسلام من غير قتال...

وهذه الأخلاقيات هي التي يجب أن يتصف بها المجاهدون في كل زمان، وكل مكان..

وفيما يلي بعض الأخلاقيات التي يجب أن يتصف بها المجاهدون، وهي على نوعين:

الأول: الأخلاقيات التي بدونها لا يكون المقاتل مجاهداً، مثل التقوى والإخلاص..

الثاني: الأخلاقيات التي بدونها لا يكون الجهاد في سبيل الله بمستوى: «حق جهاده» وهي الصفات التكميلية للمجاهدين.. مثل الإلتزام بالعبادات المستحبة، والكرم والإحسان واحترام العدّو..

* * *

وإليكم التفاصيل:

التقوى:

بالإضافة إلى أن التقوى هي وصية كل الأنبياء، وهدف كل الرّسالات،

فإن التقوى للمجاهدين هي محور أعمالهم، وبدونها لن يحوزوا هداية الله، ورضوانه..

يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفّر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾[1].

كما أنهم لن يحوزوا نصرة الله بدون التقوى:

يقول تعالى: ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يُمددكم ربّكم بخمسة آلاف من الملائكة مُسَومين﴾[2].

والتقوى كذلك عزيمة في الأمور:

يقول تعالى: ﴿.. لتُبلَونّ في أموالكم وأنفسكم وَلتَسمَعُنَّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾[3].

والتقوى حصن المجاهدين.

يقول الإمام علي (ع): «اعلموا عباد الله.. إن التقوى دار حصن عزيز، والفجورَ دارُ حصن ذليل، لا يمنع أهله، ولا يُحرز من لجأ إليه»[4].

ويقول: «من أخذ بالتقوى غربت عنه الشدائد بعد دنوها»[5].

ويقول: «إن التقوى في اليوم الحرز، والجُنّة، وفي غد الطريق إلى الجنَّة»[6].

وفي الحقيقة فإن التقوى بالنسبة إلى المجاهدين هي دعوتهم الأولى، وبها يصمدون، كما أنهم بها لا يعتدون، ومن يحمل السلاح هو أحوج الناس

---

(١) سورة الأنفال (٢٩).

(٢) سورة آل عمران (١٢٥).

(٣) سورة آل عمران (١٨٦).

(٤) نهج البلاغة خطبة رقم (١٥٧).

(٥) نهج البلاغة خطبة رقم (١٩٨).

(٦) نهج البلاغة خطبة رقم (١٩١).

إليها، حتى لا ينحرف عن القيم..

من هنا كان من وصايا الإمام علي (ع) لقادة جنده قوله: «إتق الله الذي لا بدّ لك من لقائه، ولا منتهى لك دونه، ولا ينتهي عملك إلّا إليه وحده»[٧].

* * *

وهنا قد يتساءل البعض: ما هي التقوى؟ وما هي أخلاقيات المتقين؟

ويجيب على ذلك الإمام علي (ع) في خطبته المعروفة في وصف المتقين فيقول فيها.. بعد أن يصف الدنيا:

«فالمتقون فيها هم أهل الفضائل، منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزّلت في الرخاء، ولولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب، عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، صبروا أياماً قصيرة، أعقبتهم راحة طويلة، تجارة مربحة يسّرها لهم ربهم، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها.

أما الليل فصافّون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتلونها ترتيلا، يحزّنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواء دائهم، فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً وظنوا أنها نصب أعينهم، وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم، فهم حانون على أوساطهم، مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم، يطلبون إلى الله

---

(٧) نهج البلاغة كتاب رقم (١٢).

تعالى في فكاك رقابهم.

وأما النهار فحلماء علماء أبرار أتقياء قد براهم الخوف بري القداح، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض، ويقول: لقد خولطوا وقد خالطهم أمر عظيم، لا يرضون من أعمالهم بالقليل، ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون، إذا زكيّ أحد منهم خاف مما يقال له فيقول: (أنا أعلم بنفسي من غيري وربي أعلم بي مني بنفسي، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني أفضل مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون).

فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين، وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً في علم، وعلماً في حلم، وقصداً في غنى، وخشوعاً في عبادة، وتجملاً في فاقة، وصبراً في شدة، وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى، وتحرجاً عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل، يمسي وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر، يبيت حذراً، ويصبح فرحاً، حذراً لما حذر من الغفلة وفرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة، إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب، قرة عينه فيما لا يزول، وزهادته فيما لا يبقى، يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل، تراه قريباً أمله، قليلاً زلله، خاشعاً قلبه، قانعة نفسه، منزوراً أكله، سهلاً أمره، حريزاً دينه، ميتة شهوته، مكظوماً غيظه، الخير منه مأمول، والشر منه مأمون، إن كان في الغافلين كتب في الذاكرين، وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين، يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، بعيداً فحشه، ليناً قوله، غائباً منكره، حاضراً معروفه، مقبلاً خيره، مدبراً شره، في الزلازل وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه، لا يضيع ما استحفظ، ولا ينسى ما ذكر، ولا ينابز بالألقاب، ولا يضار بالجار، ولا يشمت بالمصائب، ولا يدخل في الباطل، ولا يخرج من

الحق، إن صمت لم يغمه صمته، وإن ضحك لم يعل صوته، وإن بغي عليه صبر، حتى يكون الله هو الذي ينتقم له، نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة، أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه، بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة، ودنوه ممن دنى منه لين ورحمة، ليس تباعده بكبر وعظمة، ولا دنوّه بمكر وخديعة»[٨].

إن التقوى، بذلك هي روح العلاقات الصائبة مع قضايا الحياة كلها..

يقول الإمام علي (ع): «وإني لمن قوم لا تأخذهم في اللهِ لومة لائم. سيماهم سيما الصدِّيقين، وكلامهم كلام الأبرار. عُمّار اللّيل ومَنَار النهار، متمسكون بحبل القرآن، يُحيون سنن الله وسنن رسوله، لا يستكبرون، ولا يعلون ولا يَغُلُّون ولا يفسدون. قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل..»[٩].

الإخلاص:

بدون الإخلاص لن يكون الجهاد،تجارةَ الصالحين مع ربّهم، إذ لا يكون حينئذٍ «في سبيل الله»، وهو الشرط الأساسي للجهاد.. امّا النصر فهو منحة الله إن شاء أعطى وإن شاء منع.

يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم (١٠)، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون (١١)، يغفر لكم ذنوبكم ويُدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم (١٢)، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين (١٣)﴾[١٠].

والمجاهدون يجب أن يبيعوا أنفسهم لمرضاة الله، وليس لأي شيء آخر.

---

(٨) نهج البلاغة خطبة رقم (١٩٣).
(٩) نهج البلاغة خطبة رقم (١٩٢).
(١٠) سورة الصف (١٠ ـ ١٣).

يقول الله تعالى: ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾[11].

فالقتال إذا لم يكن لمرضاة الله فهو في سبيل الشيطان، وليس جهاداً..

يقول الله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدّون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط﴾[12].

لقد سأل أحد الصحابة رسول الله (ص) عن الجهاد والغزو، فقال له رسول الله (ص): «.. يا عبد الله! إن قاتلتَ صابراً محتسباً بعثك الله صابراً محتسباً، وإن قاتلتَ مرائياً مكاثراً بعثك الله مرائياً مكاثراً».

نكـران الذات:

لا يكون بطلاً إلا من يذوب في أهدافه، ويغامر بكل ما يملك من أجل تحقيقها، فلا يفترض لنفسه ذاتية منفصلة عن ذاتية الأهداف..

فمن يريد شيئاً كبيراً لا بد أن يملك قلباً كبيراً وهمةً عالية، ونكران ذات يحمه..

فالبطل يبحث عن الأفعال، لا عن انتسابها إليه، ويستهدف الحقيقة، لا الشكر عليها.

إن المجاهد، يبحث عن ثواب الله، ولا يعطي له ذلك إلّا إذا جعل ما عند الله محوراً لأعماله، وهدفاً لمواقفه، وجزاءاً على تضحياته لا يريد من أحد جزاء ولا شكوراً وواضح أن الله يعطي الثواب على العمل إذا كان خالصاً لوجهه، ومن دون أن يطلب الفاعل شيئاً من الناس..

يقول الله تعالى: ﴿.. تريدون عَرضَ الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم﴾[13].

---

(١١) سورة البقرة (٢٠٧).

(١٢) سورة الأنفال (٤٧).

(١٣) سورة الأنفال (٦٧).

ولأن الله يريد الآخرة، فقد جعل الثواب على الأعمال التي يريدها العباد، للثواب الأخروي. .

يقول تعالى: ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾[14].

ويقول: ﴿فمن الناس من يقول ربّنا آتنا في الدنيا، وما له في الآخرة من خلاق﴾[15].

وفي الحقيقة، فإن من يخوض الجهاد لا بدّ أن ينوي التقرب إلى الله، إذ من الممكن أن يُستشهد في هذا الطريق، وحينئذٍ يخسر الدنيا. والآخرة معاً ذلك هو الخسران المبين.

فإذا أنكر الذات كان له نصيب عند الله، ومن أراد الذكر، أو السمعة، أو المغنم، لم يكن له إلاّ ما أراد. .

يقول تعالى: ﴿. . ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين﴾[16].

وإذا عرفنا أن الدنيا والآخرة ضرتان لا تجتمعان، وهما ككفتي الميزان كلما ارتفعت إحداها نزلت الأخرى، فهذا يعني أن من يريد الدنيا فهو لن يحصل على الآخرة، فإذا خاض أحد الجهاد من أجل مغنم ماديّ فهو قد يحصل عليه، وقد لا يحصل، ولكنه حتماً سيحرم من أجر الآخرة. .

ويروى في هذا المجال: إن أحد صحابة رسول الله (ص) قتل في إحدى الغزوات، وحينما أخبر بذلك رسول الله (ص) قال: «هذا شهيد الحمار»، حيث أن الرجل كان قد قاتل لكي يحصل على حمار كان لأحد المشركين. .

وفي مورد آخر قتل أحدهم، فقال عنه رسول الله (ص): «هذا شهيد أم

---

(١٤) سورة الشورى (٢٠).
(١٥) سورة البقرة (٢٠٠).
(١٦) سورة آل عمران (١٤٥).

جميل» حيث كان يستهدف من جهاده حيازة امرأة في معسكر المشركين اسمها «أم جميل».

ومن هنا فقد جاء رجل إلى رسول الله (ص) فقال له: «يا رسول الله، أرأيت رجلاً يلتمس الأجر والذكر، أي يطلب الأجر من الله والسمعة لدى الناس ما له؟

فقال رسول الله (ص): «لا شيء له».

فأعادها الرجل ثلاث مرات.

فقال النبي (ص): «لا شيء له، إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً، وابتغى به وجهه»[17].

وكذلك جاء رجل إلى رسول الله (ص) فقال:

إني أقف الموقف أريد وجه الله، وأريد أن يُرى موطني..

فانتظر رسول الله (ص) في الرد حتى نزل قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾[18].

* * *

ومن أروع ما يُنقل في إنكار الذات ما حدث للمسلمين في فتح أحد الحصون حيث يذكر التاريخ أن مسلمة بن عبد الملك كان أميراً على جيش من جيوش المسلمين، وكان يحاصر حصناً من الحصون استعصى عليهم فلم يفتحوه، فحرّض الأمير جندَه على التضحية والإقدام. حتى يحدثوا في ذلك الحصن ثغرة، وينقبوا فيه نقباً، فتقدم من عرض الجيش رجل ملثم غير معروف، ودفع بنفسه إلى الحصن غير مبال بالموت، وأحدث فيه ثغرة كانت سبباً في سقوط الحصن، ودخل الجيش المسلم فيه، ففرح مسلمة كثيراً، ونادى:

أين صاحب النقب؟

---

(١٧) كنز العمال ج ٣ رقم ٥٢٨١.

(١٨) سورة الكهف (١١٠).

فلم يأته أحد، فنادى مرة أخرى قائلاً:

إني أمرت حاجبي بإدخاله عليَّ ساعة يأتي، فعزمت (أي حلفت) عليه إلّا جاء.

وكان يريد أن يخصه بشيء من الغنائم والتكريم.

فجاء رجل ملثم إلى حاجب مسلمة، وقال له:

استأذن لي على الأمير.

فقال له الحاجب: أأنت صاحب النقب؟

فقال: أنا أدلكم عليه، وأخبركم عنه.

فدخل الحاجب واستأذن للرجل على الأمير فلما مثل المجاهد بين يدي مسلمة قال له:

أيها الأمير، إن صاحب النقب يشترط عليكم ثلاثاً: ألا تبعثوا باسمه في صحيفة إلى الخليفة، وألّا تأمروا له بشيء، وألّا تسألوه من هو.

فقال مسلمة: ذلك له.

فقال الرجل في استحياء: أنا صاحب النقب. ثم ولى مسرعاً.

فكان مسلمة لا يصلي بعد ذلك صلاة إلّا دعا فيها، فقال: اللهم اجعلني مع صاحب النقب يوم القيامة!

* * *

وفي الحقيقة فإنّ الذين صنعوا جلائل الأعمال، وقادوا وسادوا كانوا من الذين يتنكرون لأنفسهم، ولا يفخرون بأعمالهم، بل يبتغون وجه ربّهم الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً، والذي يعلم السر والنجوى..

يقول تعالى: ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن إتقى﴾[١٩].

إن المجاهد يُقاتل بمنطق «البائع» لا بمنطق «المشتري» فهو يجاهد في سبيل الله لكي يعطي لا لكي يأخذ..

---

(١٩) سورة النجم (٣٢).

يقول الله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾.

ثم يضيف ربنا في صفات هؤلاء قائلاً:

﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشرّ المؤمنين﴾(٢٠).

الإيثـــار:

يقول تعالى عن الأنصار ﴿والذين تبوّءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبّون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجةً مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾(٢١).

إن أروع أنواع الشجاعة، هي إيثار المجاهد إخوانه على نفسه كما فعل أولئك النفر الذين جرحوا في إحدى المعارك، جاءه الساقي، قال: أخي أظمأ منيّ، فحوّله الثاني، وهو حوّله إلى الثالث، وهو بدوره إلى الرابع. فلما ذهب الساقي إلى الرابع كان الروح، فرجع إلى الثالث فكان هو الآخر قد أسلم الروح، وهكذا أسلموا الأرواح جميعاً ولم يشربوا الماء..

وقد شهد بروح الايثار هذه بعض أعداء الإسلام، حيث سأل رجل من أصحاب «طليحة» في حروب الردة، قائلاً: «ويلكم ما يهزمكم»؟.

فقال: «أنا أحدثك ما يهزمنا، إنه ليس رجل منّا إلاّ وهو يُحبّ أن يموت صاحبه قبله.. وإنا لنلقي قوماً كلهم يحبّ أن يموت قبل صاحبه».

---

(٢٠) سورة التوبة (١١٢).

(٢١) سورة الحشر (٩).

روح الزهد:

الزهد يعني التحرّر بمعناه الشامل.
فالمتحررّون من ضغط الشهوات. . .
المتمرسون على تحمل الشدائد. . .
الذين يأنسون بالجهاد. كما تأنس الأم بأطفالها. . .

الذين يخافون الله إلى حدّ البكاء من خشيته، ويمتنعون عن الطعام ـ زهداً ـ إلى حد الهزال. ويدعون ربهم إلى حد جفاف الشفاه. . .

الذين على وجوههم غبرة الخاشعين، فلا يريدون في الأرض علواً، ولا فساداً. . .

هؤلاء هم القادرون على تحرير الأرض والإنسان، والذين تعقد بهم الآمال لإنقاذ الأمة.

هذا ما يقوله الإمام علي (ع) وهو يبحث عنهم، ويتحسر على مفارقته لهم:

«أين القوم الذين دُعُوا إلى الإسلام ، فقبلوه ، وقرأوا القرآن فأحكموه ؟ ، وهُيَجُوا إلى الجهاد فولهوا (عشقوا إليه) ، ولَه اللِّقاح (الناقة) إلى أولادها ؟ وسَلَبوا السيوف أغمادَها ، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً ، وصفاً صفاً ؟ ، بعضٌ هلك ، وبعض نجا ، لا يُبشّرون بالأحياء (فلا يهمهم إذا سلم أصحابهم في الحرب) ولا يُعزَّونَ عن الموتى (لا يتأثرون من موت أصحابهم) . مُرهُ العيون من البكاء . خمص (ضمر) البطون من الصيّام . ذبل الشفاه من الدعاء . صفر الألوان من السهر . على وجوههم غيرة الخاشعين . ، أولئك إخواني الذاهبون فحق لنا أن نظمأ إليهم ، ونعض الأيدي على فراقهم»[٢٢] .

---

(٢٢) نهج البلاغة خطبة رقم (٢١) .

. . وفي وصفه للمجاهدين حق الجهاد، الذين يتحملون أقسى الظروف ويبالغون في عبادة الله من جهة، ومقاتلة العدو من جهة أخرى، يقول الإمام علي (ع) لواحد من صحابته المقربين واسمه نوف الشامي.

«شيعتي - يا نوف - الذبل الشفاه، الخمص البطون (من الزهد). رهبان في الليل، أسد في النهار (عند مقاتلة العدو). إذا جنّهم الليل اتزّروا على الأوساط، وارتدوا على الأطراف، وصفّوا الأقدام، وافترشوا الجباه (سجوداً). وإذا تجلى النهار فحلماء (يتحملون كل قساوة) علماء أبرار أتقياء. اتخذوا الأرض بساطاً، والماء طيباً، والقرآن شعاراً.

(وفي ظروف الكفاح السري) أن شهدوا (المجالس) لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، إن رأوا مؤمناً أكرموه، وإن رأوا فاسقاً هجروه، شرورهم مأمونة (لأنهم لا يعملون طمعاً في شيء) وقلوبهم محزونة (تحمل آلام الأمة) وحوائجهم خفيفة (فليسوا ثقيلي الظل) وأنفسهم عفيفة (لا تحنّ إلى الشهوات) اختلفت منهم الأبدان (فهم متفرقون ظاهراً) ولم تختلف القلوب (الأهداف والعمل من أجلها)»[٢٣].

* * *

إنّ المجاهدين يجب أن يكونوا كأسلافهم الذين جاهدوا ليس للمغانم بل لأداء الواجب، فاستهانوا بكل زخارف الدنيا. . كما يذكر التاريخ عن مواجهة المسلمين لجيوش الفرس.

فقد طلب قائد الفرس «رستم» مقابلة أحد المسلمين، فأرسل إليه «ربعي بن عامر» فدخل عليه، وكان مجلس رستم قد زُيّن بالنمارق المذهبة، والزرابى (الطنافس) الرفيعة، والمزينة باللآليء الثمينة والزينة العظيمة، وكان

---

(٢٣) كما في البحار: ج ٦٥ ص ١٩١ ح ٤٧.

على (رستم) تاجه المرصع بالجواهر وكان قد جلس على سرير من ذهب ودخل (ربعي) بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة ولم يزل راكبها حى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه فقال رستم له: ضع سلاحك.

فقال: إني لم آتكم بنفسي وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلاَّ رجعت.

فقال رستم: إئذنوا له.

فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق بدون اعتناء بما يصيب تلك النمارق من الرمح.

فقال له رستم: ما جاء بكم؟

فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفنى إلى موعود الله.

قال رستم: وما موعود الله؟

قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقى.

فقال رستم: قد سمعت مقالتكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟

فقال: نعم كم أحبُّ إليكم: يوم أو يومان؟

قال: لا، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا.

فقال: ما سنّ لنا رسول الله (ص) أن نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل.

فقال رستم: أسيدهم أنت؟

قال: لا، ولكن المسلمين كالجسد الواحد. . يجير أدناهم على أعلاهم.

فاجـتمع رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم قط أعزّ وأرجح من كلام هذا الرجل؟

فقالوا: معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتبيع دينك إلى هذا الرجل، أما ترى إلى ثيابه؟

فقال: ويلكم لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والسيرة.. إن المسلمين يستخفون بالثياب والمأكل ويصونون الأحساب».

وبهذه الروح تم النصر للمسلمين على الفرس..

* * *

ويذكر التاريخ أيضاً عن ابن عباس أنه قال:

دخلت على أمير المؤمنين (ع) بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذه النعل؟

فقلت: لا قيمة لها.

قال (ع): والله لهي أحبّ إليّ من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً.

ثم خرج (ع) فخطب الناس فقال:

«إن الله بعث محمداً (ص) وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدعي نبوة، فساق الناس حتى بوّأهم مَحلَّتهم وبلغهم منجاتهم فاستقامت قناتهم واطمأنت صفاتهم، أما والله إن كنت لفي ساقتها حتى تولت بحذافيرها ما عجزتُ ولا جبنتُ. وإن مسيري هذا لمثِلها فلانقُبَّن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه»(٢٤).

وهكذا فإن أكثر الناس زهداً أكثرهم قدرة على الجهاد ومنازلة الأعداء وأقدرهم على انتزاع النصر. يقول الإمام علي (ع):

«كان لي فيما مضى أخ في الله، كان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه، وكان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد، وكان أكثر دهره صامتاً، فإن قال بذَّ القائلين (أي كفهم عن القول) ونفعهم ونقع غليل السائلين، وكان ضعياً مستضعفاً، فإن جاء

---

(٢٤) نهج البلاغة خطبه رقم (٣٣).

الجد فهو ليثُ غاب وصلُّ واد، لا يدلي بحجة حتى يأتي قاضياً، وكان لا يلوم أحداً على ما يجد العذر في مثله حتى يسمع اعتذاره، وكان لا يشكو وجعاً إلا عند برئه، وكان يقول ما يفعل، ولا يقول ما لا يفعل، وكان إذا غُلب على الكلام لم يغلب على السكوت، وكان على ما يسمع أحرص منه على أن يتكلم، وكان إذا بدَهَهُ أمران نظر أيهما أقرب إلى الهوى فيخالفه. فعليكم بهذه الخلائق فالزموها وتنافسوا فيها فإن لم تستطيعوها فاعلموا أن أخذ القليل خير من ترك الكثير»[٢٥].

* * *

لقد صدق من قال: «إن الجهاد وحبّ الدنيا وكنوزها، لا يلتقيان» فمن أراد الآخرة، فلا بد أن ينسى شيئاً اسمه الدنيا، ومن أراد الجهاد فلا بد أن ينسى شيئاً اسمه المغانم..

وما من موقع تطلع فيه المجاهدون إلى المغانم، إلا وأصيبوا بهزيمة نكراء، ابتداء بمعركة أحد، حيث ترك الرماة مواقعهم ليصيبوا الغنيمة، وانتهاء بآخر معارك المسلمين في التاريخ..

ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما حدث للمسلمين في معركة «بواتييه» أو ما يسمى في تاريخنا بمعركة «بلاط الشهداء» فقد كان عدد المسلمين سبعين ألفاً، بقيادة عبد الرحمن الغافقي، الذي عبر بهم جبال «البرنية» في أوائل عام ١١٤ هـ بعد أن احتفل في «بُنبلونه» باعداد حملته، ففتح مدينة «آرل» ثم «بُردال» مسجلاً بذلك نصراً رائعاً على جيوش الفرنجة بقيادة «الدوق أودو»، ثم واجه القوى النصرانية في فرنسا، وانهزم المسلمون في المعركة وكان السبب الرئيسي للهزيمة تطلع المسلمين إلى الدنيا.. ذلك أن المسلمين كانوا قد جمعوا أثناء زحفهم غنائم كثيرة من المدن التي مرّوا بها قبل المعركة الفاصلة، فكانوا يجرون معهم قوافل محملّة بالغنائم والأسلاب من كل صنف، وكانوا حريصين عليها فكان هذا الحرص هو العامل الرئيسي لهزيمتهم، لأن العدوّ

---

(٢٥) نهج البلاغة قصار الحكم حكمه رقم (٢٨٩).

استشعر ذلك وعرف كيف يستغله لصالحه.

فقد تفوق المسلمون على أعدائهم في بداية المعركة، ثم حدث أن اندفعت فرقة من الأعداء خلف الصفوف حيث كان المسلمون يودعون غنائمهم، فخشي الكثير منهم أن يستولوا على الغنائم، فتراجعوا وعادوا إلى الخلف ليبعدوا الأعداء عن مغانمهم، وبذلك اضطربت صفوف المسلمين، واتسعت الثغرة التي نفذ منها الفرنجة، ودار قتال عنيف بينهما، وكلما حاول «عبد الرحمن» أن يصرف المسلمين عن الغنائم لم يوفق، وأصابه سهم أودى بحياته وكان ذلك نذير شؤم، إذ إنهال الأعداء على المسلمين من كل جانب وأصابوهم بالهزيمة.

ولقد كانت معركة بلاط الشهداء، معركة حاسمة في تاريخ العالم كله، فلو انتصر فيها المسلمون، لسادوا فرنسا وغرب أوروبا كلها ولكان القرآن يدرس في جامعاتهم اليوم ـ كما يقول المؤرخون ـ .

غير أن التطلع إلى الدنيا أوقع الهزيمة بالمسلمين، وأضرّ بمصائرهم لقرون طويلة..

الشجاعــة:

الشجاعة شجاعتان:

شجاعة إتخاذ القرار، وشجاعة تنفيذ القرار..

في النوع الأول، لا بدّ أن يعرف المجاهدون أن القتال إذا نشب، فلا يجوز الانتظار حتى يتحرك العدو، فإن من لا يسبق الحرب، تسبقه الحرب وتسحقه..

وفي هذا المجال يُروى أنه كان للإمام علي (ع) وال جبان على الكوفة، يخاف أن يتخذ قرار التصدي لأهل الجمل، وكان ينتظر أن تذوب المشاكل والأزمات بمرور الزمن...

وكانت الدواهي العظيمة عنده، لا تعني شيئاً، ما دامت تنتظر منه الحركة والقرار الشجاع.

فقد طلب منه الإمام أن يعبّىء أهل الكوفة للحرب، ولكنه تباطأ، وفلسف تباطؤه، بأنها قضية هينة، تنتهي!

فما كان من الإمام إلاّ أن أرسل إليه رسالة ساخنة جاء فيها:

«. . . أمّا بعد.

فقد بلغني عنك قول هو لك و. . . عليك! فإذا قدم عليك رسولي فارفع ذيلك، واشدد مئزرك (استعد للحرب) واخرج من جحرك، واندب من معك.

فإن حقّقت (وأخذت جانب حق السلاح) فانفذ وإن تفشلتَ (وجبنت) فابعُد. .

وايم الله (ما دمت جباناً) لتؤتين حيثُ أنت، ولا تترك (إن تركت السلاح) حتىٰ يُخلط زبدك، بخاثرك، وذائبتك بجامدك (فتنقلب رأساً على عقب) وحتى تُعجل عن قِعدتك (ويمنعك عن الجلوس على كرسي الحكم والولاية) و(عن ذلك) تحذر من أمامك كحذرك من خلفك، وما هي بالهوينا التي ترجو (ليست المسألة سهلة كما تحب تصويرها) ولكنها الداهية الكبرى يركب جملها، ويذلّ صعبها، ويسهل جبلها، فاعقل عقلك (قيّد عقلك بالعزيمة) وأملك أمرك، وخذ نصيبك وحظّك.

فإن كرهت فتنحّ إلى غير رحب ولا في نجاة! فبالحرَّي لتكفّين وأنت نائم (فنحن نكفيك القتال، ونظفر فيه وأنت خامل لا اسم لك) حتى لا يقال: أين فلان؟

والله إنّه لحق مع محق، ولا يبالي مع صنع الملحدون. والسلام»[٢٦].

وفي النوع الثاني: لا بدّ من أن تكون شجاعة المؤمنين من أندر أنواع الشجاعة، وأعظمها، نظراً إلى إيمانهم بالله، وحبهم للمغامرة في سبيله يقول

---

(٢٦) نهج البلاغة كتاب رقم (٦٣).

تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾[27]. وكيف يخاف من العدو من يخاف الله؟ وكيف يحزن من يكون أمله بالله؟ ثم كيف يكون جباناً من يجاهد من أجل القيم العليا والمثل الإسلامية.

يقول الإمام علي (ع): «على قدر الحميّة تكون الشجاعة»[28].

ويقول (ع): «معالجة النِزال تظهر شجاعة الأبطال»[29].

ويقول (ع): «الشجاعة نصرة حاضرة، وفضيلة ظاهرة»[30].

* * *

يذكر المؤرخون أن السملمين كانوا يخاطرون بأنفسهم، ويقومون بأعمال خارقة في سبيل الله حتى أنهم لما أرادوا محاربة كسرى في المدائن، كان الفاصل بينهم دجلة، فتحيروا فيما يعملون، لكنهم أخيراً خاضوا بخيولهم في هذا النهر الواسع العميق وكان بعضهم يتحدث مع بعض وكأنهم سائرون على البر ولما رآهم الفرس من الجانب الثاني من النهر قال بعضهم لبعض (ديوان آمدند). يعني جاء الجن والعفاريت والغيلان، ثم كانوا يقولون (ديوانگان ديوانگان). يعني هؤلاء المسلمون مجانين وكان سلمان الفارسي يساير سعداً في الماء فجعل سعد يقول:

(حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرنّ الله وليه، وليظهرنّ الله دينه، وليهزمنّ الله عدوه إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات.

فقال له سلمان: إن الإسلام جديد ذُللت لهم والله البحور كما ذُللّ لهم البر، أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجاً كما دخلوا أفواجاً).

ثم خرج جميعهم من الماء لم يغرق منهم أحد، وكان بعضهم يركبون خيولهم وبعضهم يسبحون في الماء بدون خيول، ومراد سلمان بقوله (إن

---

(٢٧) سورة يونس (٦٢).

(٢٨) غرر الحكم.

(٢٩) غرر الحكم رقم ٩٨٩٥.

(٣٠) غرر الحكم حكمه (١٥٢).

الإسلام جديد) أنه فتى قوة وجدة وليس هرماً وشيخاً لا يتمكن من التغلب على الصعاب، وكان الأمر كما قال سلمان رضوان الله عليه.

وقد روى المؤرخون: إن المسلمين بلغهم أن (هرقل) نزل بـ (مآب) في مائة ألف من الروم، ومائة ألف من المتعربة ـ وهم العرب الـذين اعتنقوا النصرانية ـ وكان المسلمون لا يزيدون على ثـلاثة آلاف، ولمـا بلغ ذلك المسلمين أقاموا على (معان) ـ وهي قرية في الطريق ـ ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا نكتب إلى رسول الله (ص) نخبره بعدد عدونا فاما أن يمدنا بالرجال واما أن يأمرنا بأمر فنمضي له.

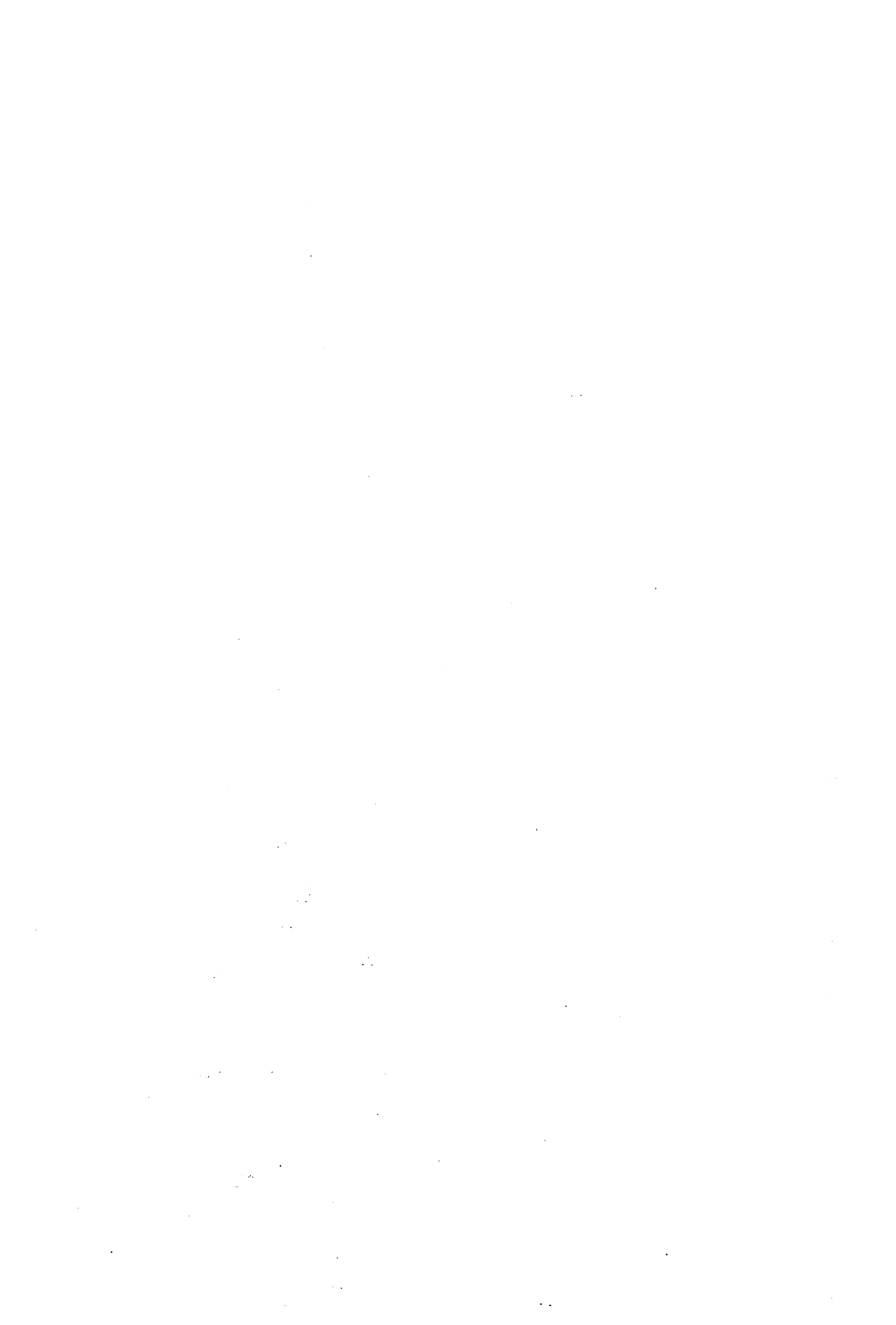
قالوا: فشجع الناس عبدالله بن رواحة وقال: (يا قوم والله ان التي تكرهون للتي خرجتم له.. إنكم خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة إنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين أما ظهوراً واما شهادة).

فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة ومضوا.

وهذه هي شجاعة التنفيذ التي يجب أن يتمتع بها كل مجاهد في سبيل الله عز وجل.

الشجاعة لا تـهتز وأن الإمام الحسين فـي كربلاء فهذه رسل القوم إليكم يقول أحدهم: كنتُ واقفاً نحو الحسين وهو يجود بنفسه فواللهِ ما رأيت قتيلاً قط مضمخاً بدمه أحسن منه وجهاً ولا أنور ولقد شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله.

٩
عقبات في طريق الجهاد



للجهاد صورتان: صورة مشرقة، وأخرى مؤسفة. .

في الأولى تتراءى صورة الشهامة والبطولة، وصورة العزة والقوة، وصورة الغلبة والانتصار، وصورة الكرامة والغنائم، وصورة الخلاص ورحمة الله. .

وفي الثانية تتراءى صورة القتلى والجرحى، وصورة الهلاك والدمار، وصورة الأرامل والأيتام.

وما بين الصورتين يقف الفرد حائراً، تتنازعه الرغبة في السلامة من جهة، والطموح إلى الانتصار من جهة أخرى. . وكثيراً ما يختار الأولى لأن التنازل عن الثانية أسهل من التنازل عن الأولى. .

ولكـــن:

أولاً: إن الخيار بين الجهاد، وترك الجهاد، هو تماماً مثل الخيار بين العزة والذلة، وبين الخير والشر، وبين الحرية والاستعباد. .

ففي الجهاد رحمة الله. .

وفي تركه عذاب الله. .

يقول رسول الله (ص) «جاهدوا تورثوا أبناءكم مجداً»[1].

---

(١) الوسائل: ج ١١ ص ٩ الباب ١ من أبواب جهاد العدو ح ١٦.

ويقول (ص): «ما ترك قوم الجهاد، إلّا عمّهم الله بعذاب»[٢].

فالخيار ليس بين أن نحصل على شيء أو نخسره، لنختار القناعة ونؤثر السلامة..

بل الخيار بين أن نحصل على كل شيء، أو نخسر عزتنا وكرامتنا وحريّتنا وتاريخنا.. وأنفسنا أيضاً.. وهو يعني خسارة كل شيء أيضاً.

ثانياً: إن الصورتين المشرقة، والمؤسفة، ليستا لشيء واحد، بل المؤسفة هي صورة مشاكل الطريق، بينما الصورة المشرقة هي صورة للنتائج.

صحيح أنّ الجهاد مقرون في أذهان الكثيرين بمنظر الدماء والدموع والجثث والآلام والمشاكل، ولكن كل ذلك هي الأخطار الكامنة في الطريق.
ولا يجوز أبداً أن تمنعنا عقبات الطريق من رؤية النتائج..

لا يجوز أن نكون مثل بعض الأطفال الذين يمتنعون عن الذهاب إلى المدرسة لما يعانونه من مشاكل في الدراسة، ولا يرون النتائج المشرقة المترتبة على تحملهم للمشاكل في البداية، ثم يعانون أضعافاً منها بسبب الأميّة فيما بعد..

إن النتائج دائماً هي الحكم في المسائل.. وليست عقبات الطريق..
وكل من يتطلع إلى نتائج الجهاد يرى كل شيء من أجلها سهلاً..
فحجم النتائج هنا لا يقاس أبداً، بحجم صعوبات الوسائل..
فمن يفهم معنى الحرية يكون مستعداً لدفع ثمنها..
ومن يفهم معنى الانتصار يسترخص من أجله كل شيء.
ومن يفهم معنى رحمة الله لن يهتم بما يلاقيه من أخطار..

ثالثاً: إن «الرؤية الدنيّوية» للأمور هي التي تقارن بين الصورتين المشرقة والمؤسفة، بينما لو استخدمنا «الرؤية الإيمانية» لما رأينا في الجهاد إلّا الخير.

---

(٢) البحار: ج ٩٧ ص ٢٣ ح ١٥.

فالقتيل هنا شهيد، والجريح مغفور له، والمنتصر صاحب المجد. ﴿قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنين﴾ ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودّون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يُحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين﴾، فمن يجاهد في سبيل الله لا يرى فيه إلّا الخير. .

ولهذا فقد قالت زينب بنت علي (ع) جواباً على كلام يزيد لها: «كيف رأيت صنع الله بك؟ فقالت: «ما رأيت منه إلّا جميلاً».

رابعاً: إن الصورة المؤسفة للجهاد، ليست حتمية. فليس كل من يشترك في الجهاد يُقتل. . وليس كل من لم يشترك يسلم. وليست الأمّة المتخاذلة حتماً أحسن حالاً من الأمة المجاهدة. . وليس المقاتلون بشجاعة أسوأ حالاً من المتخاذلين. .

يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرةً في قلوبهم والله يحيي ويُميت والله بما تعملون بصير (١٥٦) ، ولئن قُتلتم في سبيل الله أو مُتّم لمغفرةٌ من الله ورحمةٌ خير مما يجمعون (١٥٧) ، ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون (١٥٨)﴾ [٣] .

ويقول: ﴿الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قُتلوا قل فادرأوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾[٤].

ويقول الإمام علي (ع): «إقتحموا الموت فرب جريء كتبت له السلامة، ورب جبان لقى حتفه في مكمنه. إن المجاهدين قد باعوا أرواحهم واشتروا الجنة». .

صحيح أن اقتحام الموت أصعب، ولا أحد يحبذه، ولكن من قال إن كل ما هو صعب هو شرّ ومكروه؟

---

(٣) سورة آل عمران (١٥٦ ـ ١٥٨).

(٤) سورة آل عمران (١٦٨).

يقول الله تعالى: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾[5].

فمن قال أن «الكره» الشخصي و«الحب» الشخصي هو ميزان المصالح والمفاسد؟

كم هي الأشياء التي نكرهها، لصعوباتها، وكلها خير وبركة؟

وكم هي الأشياء التي نحبها، للذاتها، وكلها شر، وخسارة؟

يقول الله تعالى: ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلّا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً (٦٦)، وإذاً لآتيناهم من لدنّا أجراً عظيماً (٦٧)، ولهديناهم صراطاً مستقيماً (٦٨)﴾[6].

* * *

ثمّ: إن مجرد «الكره» للقتال، لا يعني أننا سنُقتل في الجهاد.. ونموت.

إن رسول الله قاد بنفسه أكثر من عشرين حرباً وغزوة وسرية خلال عشر سنوات، ومع ذلك لم يُقتل في المعركة..

والإمام علي (ع): خاض أكثر من ستين حرباً وغزوة وسرية، ومع ذلك فلم يقتل في المعركة أيضاً.

وفي غزوة أحد، وبعد أن أوقع المشركون الهزيمة بالمسلمين، وهرب الجميع وقف مع رسول الله (ص) سبعة هم علي، والزبير، وأبو دجانة، والحارث بن الصمة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف، وأخذوا يفدونه بأنفسهم ويقاتلون دونه، ويتلقون السهام والسيوف والرماح بأجسادهم، ومع ذلك فلم يُقتل منهم أحد، وعاشوا جميعاً.

فكيف يظن كل من يريد خوض الجهاد، أنه شخصياً سيُقتل، أو يؤسر أو يجرح؟

---

(٥) سورة البقرة (٢١٦).

(٦) سورة النساء (٦٦ ـ ٦٨).

إن الله تعالى هو الذي يتخذ الشهداء، ويختارهم إليه، ومن كرامة المؤمن على الله أن يفد عليه شهيداً. . إلاّ أن ذلك ليس حتماً مقضياً لكل المجاهدين. .

فكم من مواقف صعبة مرّ بها المؤمنون، ولم يصب فيها أحد بُرعاف، ولا جرح فيها أحد، ولا أصابهم ضمأ أو مخمصة. .

وإليكم قصة واحدة منها:

في غزوة الحديبية، حيث منع المشركون رسول الله وصحابته من اداء العمرة، أرسل رسول الله عثمان بن عفان إلى مكة للتفاوض، وأشيع أنّه قد قتل، فطلب رسول الله من صحابته البيعة مجدداً. .

وكان أول من بايع هو «أبو سنان» وهب بن محصن الأسدي الذي أقبل على رسول الله قائلاً:

«يا رسول الله: أبسط يدك أبايعك».

فقال له (ص): «على ماذا»؟

قال: «على ما في نفسك يا رسول الله». .

فقال له النبي: «وما في نفسي»؟

قال: «الفتح أو الشهادة». .

فمد رسول الله يده، وبايعه أبو سنان.

ثم أقبل الصحابة، وهم ألف وأربعمائة شخص يبايعون رسول الله قائلين: «نبايعك، على ما بايعك عليه أبو سنان».

وهكذا تمت بيعة الرضوان، على الموت. . وأنزل الله في ذلك قوله: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾[٧].

ومع أنهم جميعاً بايعوا على الشهادة، والموت، فإنهم في تلك الغزوة لم

---

(٧) سورة الفتح (١٠).

يتعرضوا لقتال، ولا سالت لهم دماء، وانتهت المسألة بالصلح الذي حمل اسم «صلح الحديبية».

* * *

والآن ما هي عقبات الطريق؟

وكيف نتجاوزها؟

والجواب:

هنالك نوعان من العقبات:

النوع الأول: العقبات الواقعية، مثل:

(أ) الظروف المعاكسة.

(ب) منع الأهل والأقارب.

(ج) فقدان القيادة.

(د) فقدان الوسائل اللازمة.

النوع الثاني: العقبات النفسية، مثل:

(أ) التخوفات، كالتخوف من الموت، والأسر والجراحات، أو التخوف من ضياع الأهل والأولاد، أو التخوف من الهزيمة والدمار..

(ب) العادات والتقاليد الخاطئة، مثل التعود على حالة الخضوع والاستسلام واليأس.

ونتناول ذلك بشيء من التفضيل..

أولاً: الظروف المعاسكة..

إن كثيرين يظنون بأن الظروف يجب أن تكون مؤاتية حتى يخوضوا الجهاد في سبيل الله، وكأن الجهاد حفلة زواج، أو رحلة سياحة..

إنّ أصعب الظروف هي التي تتطلب الجهاد. فكلما كان الليل أكثر ظلاماً، كانت الحاجة إلى النور أكثر إلحاحاً.. وكلما كان المجتمع أكثر انشغالاً

عن هموم الأمّة كانت مسؤولية الجهاد أكثر ثقلاً على أبنائها.

أترى هل يمكن أن يتصور أحدنا ظروفاً أشد من ظروف الإمام الحسين عليه السلام؟

لقد واجه الإمام معارضة عنيفة من «عبّاد» الأمة و«زهادها» كما تلقى فتوى صريحة ضده باعتباره خارجاً على أمير المؤمنين، والشاق لعصا الأمة وكانت موّقعة من قبل كبير القضاة في حينه وهو شريح القاضي، كما فوجىء الإمام في كربلاء، بأكبر عالمٍ ديني في الكوفة، وهو شبث بن الربعي، الذي كان يتجاوز عمره السبعين عاماً، فوجىء به على رأس أربعة آلاف مقاتل يصطف في جيش يزيد بن معاوية لمواجته..

أمّا المجتمع، فكان يمر بركود، وخضوع واستسلام، فهل أحجم الإمام عن الجهاد، أم اعتبر ذلك مبرراً له؟.

وهكذا فإن كل الظروف التي يكون فيها الباطل حاكماً، هي ظروف الجهاد، وإنّ الجهاد هو الوسيلة الوحيدة للقضاء على الباطل ونصرة الحق..

ثانياً: منع الأهل والأقارب

مَن من المجاهدين في التاريخ لم يتعرض لضغوط الأهل والأقارب والأحباب والأصدقاء؟

ومَن منهم كان يجد التشجيع والتأييد، بدل الملامة والشماتة والمنع والصدّ؟

يقول الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾**[٨].

---

(٨) سورة المائدة (٥٤).

فمن خصائص القوم الذين يحبهم الله ويحبونه، إنهم لا يخافون لومة لائم . .

ثالثاً: فقدان القيادة

كثيراً ما يتمنى الناس أن يعود التاريخ حتى يتمثل لهم رسول الله (ص) من جهة وقريش من جهة أخرى ليجاهدوا تحت قيادة رسول الله ضد أعدائه . .

وحينما يقارنون القيادات الموجودة في الساحة، بقيادة رسول الله يصلون إلى نتيجة أن ما هو موجود لا يصلح لقيادة الجهاد في سبيل الله للفارق الكبير بين القيادتين . .

وهكذا فهم يتوقعون قيادة ملائكية لكي يجاهدوا في ظلّها إذ أنّهم لا يطمئنون إلى أنهم فعلاً يجاهدون في سبيل الله، إذا كانت قيادتهم غير سماوية . .

وهؤلاء يشبهون قوم طالوت الذين يذكر الله قصتهم في قوله:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٦) ، وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ أَوَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٤٧) ، وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٨) ، فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي

إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فشرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ والَّذِيْنَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنا الْيَوْمَ بِجَالوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُوا الله كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيْلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٍ كَثِيْرَةً بِإِذْنِ الله وَالله مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٩) ، وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوت وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وثَبِّتْ أقدامنا وَأَنْصُرْنا عَلىٰ الْقَوْم الْكافِرِينَ (٥٠) ، فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ الله وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوت وَآتاهُ الله الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ الله النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفسَدَتِ الأَرْضُ وَلٰكِنَّ الله ذُو فَضْلٍ عَلىٰ الْعَالَمِينَ (٥١) ، تِلْكَ آياتُ الله نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٥٢)﴾ [٩] .

* * *

فهؤلاء الملأ من بني إسرائيل، تعرضوا للنكبات والظلم، من قبل حاكم طاغوت، وقد أخرجوا من ديارهم، وأبنائهم، فطلبوا من نبي من الأنبياء أن يعين الله لهم قائداً يقاتلون تحت لوائه في سبيل الله.

ولمّا عين الله لهم «طالوت» بدأوا يتراجعون، قائلين:

﴿أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه﴾

وهكذا فإنهم اخطأوا مرتين:

الأولى: حينما لم يجاهدوا العدوّ، إلّا إذا جاءهم قائد معين من قبل الله.

الثانية: حينما رفضوا قيادة الذي عيّنه الله، لأنهم كانوا يتوقعون في القيادة، صفات تعجيزية، أو لأنهّم كانوا يتوقعون أن يكون القائد الجديد أكثر ثراء منهم..

ورفض النبي حججهم، وقال: ﴿إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ وهذا كل ما كان يحتاج إليه القائد العسكري في ذلك الوقت، فالعلم للقيادة، والجسم للقتال.

وعلى مضض رضي أولئك بالقيادة، ولكنّهم توقعوا الجهاد مجرد نزهة، لا تحملاً للمشاق والصعاب..

---

(٩) سورة البقرة (٢٤٦ - ٢٥٢).

وهكذا بدأت العقبات تتراءى . .

﴿فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه منّي إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلّا قليلاً منهم . .﴾[10] .

ثم كانت مشكلة قوة العدو وكثرة أفراده.

﴿فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ [11] .

وقد كان جالوت على رأس قوة ضخمة، تمثل جيش أمة غالبة بينما كانوا هم قلة من الرجال يمثلون أمة مغلوبة، إذن فلا طاقة لهم بجالوت وجنوده . .

﴿قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ [12] .

فالمقاييس ليست بالكثرة والقلّة، بل بقوة الإرادة، والتصميم على النصر، والإيمان بالله، وتحمل المتاعب، والصبر في المواطن . .

﴿ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربّنا أفرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وأنصرنا على القوم الكافرين﴾ [13] .

فالصبر، والثبات يؤديان إلى النصر، وهذا ما فعله أولئك الفئة القليلة ﴿فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه مما يشاء﴾ [14] .

فنحن هنا أمام قيادتين الأولى قيادة طالوت، التي كانت تمتلك القدرة العلمية للقيادة، والقوة الجسمية للقتال، والثانية قيادة داوود التي حققت النصر عملياً، فآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه مما يشاء . .

وهكذا فإن طالوت لم يكن نبياً، إذ ليس من شروط الجهاد أن يكون الأنبياء أو الملائكة هم الذين يقودون القافلة، فيكفي في قيادة الجهاد ـ حينما يكون واجباً ـ أن تكون قادرة فعلاً على ذلك . .

---

(١٠) سورة البقرة (٢٤٩) .

(١١) سورة البقرة (٢٤٩) .

(١٢) سورة البقرة (٢٤٩) .

(١٣) سورة البقرة (٢٥٠) .

(١٤) سورة البقرة (٢٥١) .

رابعاً: فقدان الوسائل اللازمة

فهناك من يرى الجهاد كالحج، إنما يجب بعد حصول الاستطاعة، أمّا الاستطاعة ذاتها فلا يجب الحصول عليها..

وعند هؤلاء لا يجب الجهاد إلّا إذا توفرت كافة الوسائل، البشرية والمادّية، من أسلحة وأموال ومعدات، أمّا أن يبحثوا عن الرجال، والسلاح فليس عندهم واجباً..

وفي الحقيقة، فإن بعض أنواع الجهاد قد يكون كذلك، ولكن ماذا عن الجهاد دفاعاً عن حقوق الإنسان، والجهاد لرّد العدوان، والجهاد ضد الإحتلال؟

إنّ المجاهدين كما يقاومون العدوّ، كذلك يقاومون عوامل الضعف في أنفسهم، ووسائلهم، وحاجاتهم..

وإذا كان الجهاد واجباً، في ظرف من الظروف، فالبحث عن الوسائل ومحاولة ترتيب أسبابه أيضاً تكون واجبة من غير شك..

ورب شخص واحد استطاع بجهوده أن يعبىء أمة كاملة للجهاد رغم أنه في البداية لم يكن يملك أي شيء، ولم يكن معه أي شخص..

* * *

أمّا عن العقبات النفسية، فهي على نوعين:

الأول: التخوفات.

الثاني: العادات والتقاليد.

أمّا التخوفات فهي:

أولاً: التخوف من الموت.

ثانياً: التخوف من الجراحات.

ثالثاً: التخوف من الأسر.

رابعاً: التخوف من ضياع الأهل.

خامساً: التخوف من الهزيمة.

سادساً: التخوف من مختلف المشاكل، كفقدان الوظيفة، ومصدر الرزق، والامتيازات، ومغانم الدّنيا، وما شابه ذلك..

الأول: التخوفات.

أولًا: التخوف من الموت

.. لا شك أن أكبر العقبات في طريق الجهاد، هو الخوف من الموت إذ قد يهون غيره لدى الكثيرين، أما هو فمجرد تصوره يصيب الإنسان بقشعريرة مرعبة.. فهل كالموت وارد كريه؟

ولكن تعالوا ندرس ظاهرة الموت، بعيداً عن «هالة الخوف» منه لنرى هل يجوز أن نجعله عقبة في طريق الجهاد؟

فأولًا: إن الموت ليس خاصاً بالجهاد، فالقتال أحد أسبابه، لا كلّها..

فهل كل من يترك الجهاد، يبقى في الحياة ولا يموت؟

ألّا يموت الناس بالأمراض والحوادث، وانقضاء العمر؟

ربّما يكون الموت في الجهاد مقروناً بالصوت، والصراخ، والضجّة ولذلك يكون ظاهراً.. فمن يموت في المستشفى، أو بحوادث الطرق، أو بالموت الطبيعي، لا يُكتب عنه في المجلات، ولا تتحدث عنه الإذاعات ومحطات التلفاز، ومن هنا فركوب وسائل النقل، رغم حوادثها الكثيرة ليس مقروناً في أذهان الناس بالموت، بينما العمل الجهادي مقرون به لأنّ من يموت في الجهاد سيكون لموته صوت القنبلة وتأثير الصاعقة وظهور الشهاب غير أن موت الآخرين ليس له صوت ولذلك لا يحس بهم الناس..

إن النسبة المئويّة لحالة الموت في الجهاد، على مر التاريخ العام للأمّة الإسلامية، لا تتجاوز حتّماً الواحد بالمائة من مجمل حالات الموت لديهم في العام الواحد..

ثانياً: إن الموت نهاية حتمّية للبشرية. ولن ينفع الفرار منه، إذ كما يقول الإمام علي (ع): «لا ينجو من الموت من خافه، ولا يعطى البقاء من أحبة»[15].

يقول الله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين (١٢)، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين (١٣)، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة (١٤)، فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين (١٥).. ثم إنكم بعد ذلك لميِّتون، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾[16] (١٦).

ويقول لنبيّه: ﴿إنك ميت وإنهم ميِّتون﴾[17].

ويقول: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾[18].

ويقول: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾[19].

ويقول: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾[20].

إن ملك الموت موكّل بكل إنسان، فكيف الهروب منه؟

يقول تعالى: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكّل بكم﴾[21].

بل الموت نهاية كل صاحب حياة في هذه الأرض.

يقول الله تعالى: ﴿كل من عليها (على الأرض) فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾[22].

ثالثاً: إن الموت كالولادة، ليس نهاية الحياة، بل هو بداية حياة أخرى أبديّة ودائمة، والخوف منه يجب أن ينتقل إلى الخوف ممّا بعده. فليس مهماً أن نموت أو لا نموت، لأنّنا بالنتيجة نموت، ولكن ماذا بعده؟

---

(١٥) نهج البلاغة خطبة رقم (٣٨).
(١٦) سورة المؤمنون (١٢ ـ ١٦).
(١٧) سورة الزمر (٣٠).
(١٨) سورة ق (١٩).
(١٩) سورة النساء (٧٨).
(٢٠) سورة آل عمران (١٨٥).
(٢١) سورة السجدة (١١).
(٢٢) سورة الرحمن (٢٧).

وما أصعب أن نموت على غير طاعة الله؟
وكيف الخلاص من عذاب الله إذن؟

يقول الإمام علي (ع): «إن المرء قد يسرُّه دركُ ما لم يكن ليفوته، ويسؤوهُ فوت ما لم يكن لِيُدركَه فليكن سرورك بما نلت من آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً ما فاتك منها فلا تأنس عليه جزعاً وليكن همّك فيما بعد الموت»[٢٣] .

رابعاً: إن الموت يأتي في ساعته المقررة، ولا ربط له بالجهاد، يقول الله تعالى: ﴿ولكل أمةٍ أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾[٢٤] .

ويقول: ﴿نحن قدّرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين﴾[٢٥] .

إمّا الذين يظنون أن الموت هو للمجاهدين في حالات القتال ويقولون: ﴿لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا﴾[٢٦] . فإن ربّنا يرد عليهم قائلاً: ﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كُتب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾[٢٧] .

فالموت لا يأتي إلا بأجل، فإذا كان قدر الإنسان أن يموت في هذه الساعة، وهذا اليوم، فهو سيموت في ذلك الوقت بلا ترديد، وإذا لم يكن قدره ذلك فلن يموت فيه..

وكما يقول الإمام علي (ع):

أيّ يوميّ من الموت أفر يوم لا يُقدر أو قُدر[٢٨] ؟

ويروى: «أن علياً (ع) كان يخرج بالليل إلى المسجد يصلي تطوعاً،

---

(٢٣) نهج البلاغة كتاب رقم (٢٢) .
(٢٤) سورة الأعراف (٣٤).
(٢٥) سورة الواقعة (٦٠).
(٢٦) سورة آل عمران (١٥٤).
(٢٧) سورآل عمران (١٥٤).
(٢٨) ديوان الإمام علي ص ٤٣.

فجاء إليه بعض أصحابه يحرسه، فلما فرغ (ع) أتاهم فقال لهم: «ما يجلسكم»؟.

فقالوا: «نحرسك يا أمير المؤمنين».

فقال (ع): «أمن أهل السماء تحرسون، أم من أهل الأرض»؟

فقالوا: «بل من أهل الأرض».

فقال (ع): «إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يُقضى في السماء، وليس من أحد إلا وقد وُكّل به ملكان يدفعان عنه ويكلأنه حتى يجيء قدره، فإذا جاء قدره خليّا بينه وبين قدره، وأن عليّ من الله جنة حصينة فإذا جاء أجلي كُشف عنيّ، وأنه لا يجد أحدكم طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما اخطأه لم يكن ليصيبه» (٢٩).

ولهذا يقول ربّنا عز وجل:

﴿وما كان لنفس أن تموت إلّا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾ (٣٠).

ويقول: ﴿قل لن يُصيبنا إلّا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ (٣١)..

ومن هنا رأينا مجاهدين كثيرين خاضوا الغمرات ثم أنهم ماتوا ليس في سوح الجهاد، بل في بيوتهم، وعلى العكس منهم رأينا الكثير من الجبناء الذين فروا من الجهاد خوفاً من الموت فجاءتهم الحوادث من غير ما يتوقعون، فقُتلوا بالرصاص الطائش أو ما شابه ذلك، ولنتذكر هنا ما قاله ذلك الصحابي عندما دنى أجله:

«لقد شهدت سبعين زحفاً أو زهائها، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح وها أنذا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت

---

(٢٩) كنز العمال خير (١٥٦٤).

(٣٠) سورة آل عمران (١٤٥).

(٣١) سورة التوبة (٥١).

أعين الجبناء».

* * *

ثم إن من يفر من الموت ـ الذي هو قضاء الله وقدره ـ فلا يطيع الله في أمر الجهاد، ألا يستحق الموت بأي سبب آخر،؟ أليس الله قادراً على القضاء عليه بطريق آخر؟ ومن يمنعه حينئذٍ منه؟

يقول الله تعالى: ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تُمَتَّعون إلا قليلاً، قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾ [٣٢].

ويقول تعالى: ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من والٍ﴾ [٣٣].

خامساً: ما دام أن الموت حق، فلتخاف منه في وقته، ومرة واحدة وليس كل يوم. ذلك أن حالة الإنهزام من الموت لدى الفرد ستؤدي به إلى الإنهزام من كل شيء.

فإذا كان موقف الفرد من الموت إنهزامياً وجباناً، فلا بد أن يكون الإنهزام حليفه في جميع المواقف، فمن ينهزم من الموتِ سينهزم بطبيعة الحال من كل شيء يمكن أن يؤدي إلى الموت، سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة..

لأن الشيطان الداخلي والخارجي للإنسان يوسوسان في صدره ويخوفانه من الموت عند مواجهة كل حقيقة.

وتبقى التساؤلات وعلامات الاستفهام المتواترة عن مسببات الموت تتراكم وتتلاطم في ذهنه كالأمواج. كيف يمكن أن يموت الإنسان؟ أبالزكم أم بالسرطان أم بمرض الكلية أو بالسكتة القلبية أو بالاصطدام.. أم بماذا؟.

وهكذا يبدأ بالخشية من الموت وأسبابه الحقيقية، حتى يتطور هذا

(٣٢) سورة الأحزاب (١٦).

(٣٣) سورة الرعد (١١).

الخوف وينتهي به المطاف إلى أن ترتعد فرائصه من كل شيء بإمكانه أن يؤدي إلى الموت. .

وهكذا فإن الإنسان الإنهزامي يخشى كل شيء حتى ظله. فتجده لا يمشي ولا يعمل ولا يتحرك ولا ينتج ولا يصارع الحياة خوفاً من الموت بإحدى هذه السبل، وهو لا يدرك أنه بهذا المنحىٰ الذي ينحاه إنما يقرب حلول الموت على نفسه عاجلاً غير أجل. لأن السكون بذاته والتقاعس والخوف والكسل الذي يعيشه، كله موت أيضاً.

سادساً: قد يكون في عملية الجهاد موت لبعض الأفراد، ولكن فيه حتماً حياة للأمّة. إذ مع حذف الجهاد ستعيش الأمّة ذليلة خانعة يتخطفها الناس من حولها، وأي موت أكبر من حياة الذّل؟

يقول الإمام علي (ع): «الموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين» فأية حياة هي حياة المقهورين ؟ [٣٤] .

وهل الحياة مطلوبة كيفما كانت، حتى وإن كانت كعيشة الحيوانات؟

إن إنسانية الإنسان تأبي عليه أن يرضى بالقهر، والظلم، والاستعباد، وترجح الموت على ذلك، فإن نموت كرماء خير من أن نعيش أذلاء.

يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾ [٣٥] .

سابعاً: إذا كان الموت لا بد منه، فما أجمل أن يموت الإنسان في سبيل الله ومن أجل تحقيق الكرامة لأمته. فما دام أن الموت هو النهاية فلا شك أن الشهادة أفضل. .

---

(٣٤) نهج البلاغة خطبة رقم (٥١) .

(٣٥) سورة الأنفال (٢٤ - ٢٦) .

يقول الشاعر:

فإن تكن الدنيا تعد نفيسة ... فدار ثواب الله أعلى وأنبلُ
وإن تكن الأبدان لموت أنشئت ... فقتل امرىء بالسيف في الله أفضلُ
وإن تكن الأرزاق قسماً مقسَّماً ... فقلة حرص المرء في الجمع أجملُ
وإن تكن الأموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخلُ

ثم إن موت الشهادة، أكثر راحة، وسهولة، وجمالاً..

يقول الحديث الشريف «إن الشهادة بمنزلة الشربة الباردة في اليوم الصائف»(٣٦).

ويقول الإمام علي (ع): «والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على الفراش من غير طاعة الله»(٣٧).

ويقول: «إن الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم، ولا يعجزه الهارب، ليس عن الموت محيص، ومن لم يمت يقتل. وإن أكرم الموت القتل. والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على فراش»(٣٨).

ثامناً: إنّ من يموت في الجهاد، يذوق الموت مرة واحدة، وبعدها يرفل في سعادة لا نهاية لها، لأنّه قد أطاع الله عز وجل، أمّا من يتركه فهو يكون عاصياً، وحينئذٍ فهو يموت ألف مرة ومرّة.

يقول الله تعالى: ﴿وخاب كل جبار عنيد (١٥) من ورائه جهنم ويُسقى من ماء صديد (١٦)، يتجرعه ولا يكادُ يُسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميّت ومن ورائه عذاب غليظ (١٧)﴾(٣٩).

تاسعاً: إن الموت والحياة، خلقان من خلق الله، جعلهما الله إمتحاناً

---

(٣٦) كما في البحار: ج ٩٧ ص ١٣ ح ٢٧.
(٣٧) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٤٠.
(٣٨) نهج البلاغة خطبه رقم (١٢٣).
(٣٩) سورة إبراهيم (١٥ - ١٧).

لعباده.. يقول الله تعالى: ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ (٤٠).

والموت يسبق الحياة، فما من حياة جديدة إلا وهي نتاج موت سابق، فالمهم أنه امتحان ويجب أن نحسن وفادته، ونعرف كيف نموت، حتى نعرف كيف نعيش.. فالله هو الذي ابتلانا بالموت كما ابتلانا بالحياة. يقول الله تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ (٤١).

عاشراً: إنّ موت الجهاد في حقيقته ليس موتاً، بل هو الحياة، وإن كنّا لا نفهمه، إذ أننا لم نجربه بعد..

يقول الله تعالى: ﴿ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾ (٤٢).

ويقول: ﴿ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون﴾ (٤٣).

* * *

ثانياً: التخوف من الجراحات والآلام

في الجهاد، قد يتعرض المجاهدون للجراح، وقد يفقدون الأعضاء، أو ينزفون الدماء..

تلك حقيقة لا تقبل الإنكار..

ولكن.. هل يمكن القضاء على غدة خبيثة تصيب الجسم، من دون

---

(٤٠) سورة الملك (١ - ٢).
(٤١) سورة البقرة (١٥٥ - ١٥٦).
(٤٢) سورة البقرة (١٥٤).
(٤٣) سورة آل عمران (١٦٩).

إجراء عملية جراحية يتحمل فيها المريض الجراح، وينزف منه الدمّ؟

وكما في الفرد.. كذلك في المجتمع..

إن المجتمعات البشرية قد تبتلى بغدة سرطانية تتمثل في نظام جائر، أو طاغية مستبد، أو عدوّ غاشم، وخوض الجهاد ضده هي العملية الجراحية الضرورية لخلاص الأمّة منه..

وهذا هو ما يقوم به المجاهدون، فيتحملون العذاب والعنت والموت والجراح.

غير أن ذلك ليس خاصاً بهم، فالعدو أيضاً يتحمل مثل ذلك فلماذا يكون أقوى وأكثر تحملاً؟

يقول الله تعالى: ﴿إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين (١٤٠)، وليمحّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين (١٤١)، أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين (١٤٢)﴾ [٤٤].

ويقول: ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون﴾ [٤٥].

وهكذا..

فأولاً: تحمل الجراح والآلام طبيعي في القتال، وهو ليس خاصاً بطرف دون آخر، بل هو لكلا الطرفين.. ﴿فإنهم يألمون كما تألمون﴾ [٤٦].

ثانياً: إن المؤمن حينما يتحمل الصعاب في الجهاد، فإن عزاءه في أمرين:

الأول: وعد الله له بالنصر.

الثاني: ثواب الله له في الآخرة.

---

(٤٤) سورة آل عمران (١٤٠ ـ ١٤٢).

(٤٥) سورة النساء (١٠٤).

(٤٦) سورة النساء (١٠٤).

فالله ينصر من ينصره، ويدخله الجنة أيضاً. .

ثالثاً: إن الصعوبات، والجراحات، والآلام تـربي المؤمنين وتزكيهم ﴿وليمحّص الله الذين آمنوا﴾[47] فثوابت الشرك والشهوات، والضعف العالقة بقلوبهم تتطهر بالابتلاء بالجوع والخوف ونقص الأموال والأنفس. .

ثم إن من جرح في الجهاد «شهيد حيّ» وثوابه عند الله قد يكون أكثر من ثواب من قُتل فاستراح. . خاصة إذا أدى الجرح به إلى فقدان عضو من أعضائه فهو حينئذٍ يكون قد ضمن الجنة لنفسه، وأرسل إليها عضواً من أعضائه. .

هذا «زيد بن صوحان»، صحابي لرسول الله، يذكره النبي فيقول عنه «زيد. . وما زيد! يسبق منه عضو إلى الجنّة».

وتمر الأيام، ويشترك زيد في «معركة نهاوند» فتقطع يده، وتسبقه فعلاً إلى جنة الخلد. .

ثم تمر الأيام، ويشترك مع أمير المؤمنين (ع) في معركة الجمل، فتجره يده المقطوعة إليها، ويستشهد في سبيل الله، ويأتيه أمير المؤمنين (ع) فيقول له: «رحمك الله يا زيد. . قد كنت خفيف المؤنة. عظيم المعونه». .

* * *

ثالثاً: التخوف من الأسر

من الطبيعي أن تعتري المجاهد حالة الخوف من الأسر، ولكن عزاءه أنه يفدي حرية الناس، بحرّيته، ويتحمل السجن والأسر من أجل أن يعيش الناس أحراراً. . فما أجمل أن يكون الإنسان كالشمعة يحترق ليضيء للآخرين؟

إن السجن مدرسة الرجال، وهو أحب إلى المؤمن، من الخنوع للظلم، أو الخضوع للطغيان. .

---

(٤٧) سورة آل عمران (١٤١).

رابعاً: التخوف من ضياع الأهل

عائلة الإنسان تربط مصيرها بمصيره، ولذلك فما من مؤمن إلّا ويشعر بمسؤولية ثقيلة تجاه كل واحد من أفراد عائلته.. ابتداء من زوجته وانتهاء بأصغر أولاده، ومروراً بكل من يكفله في المعيشة.. وما من مؤمن إلّا ويريد الخير لعائلته في الدنيا، والجنة لها يوم يقوم الناس لربّ العالمين، ومن هنا فهو يدعو قائلاً:

﴿ربّنا هب لنا من أزواجنا وذرّياتنا قرة أعين واجعلنا للمتّقين إماماً﴾ (٤٨).

فهو إذن لا يستطيع أن لا يفكر في مصيرهم من بعده، ولذلك فإنه عظيم الحزن لما يمكن أن يتعرضوا له إذا قتل، أو أسر..

غير أن مجموعة من الحقائق، تجعل المجاهدين في اطمئنان عظيم على عائلاتهم.

أولاً: إنّ كل مؤمن بالله يعرف أن الرازق هو الله، وإن كافل اليتامى والأرامل هو رب الشهداء والصدّيقين.. فهو يعتمد على ربّه، ويجعله الخليفة عليهم. ولن يضيع الله عباده الصالحين.

لقد رأى الإمام علي (ع) رجلاً مشغول القلب بأهله إلى حدّ تضييع حقوق الناس فقال (ع) له:

«إن كان أهلك من أولياء الله، فإن الله لن يضيع أولياءه وإن كان أهلك من أعداء الله، فما شغلك بأعداء الله؟».

ثانياً: إن الأهل، والإملاء والأموال هي فتنة الله، وامتحانه.. وليسوا عقبات في طريق أداء الواجب..

يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون، (٢٧) واعلموا إنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده

---

(٤٨) سورة الفرقان (٧٤).

أجر عظيم (٢٨) ، يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيِّئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم (٢٩)﴾ [٤٩] .

وإذا حاول الأهل أن يكونوا عقبة أمام تحمل مسؤولية المؤمن للجهاد، فهم أعداء، وليسوا أهلاً . .

يقول الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأودلاكم عدواً لكم فاحذروهم﴾ [٥٠] .

ثالثاً: إنّ عائلة المجاهد تشترك معه في تحمل مسؤولية الجهاد، وهذا هو قدرها، ولها بذلك الأجر العظيم. فكل المجاهدين العظام كانوا يحملون أهليهم الكثير من العناء، لأنهم كانوا ينشغلون عنهم بالرّسالة، وبالناس.

ألم يحمل رسول الله (ص) زوجاته الكثير من الصعاب، وحينما أحس منهنّ بعض التململ أنزل الله قوله تعالى:

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتنّ تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعدّ للمحسنات منكنّ أجراً عظيماً﴾ [٥١] .

وألم يحمّل الإمام الحسين (ع) أهله وأولاده عناء الهجرة، وعناء الجهاد، عناء الأسر أيضاً . .

إن المجاهدين يعرفون أنهم ليسوا أول من عنده عائلة، ولن يكونوا آخرهم، فكل المؤمنين المجاهدين في التاريخ كانت لهم عوائل، وتحملت عوائلهم كل مكروه . .

وكثيراً ما كانت تلك العوائل تتقبّل ذلك بصدر رحب، لأنّ عائلة المجاهد، لإيمانها هي الأخرى بالإسلام، ورغبتها في أداء أية خدمة في سبيل

---

(٤٩) سورة الأنفال (٢٧ ـ ٢٩).

(٥٠) سورة التغابن (١٤).

(٥١) سورة الأحزاب (٢٨ ـ ٢٩).

الله. تجعلها قلعة من قلاع الصمود، والبطولة..

رابعاً: إنّ الجهاد هو في بعض أنواعه اختيار الله، على كل ما سواه من دنيا، ومال، وأهل وأولاد.. ولقد هدّد الله من يختار عائلته ويتملص من المسؤولية بالويل والعذاب قائلاً:

﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ [٥٢].

فالمؤمن كثيراً ما يجد نفسه بين خيارين: خيار الجهاد، وخيار الأهل. وربما يختار الأول، أو يمسه الشيطان فيختار الثاني.

ومثال الأول هو الصحابي «أبو خثيمة» الذي يذكر التاريخ عنه أنه كان قوي الجسم نشيطاً وكانت له زوجتان، وعريشان وكانت زوجتاه قد رشتا عريشتيه، وبردتا له الماء، وهيّأتا له طعاماً فأشرف على عريشتيه فلما نظر إليهما قال:

لا والله ما هذا بإنصاف، رسول الله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قد خرج في الفيح والريح، وقد حمل السلاح يجاهد في سبيل الله، وأبو خيثمة قوي قاعد في عريشة وامرأتين حسناوين، لا والله ما هذا بإنصاف..

ثم أخذ ناقته فشد عليها رحله ولحق برسول الله (ص)، فنظر الناس إلى راكب على الطريق فأخبروا رسول الله (ص) بذلك، فقال رسول الله (ص):

كن أبا خيثمة، فأقبل وأخبر النبي بما كان منه فجزاه خيراً ودعا له...

ومثال الثاني هو الجد بن قيس الذي لقي رسول الله في غزوة تبوك فقال له رسول الله (ص): يا أبا وهب ألا تنفر معنا في هذه الغزاة؟ لعلك أن تحتفد من

---

(٥٢) سورة التوبة (٢٤).

بنات الأصفر.

فقال يا رسول الله : والله إن قومي ليعلمون أن ليس فيهم أشد عجباً بالنساء مني وأخاف إن خرجت معك أن لا أصبر إذا رأيت بنات الأصفر فلا تفتني وائذن لي أن أقيم.

وقال للجماعة من قومه: لا تخرجوا في الحر.

فقال ابنه: ترد على رسول الله وتقول له ما تقول ثم تقول لقومك: لا تنفروا في الحر والله لينزلن الله في هذا قرآناً يقرؤه الناس إلى يوم القيامة.

فأنزل الله على رسول (ص) في ذلك: ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتنِّي ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ [٥٣] .

❋ ❋ ❋

ثم أليس رسول الله (ص) قدوة المجاهدين، وسيّدهم؟ وألم يحارب حتى أهليه الذين وقفوا في جبهة الكفر؟ وألم تتحمل عائلته وعثات الجهاد؟

ألم يقل لزوجته الصابرة المجاهدة «خديجة» سلام الله عليها حينما عاد من غار حراء، بعد نزول الوحي عليه، ولما فرشت له فراش النوم طواه قائلاً لها:

«انتهى عهد النوم يا خديجة».

وفعلاً انتهى عهد النوم لخديجة وجاء عهد الجهاد، حتى ماتت هي في شعب أبي طالب صابرة مؤمنة بعد أن عانت كثيراً من الجوع والعطش والإرهاق. .

ألا نقرأ في الدعاء عن رسول الله (ص)؟ :

«اللهم فصل على محمد أمينك على وحيك ونجيبك من خلقك وصفيك من عبادك، إمام الرحمة، وقائد الخير، ومفتاح البركة. . كما نصب لأمرك نفسه وعرض فيك للمكروه بدنه، وكاشف في الدعاء اليك حامته وحارب في رضاك

---

(٥٣) سورة التوبة (٤٩).

أسرته، وقطع في إحياء دينك رحمه وأقصى الأدنين على جحودهم، وقرب الأقصين على استجابتهم لك، ووالى فيك الأبعدين، وعادى فيك الأقربين وأدأب نفسه في تبليغ رسالتك واتعبها بالدعاء إلى ملتك وشغلها بالنصح لأهل دعوتك وهاجر إلى بلاد الغربة ومحل النأي عن موطن رحله وموضع رجله ومسقط رأسه ومأنس نفسه إرادة منه لإعزاز دينك واستنصاراً على أهل الكفر بك حتى استتب له ما حاول في أعدائك واستتم له ما دبر في أوليائك فنهد إليهم مستفتحاً بعونك ومتقوياً على ضعفه بنصرك فغزاهم في عقر ديارهم وهجم عليهم في بحبوحة قرارهم حتى ظهر أمرك وعلت كلمتك ولو كره المشركون».

خامساً: التخوف من الهزيمة

الجهاد لا يمر دائماً في خط مستقيم صاعد، يبدأ من حمل السلاح وينتهي بالانتصار.. بل كثيراً ما يمر في خطوط متعرجة، ويتعرض للهزائم والانتكاسات..

من هنا فالهزيمة، بمعناها المادي، احتمال وارد في عمليّة الجهاد، وهنا تكمن الصعوبة فيه، إذ أن الجميع مستعدون للجهاد حتماً إذا كان من دون هزيمة.. ولو عرف أي شخص أو أية جماعة، أن جهادهم سينتهي إلى النصر من دون أن يدفعوا له ثمناً من الأرواح والأجسام والأموال، فإنهم لن يترددوا في الإنضمام إلى قافلة المجاهدين..

وفي الحقيقة فإن الجهاد فعلاً ينتهي بالنصر، ولكن ليس ذلك نصراً في العاجلة حتماً.. فلربما كان نصراً في الآجلة.. وإن الجميع يريدونه نصراً في العاجلة..

يقول الله عز وجل:

﴿.. كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون (٥)، يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يُساقون إلى الموت وهم

ينظرون (٦) ، وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين (٧) ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون (٨)﴾ [٥٤] .

إن مجرد مقاومة الباطل انتصار للمؤمنين، سواء أصابتهم هزيمة ، أم أحرزوا انتصاراً . . لأنهم بالمقاومة يكونوا قد تحملوا مسؤولياتهم أمام الله تعالى وذلك غاية كل مؤمن في الحياة.

فمن السذاجة بمكان أن يظن المجاهد أنه سينتصر في كل أعماله ولن يخفف في أيّة خطوة من خطواته، فمن يطلب تحقيق أهداف كبيرة فلا بد أن يدفع لها الثمن الكبير أيضاً . .

وإلّا فسيكون كما يقول الشاعر:

ومن يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

يقول الله تعالى: ﴿وكأيِّن من نبيّ قاتل معه ربيّون كثيرٌ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين (١٤٦) ، وما كان قولهم إلّا أن قالوا ربّنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين (١٤٧) ، فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين﴾ (١٤٨) [٥٥] .

سادساً: التخوف من مختلف المشاكل كفقدان الوظيفة، ومصدر الرزقَ والامتيازات ومغانم الدّنيا . .

إذ يغمر الناس عادة الحرص على أقواتهم، وقد يلجأ البعض إلى وسائل لا تليق بالكرامة الإنسانية للحصول على مصدر للرزق . .

كما يتنافس البعض على الوظائف، إلى درجة اللجوء إلى التملق

---

(٥٤) سورة الأنفال (٥ ـ ٨).

(٥٥) سورة آل عمران (١٤٦ ـ ١٤٨).

والمراءاة، للحصول عليها. .

أمّا الامتيازات المادية، ورفاهية العيش، والأموال فهي الأخرى من عوامل انشداد الأفراد إلى الدّنيا، ومن ثم التثاقل إلى الأرض، والامتناع عن الجهاد. .

فمن لا يجد قوتاً، ولا مالاً، ولا داراً ولا زوجة ولا أولاداً، فهو أكثر استعداداً لخوض الجهاد، والمغامرة من أجل المبادىء، أمّا من يملك الأموال، والأولاد وله المناصب والمغانم، فمن الصعب عليه التجافي عنها بسهولة. .

من هنا كان المترفون أقل الناس جهاداً، وأكثرهم حرصاً، وأشدهم مداهنة، إلّا من رحم ربي. .

ولهذا فقد وقف الأغنياء في كثير من حوادث التاريخ، ضد أصحاب الرسالات، أو امتنعوا عن الجهاد من أجلها. .

يقول الله تعالى:

﴿فرح المخلّفون بمقعدهم خلافَ رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون (٨١) ، فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون ، (٨٢) فإن رجَّعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين (٨٣) ، ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون (٨٤) ، ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون (٨٥) ، وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين (٨٦) ، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطُبع على قلوبهم فهم لا يفقهون (٨٧) ، لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون (٨٨) ، أعد الله لهم جنات تجري

من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم (٨٩) ، وجاء المعذّرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ، سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم (٩٠) ، ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقدون حرج إذا نصحوا الله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم (٩١) ، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أحد ما أحملكم عليه تولوا وأعيُنَهُم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون (٩٢) ، إنما السبيل على الذين يستذنوك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون (٩٣) ، يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون (٩٤) ، سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون (٩٥) ، يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ (٩٦) [٥٦] .

❊ ❊ ❊

وينسى هؤلاء: إن الرزق بيد الله ﴿وما من دابة في الأرض إلّا على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ [٥٧] و﴿ما يفتح الله للناس من رحمةٍ فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾ [٥٨] .

فالرزق قسم مقسوم للناس، لا مغير له ولا مبدّل. . ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ [٥٩] .

---

(٥٦) سورة التوبة (٨١ - ٩٦).
(٥٧) سورة هود (٦).
(٥٨) سورة فاطر (٢).
(٥٩) سورة الذاريات (٢٢).

كما ينسى هؤلاء أن الجهاد مصدر عظيم من مصادر الرزق والملك والمناصب والمغانم، فما من طريق أقرب إلى كلٍ ذلك مثل الجهاد، وإن كان المؤمنون لا يسعون بجهادهم إلى أي شيء من هذا القبيل. وإنما يطلبون رضا الله تعالى في الدرجة الأولى.

ولكن قل لي بربكم كيف أصبح العرب ورثة الامبراطوريتين الفارسية والرومانية؟ وأي شيء غير الجهاد حولهم من أناس يخافون أن يتخطفهم الناس من حولهم، إلى ملوك الدنيا والآخرة؟ وأصحاب أطول حضارة في التاريخ؟

❊ ❊ ❊

ثم هل يظن من يتقاعس عن الجهاد، خوفاً على المال، أو الأهل أنه سيأمن مِن مكر الله؟ وهل يقبل الله أعذارهم؟

يقول تعالى: ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً﴾ (٦٠).

ويقول رسول الله (ص): «إذا تبايعتم بالعِينة (الربى) وأخذتم أذناب البقر (شغلتم بماشيتكم وأموالكم) ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» (٦١).

ويقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ (٦٢).

---

(٦٠) سورة الفتح (١١).
(٦١) كنز العمال ج ٤ رقم ١٠٥٠٣.
(٦٢) سورة المنافقون (٩).

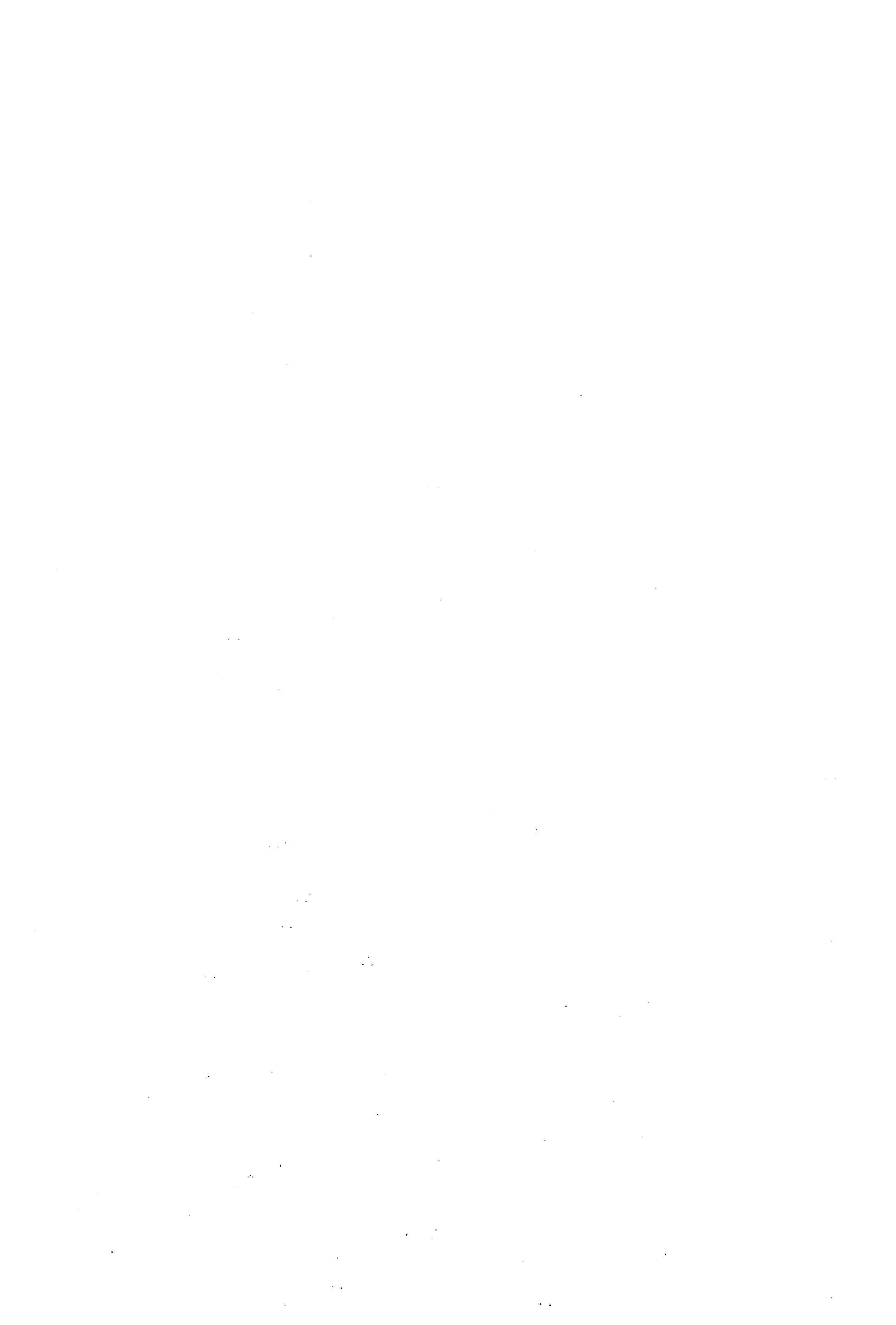
الثاني: العادات والتقاليد الخاطئة..

من العقبات النفسية أمام عملية الجهاد، وجود عادات خاطئة في تقبل الظلم، والخضوع للباطل.. فلربما تتعود أمة من الأمم - نتيجة شتى العوامل - على قبول الجور كقدر من أقدارها، وليس كباطل وكشذوذ، حتى تصبح لديها طبيعة ثانوية في ذلك..

فتماماً كما يقبل البعض بالفقر فيعيش في وضع مأساوي طيلة عمره، من دون أن يحرك ساكناً، أو يثور على واقعه، معتبراً وضعه تقدير الله، كذلك يمكن أن يتقبل شعب من الشعوب بما يجري عليه من عدوان، وظلم ومصادرة حريّات.. ويعتبر ذلك قضاء من الله وقدراً مقدوراً.

لقد كان أبو ذر يقول:

«عجبت لمن لا يجد قوتاً لعياله كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه» معتبراً الفقر حالة شاذة، يجوز من أجل القضاء عليها التوسل بالسيف، فكيف إذن قضية العبودية، والظلم، وامتهان كرامة الناس.



١٠
نصرة الله في الجهاد



نصرة الله للمجاهدين

عظيم جداً أن يكون الواحد منّا مع الله..

وأعظم منه أن يكون الله معه!

فكيف يمكن أن يكون ذلك؟

لقد أقام الله السموات والأرض، على الحق، ممن كان مع الحق، كانت السموات والأرض معه، إذ حينما ننصر الحق ينصرنا الحق أيضاً..

و«من كان مع الله، كان الله معه».

و﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾[1].

إن الله ينصر المظلوم، لأن الله مع العدل.

وينصر أهل الحق، لأنه ضد الباطل.

وينصر المستضعف الثائر، لأنه مع الحرية.

قال رسول الله (ص): اتقوا دعوة المظلوم فإنها تُحملُ على الغمام يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنّك ولو بعد حين»[2].

ولكن لا شك أن مجرد أن يكون الإنسان مظلوماً ومقهوراً ومستضعفاً لن

---

(١) سورة محمد (٧).

(٢) كنز العمال خبر (٧٦٠٠).

يعطيه نصرة الله، إلاّ إذا حاول، وجاهد، وثار وقاوم..

فالنصر للمجاهدين لا للمتقاعسين..

﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾[3].

يقول تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾[4].

ويقول: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾[5].

فإن تكون محسناً ومجاهداً ومؤمناً كفيل بأن يجلب لك نصر الله وتأييده الكريم.

* * *

وإذا طرحنا على أنفسنا التساؤل التالي:

في المواجهة بين الحق والباطل من ينتصر أخيراً، ومن يُهزم؟

وما هي الأسباب؟

لجاء الجواب بالتأكيد:

الإنتصار حليف الحق.

ولكن لا ينتصر الحق لمجرد أنه حق.

كما لا ينهزم الباطل لمجرد أنه باطل.

بل هناك أسباب مادية معينة، مضافاً إليها قوة الحق، وضعف الباطل.

أما إذا لم تتوفر تلك الأسباب فإن الحق يمكن أن يذبح على يد الباطل.

ألم يقتل هابيل على يد قابيل، ويحيى على يد بغي من بغايا بني إسرائيل، والحسين على يد زمرة يزيد؟

وبعبارة أخرى، إذا كان للحق جنود، فإن الحق هو المنتصر حتماً، مهما

---

(٣) سورة النساء (٩٥).

(٤) سورة العنكبوت (٦٩).

(٥) سورة الروم (٤٧).

كانت قوة الباطل، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار، أن الإنتصار ليس هو انتصار السيف على السيف، بل انتصار الجبهة على الجبهة.

والسبب هو أن قوة الحق مضافاً إليها قوة الجنود تشكلان سلاحين، بينما الباطل له قوة واحدة هي قوة الجنود، ومن يحمل سلاحين لا بد أن ينتصر على من يحمل سلاحاً واحداً مهما طال الزمن أو قصر.

وتعالوا نستمع إلى القرآن الكريم في هذا المجال:

﴿هل أتاك حديث الجنود (١٧) ، فرعون وثمود (١٨) ، بل الذين كفروا في تكذيب (١٩) ، والله من ورائهم محيط﴾ (٢٠) .

فرعون كان له جنود. وموسى كانت له عصا وحينما توفر لموسى من يستمع إليه من بني إسرائيل، انتصر على فرعون وجنوده.

وهكذا فإن الحق يعطي للجنود قوة دفع لا تقدر، وبذلك يكون جندي الحق صامداً، مضحياً، ومن ثمْ مقاتلاً جيداً. وواضح أن الحرب يربحها من يصبر ربع الساعة الأخيرة.

كل هذا، بالإضافة إلى أن باستطاعة المؤمن الصامد أن يعتمد على نصر الله وتأييده.

ذلك: إن الله تعالى قوي، ووسائله لا قبل للبشر بها، وهي جنود الله، وهذه حقيقة آمنا بها أم لم نؤمن، والله يجعل كل ذلك في اختيار الإنسان، إن وجدت عنده الإرادة على النصر، توفرت لديه قوة المجابهة مع الباطل، وتحمل مسؤوليته في مقاومة الطاغوت.

ومن يقف مع جبهة الله، وهي جبهة الحق والعدل والاستقلال. . وجبهة المثل العليا. . تكون معه هذه القوة أو الجنود أو الوسائل. .

وكما يقول القرآن الكريم:

---

(٦) سورة البروج (١٧ - ٢٠) .

﴿ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً﴾[7].

﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾[8].

﴿فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها﴾[9].

والسؤال: ما هي جنود الله؟

والجواب:

جنود الله كل ما في هذا الكون من صغير وكبير.. جنود الله قد تكون رياحاً، وقد تكون طير الأبابيل، وقد تكون الضفادع والقمل وما شابه ذلك وقد تكون إرهاباً وخوفاً في قلب العدو ـ وهذا الكون كله في قبضة الله وهو وحده يعرف كيف ومتى وعلى من يصرف قواها.

ألم تكن الرياح هي التي قررت مصير أخطر حرب شنت على رسول الله يوم الخندق؟

أو ليست الرياح مأمورة؟

أو ليست الرياح من جنود الله؟

يقول القرآن:

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذا جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً﴾[10].

﴿إذا جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا (١٠)، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾ (١١)[11].

وألم يكن الطوفان كله من جنود الله؟

---

(٧) سورة الفتح (٤).

(٨) سورة المدثر (٣١).

(٩) سورة التوبة (٤٠).

(١٠) سورة الأحزاب (٩).

(١١) سورة الأحزاب (١٠ ـ ١١).

يقول الله تعالى:

﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين﴾[١٢].

وألم تكن طير الأبابيل من جند الله ضد جند ابليس الذين استخدموا الفيل لهدم بيت الله؟

والأبابيل هنا جند الله.. والفيلة من جند ابليس.. وحينما توفر أولئك الذين توكلوا على ربهم، ضرب حزب الله، الفيلة بالأبابيل..

وألم يكن الرعب والخوف والجبن أيضاً من جنود الله؟

يقول الله تعالى:

﴿وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً (٢٥)، وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً (٢٦)، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها وكان الله على كل شيء قديراً﴾ (٢٧)[١٣].

ويقول الله تعالى عن حرب أخرى:

﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾[١٤].

هذه نماذج من جنود الله، والله هو الله وسنته هي.. هي لم تتغير ولم تتبدل. وجنوده موجودون في كل مكان وزمان.

وحينما يقف شعب من الشعوب في جبهة الله ويحقق الشروط التي أرادها

---

(١٢) سورة الأعراف (١٣٣).

(١٣) سورة الأحزاب (٢٥ - ٢٧).

(١٤) سورة الحشر (٢).

الله فيه بما فيها:

﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾[15].

ويوفر أيضاً الإرادة في نفسه، ويخرج إلى مواجهة جنود إبليس والقوى الشيطانية المتمثلة في الطاغوت، فإن الله يكرر معه ما صنع مع الرسول (ص) حيث أرسل رياحاً وقذف في قلوب عدوه الرعب.

إذن الحق حينما يتوفر له جنود وزنود. ورايات الحق حينما تحملها أكف مؤمنة، مصممة على مواصلة الجهاد.. فلا بد أن ينصرهم الله بجنوده ولا بد أن يأتي الكون لنصرتهم.

فإذا صمدوا..
وإذا قاتلوا..
وإذا قاوموا.. فإن قوة الكون كلها في اختيار الإنسان.
وبكلمة إذا كان مع الحق رجال مجاهدون، فإن الحق ينتصر.

وأما إذا بقي الحق وحيداً، فإن من الممكن أن يذبح ذبحاً شنيعاً.. ذلك لأن الله تعالى جعل حياة الأرض، قائمة على الجهد والكد، وهو تعالى يؤيد ولكنه لا ينوب.. ولا يجوز أن يقول الإنسان ﴿إذهب أنت وربك فقاتلا فإنّا ها هنا قاعدون﴾.

لا يكفي أن تقول أن الحق معنا وأن حكم الطاغوت معه الباطل، فإذن لا بد أن ينتصر حقنا على باطل الطاغوت. بل لا بد أن تحمل ما تملكه من سلاح وتجاهد، وتكون مستعداً لتقبل التضحيات وعندئذ يؤيدك الله فتنتصر.

وهو لن ينوب عنك في كل ذلك.

أي أنه إذا وجد رجال مؤمنون، فإن الله يؤيدهم على باطل الآخرين، وأما

---

(١٥) سورة الأنفال (٦٠).

إذا تقاعس المؤمنون، فلن ينوب الله عنهم في نصرة حقهم.

فإذا تمسك أهل الباطل بباطلهم، وتقاعس المؤمنون وأهل الحق عن حقهم، فإن الباطل سينتصر عليهم، أما إذا تمسك أهل الحق بحقهم وقاوموا، وكافحوا، وجاهدوا، وقدموا التضحيات، فإن حقهم سينتصر على باطلهم.

* * *

ونعود إلى التساؤل مرة أخرى.. في الصراع بين الحق والباطل، من ينتصر على من؟.

والجواب:

حينما يوجد مؤمنون صادقون مجاهدون، فإن الحق لا بد أن ينتصر على الباطل مهما كانت للباطل من قوة.

يقول الله تعالى:

﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾[١٦].

﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين (١٧١)، إنهم لهم المنصورون (١٧٢)، وإن جندنا لهم الغالبون﴾ (١٧٣)[١٧].

ومن هنا. فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن النصر هو نصر الجبهة التي يقف فيها المؤمنون..

فإن التاريخ يكشف لنا عن هذه الحقيقة وهي أن النصر لجبهة الحق دائماً، حتى إذا انهزم أهل الحق بأنفسهم، وقتلوا، ولكن صمودهم سيجعل جبهتهم منتصرة.

إن الإمام الحسين (ع) قتل في صحراء كربلاء، وأن يحيى قتل على يد بغي من بغايا بني إسرائيل.. وأن هابيل قتل على يد قابيل.. ولكن هؤلاء حينما صمدوا فإن جبهتهم انتصرت..

---

(١٦) سورة غافر (٥١).

(١٧) سورة الصافات (١٧١ - ١٧٣).

فمن يا ترى انتصر في ساحة كربلاء، يزيد أم الإمام الحسين (ع)؟ أية جبهة هي التي انتصرت في النهاية؟

كلنا يعرف ما هي الجبهة التي انتصرت، وصدق الله الذي يقول: ﴿كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي﴾[18].

* * *

أما كيف هي طريقة الله في نصرة المؤمنين المجاهدين؟ فإنها تكون بإحدى الطرق التالية:

أولاً: إن سنته تعالى جارية على أن «لا يصح إلاّ الصحيح» كما يقول الإمام علي (ع) فالباطل مبني على جرف منهار..

فحركة التاريخ ثابتة، ومن نظم حركته مع حركة التاريخ انتصر في النهاية.

إن التاريخ يكشف عن انتصار كل جماعة حملوا قضيتهم، وقاتلوا من أجلها..

يقول الله تعالى: ﴿ليحق (الله) الحق (بكلماته) ويبطل الباطل ولو كره المجرمون﴾[19].

ثانياً: إن الله يرشد المؤمنين الصادقين، فيلقي في قلوبهم الهدى. يقول تعالى: ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾[20].

ثالثاً: بما أن الله قد قدّر أن يزهق الباطل، فإن الظلم محكوم بالاخفاق.. فالحكم مع الكفر يدوم، ومع الظلم لا يدوم. يقول الله تعالى: ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين، وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلوا عليهم

---

(١٨) سور المجادلة (٢١).
(١٩) سورة الأنفال (٨).
(٢٠) سورة التغابن (١١).

آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾[٢١].

ويقول تعالى: ﴿إنا من المجرمين منتقمون﴾[٢٢].

ويقول: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد (٦) ، إرم ذات العماد (٧) ، التي لم يخلق مثلها في البلاد (٨) ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد (٩) ، وفرعون ذي الأوتاد (١٠) ، الذين طغوا في البلاد (١١) ، فأكثروا فيها الفساد (١٢) ، فصب عليهم ربك سوط عذاب (١٣) ، إن ربك لبالمرصاد﴾ (١٤) [٢٣].

وكذلك، فقد قرّر الله نصر الحق..

يقول تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾[٢٤].

ويقول: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودها منهم ما كانوا يحذرون﴾[٢٥].

ويقول: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾[٢٦].

رابعاً: إن لله نصرة غيبية، لعباده المجاهدين..

يقول الله تعالى: ﴿وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم (٢١() ، إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١٢٢) ، ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون (١٢٣) ، إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ، (١٢٤) بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا

(٢١) سورة القصص (٥٨ ـ ٥٩).
(٢٢) سورة السجدة (٢٢).
(٢٣) سورة الفجر (٦ ـ ١٤).
(٢٤) سورة آل عمران (١٣٩).
(٢٥) سورة القصص (٥).
(٢٦) سورة الأنبياء (١٠٥).

يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين (١٢٥) ، وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم (١٢٦) ، ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين﴾ (١٢٧) [١٢٧] .

ويقول : ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوّان كفور (٣٨) ، أُذن للذين يُقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩) ، الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلّا أن يقولوا ربما الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ (٤٠) [٢٨] .

ويقول: ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾[٢٩] .

ويقول: ﴿ونصرناهم فكانوا هم الغالبين﴾[٣٠] .

ويقول: ﴿ألا إن نصر الله قريب﴾[٣١] .

ويقول: ﴿ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين﴾[٣٢] .

ويقول: ﴿والله يؤيد بنصره من يشاء﴾[٣٣] .

ويقول: ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾[٣٤] .

ويقول: ﴿واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾[٣٥] .

ويقول: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾[٣٦] .

---

(٢٧) سورة آل عمران (١٢١ ـ ١٢٧).
(٢٨) سورة الحج (٣٨ ـ ٤٠).
(٢٩) سورة النساء (١٤١).
(٣٠) سورة الصافات (١١٦).
(٣١) سورة البقرة (٢١٤).
(٣٢) سورة الأنفال (١٨).
(٣٣) سورة آل عمران (١٣).
(٣٤) سورة آل عمران (١٢٦).
(٣٥) سورة آل عمران (١٠٣).
(٣٦) سورة الفتح (٤).

ويقول: ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرّعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾[٣٧].

ويقول: ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون..﴾[٣٨].

ويقول: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾[٣٩].

ويقول الإمام علي (ع): «إن هذا الأمر (الإسلام) لم يكن نصره وخذلانه بكثرةٍ ولا قلة، هو دينه الذي أظهره وجنده الذي أعزه، وأمدّه بالملائكة حتى بلغ ما بلغ، فنحن على موعد من الله، والله منجز وعده وناصر جنده»[٤٠].

* * *

وذات مرة، كان النبي (ص) قد خيم مع أصحابه على سفح تل، وهم عازمون على غزوة، فابتعد عن أصحابه ليقضي حاجته خلف التل، ثم غفى هناك، وحيداً ونام..

ويبدو أن أحد المشركين واسمه «غورث بن الحارث» كان قد لمحه، فجاء إليه، ووقف عند رأسه شاهراً سيفه، صاح به:

«من يمنعك مني يا أبا القاسم؟!

ففتح النبي (ص) عينيه، ولمح بريق السيف فوق رأسه، فقال: .. الله!

وحاول الرّجل أن يهوي بالسيف على رأس النبي فضغط على رجله

---

(٣٧) سورة الأنفال (١٢).

(٣٨) سورة الأنفال (٢٦).

(٣٩) سورة الأنفال (١٧).

(٤٠) نهج البلاغة خطبه رقم (١٤٦).

فانزلقت، وتهاوى على الأرض، فبادر النبي (ص) إلى سيفه فحمله، ووقف على رأس غورث قائلاً له:

والآن.. من يمنعك مني يا غورث؟

فما كان من الرجل أن التمسه قائلاً:

عفوك يا محمد.. وكن خير آخذ..

وعفى عنه رسول الله فعلاً، وحينما عاد إلى قومه قال لهم: والله لقد جئتكم من عند خير الناس»[٤١].

إن نصرة الله قضية واقعية، وحقيقة تاريخية، ففي غزوة بدر دعا رسول الله (ص) على صناديد قريش، قائلاً: «اللّهم لا تفلّتن أبا جهل بن هشام، فرعون هذه الأمّة.. اللهم لا تفلّتن زمعة بن الأسود، اللّهم أسخن عين أبي زمعة، اللهم أعم بصر أبي زمعة.. اللهم لا تَفلّتن سهيل بن أبي عمرو».

ولمّا رأى قريشاً تصوّب من الوادي، دعا (صلى الله عليه وآله) قائلاً: «اللهم: إنك أنزلت عليّ الكتاب، وأمرتني بالقتال، ووعدتني إحدى الطائفتين، وإنك لا تخلف الميعاد.. اللهم: هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادُّك، وتكذّب رسولك.. اللهم: نصرك الذي وعدتني.. اللهم: أحنهم الغداة».

وعندما وقعت المواجهة، أخذ رسول (ص) حفنة من التراب، فرماها باتجاه المشركين قائلاً: «شاهت الوجوه» ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: «اللهم أرعب قلوبهم، وزلزل أقدامهم».

فكانت النتيجة أن قتل فرعون هذه الأمة، وقتل أبو زمعة، وقتل سهيل بن أبي عمرو، وشاهت وجوه المشركين فعلاً، وقذف في قلوبهم الرعب، وتزلزلت أقدامهم، واختلطت عليهم الرؤية، وأصيبوا بهزيمة منكرة..

ولمّا وضعت الحرب أوزارها أمر رسول الله (ص) بأن ترمى أجساد

---

(٤١) البحار ج ٢٠ ص ١٧٩ ح ٦.

المشركين في بئر، ثم جاء إلى حافتها ونادى: «يا عتبة، ويا شيبة، ويا أميّة، ويا أبا جهل: لقد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً».

ترى: كيف تتحول حفنة من تراب إلى سلاح رهيب لا يُقابل؟

ترى.. في تلك اللحظات من نصر النبي (ص) وقلّب له الأمر، وحوّله من مقتول لا محالة إلى منتصر بالتأكيد؟

لقد صدق الله الذي يقول: ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وأن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾[٤٢].

وهكذا فإن إطمئناننا بنصرة الله، أمر لا يخالجه الشك، لأن ذلك أمر كتبه الله على نفسه قائلاً: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾[٤٣] ولن يتراجع الله عما كتبه على نفسه..

فمن نصر الله، وكان مع رسله. فهو الغالب من غير ترديد..

ألم يعد رسول الله (ص) قومه قائلاً: «قولوا لا إله إلّا الله تكونوا ملوك الدنيا والآخرة» وحينما قالوها، ووقفوا لها، وقاتلوا من أجلها أصبحوا ملوك الدنيا والآخرة؟

إن الله يقول: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾[٤٤].

ورسول الله يقول: «اتبعوني تكونوا ملوكاً في دنياكم، تحظوا بجنات عرضها السماوات والأرض في آخرتكم».

والتاريخ يكشف أن وعود الله ورسوله، لا خلف لها، ولا تراجع عنها ﴿لا يخلف الله وعده﴾[٤٥].

---

(٤٢) سورة آل عمران (١٦٠).
(٤٣) سورة المجادلة (٢١).
(٤٤) سورة التوبة (٣٣).
(٤٥) سورة الروم (٦).

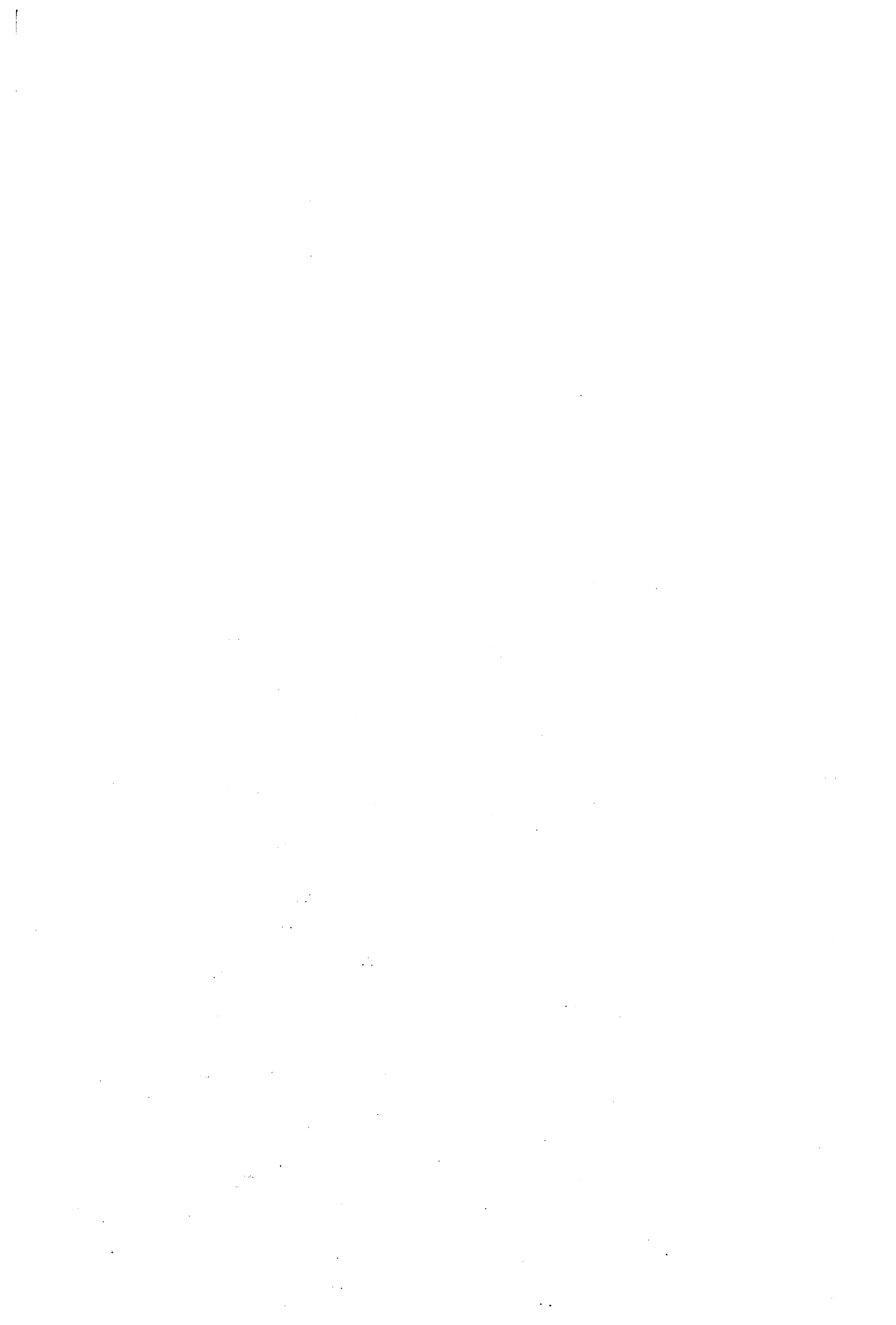
ألم نجد أن وعد رسول الله في قوله: «إذا مات قيصر فلا قيصر بعده، وإذا مات كسرى فلا كسرى بعده، فوالذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله قد تحقق فعلاً؟

وألم نجد أن وعده، في غزوة الخندق حين استعصت صخرة على المسلمين، جاءها النبي (ص) وأمر برشها بالماء، ثم تركها فترة، وجاءها بعدئذ، وجذبها بمعول فانقدحت شرارة فقال (ص): «الله أكبر.. أعطيتُ مفاتيح الشام»، ثم ضربها أخرى فانقدحت شرارة فقال: «الله أكبر أعطيت قصور المدائن». ثم ضربها ثالثة، فانقدحت شرارة فقال (ص): «الله أكبر أُعطيتُ مفاتيح اليمن» وكان الأمر كما قال (ص)؟؟.

١١

جهاد الثقال

جهاد الخفاف



الجهاد في الإسلام جهادان:
جهاد الأمة المؤمنة، وجهاد الفرد المؤمن..

فالأمة لا بد أن تكون مستعدة للدفاع عن نفسها، وكيانها، ومصالحها، كما لا بد أن تكون مستعدة لتحمل مسؤولياتها الدولية تجاه قضايا العدل والحرية في الأرض.

والفرد المؤمن من جهته أيضاً لا بد أن يدفع عن نفسه ظلاماتها، ويتحمل أيضاً مسؤولياته الاجتماعية، والوطنية والإنسانية كذلك.
فالفرد المسلم مجاهد، في أمة مجاهدة..

ولكن إذا لم توجد الأمة المجاهدة فهذا لا يلغي؛ واجبه في الجهاد لأن المسلم بصفته إنساناً مكلف بواجبات، ومحمّل بمسؤوليات، وعليه أن يتحملها مع قطع النظر عن تحمل الآخرين لمسؤولياتهم، وعدمها.

ومن هنا فإن من خصائص الجهاد، في الإسلام أنه عمل فردي كما أنه عمل جماعي، ويؤديه الفرد كواجب شخصي عليه، مثل الصلاة والصيام، وهو ليس مشروطاً بعمل الآخرين ﴿لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾[١].

---

(١) سورة المائدة (١٠٥).

وهو من هذه الناحية يشبه العمل الفدائي الذي لا يأخذ بعين الاعتبار مسألة التكافؤ بين المجاهد من جهة، وبين قوة العدو من جهة أخرى. لأن الجهاد لا يخضع لقيود الجيش النظامي، بل المجاهد يقوم بعمله مستعيناً بعنصر الإيمان، والمبادرة، والتضحية.

والروح الجهادية، التي يجب أن يتمتع بها كل مسلم، هي استعداد الفرد للتضحية بكل غال ورخيص حتى بروحه التي بين جنبيه، من أجل حق يؤمن به، وإيمان يعتنقه، ومسؤولية يشعر بها من غير أن يتطلع إلى مصلحة، أو يخاف من غير الله..

وهو لذلك لا يحسب حساب الربح والخسارة، ولا يتحرك ضمن معادلة النصر والهزيمة.. لأن النصر من عند الله، إن شاء أعطى، وإن شاء منع..

فالمجاهد في سبيل الله لا يندفع إلى عمله لغرض أو منفعة، أو شهرة، أو ما شابه ذلك، وإنما يندفع إيماناً منه بواجبه المقدس لأن يدفع باطلاً ويقيم حقاً..

والجهاد الفردي يكون مشروعاً في الموارد التالية:

(أ) الدفاع عن النفس، وما يتعلق بها من مال أو عرض أو حق.

(ب) الدفاع عن حقوق الفرد الطبيعية مثل الحريّة والعدل.

(ج) الدفاع عن مجموعة القيم الإسلامية، إذا تعرضت للتهديد، وهو ما يسمى بـ «الدفاع عن بيضة الإسلام».

(د) الدفاع عن المظلوم، أو المظلومين..

أمّا الجهاد الجماعي، فهو مشروع بمجرد أن «يقوم الناصر» حسب تعبير الإمام علي (ع):

فعن أبي جعفر محمّد بن عليّ (ع) أنّه قال: إذا اجتمع للإمام عدَّة أهل بدر ثلاث مائة وثلاثة عشر وجب عليه القيام والتغيير[٢].

---

(٢) البحار: ج ٩٧ ص ٤٩ ح ١٨.

وفي الحقيقة فإن بين الجهادين: الفردي والجماعي تداخلاً كبيراً حتى ليحسب الإنسان أنّ كل ما يرتبط بالجهاد الفردي يرتبط بالجهاد الجماعي والعكس أيضاً، بحيث يخيّل أن على كل فرد مسلم أن يقود عملية الجهاد بمفرده إذا رأى ظلماً وطغياناً.

يقول رسوا الله (ص) : **«من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ، ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»** .

ويقول الإمام الحسين (ع): «ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً»[٣].

ويقول (ع): وهو يحدد الظروف التي يجب فيها الجهاد الفردي:

«ألا.. وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، واظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وإنا أحق من غيّر»[٤].

والإمام الحسين (ع) لم يقل ذلك ويمشي إلى داره، بل قاله وقاد حركة استشهاده قدم فيها نفسه وإخوته، وأولاده وأصحابه جميعاً شهداء في سبيل الله.
فأعطى شرعية الجهاد الفردي قولاً..
وأعطاها فعلاً وموقفاً..

ترى: هل يعني قوله تعالى: ﴿إنفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾[٥] ـ فيما يعنيه ـ الجهاد الفردي باعتباره «جهاد الخفاف» والجهاد الجماعي باعتباره «جهاد الثقال»؟

* * *

---

(٣) تحف العقول ص ١٧٤ .

(٤) تحف العقول ص ١٧٤ .

(٥) سورة التوبة (٤١).

وهنا قد يتساءل البعض عن مشروعية الجهاد الفردي، خاصة مع غياب قيادة الإمام المعصوم. .

ولكن:

أولاً: هنالك «إجازة عامة» في هذا الجهاد، كما أن هنالك إجازة عامة في قضايا الإنسان الحياتية الأخرى، مثل ما يرتبط بالتجارة، والزراعة، والصناعة فالجهاد هو حق كل فرد في الدفاع عن نفسه وعرضه وماله، كما هو واجبه في الدفاع عن الحق والعدل والإيمان، وكل قيم الديانات السماوية. .

إن الله تعالى كرم بني آدم، وتعاهد على حفظ هذه الكرامة، فإذا تعرضت للإعتداء فله الحق في الدفاع عنها، وإذا قتل كان شهيداً. .

يقول الحديث الشريف: «من قتل دون نفسه فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد»[٦].

ويقول حديث آخر: «سيد الشهداء حمزة. . ومن قام إلى إمام جائر فنصحه، فقتله. . »[٧]!

فمن أدّى واجبه ضد «الإمام الجائر» وقُتل فهو في مرتبة حمزة سيد الشهداء. .

أليس ذلك تحريضاً على الجهاد الفردي؟

ثانياً: إن أعمال الأنبياء في بدء دعواتهم، وكذلك مواقف الأئمة الطاهرين كلها تكشف ليس فقط عن مشروعية الجهاد الفردي بل عن وجوبه وضرورته. .

فهل هنالك دعوة إصلاحية إلّا وبدأت من «فرد»؟

وهل هنالك دعوة من دون جهاد؟

وإذا ألغينا «الجهاد الفردي» فهل يبقى لنا إلّا ضرورة الخضوع للباطل إلى نهاية الدهر؟

* * *

---

(٦) كما في كنز العمال ج ٤ رقم ١١٢٣٧.

(٧) كنز العمال ج ١١ رقم ٣٣٢٦٤.

وقد يتساءل البعض عن وجوب الجهاد مع خذلان الناصر، وغياب الأصحاب، خاصة إذا لم يكن في الأفق أي أمل في الإنتصار، فعلى أي أساس يتم خوض الجهاد؟

ولكن: هل قضية الجهاد هي قضية الإنتصار، أم هي قضية واجب؟

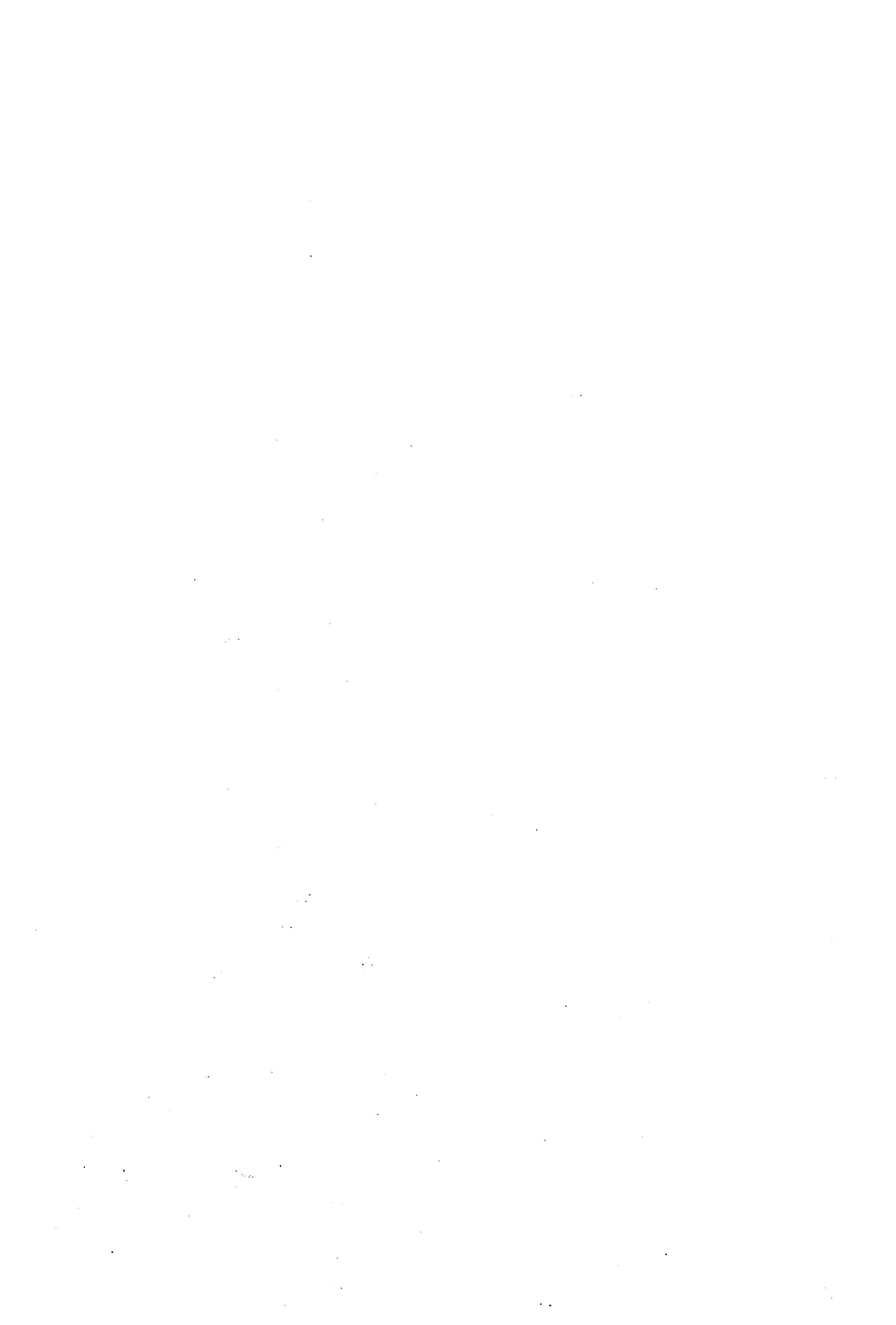
وهل يصح لنا أن نشترط على الجهاد شروطاً أم هو الشرط في بقية الأشياء؟

وهل وجود الناصر هو شرط سابق على التحرك للجهاد، أم هو نتيجة؟

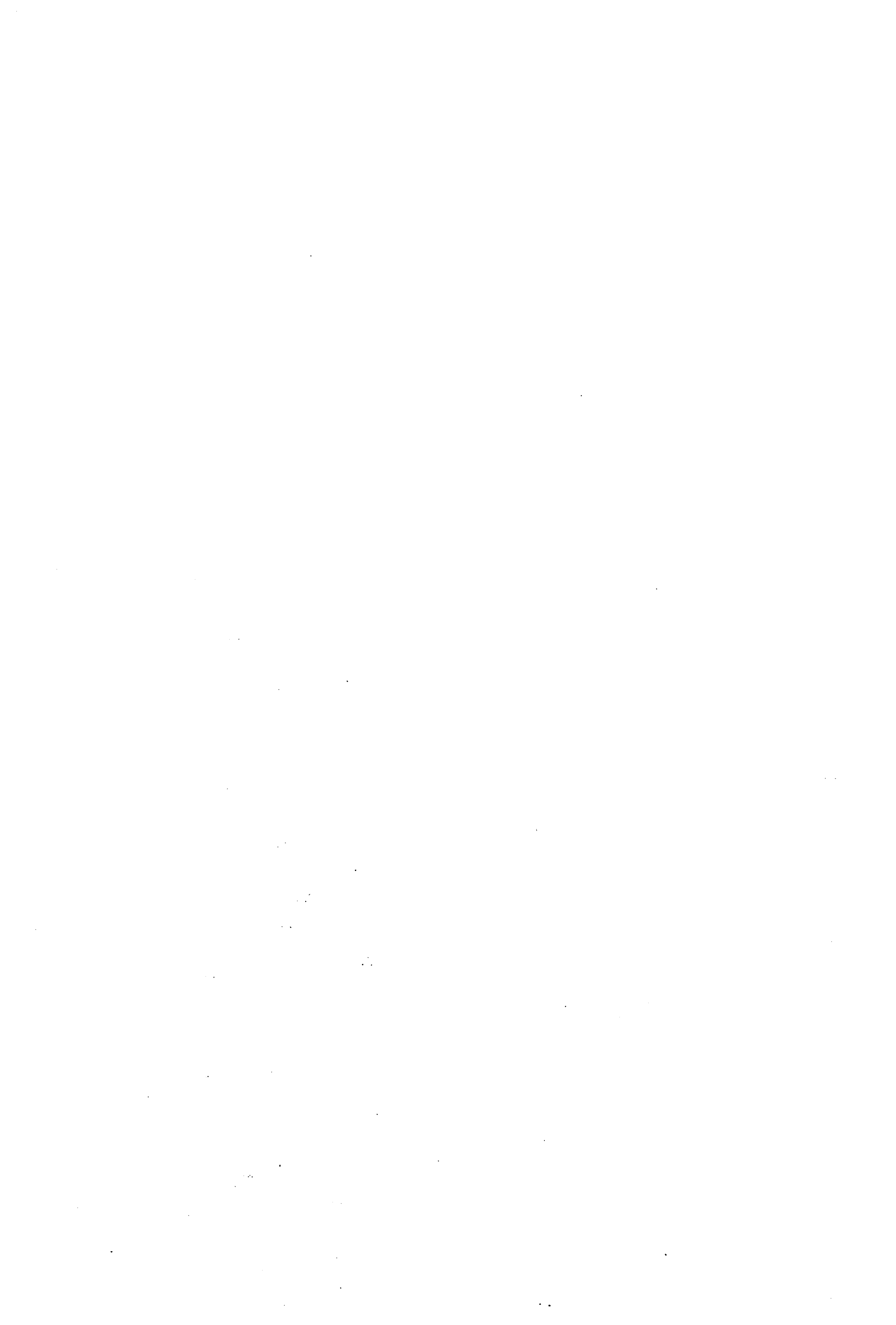
لقد قال الإمام علي (ع): لعمر بن الخطاب حينما احتدم النقاش حول أن يجاهد المسلمون الكفار من الفرس في وقعة نهاوند وكان البعض يرى أن لا يواجهوا الكافرين، نظراً لقلة المسلمين وكثرة الكافرين.. فقال الإمام (ع):

«إن هذا الأمر لم يكن نصره وخذلانه بكثرة ولا قلة، هو دينه الذي أظهره وجنده الذي أعزه وأمدّه بالملائكة حتى بلغ ما بلغ، فنحن على موعد من الله، والله منجز وعده وناصر جنده»[8].

(٨) نهج البلاغة خطبة رقم (١٤٦).



١٢
الشهادة والشهداء



بالنسبة إلى المؤمنين نتيجة الجهاد معروفة:

إمّا النص، وإما الشهادة!

وكلاهما هدف مقدس، يستحق المغامرة بالحياة من أجله، فالنصر تحقيق لمطالب الإنسان في الحياة الدنيا، والشهادة تحقيق لمطالبه في الآخرة.

يقول الحديث الشريف: «جاهدوا.. إن قتَلتم كنتم ملوك الدنيا، وإن قُتلتم كنتم ملوك الآخرة».

وهكذا فإن المعادلة الروحية، هي لمصلحة المؤمنين دائماً، فهم إمّا ملوك الأمّة إن انتصروا، أو شهدائها إن قتلوا.

في حرب الأحزاب، حينما تقابل عمرو بن ود العامري، وهو الذي كان يوصف بالرجل الذي يقابل ألفاً من الجنود، مع علي بن أبي طالب، وكان لا يزال في بداية العشرينات من عمره. قال له عمرو:

يا علي.. هل أمن ابن عمك حيث أرسلك إليّ، ان استلك برمحي هذا، بين السماء والأرض فلا أنت حيّ ولا أنت ميت؟

فقال له الإمام:

«أرسلني ابن عمي.. إن قَتلتُك كنت أنت في النار، وكنتُ أنا في الجنة.

وإن قَتلتني كنتُ أنا في الجنة، وكنت أنت في النار».

فقال له عمرو:

كلتاهما لك يا علي، ﴿تلك إذاً قسمة ضيزى﴾[1]!.

وعلى كل حال، فإن المؤمنين الذين يجاهدون ليس من أجل المال، أو السيطرة أو أي شيء من حطام الدنيا، فإنهم يرجون ثواب الله الذي جعله للمجاهدين، سواء انتصروا أم انهزموا أم جرحوا، أم تساووا.

فالثواب هو أجر الله على الجهاد مع قطع النظر عن النتيجة.

يقول الله تعالى: ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة، ومن يُقاتل في سبيل الله فيُقتل أو يَغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾[2].

ومن هنا كانت الشهادة للمؤمنين من أصحاب رسول الله (ص) ذات طعم خاص، فكانوا يبحثون عنها، ويتألمون لخسارتها، ويفرحون لدنوها، ويدعون الله لها..

يقول الإمام الحسين (ع): «إني لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برمًا»[3].

فالذي يحمل يقيناً بالله، ورؤية واضحة لأهداف الحياة لا يمكن إلّا أن يستبشر بالموت من أجل الله... بينما الذي يفهم الإيمان بالله مجرد لقلقة لسان، لا يمكن إلّا أن يخاف من الشهادة، ويتمسك بالحياة كما تتمسك الدودة بالجيفة.

يقول الإمام علي في حوار بينه وبين النبيّ:

«... فقلت: يا رسول الله، أو ليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين، وحيزت (ابتعدت) عني الشهادة، فشق ذلك عليّ!

---

(١) سورة النجم (٢٢)

(٢) سورة النساء (٧٤).

(٣) تحف العقول ١٧٤.

فقلت لي: أبشر، فإن الشهادة من ورائك؟

فقال لي (ص): إن ذلك، لكذلك. فكيف صبرك إذن (يا علي على الشهادة)؟

فقلتُ: يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرى والشكر»[٤].

فالصبر يكون على البلاء، بينما الشهادة: نعمة، وبركة، فهي موطن شكر وبشرى.

* * *

ولكي نعرف لماذا تكون الشهادة، موطن الشكر والبشرى نستعرض طائفة من الآيات والأحاديث الواردة حول الشهادة والشهيد..

١ ـ الشهيد حي عند الله.. يُرزق:

مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ الموت حكم وحتم على البشرية جمعاء، فإن الناس بالنسبة إليه على ثلاثة أقسام:

(أ) منهم من يموت ذليلاً.

(ب) ومنهم من يموت بشكل طبيعي.

(ج) ومنهم من يموت بعز، دفاعاً عن مقدساته، ومبادئه والقسمان الأولان هما بسمة الغالبية من الناس..

ولكن لماذا لا نموت بعزّ؟

لماذا لا نذهب إلى ربنا، ونحن واثقون من رحمته؟

بل لماذا لا نموت الموت الذي هو الحياة بعينها؟

يقول الإمام علي (ع): أيّها النّاس إنّ الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب، ليس عن الموت محيد ولا محيص، من لم يقتل مات، إنّ أفضل

---

(٤) نهج البلاغة خطبة رقم (١٥٦).

الموت القتل، والّذي نفس عَليّ بيده، لألف ضربة بالسّيف أهون من موتة واحدة على الفراش[٥].

ويقول الله تعالى : ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءً عند ربهم يُرزقون (١٦٩) ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلّفهم ألّا فوفٌ عليهم ولا هم يحزنون (١٧٠) ، يستبشرون بنعمةٍ من الله وفضلٍ وأن الله لا يُضيع أجر المؤمنين (١٧١) ، الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيم (١٧٢) ، الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل (١٧٣) ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم (١٧٤) ، إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ (١٧٥)[٦] .

ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[٧].

ويقول رسول الله (ص): «جاهد في سبيل الله ، فإنك إن تُقتل كنت حياً عند الله ترزق»[٨].

ويقول (ص): «الشهداء على بارق نهرٍ بباب الجنة في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقُهم من الجنّة بكرةً وعَشياً»[٩].

٢ ـ الشهيد لا يفتتن في قبره:

يقول رسول الله (ص) «من لقى العدو فصبر حتى يُقتل أو يغلب لم يُفتن

---

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٠٦ .
(٦) سورة آل عمران (١٦٩ ـ ١٧٥).
(٧) سورة البقرة (١٥٤).
(٨) تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٤٠٩ .
(٩) كنز العمال ج ٤ رقم ١١٠٩٩.

في قبره»[١٠].

وسُئل (ص): ما بال المؤمنين يُفتنون في قبورهم إلا الشهيد.

فقال (ص): «كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة»[١١].

٣ ـ الشهيد أفضل الناس:

يقول رسول الله (ص): «فوق كل برّ برّ حتى يُقتل الرجل في سبيل الله فليس فوقه برّ»[١٢].

وفي الحديث: رأى النبي (ص) رجلاً يدعو قائلاً: «اللّهم إني أسألك خير ما تُسأل، فاعطني أفضل ما تعطي».

فقال النبي (ص): «ان استجيب لك، أهريق دمك في سبيل الله»[١٣].

٤ ـ الشهيد يسقط في أحضان الحور:

يقول رسول الله (ص) إذا زال الشهيد من فرسه بطعنة أو بضربة لم يصل إلى الأرض حتى يبعث الله عز وجل زوجته من الحور العين فتبشره بما أعدّ الله عز وجل له من الكرامة تقول له: مرحباً بالروح الطيبة التي خرجت من البدن الطيب، أبشر فإن لك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

٥ ـ كل الطيبات للشهيد:

يقول رسول الله (ص): «للشهيد سبع خصال من الله:

الأولى: أول قطرة في دمه مغفور له كل ذنب.

الثانية: يقع رأسه في حجر زوجتيه من الحور العين، فتمسحان الغبار عن وجهه وتقولان: مرحباً بك. ويقول هو مثل ذلك فيهما.

الثالثة: يُكسى من كسوة الجنة.

---

(١٠) كنز العمال خبر (١٠٦٦٢).

(١١) كنز العمال خبر (١١١٣٨).

(١٢) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٦١.

(١٣) الموسوعة الفقهية للشيرازي/ مجلد الجهاد/ ص ١٤.

الرابعة: تبتدره خزنة الجنة بكل ريح طيبة أيهّم يأخذه معه.
الخامسة: أن يرى منزلته.
السادسة: يُقال لروحه: اسرح في الجنة حيث شئت.
السابعة: أن ينظر في وجه الله، وإنها لراحة لكل نبي وشهيد»[١٤].

٦ ـ الشهيد تغفر كل سيئاته:

يقول الحديث الشريف: «من قُتل في سبيل الله لم يعرّفه الله شيئاً من سيئاته»[١٥].

٧ ـ الشهيد أول من يدخل الجنة:

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضل الأعمال عند الله عزَّ وجلَّ إيمان لا شكّ فيه، وغزو لا غلول فيه، وحجّ مبرور، وأوَّل من يدخل الجنَّة شهيد، وعبد مملوك أحسن عبادة ربّه ونصح لسيّده، ورجل عفيف متعفّف ذو عبادة[١٦].

٨ ـ الشهيد يشفع للناس يوم القيامة:

يقول رسول الله (ص): «ثلاثة يشفعون إلى الله عز وجل فيشفعهم الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء»[١٧].

٩ ـ الشهيد يتمنى العودة لما يرى من الكرامة:

يقول رسول الله (ص): ما من أحد يدخل الجنّة يحبّ أن يرجع إلى الدّنيا، وأنّ له ما على الأرض من شيء، غير الشّهيد فإنّه يتمنّى أن يرجع فيُقتل عشر مرّات، لما يرى من الكرامة[١٨].

---

(١٤) الموسوعة الفقهية للإمام الشيرازي/مجلد الجهاد/ ص ١٥١.
(١٥) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٩.
(١٦) تنبيه الخواطر ص ٤٧.
(١٧) بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٤.
(١٨) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٤٩٨.

١٠ ـ كل الأنبياء والأوصياء يستشهدون:

يقول الحديث الشريف: «ما من نبي ولا وصي إلا شهيد».

ويقول الإمام الحسن: «لقد حدثني حبيبي رسول الله: إن الأمر يملكه إثنا عشر إماماً من أهل بيته، ما منا إلا مقتول أو مسموم»[١٩].

* * *

هذا عن الشهيد.. وهنالك أحاديث عن الشهادة، كقيمة حضاريّة، يستطيع كل فرد أن يتحصل عليها، فهي باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه..

وإليكم نماذج منها..

١ ـ الشهادة أشرف أنواع الموت:

يقول رسول الله (ص): «أشرف الموت قتل الشهادة»[٢٠].

٢ ـ الشهادة عند الله أفضل:

يقول الحديث الشريف: «ما من قطرة أحب إلى الله عز وجل من قطرتين: قطرة دم في سبيل الله وقطرة دمعةٍ في سواد الليل لا يريد بها عبد إلا الله عز وجل»[٢١].

٣ ـ الشهادة تكفر كل ذنب:

يقول الحديث الشريف: «كل ذنب يكفّره القتل في سبيل الله إلّا الدّين فإنه لا كفارة له إلا أداؤه، أو يقضى صاحبه، أو يعفو الذي له الحق»[٢٢].

ويقول رسول الله (ص): «الشهادة تكفر كل شيء إلا الدّين»[٢٣].

---

(١٩) بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٢١٧ .
(٢٠) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٨ .
(٢١) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ١٠ .
(٢٢) تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٥١٧ .
(٢٣) كنز العمال خبر (١١٠٨٩) .

٤ ـ الشهادة راحة من كل نصب:

يقول الإمام علي (ع) «الرائح إلى الله كالظمآن يرد الماء»[٢٤].

* * *

ولهذا الثواب العظيم كان النبي (ص) يقدّم أعز الناس لديه لنيلها..

يقول الإمام علي (ع):

«وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ إذا احمرّ البأس (إشتدّ القتال) وأحجم الناس (عن مواصلة القتال) قدم أهل بيته فوقى بهم أصحابه حرّ السيوف والأسنة، فقتل عبيدة بن الحارث (وهو ابن عمّ النبي) يوم بدر، وقُتل حمزة (عم النبي) يوم أُحد، وقتل جعفر (ابن عمه) يوم مؤتة. «وأراد من لو شئتُ ذكرت اسمه، مثل الذي أرادوا من الشهادة، ولكن آجالهم عجّلت، ومنيتهم أجّلت»[٢٥].

* * *

ولهذا أيضاً كان أصحاب رسول الله العظام كثيراً يدعون ربهم أن يختم لهم الله بالشهادة. فهذا هو الإمام علي (ع): يدعو ربه بقوله: «اللهم رب السقف المرفوع: إن أظهرتنا على عدونا، فجنبنا البغي وسددنا للحق، وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة، واعصمنا من الفتنة»[٢٦].

ويقول (ع) في دعائه لهاشم بن عتبة: «اللّهم ارزقه الشهادة في سبيلك والموافقة لنبيّك»[٢٧].

ويقول (ع): في ختام عهده المعروف إلى مالك الأشتر: «وأنا اسأل الله بسعة رحمته، وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة أن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة»[٢٨].

---

(٢٤) نهج البلاغة خطبة رقم (١٢٤).

(٢٥) نهج البلاغة كتاب رقم (٩).

(٢٦) نهج البلاغة خطبة رقم (١٧١).

(٢٧) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢ ص ١٨٤.

(٢٨) نهج البلاغة كتاب رقم (٥٣).

وكان دعاؤهم مقروناً بالفعل، ولذلك استجاب الله لهم. . وإليكم قصة أحدهم وهو الشهيد عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي، وأمه آمنة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي سبق إلى الإسلام قبل دخول النبي دار الأرقم بن أبي الأرقم، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة، ثم إلى المدينة.

فقد كانت فيه رجولة وبطولة، فجعله الرسول أميراً على أول سرية بعثها (ص) لمناوشة الأعداء المشركين، وذلك بعد سبعة عشر شهراً من قدوم النبي (ص) إلى المدينة، أي قبل غزوة بدر بشهرين.

والسرية تعني مجموعة من المجاهدين تخرج فتغير على العدو ثم تعود، وسميت سرية لأنها تسري خفية، أي تتحرك في تكتم وتستر، وتبدأ من خمسة أشخاص وقد تبلغ أربعمائة.

وأرسل النبي (ص) معه ثمانية رجال، من المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق، وهم سعد بن أبي وقاص، وعامر بن ربيعة، وأبو حذيفة بن عتبة، وخالد بن البكير، وسهيل بن بيضاء، وعكاشة بن محصن، وواقد بن عبد الله، وعتبة بن غزوان.

وكان كل اثنين منهم يتعقبان بعيراً، (أي يركب كل منهما مسافة ويمشي مسافة أخرىٰ ليركب صاحبه)، وأعطاه الرسول كتاباً مغلقاً، وأمره ألّا يفتحه إلّا بعد مسيرة يومين، فإذا فتحه نفذ ما فيه، ولا يستكره أحداً من أصحابه، بل يترك لهم الخيار، فمن تابعه فعل، ومن رجع كان له ذلك.

ونفذ عبد الله هذا أمر النبي، وعند المكان المناسب فتح الكتاب، فإذا فيه: «إذا نظرت في كتابي هذا، فامض حتى تنزل نخلة، بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً، وتعلم لنا من أخبارهم».

وما كاد عبد الله يبلغ نهاية الكتاب حتى هتف قائلاً: «سمعاً وطاعة لله ولرسوله»!

وأخبر عبد الله رفاقه بما في الكتاب، ثم قال لهم: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهاني أن أستكره أحداً منكم، فمْن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق معي، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم». وأضاف قائلاً: «من كان يريد الموت فليمض وليوص»، فإني موصٍ وماضٍ لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

واستجاب الجميع لندائه، ولم يتخلف منهم أحد. بلا إرغام ولا احتيال، فالرسول (ص) كان يعرف معادن هؤلاء الرجال، وكان يدرك إيمانهم وجرأتهم واستعدادهم للبذل والفداء، ولكنه ترك لهم الخيار في هذا الموطن، ليقدموا على عملهم الجليل بشهامة وكرامة.

واشتبك هؤلاء المجاهدون مع مجموعة من أعدائهم كانت معهم قافلة تجارة، وكان الوقت أول ليلة من شهر رجب، وهو شهر حرام، قد تعودوا من قبل وقف القتال فيه، فتشاور المجاهدون فيما بينهم: أيهجمون على أعدائهم فوراً، أم ينتظرون حتى يفلتوا من أيديهم؟ ثم عزموا على الهجوم وأقدموا ظناً منهم أن الشهر الحرام لم يبدأ، واستولوا على القافلة، وقتلوا من أشخاصها رجلاً اسمه: عمرو بن الحضرمي، وأسروا أسيرين، وعادوا بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وانتهز اليهود ممن كانوا في حمى المدينة هذه الفرصة، فأخذوا يثيرون الفتن، ويشوهون صورتهم، فقالوا إن هؤلاء المجاهدين قد قاتلوا في الشهر الحرام، وهذا لا يليق.

ولم يترك الله تبارك وتعالى عباده في حيرة أو بلبلة، بل أنزل قوله عزَّ من قائل: ﴿يسألونَك عن الشهرِ الحرام قتالٍ فيه قُلْ قتالٌ فيه كبير وصَدٌّ عن سبيل الله وكُفْرٌ به والمسجد الحرام وإخراجُ أهلِه منه أكبرُ عندَ الله والفِتنةُ أكبرُ من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوّكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتَدِدْ منكم عن دينه فيمتْ وهو كافرٌ فأُولئك حبطت أعمالهمُ في الدنيا والآخرة وأُولئك أصحابُ النارِ هم فيها خالدون﴾[٢٩].

---

(٢٩) سورة البقرة (٢١٧)

يقول أحد المفسرين في تفسير هذه الآية الكريمة:

«أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام، فقد صدوكم عن سبيل الله، مع الكفر به، وعن المسجد الحرام، وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم، والفتنة أكبر من القتل، أي قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه، فذلك أكبر عند الله من القتل، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه وهو الكفر والظلم، غير تائبين ولا نازعين».

وحينئذ فرح أولئك المجاهدون، بذلك التنزيل الإلهي المجيد الذي يقرر أن العدوان يدفع بالعدوان، ما دام المعتدون لم يراعوا الحرمات.

وقد نظم عبد الله بن جحش شعراً يعرِّض فيه بالفتنة التي أثارها اليهود وغيرهم حول هذه الواقعة، وفيه يقول:

تعدون قتلاً في الحرام عظيمةً	وأعظمُ منه لو يرى الرشدَ راشدُ
صدودُكُمُ عما يقولُ محمد	وكفرٌ به، والله راء وشاهدُ
وإخراجكم من مسجد الله أهله	لئلّا يُرى لله في البيت ساجد
فإنا ـ وإن عيرتمونا ـ بقتله	وأرجف بالإسلام باغ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا	بنخلة لما أوقد الحرب واقد

وبعد أن نزلت الآية السابقة تزكي عملهم، أرادوا أن يستزيدوا من الخير، فقالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطي فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله تعالى عقب الآية السابقة قوله: ﴿الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهَدُوا في سبيل الله أُولئك يرجون رحمة اللهِ والله غفور رحيم﴾[٣٠] فوضعهم الله من ذلك على أعظم الرجاء.

وكان سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان قد تخلفا في الغزوة عن زملائهما للبحث عن جمل ضل لهما، وسارع المشركون يطلبون من الرسول فك الأسيرين بفداء يدفعونه، فقال النبي عن سعد وعتبة: «لا نفديكموها حتى يقدم صاحبانا، فإنا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم».

---

(٣٠) سورة البقرة (٢١٨).

ووصل سعد وعتبة، فقبل النبي الفداء، ورد إليهم الأسيرين، وقد أسلم أحدهما بعد ذلك، واسمه «الحكم بن كيسان»، وجاهد مع الرسول حتى نال الشهادة، وأما الآخر واسمه عثمان بن عبد الله فقد حرمه الله التوفيق فمات على الكفر.

وواصل عبد الله بن جحش جهاده مع رسول الله عليه الصلاة والسلام، فشهد معه غزوة بدر، وشهد معه غزوة أحد، ومن أروع مواقفه ما قاله لسعد بن أبي وقاص قبيل غزوة أحد: ألا تأتي فندعو الله؟ وليذكر كل واحد منّا حاجته في دعائه، وليؤمن الآخر على دعاء أخيه.

ثم انتحيا ناحية، ودعا سعدٌ أولاً فقال:

يا رب، إذا لقيت العدو غداً فلقّني رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده (أي غضبه) أقاتله فيك، ويقاتلني، ثم ارزقني عليه الظفر حتى أقتله وآخذ سلبه.

هكذا دعا سعد، للنظر والظفر.

أمّا عبد الله بن جحش فقد دعا قائلاً: اللهم ارزقني غداً رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده، أقاتله فيك ويقاتلني، فيقتلني، ثم يأخذني فيجدع (أي يقطع) أنفي وأذني، فإذا لقيتك قلت لي: يا عبد الله، فيما جُدع أنفك وأذناك؟

فأقول، فيك يا رب وفي رسولك.

فتقول لي: صدقت يا عبد الله!

وهكذا كان..

فقد قاتل ما قاتل في غزوة أحد، ثم سقط في المعركة شهيداً مجيداً، ومثل الأعداء بجسمه، فقطعوا أنفه وأذنيه؛ وقال سعد بعد المعركة: «كانت دعوة عبد الله خيراً من دعوتي، لقد رأيته آخر النهار، وإن أذنه وأنفه معلقان في خيط»!

ولذلك أطلق تاريخ الإسلام على عد الله لقب «المجدَّع»، فكان هذا التقطيع وساماً له عند ربه؛ ولذلك فقد دفنه رسول الله (ص) مع عمه سيد

الشهداء حمزة بن عبد المطلب في قبر واحد، رضوان الله عليهما، وكان عمر عبد الله حين نال الشهادة فوق الأربعين بقليل.

هذا وقد أخبر رسول الله (ص) عن مصير شهداء أحد، وفيهم عبد الله هذا، فقال: «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم، وحسن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا، لئلاّ يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا (أي لا يجبنوا ولا يفروا عند الحرب)، فقال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم. فأنزل الله تعالى على نبيه هذه الآيات: ﴿ولا تَحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيلِ الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربّهم يُرزَقون، فَرِحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقُوا بهم من خلفِهم ألاّ خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، يستبشرون بنعمة من الله وفضلٍ وأن الله لا يُضيع أجرَ المؤمنين﴾[31].

* * *

ولعبد الله بن جحش، رفيق في الجهاد كان هو الآخر يبحث عن الشهادة، ويدعو الله لها، ويلح في دعائه، وهو الصحابي الجليل سعد بن معاذ الذي رآه المسلمون يوم الخندق وهو يلبس ثياب الجهاد، وأمّه تقول له: «الحق بنيّ، فقد ـ والله ـ تأخرت»!

وسارع سعد فامتطى صهوة جواده، وانطلق به نحو ساحة الجهاد، وهو يردد قول القائل:

لبِّث قليلاً يدرك الهيجا حملْ ... ما أحسن الموت إذا حان الأجلْ

وكان يترجم بهذا عن روح التضحية والفداء في سبيل الله والحق، فهو يرى أن الموت يحلو ويعلو إذا أقبل ميعاده وكان صاحبه في موقف مشرّف يليق به، ويرفع من شأنه.

ومضى سعد ليدافع عن دين الله، وأرض عباد الله، وشاء الله ـ ولا راد

---

(٣١) سورة آل عمران (١٦٩).

لقضائه ـ أن يصاب سعد بسهم في أحد عروقه، رماه به حيان بن العرقة قائلاً: «خذها مني وأنا ابن العرقة». فقال له سعد: «عرَّق الله وجهك في النار».

وكان يهود بني قريظة قد خانوا عهد الرسول (ص)، بعد أن أمنّهم على حياتهم، وأخذ منهم العهود والمواثيق بألّا يخونوا ولا يغدروا، ولكنهم نقضوها وانضموا إلى المشركين، وتعاونوا معهم على حرب المسلمين، فخيّل إلى سعد أن السهم الذي أصابه، وأحدث فيه جرحاً عميقاً، كانت أجزاؤه ممزوجة بطغيان الشرك ولؤم اليهود من بني قريظة، ولذلك دعا سعد ربه تبارك وتعالى فقال: «اللهم إن كنت قد أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني له، فإنه لا قوم أحب إليَّ أن أجاهدهم، من قوم آذوا رسولك وكذّبوه وأخرجوه. اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة». يقول هذا مع أن هؤلاء كان بينهم وبين سعد نوع من التحالف في الجاهلية، ولكن الإسلام أشرق بنوره، فرفع الله به قوماً، وخفض به آخرين.

وبعد إصابة سعد بالسهم عالجه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالكي، ولكن يد سعد انتفخت بعد ذلك، وسال منه الدم، فأمر النبي بأن يعالج في خيمة «رفيدة» بمسجد الرسول، وهي امرأة من قبيلة أسلم، كانت تداوي الجرحى ممن ليس لهم من يقوم بعلاجهم.

وفيهم يقول الشاعر أحمد محرم في ديوانه: «مجد الإسلام أو الإلياذة الإسلامية»:

رفيدة: علّمي الناس الحنانا | وزيدي قومك العالين شانا
خذي الجرحى إليك فأكرميهم | وطوفي حولهم آناً فآنا
وإن هجع النيام فلا تنامي | عن الصوت المردد حيث كانا!

وعاد سعد يدعو ربه قائلاً: «اللهم لا تخرج نفسي حتى تقرّ عيني من بني قريظة».

وانتهت غزوة الخندق بلطف من الله ورحمة، ورجعت الأحزاب إلى مكة لم تنل خيراً، وسارع النبي إلى محاصرة بني قريظة لتأديبهم، فلم يسلّموا في

أول الأمر، إذ كانت عندهم مؤنة ومتاع، فهتف علي بن أبي طالب على زملائه المجاهدين قائلاً: يا كتيبة الإيمان. . .

ثم تقدم في الطليعة وهو يقول: «والله لأذوقن ما ذاق حمزة، أو اقتحم حصنهم».

ولم يستطع أولئك إطالة المقاومة فاستسلموا، وأخذوا يرجون ويتشفعون، فطلب منهم النبي ـ بعد أسرهم وتكتيفهم ـ أن يختاروا لهم من صحابته واحداً ليحكم عليهم بما يراه، فظنوا أن سعد بن معاذ هو أصلح الناس للتخفيف عليهم، بحكم ما توهموه من تأثير التحالف الذي كان بينهم وبينه في الجاهلية، ناسين أن الإسلام يقطع ما قبله، فقالوا: اخترنا سعد بن معاذ حكماً.

وكان سعد يرقد في خيمة «رفيدة» بالمسجد، فحملوه على دابة، وجاؤوا به إلى موقف التحكيم، ولما رآه اليهود أخذوا يتزلفون إليه، ويرجونه التخفيف، ولما أكثروا عليه قال: «قد آن لسعد ألّا تأخذه في الله لومة لائم».

واستوثق سعد من أن الفريقين سينزلان على حكمه بدون معارضة، وهنا قال: «إني أحكم فيهم بأن يقتل الرجال، وتقسَّم الأموال، وتُسبى الذرية والنساء، وتكون الديار للمهاجرين دون الأنصار». وهنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات».

وحينما تساءل بعض الأنصار عن الحكمة في جعل سعد ديارَ بني قريظة للمهاجرين دون الأنصار، أجابهم قائلاً: «إني أحببت أن يستغنوا عنكم».

وبعد أن انتهى سعد بن معاذ من حكمه، عاد يدعو ربه ويرجوه، فيقول: «اللهم ـ إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إليّ من أن أجاهدهم فيك ـ من قوم كذبوا رسولك، وأخرجوه، فاللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان قد بقي من حرب قريش فأبقني حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت قد وضعت الحرب فافجرها (يقصد جراحته) واجعل موتي فيها».

واستجاب الله دعاء سعد، فانفجر الدم من جرحه، وهو داخل الخيمة،

وسال الدم حتى رآه من رآه، فنظروا فوجدوا سعداً قد لحق بربه، رضوان الله تعالى عليه.

ويروى أن جبريل جاء إلى رسول الله (ص) وقال له: «من هذا العبد الصالح الذي فتحت أبواب السماء لصعود روحه، واهتز العرش لقدومها»؟ يعني سعداً، ومن هنا قال الرسول: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ».

وكان سعد رجلاً بديناً ضخم الجثة، ولكنهم حينما حملوا جثته وجدوه خفيفاً، وقيل إن بعض المنافقين أرادوا التعريض به فقالوا: ما أخفه! فقال الرسول: «إن له حملةً غيركم من الملائكة».

وسارت جنازة سعد يشيعها الناس والملائكة، ولما دفنوه جلس الرسول عند قبره، وقال: سبحان الله، مرتين، فسبّح معه المسلمون، وكبر مرتين، فكبروا معه، ثم أخبرهم أن القبر ضم سعداً ضمة، ثم فُرج عنه، ثم قال الرسول: «إن للقبر ضمة لو كان أحد منها ناجياً لكان سعد بن معاذ».

ووقفت أم سعد ـ وهي كبشة بنت رافع الصحابية التي كانت أول من بايعت النبي من نساء الأنصار ـ وقفت على قبر ابنها وقالت: احتسبتك عند الله عز وجل يا بني. ثم ندبته ببعض صفاته المجيدة، فقال الرسول: «لا تزيدي على هذا، ليرقأ دمعك، ويذهبْ حزنك، فإن ابنك يضحك الله له».

* * *

وهذا آخر يبحث عن الشهادة..

اسمه أنس بن النضر ـ رضوان الله عليه ـ فقد شاءت الأقدار أن يغيب عن غزوة بدر فجعل يقول: غبت عن أول قتال قاتله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المشركين، أما والله، لئن أشهدني الله قتالاً، ليرين الله ما أصنع!

فلما جاءت غزوة أحد خرج يجاهد كأحسن ما يكون الجهاد، فلما انكشف المسلمون في الغزوة بسبب مخالفة الرماة أمر الرسول، وقُتل من قُتل منهم، وشاع أن رسول الله (ص) قد قُتل انكفأ بعض المسلمين على أعقابهم وتركوا أسلحتهم فرآهم أنس فقال لهم: ما يُجلسكم؟ قالوا: قُتل رسول الله

(ص) فقال لهم: وما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله (ص) ثم رفع طرفه إلى السماء وقال:

اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء (يعني أصحابه) وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء (يعني المشركين).

وتقدم نحو الجهاد ولقيه سعد بن معاذ فقال له أنس: أين يا سعد؟ واهاً لريح الجنة، والله إني لأجد ريحها دون أُحد.

يقول سعد بن معاذ بعد ذلك. فما استطعت أن أصنع ما صنع أنس، مضى حتى استشهد.! فقد قاتل حتى قُتل..

ولم يعرفوا جسمه بعد استشهاده من كثرة ما أصابه من طعنات وضربات. فقد وجدوا فيه بضعة وثمانين جرحاً، ما بين ضربة بالسيف، وطعنة بالرمح، ورمية بالسهم، فما عرفته إلاّ أخته، عرفته ببنانه...

* * *

لقد كانت الشهادة مطلب كل المؤمنين في عهد رسول الله (ص) فكانوا يبحثون عنها، ويطالبون بها، ويتسابقون إليها. فإذا فاتتهم في غزوة تمنوها في لاحقتها.

ففي موقعة بدر، غاب بعض المسلمين، لاعداد معقولة، فكانوا يتألمون لها، وحينما خرجت قريش لمقاتلتهم في أحد واستشارهم رسول الله في ذلك كان رأي من لم يشهد بدراً الخروج لمواجهة قريش. يقول المؤرخون: «إن من لم يشهد بدراً من الناس قال للنبي (ص): نخرج يا رسول الله إليهم، نقاتلهم» ورجوا أن يصيبهم من الفضل ما أصاب أهل بدر، وليبلوا كما أبلىٰ إخوانهم يوم بدر، وقالوا: «كنّا نتمنى هذا اليوم، وندعوا الله، فقد ساقه إلينا وقرّب المسير».

وقال رجل من الأنصار: «متى نقاتلهم يا رسول الله إذا لم نقاتلهم عند شعبنا»؟

وقال نعيم بن مالك بن ثعلبة: «يا نبي الله.. لا تحرمنا الجنة، فوالذي نفسي بيده لأدخلّنها».

فقال له رسول الله (ص): «بِمَ»؟

قال نعيم: «بإني أحب الله ورسوله، ولا أفرّ يوم الزحف».

فقال له رسول الله (ص): «صدقت»..

واستشهد الرجل، يوم أحد..

* * *

وفيما يلي قصة أخرى عن الباحثين عن الشهادة.. فقد ذكر المؤرخون أنه جاء اعرابي إلى رسول الله (ص) فآمن به، وهاجر معه ثم كانت غزوة من غزوات الرسول، وانتصر فيها المسلمون وغنموا، فقسمّ النبي (ص) الغنيمة عليهم، وأعطى الاعرابي قسمته.

فقال الرجل: ما هذا؟

قالوا: قسمتك من الغنيمة.

فقال: والله ما تبعتك يا رسول الله على هذا وأمثاله.. ورفض أن يأخذ قسمته.

فقال له النبي (ص): وعلى مَ تبعتني؟

قال الرجل: تبعتك على أن أُرمى في ها هنا (وأشار إلى حلقومه) بسهم فأموت فادخل الجنّة!

فقال له النبي (ص): أن تصدق الله يصدّقك.

فلبثوا فترة من الزمان، ثم جاءت غزوة أخرى، فاشترك فيها الرجل، وأصيب فيها.. فجاؤوا به إلى رسول الله (ص) محمولاً قد أصابه السهم في حلقومه حيث أشار..

فقال النبي (ص): أهو هو؟

قالوا: نعم يا رسول الله.

فقال (ص): صدق الله فصدّقه.

ثم كفنّه النبيّ (ص) في جبّته، وصلى عليه، فكان مما قال في صلاته عليه: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقتل شهيداً، وأنا شهيد على ذلك».

* * *

هذا وقد تكررت حالة البحث عن الشهادة في تاريخ المسلمين، خاصةً في كربلاء عند أصحاب الإمام الحسين (ع) الذين وصفهم الشاعر بقوله:

قوم إذا نودوا لدفع ملمة والخيل بين مدعّس ومكردسِ
لبسوا القلوب على الدروع واقبلوا يتهافتون على ذهاب الأنفسِ

فلقد حاصر العدو معسكرهم، لم يبق لديهم أي أمل في النجاة. وكان عدوهم يملك قوات ضخمة من المشاة، وفرسانه تكفي لسحق أضعاف أضعافهم. فقط عدد المشاة كان يزيد على عشرة آلاف مقاتل...

أما هم.. فإن كلهم ـ مع الأطفال والنساء ـ لم يتجاوز عددهم المائتين...

وفقط مائة منهم كان يستطيع حمل السلاح.

هل استسلم منهم أحد؟

هل فرَّ من الموت؟

هل حاول استعطاف العدو؟

لم يحدث أي شيء من ذلك.

لقد كان باستطاعة أي واحد منهم أن يستسلم للعدو، وكان ذلك يكفي لأن يحصل على جائزة ثمينة: ومجد دنيوي كبير.

وكان باستطاعة أي واحد منهم أن يهرب في أية لحظة. فالصحراء كانت رملية، والمعارك كانت تثير الغبار الكثيف مما كان يشكل مضلّة طبيعية للفرار والاختفاء وراء النخيل.

ولكنهم لم يفعلوا.

بل إن بعضهم كان يوصي الآخر بالشهادة، وبعضهم كان يدفع الثاني إلى الموت.

هذا واحد منهم اسمه: «عابس بن شبيب».

صفته الاجتماعية: جيدة جداً. وله سوابق بطولية في معركة اذربيجان،

يلتفت يوم عاشوراء إلى «شوذب مولى شاكر» ويقول لَه:

«يا شوذب... ما في نفسك أن تصنع؟

فيجيبه: ما أصنع؟ أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ حتى أقتل.

فيقول عابس: ذلك الظن بك... والآن تقدم بين يدي أبي عبد الله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه، وحتى احتسبك أنا، فإنه لو كان معي الساعة أحد، وأنا أولى به منك لسرني أن يتقدم بين يدي حتى احتسبه».

وأضاف:

«إن هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكل ما قدرنا فيه، فإنه لا عمل بعد اليوم.. وإنما هو الحساب».

ويتقدم شوذب بين يديه، ويقاتل حتى يقتل..

ثم يتقدم هو، ويقف أمام الحسين ويقول له:

«والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز عليّ ولا أحب إليّ منك يا أبا عبد الله.. أما والله لو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعز عليّ من نفسي ودمي لفعلت...».

وهكذا كانت ترتفع رغبة الشهادة لديهم كلما كانت تقل فرص النجاح، وكان يزداد إصرارهم على مواصلة الجهاد كلما يسقط شهداء أكثر منهم، وتبدو النهاية لهم بشكل أوضح. بل وقع بينهم النزاع حول من يتقدم للموت أولاً؟

فالأصحاب كانوا مصرين على أن يتقدموا هم قبل بني هاشم، بينما كان بنو هاشم مصرين على أن يتقدموا قبل الأصحاب.

وقد حسم الإمام نزاعهم عندما نزل عند رغبة الأنصار، وسمح لهم، بالتقدم على بني هاشم.

إن هذا يعكس فيهم روح الإيمان الصادق الذي يجعل صاحبها يزداد شوقاً للشهادة كلما اشتد إحساسه بالوحدة.

هؤلاء كانوا صادقين مع الله: يحبونه ويحبهم. ويشتاقون إليه، ويشتاق إليهم.

أما الموت، فكان عندهم سلماً إلى جنان الله. . .

أو ليسوا على الحق؟ إذن لا يبالون أوقع الموت عليهم أم وقعوا على الموت.

فهم كانوا يقاتلون لله والعدل والحرية.

وإذا كان وصف: «الباحث عن الموت» مبالغة في حق أي إنسان، فهو قليل بالنسبة إلى المجاهدين المؤمنين.

لنعد إلى قصة عابس. لقد تركناه وهو يحاور للإمام ويلتمس الاذن لدخول المعركة.

ها هو يحصل على ذلك. فيهرول إلى ساحة القتال وهو يقول للإمام:

ـ أشهد الله أني على هديك، وهدي أبيك.

ويقف وسط الساحة، يطلب المبارزة. فيصيح أحد أفراد العدو في رفاقه:

ـ هذا أسد الأسود. هذا عابس بن شبيب.

فيحجمون عن مقاتلته.

بقي فترة طويلة ينتظر العدو، ولكن بلا جدوى. . .

وهنا عرف أنه يخيفهم، وأنه لو بقي على حالته يحمل الدرع، ويلبس لامة الحرب لتأخر عن ركب الشهداء، فعمد إلى درعه فرماها، وعمد إلى لامة حربه فمزقها، وضرب بخوذته الأرض، وبدأ هجومه على العدو مجرداً من ذلك.

فقال له زميله:

ـ ما أنت صانع؟ أمجنون أنت؟

فأجاب: لا تلومونني فحب الحسين هو الذي أجنني.

وكالطفل الباحث عن ثدي أمه. كان يبحث عن كأس الشهادة بلا لامة حرب، ولا درع، ولا حوذة.

ولما نالها قال بصوت ضعيف: الحمد لله. . ثم سلم الروح إلى بارئها؟

* * *

وفيما يلي نموذج آخر. . أنّه عبد تركي، كان ملكاً للحسين، تعلّم عنده اللغة العربية، وقراءة القرآن.

وفي صباح يوم عاشوراء: شوهد هذا العبد التركي، وهو ينظر يميناً وشمالاً كأنه لا يصدق ما يرى.

إنه يعرف مولاه جيداً.

ولكن اجتمع كل أولئك على قتاله؟

هل هو الحسين؟

كم هو بشع أن يصبح الإنسان وقوداً لنار أحقاد الآخرين.

إنطلق ـ بلا سابق إنذار ـ نحو المعركة، وكان يصيح ـ وهو يلوّح بالسيف الذي في يده:

البحر من طعني وضربي يصطلي والجو من سهمي ونبلي يمتلي
إذا حسامي في يميني ينجلي ينشق قلب الحاسد المبجلِ

كان يهاجم يميناً وشمالاً. . . ويقاتل.

فحاصرته مجموعة من قوات العدو.

وبعد لحظات كان صريعاً على الأرض. لم يقل «يا عماه» ولا «يا أبتاه» ولا «يا أخاه» لأنه كان غريباً عن أهله لا أب له، ولا عم، ولا أخ في كربلاء.

غير أن الإمام لم ينتظر منه التفاتة لكي يذهب إليه قبل موته.

فقد ظل يراقب تحركه بنفسه، حتى إذا أحس أنه سقط سارع إلى مصرعه مع بعض أصحابه.

ونزل عن الفرس. . . وانحنى. . .

* * *

ووضع خده المبارك على خده الذي كان منقعاً بالدم.

فأحس العبد بحرارة خد الإمام.

فتح عينيه: رأى جبهة الإمام وهي تلامس جبهته.. ففرح.. وتبسّم... ومات!

* * *

أمّا ما هو اسم هذا العبد؟

وأين وُلد؟

وكيف جاء إلى كربلاء؟

فإن التاريخ لا يذكر شيئاً من ذلك. فهو عبد مجهول، عرّفت به الشهادة من أجل الله، والحق، وخلّده خد الإمام الحسين الذي وضع على خده... ذات يوم...

* * *

وفيما يلي نموذج آخر..

زميلان تصادقا في الله: جمعتهما قيم الدين، وربط بين الالتزام بالمبدأ، والتطبيق الصادق له.

كثيراً ما رآهما الناس، وهما يتبادلات الأحـاديث، عن الله، والدين والحياة.

وكثيراً ما رآهما الناس وهما يخوضان جنباً إلى جنب معارك الحق ضد الباطل.

غادرا مدينة الكوفة باتجاه كربلاء ـ كل على انفراد ـ تصحبه عائلته، وكان ذلك أثر رسالة وصلتهم من الإمام الحسين تطلب منهما السفر إلى نصرته...

لقد كانت صداقتهما صداقة متينة فكرية روحية، ولذلك فإنها كانت متينة لأن الله كان هو الوسيط الذي ربط بينهما. ولذلك فقد اتفقا على أن يكون كل واحد منهما «وصي» الآخر لدى موته، لكي تستمر بينهما علاقة الأخوة إلى ما بعد الموت أيضاً.

وهكذا تكون صداقات الإيمان. . .

إنها تختلف عن غيرها بأن الارتباط فيها ليست بين جسدين ماديين تربط بينهما القيم المادية الزائلة ـ كشراكة تجارية مثلاً ـ وإنما هو ارتباط بين روحين تربطهما العلاقات المعنوية، والحب المتبادل.

وهكذا فإن صداقة كل من «مسلم بن عوسجة» و«حبيب بن مظاهر» كانت صداقة مؤمنين يلتزمان بالقيم الدينية.

لقد جاءا إلى كربلاء.

وانضما ـ وكان ذلك طبيعياً ـ إلى الإمام الحسين. وبقيا معه حتى يوم عاشوراء.

ووقعت المعركة الدامية.

فتشاورا مع بعض في أي منهما يتقدم على الآخر؟

وتم الاختيار على مسلم بن عوسجة. فتقدم إلى صفوف العدو.

وقاتل قتال المؤمن الصادق.

وسقط على الأرض.

جاءه الحسين، ومعه صديق الإيمان القديم، حبيب بن مظاهر.

تفقده الإمام أولاً. ثم تقدم إليه حبيب ووضع فمه على أذنه، وقال له:

ـ لولا إني أعلم إني في الأثر لأحببت أن توصي إليّ بكل ما أهمك.

كان بإمكان مسلم بن عوسجة أن يوصيه بأهله، بأولاده، بأمواله، بكل ما يهمه من الحياة، أو على الأقل كان بإمكانه أن يوصيه بتضميد جراحه.

ولكنه لم يفعل. . .

وإنما رفع أصبعه ـ بصعوبة بالغة ـ وأشار إلى الإمام الذي كان لا يزاَل واقفاً إلى جنبه، وقال:

ـ أوصيك بهذا. . . أن تقاتل دونه حتى تموت!

فقال حبيب:

ـ «لأنعمتك عيناً يا مسلم».

ولكنه لم يسمع جوابه فقد سبقته روحه إلى الجنة.

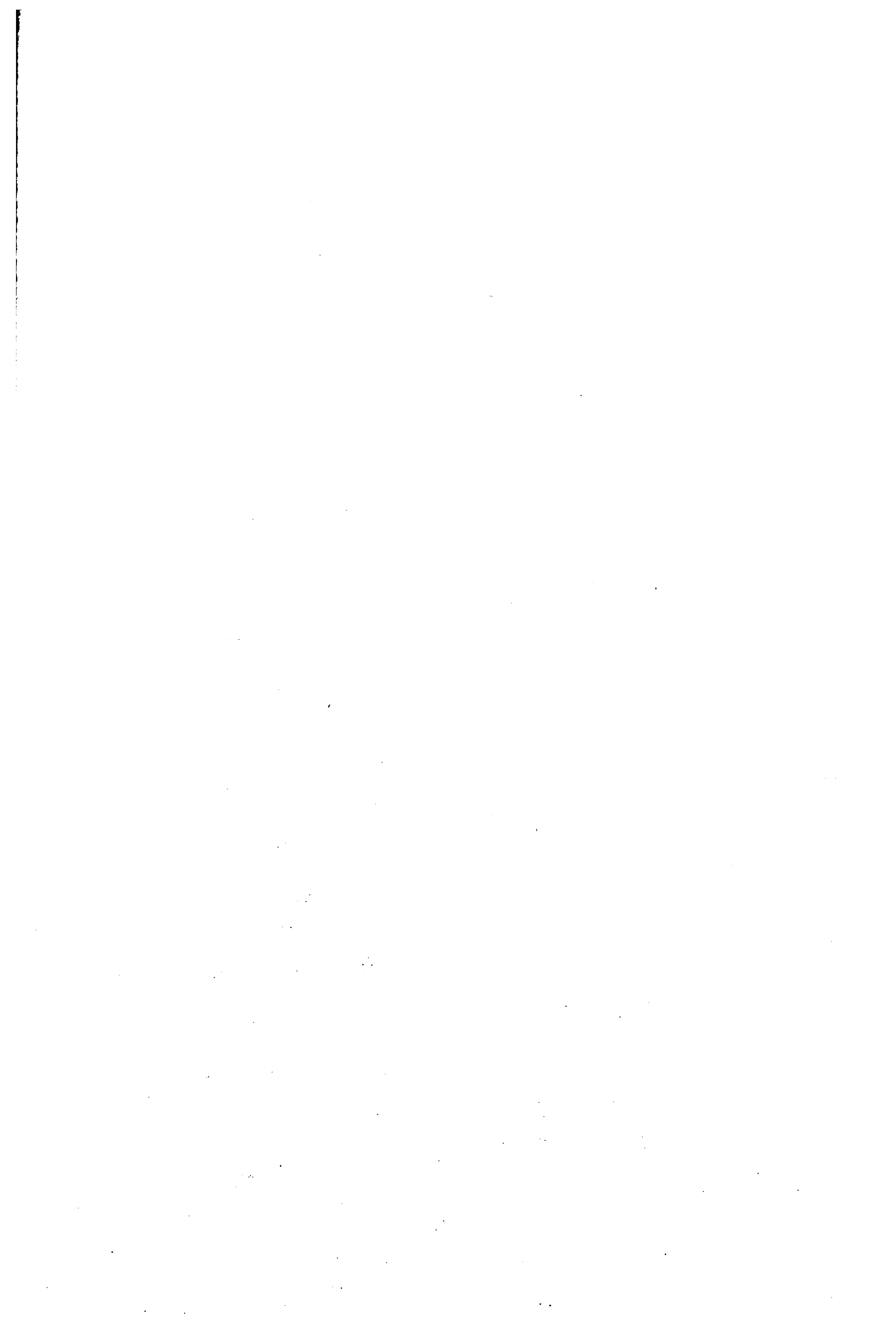
وبقيت الوصية مع أنبل وصايا عرفها التاريخ.

* * *

ولقد صدق الشاعر:

نصـــروه أحيـــاء وعنـــد ممـــاتـهم   يـــوصي بنصـرتـــه الشقيق شقيقـــاً

أوصى ابن عوسجةٍ حبيباً قال قا   تـــل دونـه حتى الحمـــام تـذوقـــا



١٣
تعليمات الجهاد



الاستعداد الدائم وإرادة القتال

يتمثل الجهاد في الدرجة الأولى في أمرين أساسيين:
الأول: الاستعداد الدائم لخوض المعركة في سبيل الله تعالى.
الثاني: امتلاك إرادة القتال في كل الأحوال.

فليس من الضروري أن يكون الفرد المؤمن في حالة الجهاد عملياً حتى يعتبر مجاهداً، بل يكفي أن يكون مستعداً لذلك، وقادراً على خوضه في أيّة لحظة..

فالجهاد حالة ملازمة لكل أفراد الأمّة، تجعلهم مستعدين لتلبية نداء الواجب، وتقديم أرواحهم قرابين في سبيل الله..

من هنا كان لا بدّ من الأمور التالية:
أولاً: التدريب على فنون الحرب، وأنواع الأسلحة.
ثانياً: امتلاك السلاح لدى كل مؤمن.
ثالثاً: الاستعداد روحياً، وفنياً للوثوب إلى القتال.

وفي الأمر الأول: أُمرنا بأن نكون أقوياء، حيث يقول رسول الله (ص)

«المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف». . كما أُمرنا بأن نتعلم الرماية وركوب الخيل ونعلمها لأولادنا.

يقول رسول الله (ص): «علموا أبناءكم السباحة والرماية وركوب الخيل».

ويقول (ص) «كل شيء يلهو به ابن آدم فهو باطل، إلّا ثلاثة: رميه عن قوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، فإنهن من الحق»[1].

ويقول (ص) : اركبوا وارموا وأن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا إلا أن الله عز وجل ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : عامل الخشبة والمقوي به في سبيل الله والرامي به في سبيل الله»[2].

ويقول (ص): «من مشى بين الفرضين (الفرض: ما يحاول الرامي إصابته) كان له بكل خطوة حسنة».

وروى أن رسول الله (ص)، مرّ بموضع كان الصحابة يتدربون فيه على الرمي، فنزع نعليه وقال (ص): «روض من رياض الجنة، الرمي سهم من سهام الإسلام»[3].

وروي أن رسول الله (ص) كان يشجع المسلمين على التدريب على الرمي، والطعن بالحراب، والتمرس بأعمال القتال، حتى لقد سمح باتخاذ المسجد ميداناً له. . إذ يروى «أن بعض الأحباش كانوا يلعبون بحرابهم عند النبي (ص) في المسجد، فدخل عمر بن الخطاب، فنهاهم عن ذلك في المسجد، فقال له النبي (ص) «دعهم يا عمر».

* * *

وفي الأمر الثاني: يأمرنا الله بامتلاك السلاح، فيقول تعالى: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾[4]. وجاء في الحديث أن المقصود من الزينة هنا هو السلاح. .

---

(١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ١٠٧ .
(٢) وسائل الشيعة ج ١١ ص ١٠٧ .
(٣) وسائل الشيعة ج ١١ ص ١٠٧ .
(٤) سورة الأعراف (٣١).

وعن الإمام الصادق (ع) في تفسير قوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ قال: «سيف وترس»[5].

ويقول رسول الله (ص): «جعل رزقي تحت ظل رمحي».

ويقول (ص): «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والغنيمة»[6].

وروي أيضاً: «ليس منّا من بات وليس تحت وسادته سيف».

وروي أيضاً: «من احتبس فرساً في سبيل الله (أي أبقاه عنده لوقت الحاجة) وتصديقاً بوعده، فإن شبعه وريّه، وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة»[7].

وقد جعل رسول الله (ص) عند توزيع الغنائم، سهمين للفارس، وسهماً واحداً للراجل، وذلك لكي يستعين الفارس بالسهم الزائد على إعاشة فرسه وإعداده للحرب. . . .

وكان (ص) يعتني بالفرس شخصياً، حتى روي أنه (ص) أتى له بفرس فقام إليه يمسح عينيه ومنخريه بكم قميصه، فقيل: يا رسول الله أتمسح بكمّ قميصك؟

فقال (ص): «إن جبريل عاتبني في الخيل».

وروي: أن رسول الله (ص) أصاب فرساً من حدس وهو حيّ في اليمن، فاعطاه رجلاً من الأنصار وقال: «إذا نزلت فانزل قريباً منيّ فإني اتسارّ إلى صهيله.

ثم أنه (ص) فقده ليلة فسأل عنه، فقال الرجل: «يا رسول الله إنّا خصيناه» فقال (ص) «مثلت به»؟. يقولها ثلاثاً!.

---

(٥) نور الثقلين ج ٢ ص ١٦٥.

(٦) كنز العمال ج ١٢ رقم ٣٥٢٤٤.

(٧) كما في مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٦٦ الباب ٤٨ من أبواب جهاد العدو ح ٤.

وأضاف: «الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: أعرافها أدفاؤها، وأذنابهم مذابها، التمسوا نسلها، وباهوا بصهيلها المشركين»[^٨].

وقد نهى عن إيذاء الخيل، وإهانتها قائلاً: «لا تهينوا أذناب الخيل ولا تجزوا أعرافها ونواصيها»[^٩].

وإذا عرفنا أن وسيلة القتال في ذلك العصر، كانت تقتصر عادة على الخيل والنبال والرماح والسيوف، فإن الوسائل الأكثر تطوراً تكون بديلة عن الوسائل الأولية، في استحباب امتلاكها اليوم.

* * *

وبالنسبة إلى الأمر الثالث، وهو الاستعداد روحياً وفنياً للوثوب إلى القتال، إذا دعت الحاجة.. يقول رسول الله (ص) فيما روي عنه:

«خير الناس: رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة (صيحة خطر) أو فزعة، يبتغي القتل أو الموت»[^١٠].

وهذا يعني:

أولاً: أن المؤمن يجب أن يكون في حالة من الاستعداد الكامل للانطلاق بمجرد إشارة..

ثانياً: أن عليه أن يكون سريع الحركة، ينطلق بخفةٍ ومن دون حاجة إلى تهيئة شيء.

ثالثاً: أن عليه أن تكون إرادته للقتال بحيث لا يقبل بأقل من النصر، أو الموت دونه..

وقديماً قيل: «إن المدن ذات الأسوار العالية والمكتظة بالأسلحة والتي بها أجود سلالات الخيل، وأقوى عربات القتال والأفيال، كل ذلك، ما هو إلّا

---

(٨) دعائم الإسلام ج ١ ص ٣٤٥.
(٩) كما في مكارم الأخلاق ص ٢٦٤.
(١٠) كنز العمال ج ٤ رقم ١٠٦٧٩.

خراف ترتدي أقنعة الأسود إذا لم يتوفر لكل ذلك: الرجال الذين لـديهم الاستعداد لخوض الحرب، وروح الجرأة».

يقول الإمام علي (ع): «من عرف الأيام لم يغفل عن الاستعداد»[١١].

وإذا كان الاستعداد ضرورياً لكل أمر، فهو في الجهاد، والقتال أكثر ضرورة وأشد خطورة، إذ أن إهمال ذلك لا يؤدي إلى خسارة مادية فحسب، بل إلى خسارة الأرواح ولربما خسارة الحرية والعزة والكرامة أيضاً!

يقول الإمام علي (ع): «الا وأن الحرب شرّها ذريع، وطعمها فظيع، فمن أخذ لها أهبتها، واستعد لها عدّتها، ولم يألم كلومها قبل حلولهـا، فذاك صاحبها. . ومن عاجلها قبل أوان فرصتها، واستبصار سعيه فيها، فذاك قمنٌ (جدير) أن لا ينفع قومه، وأن يهلك نفسه»[١٢].

* * *

ومع الاستعداد للقتال تدريباً وتسليحاً وتجهيزاً وتنظيماً، لا بدّ أن يتوفر لدى المؤمنين إرادة القتال أيضاً، فبدون هذه الإرادة لن يتحقق النصر. .

ويروى في هذا المجال ما كان عليه أبو ذر الغفاري، الذي ركب في حرب العسرة بعيراً مهزولاً، وسار خلف رسول الله (ص) فأبطأ به البعير حتى عوقه عن الركب فنزل عنه، وحمل متاعه على ظهره ومشى على الرمال الملتهبة مهرولاً، حتى لحق برسول الله (ص) منتصف النهار وكان قد بلغ به النصب والظمأ مبلغاً عظيماً.

فقال له رسول الله (ص):

«مرحباً بأبي ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث يوم القيامـة وحده».

ثم سأله عن سرّ تأخرّه، فقص عليه قصته، فقال له رسول الله (ص):

---

(١١) غرر الحكم رقم ٩٠٤٢.

(١٢) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٨٦ .

«إن كنت لمن أعزّ أهلي علي تخلّفاً، لقد غفر الله لك بكل خطوة ذنباً إلى أن بلغتني».

ويروى عن أصحاب الإمام الحسين (ع) أيضاً ذوي إرادات فولاذية للقتال رغم أنهم كانوا واثقين من أنهم مقتولين لا محالة..

فحينما طلب منهم الإمام أن يتفرقوا عنه: ليلة عاشوراء قائلاً:

«ألآ.. وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألآ وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً، فأنتم في حل، ليس عليكم منيّ ذمام..

«وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه حملاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله، فإن القوم إنما يطلبونني، ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري»[١٣].

فإنه قام إليه أحد أصحابه واسمه زهير بن القين، وقال:

«والله يا بن رسول الله، لوددت أني قتلت، ثم نشرت، ثم قتلت حتى أقتل هكذا ألف مرّة، وإن الله عزّ وجلّ يدفع بذلك القتل عن نفسك، وعن هؤلاء الفتيان من أهل بيتك..

وقال آخر، وهو مسلم بن عوسجة:

«أنحن نخلي عنك؟ وقد أحاط بك هذا العدوّ، ولمّا نعذر إلى الله في اداء حقّك..

«أما واللهِ، لا أفارقك حتى أكسر في صدورهم رمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمة في يدي، ولو لم يكن معي سهم أقاتلهم به، لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك..

وقال ثالث، وهو سعيد بن عبد الله الحنفي:

«واللهِ لو علمت أني أُقتل، ثم أحيا، ثم أحرق حياً ثم أذر، يُفعل بي ذلك

---

(١٣) بحار الأنوار/الجزء (٤٤) ص ٣١٦.

سبعين مرة ما فارقتك؟ حتى ألقى حمامي دونك. . فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً».

وقال آخرون: «نقاتل معك حتى نرد موردك». .

ويروى أيضاً عن عقبة بن نافع الفهري، أنه وقف فوق جواده على شاطىء المحيط ـ بعد أن فتح الله على يديه المغرب العربي، وتطلع إلى الماء المنبسط وقال: ـ

«اللهم رب محمد، لو أني أعلم وراء هذا البحر أرضاً يابسة لاقتحمت بفرسي هذا الموج الهائج لأنشر اسمك العظيم في أقصى بقاع الأرض».

* * *

إن إرادة القتال تعني ـ فيما تعنيه ـ الرغبة الأكيدة في الثبات بميدان القتال من أجل المثل العليا، والأهداف السامية، وتحمل أعباء المواجهة وبذل الأموال والأنفس والاستهانة بالأضرار والشدائد وصبراً في البأساء والضراء «وحين البأس».

ولقد وجدنا مثلاً على ذلك، ما عبر عنه رسول الله (ص) وأصحابه، حينما بعث النبي (ص) من منطقة الحديبية عثمان بن عفان إلى مكة المكرمة ليبلغ أشراف قريش: إن المسلمين لم يأتوا للحرب، وإنما جاؤوا زائرين للبيت الحرام، ومعظمين لحرمته. .

وبلغ عثمان، صناديد قريش بما أرسل به، فاحتبست قريش عثمان عندها، فبلغ ذلك رسول الله، فقال (ص) لأصحابه:

«لا نبرح حتى نناجز القوم».

ثم دعا المسلمين إلى البيعة من جديد، فكانت بيعة الرّضوان تحت الشجرة، وكانت بيعة على الموت!

فبالرغم من الطبيعةِ السلّمية لحركة رسول الله هذه، فإنّه كان على الاستعداد للقتال، وبايعه أصحابه على الموت أيضاً. .

ذكـــر الله

لا شيء مثل ذكر الله يطمئن قلوب المجاهدين، ويمنحهم الأمل ويصدهم عن التخاذل..

يقول الله تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[١٤].

ولا شيء مثل الخوف من جبّار السموات والأرض، يستطيع أن يبعد الخوف من العدوّ، مهما كانت قوته وسطوته..

يقول الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾[١٥].

إن الله حبيب من تحبب إليه، وهو الرفيق الأعلى والقاهر فوق عباده، وبيده أسباب السموات، والأرض جميعاً قبضته وهو ناصر من ينصره، وخاذل من يخذله، وصاحب كل نجوى، وأقرب إلينا من حبل الوريد، وهو على كل شيء قدير.

فمن أقرب إلى نصره ممّن دعى إلى الله، وجاهد في سبيله، وقال إنني من المسلمين؟.

وإذا كان الله أكبر..

فالخوف من غيره باطل..

ورجاء غيره خيبة..

وقوة غيره هباء..

وجبروت غيره دجل..

ومكر غيره بوار..

فلا خوف إذن من غير الله، ولا وجل إلاّ من قوته وسطوته..

ومعروف أن من لا يخشى غير الله، يخشى منه كل شيء، وكما يقول

---

(١٤) سورة الرعد (٢٨).

(١٥) سورة الأنفال (٢).

الحديث القدسي:

من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء [١٦].

وأيّ موقف أكثر حاجة إلى ذكر الله، من حالة الجهاد في سبيله؟

يقول الإمام علي (ع): «بذكر الله تتنزل الرحمة» [١٧].

ويقول (ع): «خير ما استنجحت به الأمور ذكر الله» [١٨].

ويقول (ع): «ذكر الله قوة النفوس» [١٩].

ويقول (ع): «ذكر الله ينير البصائر ويؤنس الضمائر» [٢٠].

وهكذا فإن المجاهدين ﴿يذكرون الله قياماً وقعوداً﴾ [٢١] ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ و«من توكل على الله دلّت له الصعاب وتسهلت له الأسباب».

* * *

أما ثواب ذكر الله تعالى في الجهاد، فيقول عنه رسول الله (ص): «طوبى لمن أكثر ذكر الله تعالى في الجهاد، فإن له بكل كلمة سبعين ألف حسنة، كل حسنة عشرة أضعاف، مع ما له عند الله من المزيد» [٢٢].

ليلة ما قبل الهجوم
ليلة الصلاة

الليلة التي تسبق الهجوم، هي ليلة التهيؤ والترقب والمناجاة، فهي بالنسبة إلى البعض ليلة الانتصار، وبالنسبة إلى البعض الآخر هي ليلة الشهادة، ومن ثم

---

(١٦) بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٣٧١.
(١٧) غرر الحكم رقم ٤٢٩٦.
(١٨) غرر الحكم رقم ٥٠٧٦.
(١٩) غرر الحكم رقم ٥٢٥٢.
(٢٠) غرر الحكم رقم ٥٢٥٣.
(٢١) سورة آل عمران (١٩١).
(٢٢) كنز العمال خبر (١٠٧٩٨).

فقد تكون آخر ليلة لهم في الدنيا، وبعدها يفدون على رب عزيز غفور..

وعلى كل حال فهي آخر الفرص. وعلى المجاهدين أن لا يفوتوها على أنفسهم، فلتكن هي ليلة الصلاة والتضرع والمناجاة..

هكذا فعل رسول الله (ص) كما يروي الإمام علي (ع) ويقول:

«لقد حضرنا بدراً، وما فينا فارس غير المقداد بن الأسود، ولقد رأيتنا ليلة بدر ما فينا إلاّ من نام غير رسول الله (ص) فإنه كان منتصباً في أصل شجرة يصلّي فيها ويدعو حتى الصباح»(٢٣).

ولهذا فقد أوصى الإمام علي (ع) ليلة صفين قائلاً لأصحابه:

«أَلَا إِنَّكُمْ لاقُوا الْعَدُوَّ غَداً إِنْ شاءَ الله، فَأَطِيْلُوا اللَّيْلَةَ الْقِيامَ، وَأَكْثِرُوا تِلاوَةَ الْقُرآن، وَاسْأَلُوا الله الصَّبْرَ وَالنَّصْرَ، وَالْقَوْهُمْ بِالْجِدّ وَالْحَزْمِ، وَكُونُوا صادِقِينَ»(٢٤).

ويذكر التاريخ: إن الإمام الحسين طلب يومٍ التاسع من المحرم عام ٦١ - هـ من عمر بن سعد تأخير القتال ليلة واحدة قائلاً:

«.. حتى نصلي لربنا، فإنه يعلم أني أحب الصلاة له».

وقضى أصحاب الإمام ليلة العاشر، ولهم دوّي كدوي النحل، ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد وتال للقرآن الحكيم، وداع لربّه..

وهكذا يجب أن يقضي المجاهدون الليلة ما قبل الهجوم.. عملاً بقوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾(٢٥).

---

(٢٣) بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٧٩.
(٢٤) مستدرك الوسائل: ج ١ ص ٢٤٩ الباب ١٤ من أبواب جهاد العدو ح ٢.
(٢٥) سورة البقرة (٤٥).

الدعاء إلى الله قبل المجابهة

ما أحوج المجاهدين إلى الدعاء إلى الله، والتضرع إليه، وطلب هدايته ونصرته؟

وما أجدر بحامل السلاح إلى استذكار عظمة الله وجبروته، لكي لا يشط به الغرور، أو يقتله القنوط.

وما أعظم الدعاء إلى الله قبل القتال، كوسيلة للتقرب إلى الله، وكمانع للطغيان إذا انتهت المواجهة بالانتصار، أو كرادع لليأس إذا انتهت بالهزيمة. .

يقول الله تعالى: ﴿ادعوه خوفاً وطمعاً﴾[٢٦].

ويقول: ﴿ادعوني استجب لكم﴾[٢٧].

ويقول رسول الله (ص): «أوصيكم بالدعاء فإن معه الإجابة»[٢٨].

ويقول الإمام علي (ع): «الدعاء سلاح الأنبياء»[٢٩].

ويقول (ع): «إذا اشتد الفزع فإلى الله المفزع»[٣٠].

ويقول الإمام الصادق (ع): «الدعاء يرد القضاء بعد ما أبرم إبراماً فأكثر من الدعاء فإنه مفتاح كل رحمة، ونجاح كل حاجة، ولا يُنال ما عند الله عز وجل إلا بالدعاء، وإنه ليس باب يكثر قرعه إلّا يوشك أن يفتح لصاحبه[٣١].

إن النصر من عند الله، فلا بد أن نطلبه منه، قبل أن نطلبه من زنودنا وأسلحتنا.

يقول ربنا في حكايته عن جيش طالوت:

﴿ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا

---

(٢٦) سورة الأعراف (٥٦).

(٢٧) سورة غافر (٦٠).

(٢٨) الوسائل ج ٤ ص ١٠٨٨ باب ٢ من أبواب الدعاء ح ١٨.

(٢٩) بحار الأنوار ج ٩٣ ص ٢٩٥ .

(٣٠) الوسائل ج ٤ ص ١٠٩٤ باب ٨ من أبواب الدعاء ح ٤.

(٣١) الكافي ج ٢ ص ٤٦٩ .

وانصرنا على القوم الكافرين﴾[٣٢].

ويقول تعالى: ﴿ربّنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنّا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين»[٣٣].

﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾.

ولقد كان رسول الله (ص) يدعو ربه في حالات الرخاء والشدة، فقد كان من دعائه في طريق عودته من الطائف، بعد أن كادوا ليقتلوه:

«اللهم.. إليك أشكو ضعفَ قوتي، وقلّةَ حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين..

أنت ربُ المستضعفين، وأنت ربي!.

إلى من تَكِلُني؟. إلى بعيد يتجهمّني، أم إلى عدو مَلكتّه أمري؟

إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي.. ولكن عافيتك هي أوسع لي.. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقتْ له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بي غضبُك، أو يَحّلَ عليّ سخطك.. لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلاّ بك..»[٣٤].

ولقد أنزل الله نصره على المسلمين، في مواطن كثيرة بعد دعائهم له بالنصر، واستغاثتهم وتضرعهم..

يقول الله تعالى: ﴿ إذ تستغيثون ربكّم فاستجابَ لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين، وما جعله الله إلاّ بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلاّ من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾[٣٥].

يقول الإمام علي (ع): «إن لله سبحانه سطواتٍ ونقماتٍ، فإذا نزلت بكم

---

(٣٢) سورة البقرة (٢٥٠).

(٣٣) سورة البقرة (٢٨٦).

(٣٤) بحار الأنوار /ج (١٩) من حياة الرسول (ص) ص ٢٢.

(٣٥) سورة الأنفال (٩ - ١٠).

فادفعوها بالدعاء، فإنه لا يدفع البلاءَ إلّا الدعاء»[٣٦]!.

وجاء في التاريخ أن رسول الله (ص) لما رأى قريشاً تصوب من الوادي في بدر قال: «اللهم.. إنك أنزلت عليّ الكتاب، وأمرتني بالقتال ووعدتني إحدى الطائفتين، وإنك لا تخلف الميعاد..

اللهم.. هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تُحادُّك وتكذّب رسولك..

اللهم.. نصركَ الذي وعدتني..

اللهم.. أحنهم الغداة»[٣٧].

وفي يوم أحد دعى رسول الله فقال:

«اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان»[٣٨].

وفي يوم الأحزاب، دعى قائلاً:

«اللهم منزل الكتاب، منشر السحاب، واضع الميزان يا صريخ المكروبين، ويا مجيب المضطرين، ويا كاشف الكرب العظيم، أنت مولاي، ووَليّ، ووليّ أبائي الأولين، أكشف عنا غمّنا، وهمّنا، وكربنا.. اللهم أكشف عنا كرب هؤلاء القوم بقوتك، وحولك وقدرتك».

وأضاف (ص) «اللهم.. ان تُهلك هذه العصابة لم تعبد بعدها في الأرض».

وروي أنه (ص) كان إذا غزى يقول: «اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أحول وبك أصول، وبك أقاتل»[٣٩].

ويذكر التاريخ أن الإمام علي (ع) كان إذا سار إلى القتال ذكر اسم الله حين يركب ثمَّ يقول: «الحمد لله على نعمه علينا وفضله العظيم، سبحان الّذي

---

(٣٦) غرر الحكم.

(٣٧) بحار الأنوار/الجزء (١٩) ص ٢٢١ معركة بدر.

(٣٨) الجعفريات ص ٢١٨.

(٣٩) سنن أبي داود ج ٣ ص ٤٢.

سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنا إلى ربّنا لمنقلبون.

ثمَّ يستقبل القبلة ويرفع يديه إلى الله ثمّ يقول: اللّهمَّ إليك نقلت الأقدام، وأُتعبت الأبدان، وأفضت القلوب، ورفعت الأيدي، وشخصت الأبصار ربَّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقَّ وأنت خير الفاتحين.

ثمَّ يقول: سيروا على بركة الله.

ثمَّ يقول: الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله والله أكبر يا الله يا أحد يا صمد، يا ربّ محمّد أكفف عنا شرَّ الظّالمين، الحمد لله ربِّ العالمين الرَّحمن الرَّحيم مالك يوم الدين إيّاك نعبد وإياك نستعين، بسم الله الرَّحمن الرَّحيم لا حول ولا قوَّة إلاّ بالله العليّ العظيم».

أو كان يقول (ع):
«اللّهُمَّ إنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الأَهْلِ وَالْمالِ، وَالْوَلَدِ، اللّهُمَّ أَنْتَ الصّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ، وَلا يَجْمَعُهُما غَيْرَكَ، لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لا يَكُونُ مُسْتَصْحَباً، وَالْمُسْتَصْحَبَ لا يَكُونُ مُسْتَخْلَفاً»(٤٠).

* * *

أو كان يقول (ع):
اللّهـمَّ إليك رفعت الأبصار، وبسطت الأيدي ودعيت الألسن، وأفضت القلوب، نشكو إليك غيبة نبيِّنا، وكثرة عدوّنا وتشتّت أهوائنا، ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين، سيروا على بركة الله ثمَّ يورد والله من اتبعه ومن حاده حياض الموت.

«رَبَّنا افتَحْ بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحينَ، سِيْرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ، اللَّهُ أكْبَرُ، لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، يا اللهُ، يا أَحَدُ، يا صَمَدُ،

(٤٠) نهج البلاغة خطبة رقم (٤٦).

يَا رَبَّ مُحَمَّدٍ، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظيمِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعينُ اللَّهُمَّ كُفَّ عَنَّا بَأْسَ الظَّالِمينَ»[٤١].

وكان قبل البدء في الهجوم على العدوّ يقول:
«اللهم ربّ السقف المرفوع. والجوّ المكفوف الذي جعلته مغيضاً للّيل والنهار، ومجرى للشمس والقمر، ومختلفاً للنجوم السيارة، وجعلت سكّانه سبطاً (قبائل) من ملائكتك لا يسأمون عبادتك...

وربّ هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام، ومدرجاً للهوام والأنعام، وما لا يُحصى مما يُرى وممّا لا يرى (من مخلوقات).

ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتاداً وللخلق اعتماداً إن أظهرتنا على عدوّنا فجنّبنا البغي، وسدّدنا للحق. وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة واعصمنا من الفتنة»[٤٢].

* * *

وكان يعلّم جنوده، إذا ما غلبهم الخوف من العدوّ، أن يقولوا:
«اللهم إني أعوذ بك من أن أضام في سلطانك...
اللهم إني أعوذ بك أن أضلّ في هداك...
اللهم إني أعوذ بك أن أفتقر في غناك...
اللهم إني أعوذ بك أن أضيّع في سلامتك...
اللهم إني أعوذ بك أن أغلب، والأمر لك، وإليك[٤٣].

---

(٤١) نهج البلاغة كتاب رقم (١٥).
(٤٢) نهج البلاغة خطبة رقم (١٧).
(٤٣) نهج البلاغة خطبة رقم (٢١٥).

وكان يقول في يوم الجمل:

«يا خير من أفضت إليه القلوب، ودُعي بالألسن، يا حسن البلاء يا جزيل العطاء، أحكم بيننا وبين قومنا بالحق، وأنت خير الحاكمين»(٤٤).

* * *

وكان يقول، عندما يقابل العدوّ:

«اللهم.. إنّك أنت عصمتي. وناصري، ومعيني.

اللهم... بك أصول، وبك أقاتل»(٤٥).

وكان يقول أيضاً:

«اللهم... إنك أعلمت سبيلاً من سبلك، فجعلت فيه رضاك، وندبت (دعوت) إليه أولياءك، وجعلته أشرف سبلك عندك ثواباً، وأكرمها لديك مآباً، وأحبّها إليك مسلكاً، ثم اشتريت فيه من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة، يقاتلون في سبيلك، فيقتلون ويقتلون وعداً عليك حقاً، فاجعلني ممّن اشترى فيه منك نفسه... ثم وفى لك ببيعته الذي بايعك عليه، غير ناكث ولا ناقض عهدك، ولا مبدلاً تبديلاً، إلاّ استنجازاً لوعدك، واستيجاباً لمحبتك، وتقرباً إليك...

فصلّ على محمد وآله، واجعله خاتمة عملي، وارزقني فيه لك، وبك مشهداً توجب لي به الرّضا، وتحطّ عنّي به الخطايا في الأحياء المرزوقين بأيدي الغداة العصاة، تحت لواء الحقّ وراية الهدى، ماض على نصرتهم قدماً، غير مُوّل دبراً، ولا محدث شكاً...

أعوذ بك عند ذلك من الذنب المحبط للأعمال.

اللهم وأعوذ بك عند ذلك من الجبن، عند موارد الأهوال، ومن الضعف عند مساورة الأبطال، ومن الذنب المحبط للأعمال، فأحجم من شك،

---

(٤٤) شرح نهج البلاغة للأبن أبي الحديد ج ١٥ ص ١١٢ .

(٤٥) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٦٤ .

أو أمضي بغير يقين، فيكون سعيـي في تباب (خسارة) وعملي غير مقبول»[٤٦].

وعندما كان يشتد الأمر بجنوده يربطهم بالله حتى لا ينهاروا، فيقول: «اللهم لا تحبّب إليّ ما أبغضتَ، ولا تبغّض إليّ ما أحببت. . .

اللهم إني أعوذ بك أن أرضي سخطك، أو أسخط رضاك، أو أردّ قضاءك، أو أعدو قولك، أو أناصح أعداءك، أو أعدو أمرك فيهم.

اللهم ما كان من عمل أو قول يقرّبني من رضوانك، ويباعدني من سخطك، فصيّرني له، واحملني عليه يا أرحم الراحمين. . .

اللهم إني أسألك لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً ويقيناً صادقاً، وإيماناً خالصاً، وجسداً متواضعاً، وارزقني منك حباً، وادخل قلبي منك رعباً.

اللهم فإن ترحمني فقد حسن ظني بك، وإن تعذبني فبظلمي وجوري وجرمي وإسرافي على نفسي، فلا عذر لي إن اعتذرت، ولا مكافآت احتسب بها. . .

اللهم إذا حضرت الآجال، ونفدت الأيام، وكان لا بدّ من لقائك فأوجب لي من الجنّة منزلاً يغبطني به الأولون والآخرون لا حسرة بعدها ولا رفيق بعد رفيقها، في أكرمها منزلاً. . .

اللهم ألبسني خشوع الإيمان بالعزّ قبل خشوع الذلّ في النار. . .

أُثني عليك ربِّ أحسن الثناء لأن بلاءك عندي (نعمك عندي) أحسن البلاء.

اللهم فاذقني من عونك وتأييدك وتوفيقك ورفدك، وارزقني شوقاً إلى لقائك ونصراً في نصرك حتى أجد حلاوة ذلك في قلبي واعزم لي على أرشد أموري، فقد ترى موقفي وموقف أصحابي ولا يخفى عليك شيء من أمري.

---

(٤٦) تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٢٧٢ .

اللهم إني أسألك النصر الذي نصرت به رسولك وفرّقت به بين الحق والباطل حتى أقمتَ به دينك وأفلجتَ به حجتك يا من هو لي في كل مقام»[٤٧].

* * *

وكان من دعاء الإمام الحسين (ع) يوم عاشوراء:

«اللهم.. أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعُدّة.. كم من همّ يضعف فيه الفؤاد، وتقلّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدوّ أنزلته بك، وشكوته إليك رغبةً منّي إليك عمنّ سواك ففرجته وكشفته، فأنت وليّ كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة»[٤٨].

وكان من دعائه أيضاً:

«اللهم.. متعال المكان، عظيمُ الجبروت، شديدُ المحال غني عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد سابغ النعمة، حسن البلاء، قريب إذا دُعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر على ما أردت، تدرك ما طلبتَ.. شكور إذا شُكرت، ذكور إذا ذكُرت، أدعوك محتاجاً، وأرغب إليك فقيراً وأفزع إليك خائفاً، وأبكي مكروباً، واستعين بك ضعيفاً، وأتوكل عليك كافياً، اللهم أحكم بيننا وبين قومنا، فإنهم غرّونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا ونحن عترة نبيك وولد حبيبك محمد (ص) الذي إصطفيته بالرسالة، وائتمنته على الوحي، فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً يا أرحم الراحمين».

«صبراً على قضائك يا رب، لا إله سواك يا غياث المستغيثين، ما لي رب سواك، ولا معبود غيرك، صبراً على حكمك، يا غياث من لا غياث له، يا دائماً لا نفاد له، يا محيي الموتى، يا قائماً على كل نفس بما كسبت، أحكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين».

---

(٤٧) البحار ج ٩١ ص ٢٣٧ ح ٩.

(٤٨) مستدرك الوسائل: ج ٢ ص ٤٦٥ الباب ٤٦ من أبواب جهاد العدو ح ٢٠.

السيطرة على الذّات

المؤمن وقور عند الهزاهز[٤٩].

لا ينهـار في الأحداث، ولا يهتـز في الكوارث، ولا يتـزعزع لـدى المواجهة.

والوقار سكينة في نفس المؤمن تمنعه من التذبذب والتردد، وتجعله مسيطراً على كل حركاته وسكناته..

وفي المواجهة مع العدوّ لا بدّ من الأمور التالية:

١ ـ الخشية من الله.

٢ ـ التمتع بهدوء الأعصاب.

٣ ـ عض النواجذ.

٤ ـ الخفة في الحركة.

٥ ـ تحريك السلاح قبل توجيهه للعدو.

٦ ـ النظر إلى العدو بغضب.

٧ ـ التلويح للعدو بالسلاح.

يقول الإمام علي (ع):

«استشعر الخشية (ليكن شعاركم الخوف من الله، والخشية منه دون الأعداء).

وتجلببوا السكينة (اجعلوا الهدوء لباسكم).

وعضوا على النواجذ، فإنّه أنبى (يُبعد) للسيوف عن الهام (الرأس).

واكملوا اللاّمة (ملابس الميدان).

وقلقلوا السيوف (حرّكوها) في أغمادها قبل سلّها (تجريدها).

والحظوا الخزر (انظروا إلى العدو بعينين غاضبتين).

واطعنوا الشزر (أضربوا يميناً ويساراً، وبكل اتجاه).

---

(٤٩) الوسائل: ج ١١ ص ١٤٣ الباب ٤ من أبواب جهاد النفس ح ٩.

ونافحوا (اطعنوا) بالظُّبا (رؤوس السلاح).
وصلوا السيوف بالخطا (اجعلوا سيوفكم متصلة بخطى أعدائكم)»[٥٠].

الأمل بالنصر

لا عسر إلّا بعده يُسر..
ولا مشكلة إلا ولها ألف حل..
ولا مأزق إلّا وله مخرج..
ولا مواجهة إلا وفيها نصر..
فلا يأس من روح الله، ولا من نصرته..

يقول الإمام علي (ع): «إصبروا، وصابروا، واسألوا النصر، ووطّنوا أنفسكم على القتال، واتقوا الله ـ عز وجل ـ فإن الله مع الذين إتقوا والذين هم محسنون»[٥١].

يقول الإمام علي (ع): «لكل غم فرج»[٥٢].
ويقول (ع): «لكل ضيق مخرج»[٥٣].
ويقول (ع): «ما اشتد ضيق إلّا قرب الله فرجه»[٥٤].

إن المجاهدين مطمئنون إلى نصرة الله، فمهما اشتدت عليهم الأمور، فإن أملهم يزداد إشراقاً، إيماناً منهم بأنه «عند تناهي الشدائد يكون توقع الفرج».

يقول الله تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾[٥٥].

---

(٥٠) نهج البلاغة الخطبة ٦٦.
(٥١) الوسائل: ج ١١ ص ٧١ الباب ٣٤ من أبواب جهاد العدو ح ١.
(٥٢) غرر الحكم رقم ٧٣٤٣.
(٥٣) غرر الحكم رقم ٧٣٤٤.
(٥٤) غرر الحكم.
(٥٥) سورة آل عمران (١٣٩).

الاستهانة بالموت

يقول الله تعالى: ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يُقاتل في سبيل الله فيُقتل أو يَغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾(٥٦).

أن يكون المجاهد مستعداً للموت، يجعله فائق الشجاعة، يهاب منه كل شيء، ولا يهاب من شيء..

ومن باع نفسه لله، فإن الموت بالنسبة إليه هو وسام القبول، وتذكرة الدخول إلى جنة عرضها كعرض السموات والأرض ورضوان من الله أكبـر.

يقول الله تعالى: ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾(٥٧).

ويقول الإمام علي (ع) لأصحابه بصفِّين: «طيّبوا عن أنفسكم نفساً، وامشوا إلى الموت مشياً سُجُحاً»(٥٨).

ويقول لولده محمد بن الحنفية: «أعر الله جمجمتك»(٥٩).

وواضح إنّ أقصى ما يمكن أن يهدّد به العدو المؤمنين هو أن يُنزل بهم الموت، وإن أكبر ما يخشاه الناس هو الموت، فإذا تجاوزه المجاهد، واستهان به، كان أقوى حجةً واصلب عوداً، وأقرب إلى النصر، إذ لا يملك العدوّ حينئذٍ أيّ سلاح يُجبره به على تغيير مواقفه..

ومن هنا فحينما اعتقلوا النبي إبراهيم ـ عليه السلام ـ وحاولوا إحراقه بالنار، لم يزد على قوله: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات الأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين».

---

(٥٦) سورة النساء (٧٤).

(٥٧) سورة البقرة (٢٠٧).

(٥٨) نهج البلاغة الخطبة ٦٦.

(٥٩) نهج البلاغة الخطبة ١١.

وما دامت حياة الإنسان ومماته لله رب العالمين فممن الخوف، وعلى من الخوف، ولماذا الخوف؟

فإذا كان في الموت رضا الله تعالى، فألف مرحباً به، وألف تحية له، فهو عرس المجاهد، ولذته، وراحته، وأمنيته..

وكما قلتُ في أبيات من الشعر على لسان المجاهدين:

هيئت لي أميّ فراشاً وثيراً — من رياش الحمام حشو الوسادة
صبغت غرفتي بلون المرايا — وتمنّت عليّ عهد السعادة
ثم قالت: هذي عروسك هيّا — إنها الدرّ بهجةً ونجادة
من دعوت؟ قالت: رفاقك في — الحي فكل يرجو لديك رفاة
فرفضتُ وقلت: يا أم حيدي — إن عرسي في الأرض يوم الشهادة
يوم ألقي حور الجنان ودمّي — فوق نحري ملبدٌ كالقلادة
يوم استقبل النبي بقصري — ويهني فيّ الحسين السعادة
كلّ ما في الحياة عندي هباء — إنّما لذة الحياة الشهادة

وهذا الاستعداد للشهادة هو الذي كان يتمتع به الرعيل الأول من المؤمنين في التاريخ، وهو الذي صنع منهم أبطال التاريخ، وأعطاهم الخلود، ومنحهم النصر..

ـ هذا عمار بن ياسر، يخرج إلى ساحة الوغى، لمواجهة الأعداء، وهو يقول:

«اللّهم.. إنك تعلم أني لو كنت أعلم أن رضاك في أن أقذف نفسي في هذا الفرات، فاغرقها لفعلت..

اللهم.. إنك تعلمْ أني لو كنتُ أعلم أن رضاك في أن أضع سيفي في بطني، واتكىء عليه حتى يخرج من ظهري لفعلت..».

ويقول: «اللهم.. اني لا أعلم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء القوم».

ثم كان يقذف بنفسه في حشود العدو. . فيقاتل غير آبه بالموت، ولا خائف منه. .

❋ ❋ ❋

وهذا البراء بن مالك الأنصاري، يقول في يوم اليرموك عندما اشتد القتال في الحديقة التي كان فيها مسيلمة الكذاب: «يا معشر المسلمين القـوني عليهم». . . فاحتمل حتى إذا أشرف على الجدار المحيط بالحديقة فاقتحمه وقاتل على الباب حتى فتحه للمسلمين، فجرح يومها بضعاً وثمانين جرحاً. .

❋ ❋ ❋

وهذا عبادة بن الصامت يقول رداً على تهديدات المقوقس: «يا هذا، لا تغرن نفسك ولا أصحابك، أمّا ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم، وأنا لا نقوى عليهم، فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به، ولا بالذي يكسرنا عمّا نحن فيه، إن كان ما قلتم حقاً، فذلك وإليه أرغب ما يكون في قتالهم وأشد لحرصنا عليهم، لأن ذلك أعذر لنا عن الله إذا قدمنا عليه إن قُتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا من رضوانه وجنته، وما من شيء أقرّ لأعيننا، ولا أحب إلينا من ذلك، وأمّا منكم حينئذٍ على إحدى الحسنيين، أمّا أن تعظّم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم، أو غنيمة الآخرة، إن ظفرتم بنا، وإنها لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منّا وإن الله عز وجل قال في كتابه: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾(٦٠)، وما منّا رجل إلّا وهو يدعو ربّه صباحاً ومساءً أن يرزقه الشهادة، وأن لا يردّه إلى بلده، ولا إلى أرضه، ولا إلى أهله وولده، وليس لأحد منّا همّ فيما خلفه، وقد استودع كل واحد منا ربّه وأهلَه وولده، وإنما همنا ما أمامنا.

❋ ❋ ❋

وهذا أبو عبيد بن مسعود الثقفي، يقول حينما واجه الفرس أمام نهر الفرات ودار الأمر بين أن يعبره المسلمون إليهم، أو يعبره الفرس إلى المسلمين، يقول:

---

(٦٠) سورة البقرة (٢٤٩).

«لا يكون أجرأ على الموت منا».

ويأمر المسلمين على العبور، ليواجهوا الفرس، وهم على الفيلة بالسيوف والرماح..

وهـذا مسلم بن سبحة، يسقط على الأرض فيـأتيـه الحسين، ومعـه حبيب بن مظاهر فيقول له حبيب لولا أني أعلم أني في الأثر لأحببت أن توصي إليّ بما أحببت، فقال له مسلم «أوصيـك بهذا أن تموت دونه».

الطموح الكبير

«يطير المرء بهمته كما يطير الطائر بجناحيه»

هكذا يقول الحـديث الشريف. فعلى المجـاهدين أن يـطمحوا في المجابهة باسقاط مركز القيادة لدى العدو، وأن لا يقبلوا بأقل من النصر الكامل.

يقول الإمام علي (ع): لولده محمد بن الحنفية: «إرم ببصرك أقصى القوم..»[٦١].

ويقول في إحدى وصاياه لأصحابه قبيل اندلاع الحرب في صفين:

«**عليكم هذا السواد الأعظم** (الجيش المنتشر في الصحراء) **والرّواق المطنّب** (الخيمة التي تشبه الرواق الثابت على الجبال ويجلس فيه قائد قوات العدوّ، وهو معاوية) **فاضربوا ثبجه** (داخله) **فإن الشيطان كامن في كسره** (زاويته) **وقد قدم للوثبة** (والهجوم) **يداً، وأخّر للنكوص رجلاً، فصمداً صمداً حتى ينجلي لكم عمود الحق، وأنتم الأعلون، والله معكم، ولن يترك أعمالكم**»[٦٢].

إن الشجاعة لدى الرجال، هي على قدر ما لهم من طموح كبير.

---

(٦١) نهج البلاغة الخطبة ١١.

(٦٢) نهج البلاغة الخطبة ٦٦.

يقول الإمام علي (ع): «شجاعة الرجل على قدر همته، وغيرته على قدر حميته»[٦٣].

يقول الإمام علي (ع): «كن بعيد الهمم إذا طلبت.. كريم الظفر إذا غلبت»[٦٤].

ويقول: «المرء بهمته»[٦٥]. ويقول: «الفعل الجميل يُنبيء عن علو الهمّة»[٦٦]. ويقول: «أحسن الشيم. شرف الهمم». ويقول: «خير الهمم أعلاها»[٦٧]. «قدر الرجل على قدر همته، وعمله على قدر نيته»[٦٨]. ويقول: «ما رفع امرءاً كهمّته، ولا وضعه كشهوته»[٦٩]. ويقول: «من صَغُرت همته بطلت فضيلته»[٧٠]. ويقول: «من كبرت همته عزّ مرامه»[٧١]. ويقول: «من رقي درجات الهمم عَظمته الأمم»[٧٢]. ويقول: «من دنت همتُه فلا تصحبه»[٧٣].

الطاعــة

لا يمكن تصور أي عمل جهادي، من غير طاعة الأفراد للقيادة، فبدون عنصر الطاعة، لن يكون الجهاد منظماً، ومن غير التنظيم لن يكون النصر حليف المجاهدين..

---

(٦٣) غرر الحكم رقم ٥٨٤١.
(٦٤) غرر الحكم رقم ٧٢٤٠.
(٦٥) غرر الحكم رقم ٢٩٦.
(٦٦) غرر الحكم رقم ١٤٦٠.
(٦٧) غرر الحكم رقم ٥٠٦٦.
(٦٨) غرر الحكم رقم ٦٨٢٣.
(٦٩) غرر الحكم رقم ٩٨٠٣.
(٧٠) غرر الحكم رقم ٨١٢١.
(٧١) غرر الحكم رقم ٨٥٠٨.
(٧٢) غرر الحكم رقم ٨٦٢٦.
(٧٣) غرر الحكم رقم ٩١٨٦.

فسلامة المبدأ، ليست كافية لتحقيق النصر، بل لا بد من الأخذ بأسبابه ونواميسه، ومن أبرز نواميسه الطاعة، يقول الإمام علي (ع): «لا ينجع تدبير من لا يطاع». ويقول: «لا رأي لمن لا يُطاع»..

يقول الله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾[٧٤].

ومن لم يطع الله، ورسوله، فهو يبطل أعماله ويفشل.
يقول الله تعالى: ﴿واطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾[٧٥].
ويقول: ﴿واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا﴾[٧٦].

وواضح أن طاعة الله، هي طاعة أوامره ونواهيه، أما طاعة الرسول فهي طاعة القيادة العملية في أمور الحياة..

ومن هنا كان الأنبياء جميعاً يطالبون الناس بأن يطيعوهم..

يقول الله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلّا ليُطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً، فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويُسلّموا تسليماً﴾[٧٧].

﴿ولو إنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرُجُوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم، ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً، وإذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً، ولهديناهم صراطاً مستقيماً ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين

---

(٧٤) سورة التوبة (٧١).
(٧٥) سورة محمد (٣٣).
(٧٦) سورة الأنفال (٤٦).
(٧٧) سورة النساء (٦٤ ـ ٦٥).

وحسن أولئك رفيقاً﴾[٧٨].

ـ وهكذا فكل نبيّ قدر الله الطاعة بإذنه.

ـ ولا يكون الناس مؤمنين حقاً إلاّ إذا تحاكموا إلى النبي، وتقبلوا منه أحكامه، من غير أن يجدوا في أنفسهم حرجاً من قضائه..

ـ وإذا كانت الطاعة في قضايا السلم ضرورية، فهي في المجابهة أكثر ضرورة، لأنها أكثر خطورة، فلو أمر الله ورسوله المؤمنين أن يقتلوا أنفسهم لكان عليهم أن يطيعوه في ذلك، وهو خير لهم وأشد تثبيتاً..

ـ هذا في الحياة الدنيا، أما في الآخرة فإن إطاعة الرسول، تجعل الإنسان رفيقاً للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

ومن هنا كانت دعوة الأنبياء إلى تقوى الله تعالى مقرونة بدعوتهم إلى طاعة أوامرهم..

فهذا نوح يقول عنه ربنا عز وجل: ﴿إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون؟ إني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون﴾[٧٩].

وهذا هود، يقول عنه تعالى: ﴿إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون، إني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون﴾[٨٠].

وهذا صالح، يقول عنه تعالى: ﴿إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون، إني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون﴾[٨١].

وهذا لوط، يقول عنه تعالى: ﴿إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون، إني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون﴾[٨٢].

---

(٧٨) سورة النساء (٦٦ ـ ٦٩).
(٧٩) سورة الشعراء (١٠٦ ـ ١٠٨).
(٨٠) سورة الشعراء (١٢٤ ـ ١٢٦).
(٨١) سورة الشعراء (١٤٢ ـ ١٤٤).
(٨٢) سورة الشعراء (١٦١ ـ ١٦٣).

وهذا شعيب، يقول عنه تعالى: ﴿إذ قال لهم شعيب ألا تتقون، إني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون﴾[٨٣].

* * *

ولقد خالف المسلمون أوامر النبي (ص) القائد، في غزوة أحد، فكاد أن يبيدوا جميعاً لولا أن تداركتهم رحمة الله تعالى. كما يقول تعالى: ﴿ولقد صدقكم الله وعده، إذ تَحسُّونُهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾[٨٤].

ويقول: ﴿إن الذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان إنّما استزّلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور رحيم﴾[٨٥].

فبعد انتصار المسلمين في بدر، جمعت قريش خيلها ورجالها، لتثأر لقتلاها من صناديدهم، وكان عددهم ثلاثة آلاف رجل، بينما كان عدد أصحاب رسول الله ألفاً، في البداية، ثم أن عبد الله بن أبي بن سلول رجع بثلاثمائة منهم وبقي مع النبي (ص) سبعمائة نزل بهم في أحد، ونظم أمرهم هناك، بأن وضع خمسين رامياً بقيادة عبد الله بن جبير على الجبل لحماية مؤخرة المسلمين، وقال له: **«انطح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا. . إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك»**.

وأكد عليهم قوله: **«إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا ظهرنا على عدوّنا وأوطأناهم، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم»**.

وبدأ القتال، فأنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده فحسوهم بالسيف حتى كشفت قريش، وكادت الهزيمة أن تطبق عليهم. . لولا مخالفة

---

(٨٣) سورة الشعراء (١٧٧ ـ ١٧٩).

(٨٤) سورة آل عمران (١٥٢).

(٨٥) سورة آل عمران (١٥٥).

الرماة لأمر رسول الله . .

يقول أحد الأصحاب: «واللهِ . . لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بن عُتبة، وصواحبها مشمرات هاربات ما دون أخذهن قليل ولا كثير، إذ مالت الرماة على العسكر حين كشفنا القوم عنه، وخلّوا ظهورنا للخيل، فأتينا من خلفنا، وصرخ صارخ الا أن محمداً قد قُتل، فانكفأنا وانكفأ القوم علينا، بعد أن أصبنا أصحاب اللواء، حتى ما يدنو منه أحد منهم».

لقد انكشف المسلمون، وأصاب منهم العدو، وكان يوم بلاء وابتلاء فقد قتل سبعون من خيرة الصحابة، كل ذلك بسبب عصيان مجموعة الرماة لأوامر قيادتهم.

وإذا كان عصيان بسيط كهذا، يؤدي إلى هزيمة كتلك، فأي موقع تمثله الطاعة في عملية الجهاد؟

إن تاريخ الكوارث، مليء بقصص العصيان عن أوامر القيادة في الجهاد.

فالإمام علي (ع) يُقتل، وينتصر العدو على أصحابه لأنّ بعض أصحابه يصيبه الوهن في طاعته، حتى يقول: «منيتُ بمن لا يطيع إذا أمرت ولا يجيب إذا دعوت»[٨٦].

ويقول: «وإني والله، لأظن أن هؤلاء القوم سيُدالون منكم، باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، وبمعصيتكم إمامكم في الحق، وطاعتهم إمامهم في الباطل، وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم»[٨٧].

والإمام الحسين (ع) هو الآخر يُقتل وينتصر العدو على أصحابه، لأن أهل الكوفة تركوا طاعته . .

* * *

---

(٨٦) نهج البلاغة الخطبة ٣٩.

(٨٧) نهج البلاغة الخطبة ٢٥.

ومن هنا يقول الإمام علي (ع) عن الطاعة: «بالطاعة يكون الفوز»[٨٨].

ويقول: «دوام الطاعات، وفعل الخيرات، والمبادرة إلى المكرمات من كمال الإيمان»[٨٩].

ويقول: «الزموا ما عقد عليه حبل الجماعة وبُنيت عليه أركان الطاعة»[٩٠].

ويقول: (فرض الله) الطاعة تعظيماً للإمامة»[٩١] ويقول: «الطاعة جنّة الرعية» و«العدل جنة الدول»[٩٢]. ويقول: «أحق من تطيعه من لا تجد منه بدّاً ولا تستطيع لأمره مردّا»[٩٣]. ويقول: «إن كنت حريصاً على طلب المضمور فكن حريصاً على أداء المفروض عليك»[٩٤]. ويقول: «آفة الرّعية مخالفة الطاعة»[٩٥]. ويقول: «ملازمة الطاعة خير عتاد»[٩٦].

المراقبة والاستطلاع

لا بد أن يكون المجاهدون على بينة من أمرهم، لئلا يفاجأوا بما ليس في الحسبان، فلا بد من معرفة العدوّ، ومعرفة نفسيته، وموقعه، ونقاط قوته، وعدد أفراده، ونوعية أسلحته.. كما لا بد من معرفة الأرض التي يجري فيها القتال..

يقول الإمام علي (ع): «إجعلوا لكم رقباء (أي من يكتشف المواقع) في صياصي الجبال، ومناكب الهضاب، لئلّا يأتيكم العدوّ من مكان مخافة أو آمن».

---

(٨٨) غرر الحكم رقم ٤٣٣٢.
(٨٩) غرر الحكم رقم ٥٢٢٧.
(٩٠) نهج البلاغة الخطبة ١٥١.
(٩١) غرر الحكم رقم ١١٦٠.
(٩٢) غرر الحكم.
(٩٣) غرر الحكم رقم ٣٣١٧.
(٩٤) غرر الحكم رقم ٣٨٠٠.
(٩٥) غرر الحكم.
(٩٦) غرر الحكم رقم ٥٥٧.

«واعلموا أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم»[٩٧].

وروي «أنّ رسول الله (ص) بعث عام الحديبية بين يديه عيناً له من خزاعة». .

كما روي أنه (ص) أبقى العباس في مكة عيناً له على قريش وتحركاتها.

الحفاظ على ثقل الجيش

في وصية لجيشه كثيراً ما كان الإمام علي (ع) يوصيهم بأن يحافظوا على وحدة الجيش في التحرك والتوقف. .

يقول الإمام علي (ع): «إياكم والتفرّق، فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً»[٩٨].

التنسيق ووحدة القرار..

قد يجوز اختلاف الرأي، قبل بدء المواجهة، أمّا حينها فلا بدّ من التنسيق الكامل، ووحدة الكلمة، إذ لا شيء مثل التشتت يؤدي إلى الهزيمة. .

يقول الله تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كانهم بنيان مرصوص﴾[٩٩].

ويقول الإمام علي (ع) لأصحابه: «سوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص فقدّموا الدارع، وأخروا الحاسر، وعضّوا على الأضراس»[١٠٠].

يقول الله تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾[١٠١].

---

(٩٧) نهج البلاغة الكتاب ١١.
(٩٨) نهج البلاغة الخطبة ١١.
(٩٩) سورة الصف (٤).
(١٠٠) شرح النهج ج ٥ ص ١٨٧.
(١٠١) سورة الأنفال (٤٦).

المبــادرة

في الجهاد: لا بدّ من الاعتماد على عنصر المبادرة.

إن كثيراً من الأمم تنتصر في سوح الجهاد، لا لأنها أقوى، أو أكثر عدداً، أو أحسن عدّة، وإنما لأنها تأخذ المبادرة في الهجوم على العدوّ.

فالهجوم بدل الدّفاع، ضروري لإحراز النصر...

إن الحرب قتال. ومن يطلق النار قبل عدوه، لا يترك مجالاً للطرف الآخر لكي يرد، ولذلك فهو ينتصر.

هكذا يعلمنا الإمام علي (ع):

إنه كثيراً ما كان يوصي أصحابه بقوله:

«بادروا جهاد عدوّكم»[١٠٢]...

وبالطبع فإن هذا لا يعني أنه يجب أن نكون نحن المعتدين وإنما يعني علينا أن ننتزع المبادرة من العدوّ إذا حاول الاعتداء...

ويقول الإمام (ع) أيضاً:

«قد خلّيتم والطريق فالنجاة للمقتحم، والهلكةُ لِلْمُتَلَوِّمِ»[١٠٣].

فالعدوّ، عدوّ ولا يؤخره عن الهجوم عليك إلّا الاستعداد له.

هكذا فعل الإمام علي (ع) يوم جاءته الأخبار بأن معاوية، قد ارتشى عمرو بن العاص، وعقد معه حلفاً غير مقدّس على العمل لتوطيد دعائم حكم معاوية.

يقول (ع) في ذلك:

«... ولم يبايع حتى شرط (عمرو بن العاص) أن يؤتيه (معاوية) على البيعة ثمناً، فلا ظفرت يد البائع، وخزيت أمانة المبتاع (المشتري)!

---

(١٠٢) نهج البلاغة الكتاب ١.

(١٠٣) نهج البلاغة الخطبة ١٢٣.

«فخذوا للحرب أهبتها، وأعدّوا لها عدّتها، فقد شبّ لظاها، وعلا سناها (ظهرت آثارها، باستعداد العدوّ لها) واستشعروا الصبر (اجعلوا الصمود شعاركم) فإنه أدعى إلى النصر»(١٠٤).

فالقتال نتيجة لسلسلة أعمال مسبقة، وعلى الإنسان أن يستعد لذلك بمجرد أن تظهر آثاره، وإن كانت الآثار، مجرد التقاء بين أقطاب العدوّ!

وهكذا ففي الجهاد: المباغتة خير من التهديد المسبق، لأن المباغتة تسقط حسابات العدوّ، وتربكه فلا يستطيع أن يواجه الموقف إلاّ لكي يساعد على هزيمة نفسه.

وفي ذلك يقول الإمام، وهو يشير إلى الذين هدّدوا، وأرعدوا من أعدائه.

«وقد أرعدوا، وأبرقوا، ومع هذين الأمرين: الفشل. ولسنا نرعد حتى نوقع (ننفّذ) ولا نسيل (نحدث سيلاً خيالياً) حتى نمطر»(١٠٥).

ولقد استخدم رسول الله (ص) المباغتة، عبر استخدامه (ص) للغارات التي جاءت في شروطها وصفاتها كما لو أنها تستخدم في الحروب الحديثة، فقد اتصفت بالسرية، كما في الإغارة على جموع بني سليم في غزوة بحران، وبالصمت كما في جميع الغارات خاصة في غزوة بني سليم، وغزوة بني المصطلق ومعركة بدر وبالمفاجأة كما في جميع الغزوات، وبالسرعة كما في قتال بني محارب، وبالخدعة في الزمان والمكان كما في غزوة خيبر والخندق.

مع بدء الهجوم: قتال بلا هوادة

إذا دقت ساعة المواجهة، فلا يجوز التردد، بل لا بد من القتال، بلا هوادة، والاندفاع بكل شدّة وزج المزيد من القوات حتى تتحقق الأهداف.. وإلاّ فإن أية فرجة قد تعطي العدوّ فرصة الاختلاق، أو تنظيم أموره، وترتيب معسكره..

---

(١٠٤) نهج البلاغة الخطبة ٢٦.

(١٠٥) نهج البلاغة الخطبة ٩.

فالمطلوب مع بداية الإلتحام، إنزال أكبر قدر من الضربات وزيادة الضغط على جبهة العدو من غير أن نحسب أي حساب للقتلى يقول الله تعالى: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾[١٠٦].

يقول الإمام علي(ع) لأصحابه قبل إحدى المعارك:

«إنهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دِرَاك (متوالي يصنع في أجسامهم ثقوباً) يخرج منهم النسيم، وضربٍ يَفلقُ الهام، ويُطيح العظام، ويُندِر (يسقط) السواعد والأقدام، وحتى يُرموا بالمناسر تتبعها المناسر، ويُرجموا بالكتائب، تقفُوها الحلائب (الخيّالة) وحتى يُجر ببلادهم الخميسُ يتلوه الخميسُ، وحتى تَدعُقَ الخُيولُ في نواحِر أرضِهم وباعنان (أطراف) مساربهم ومسارحهم»[١٠٧].

وتلك خطة كاملة لاحتلال مواقع العدوّ، أو بلاده.

فالأحتلال يجب أن يكون سريعاً، ومتواصلاً: فيبدأ.

أولاً: بقصف عنيف ومركز للمواقع المطلوب إحتلاله حتى يثير الذعر لدى العدوّ.

ثانياً: لا بدّ من دفع قوات من مختلف الأسلحة، وهي التي سماها الإمام المناسر، للتقدم نحو الموقع.

ثالثاً: لا بد من مواصلة التقدم عن طريق دفع القوي فالأقوى إلى الأمام، إذا لا يجوز أن يتقدم الجيش الأقوى، ويبقى الأضعف لمساندته، إذ لو انهزم الأقوى، فإن الجيش كلّه سوف ينهار. وهذا ما عبّر عنه الإمام بقوله:

«ويُرجموا بالكتائب تقفوها الحلائب، وحتى يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس».

رابعاً: لا بد من احتلال كافة الطرق المحيطة بالعدوّ حتى يشعر بالتطويق

---

(١٠٦) سورة الأنفال (٦٧).

(١٠٧) نهج البلاغة الخطبة ١٢٤.

ولا يكون له أيّ مسرب، كما لا بد من احتلال طرق التموين التي سماها الإمام «المسارح».

* * *

ثم إن ساعة المواجهة، هي أفضل ساعات المجاهدين، ففيها تنفتح أبواب الجنة، وينزل النصر، وينهزم الكافرون.

يقول رسول الله (ص): «إذا برز المجاهدون لعدوهم، وأشرعت الأسّنة، وفوقِت السهام، وتقدم الرجل إلى الرجل حفّتهم الملائكة بأجنحتهم، ويدعون الله تعالى لهم بالنصر والتثبت، ونادى مناد: الجنة تحت ظلال السيوف»[١٠٨].

وهكذا فإن المجاهد يضع نصب عينيه أحد أمرين: امّا شرف النصر أو شرف الاستشهاد، كما قال تعالى: ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يُقاتل في سبيل الله فيُقتل أو يَغلِب فسوف نؤتيه أجـراً عظيماً﴾[١٠٩].

ومع أن المقاتل امّا أن يكون غالباً أو مغلوباً، إلاّ أن الله تعالى لم يقل «فيُغلب، أو يَغلب» بل قال فيُقتل أو يغلب، على أساس أن المؤمن لا يُغلب أو يقهر، فهو يسترخص النفس في سبيل الله، وشرفه أعظم من أي شيء آخر، ولذلك فلا يكف عن القتال حتى يكتب له النصر فإذا لم يتحقق فالمعركة مستمرة ولن يلقي سلاحه حتى تزهق روحه..

ومن هنا فلا تخوف من طول الجهاد، إذا لم يتحقق النصر..

يقول الإمام علي (ع): في رسالة له إلى معاوية جواباً عن كتاب منه: «وأمّا قولك أن الحربَ قد أكلتِ العرب إلاّ حشاشات أنفس بقيت.. الآ.. ومن أكله الحق فإلى الجنّة، ومن أكله الباطل فإلى النار»[١١٠].

---

(١٠٨) البحار ج ٩٧ ص ١٣ ح ٢٧.
(١٠٩) سورة النساء (٧٤).
(١١٠) نهج البلاغة الكتاب ١٧.

يقول الله تعالى: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهـم فشدوا الوثاق فإمّا مناً بعد وإمّا فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم، سيهديهم ويصلح بالهم، ويدخلهم الجنة عرّفها لهم﴾(١١١).

التزام الصمت

حين المواجهة، لا بد من أن يصمت اللسان، لتتكلم الأفعال، خاصةً وأنّ الكلام، يمنع التعبئة الروحية التي يجب أن تتركز داخل النفس، لتأتي الخطوات أكثر ثباتاً، وشجاعة..

يقول الإمام علي (ع) في وصيته لابنه محمد بن الحنفية «عض على ناجذك»(١١٢).

ويقول لأصحابه: «إذا لقيتم عدوكم في الحرب فأقلّوا الكلام، واذكروا الله»(١١٣).

ويقول لهم في موقع آخر: «.. إذا لقيتم هؤلاء القوم غداً فلا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم، فإن بدأوكم فانهدّوا إليهم، وعليكم السكينة والوقار، وعضّوا على الأضراس، فإنه أنبى للسيوف عن الهام، وأقلّوا الكلام فإنه أطرد للفشل، واذهب للويل، ووطنّوا أنفسكم على المبارزة والمنازلة، واثبتوا، واذكروا الله كثيراً(١١٤).

ويقول في موقع آخر «أميتوا الأصوات»(١١٥)..

---

(١١١) سورة محمد (٤ ـ ٦).
(١١٢) نهج البلاغة الخطبة ١١.
(١١٣) البحار ج ٩٠ ص ١٥٤ ح ١٦.
(١١٤) الوسائل ج ١١ ص ٧٣ الباب ٣٤ من أبواب جهاد العدو ح ٤.
(١١٥) نهج البلاغة الخطبة ١٢٤.

إن الصمت يجعل الروح متوثبة، تندفع بالاتجاه الذي يأمرها العقل بقوة، بينما الكلام يشتت تركيزها. ولهذايقول الإمام علي (ع): «إلزم الصمت يستنر فكرك»[116].

فـ«الصمت منجاة»[117]، و«هو آية النبل وثمر العقل»[118] كمايقول الإمام علي (ع).

كما أنه يزيد غضب الإنسان على عدوّه، فلا يجد متنفساً غير استخدام الشدة والعنف معه، وكما يقول الإمام علي (ع) فإن: «من أحدّ سنان الغضب لله، قوي على قتال أشداء الباطل»[119].

ثم إن للصمت هيبة خاصة. يقول الإمام على (ع): «بكثرة الصمت تكون الهيبة»[120]. ويقول: «المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه... بعيد همّه، كثير صمته»[121]. ويقول: «بالصمت يكثر الوقار»[122].

المناورة في المواجهة

القتال ليس كله هجوماً لا مرونة فيه، بل هو: هجوم، وانسحاب، ثم هجوم.

والمجاهد: لا بد أن تكون عنده مرونة كافية لكي يعرف متى يهاجم، ومتى ينسحب لكي يهاجم، وكما يوطد الجندي نفسه على الهجوم لا بد أن يوطد نفسه أيضاً على الإنسحاب إذا اقتضى الأمر ذلك... من أجل هجوم

---

(١١٦) غرر الحكم.
(١١٧) كنز العمال ج ٣ رقم ٦٨٩٠ وفيه: عن النبي (ص): «من صمت نجا».
(١١٨) غرر الحكم.
(١١٩) نهج البلاغة قصار الحكم ١٧٤.
(١٢٠) نهج البلاغة قصار الحكم ٢٢٤.
(١٢١) نهج البلاغة قصار الحكم ٣٣٣.
(١٢٢) غرر الحكم رقم ٤٢٦٩.

مضاد في وقت مناسب.

ذلك لأن الهجوم المتواصل، الذي لم يحسب له حساب دقيق لمعرفة «الخطوة التالية» قد ينقلب إلى هزيمة نكراء، يوم يقف العسكر حائراً: ما الذي يجب عليه أن يفعل بعد ذلك؟

يقول الإمام علي (ع):

«لا تشتدنّ عليكم فرّة (فرار) بعدها كرة (هجوم)، ولا جولة (انسحاب من وجه العدوّ) بعدها حملة، وأعطوا السيوف حقوقها، ووطئوا للجنوب مصارعها (اضربوهم بحيث لا يقومون)، واذمروا أنفسكم (أحملوا أنفسكم) على الطعن الدعسي (الطاحن)، والضرب الطلحفي (الشديد)، وأميتوا الأصوات فإنّه أطرد للفشل، فوالذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، ما أسلموا (الإسلام الحقيقي) ولكن استسلموا، وأسروا الكفر فلمّا وجدوا أعواناً عليه أظهروه (فلا تخيفكم مظاهر الإسلام فتمتنعوا عن مواصلة قتالهم)»[١٢٣].

ويقول (ع): «الفرار في أوانه، يعدل الظفر في زمانه»[١٢٤].

استخدام الخدعة

مع الأعداء لا بدّ من استخدام الخديعة، إذ لا يمكن أن يكون الإنسان معهم صادقاً يكشف لهم عن حقائقه، ويواجه خططهم بالأمانة والصدق فالمواجهة، لا تقتصر على السلاح، بل تشمل التخطيط والتكتيك أيضاً.

يقول الإمام علي (ع):

«لأن يخطفني الطير أحبّ إليّ من أن أقول على رسول الله (ص) ما لم يقل، سمعت رسول الله (ص) يقول يوم الخندق: «الحرب خدعة»[١٢٥].

---

(١٢٣) نهج البلاغة الكتاب ١٦.

(١٢٤) غرر الحكم.

(١٥٢) كنز العمال ج ٤ ص ٣٥٨.

وروي عن رسول الله (ص) أنه قال: «لا يصلح الكذب، إلّا كذب الإمام عدوه، فإنما الحرب خدعة»[١٢٦].

وروي عنه أيضاً أنه (ص) قال لعليّ: «يا علي.. إن الله يحب الكذب في الصلاح ويبغض الصدق في الفساد.. يا علي.. ثلاث يصح فيهن الكذب: المكيدة في الحرب، وعدتك زوجتك، والاصلاح بين الناس»[١٢٧].

* * *

والخدعة في الجهاد يشمل عدة أمور منها:

- استخدام التقية، في المواجهة السياسية، والعسكرية مع العدو.
- استخدام الخدع الإعلامية، لالقاء الرعب في قلوب الأعداء.
- تفتيت وحدة صف العدو، وضرب تحالفاته.
- استخدام أساليب المناورة لخداع العدو.

ولقد استخدم رسول الله (ص) كل هذه الأمور في حمل رسالته، في مكة وفي المدينة..

فليلة الهجرة خدع المشركين، في طريقة هجرته، وفي مبيت الإمام علي (ع) مكانه، وقبل ذلك استخدم التقية، والسرية في الدعوة إلى الله تعالى حتى أمر بالإعلان عنها بعد ثلاث سنوات.

وكان في مواجهته للعدوّ يستشير أصحابه، فإذا أشاروا عليه بما فيه الخدعة كان لا يتوانى عن الأخذ بها.

وتروي السيرة أنه حينما نزل الرسول (ص) في غزوة بدر على أقرب ماء من مياه بدر جهة المدينة، جاءه «الحباب بن المنذر الأنصاري»، وقال له: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزل أنزله الله، فليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟.

---

(١٢٦) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٦٣ الباب ٤٥ من أبواب جهاد العدو ح ٣.
(١٢٧) البحار ج ٧٤ ص ٥١ ح ٣.

فقال الرسول (ص): «بل هو الرأي والحرب والمكيدة».

فقال الحباب: يا رسول الله، إن هذا ليس بمنزل، فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من القوم (المشركين) فننزل ونعور ما وراءه من القلب (بضمتين جمع قليب وهو البئر) ثم نبني عليه حوضاً فنملأه. فنشرب ولا يشربون.

وأعجب الرسول برأي الحباب وأمر بتنفيذه، ويروى أن جبريل نزل على النبي يقول له: الرأي ما أشار به الحباب بن المنذر.

فقال النبي (ص) يا حباب أشرت بالرأي.

وفي معركة بني قريظة والنضير استشار النبي المسلمين، فوقف الحباب وقال: يا رسول الله أرى أن ننزل بين القصور، فنقطع خبر هؤلاء عن هؤلاء.

فأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم برأيه.

وفي معركة الخندق استخدم رسول الله (ص) الخديعة المتفرقة بين قريش وحلفائهم من اليهود، وقصتها معروفة.

واستخدم الإمام علي (ع) أيضاً الخدعة الإعلامية، في يوم صفّين، فقد روى «عُدي بن حاتم» أنه سمع علياً (ع) يقول يوم التقى هو ومعاوية، فرفع صوته يُسمع أصحابه: واللهِ لأقتلنّ معاوية وأصحابه: .. ثم خفض صوته، وقال «انشاء الله».

فكنت قريباً منه فقلت: يا أمير المؤمنين، إنك حلفتَ على ما قلت، ثم استثنيت، فما أردت بذلك؟

فقال (ع): «إن الحرب خدعة، وأنا عند المؤمنين غير كذوب، فاردت أن أحرّض أصحابي عليهم لكيلا يفشلوا، ولكي يطمعوا فيهم. فافهم فإنك تنتفع بها بعد اليوم انشاء الله، واعلم أن الله عز وجل قال لموسى عليه السلام حيث أرسله إلى فرعون فاتياه ﴿فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكر أو يخشى﴾[١٢٨] وقد علم

---

(١٢٨) سورة طه (٤٤).

تعالى أنه لا يتذكر ولا يخشى، ولكن ليكـون ذلك أحـرض لموسى على الذهاب».

ويروى في غزوة الأحزاب، إن علياً عليه السلام، قال لخصمه «عمرو بن عبد ودّ»: يا عمرو.. أما كفاك اني بارزتك وأنت فارس العرب حتى استعنت عليّ بظهير؟

فالتفت عمرو إلى خلفه ليرى من معه.. فبادره الإمام (ع) فضربه على ساقيه، فقطعهما.. ثم أقبل إلى رسول الله، ودمه يسيل من رأسه، من ضربة عمرو، وسيفه يقطر منه الدّم».

وفي رواية أن رسول الله بعث رجلاً من أصحابه إلى رجل من اليهود، فأمره بقتله.. فقال الرجل:

«يا رسول الله إني لا استطيع ذلك إلّا أن تأذن لي.. فقال له رسول الله (ص): «إنما الحرب خدعة فاصنع ما تريد» وفي رواية أخرى أن رسول الله (ص) قال:

ـ «قل ما بدا لك فإن الحرب خدعة..».

وقال:

«خذل عنّا فإن الحرب خدعة».

الحذر المستمر

في الأمر الصريح إلى المجاهدين يقول ربّنا عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثباتٍ أو انفروا جميعاً﴾[١٢٩].

ويقول: ﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾[١٣٠].

ويقول: ﴿واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا﴾[١٣١].

---

(١٢٩) سورة النساء (٧١).

(١٣٠) سورة التوبة (١٢٢).

(١٣١) سورة المائدة (٩٢).

ويقول: ﴿هم العدو فاحذرهم﴾.

فليس المؤمن من يُخدع أو يغفل أو يتماهل. لأن المواجهة تتطلب أقصى درجات الحيطة، وأشد أنواع الحذر..

يقول الإمام علي (ع): «كن من عدوك على أشد الحذر».. فلا يجوز بأي شكل من الأشكال الاستهانة بالعدو بل يجوز العمل بأقل الاحتمالات في الحذر.

ولذلك فقد روي: ان رجلاً سأل الإمام عن رجل اشترى عبداً مشركاً وهو في أرض الشرك، فقال العبد لا استطيع المشي، وخاف المسلمون أن يلحق العبد بالعدوّ، أيحل قتلُه؟

فقال (ع): «إذا خاف حلّ قتله».

ومن كتاب لأمير المؤمنين (ع) إلى أهل مصر قال: «إن أخا الحرب الأَرِقُ، ومن نام لم يُنم عنه»[١٣٢].

ولهذا كان لا بد من الحذر من العدو حتى لو كان ضعيفاً، فقد روى «ثلاثة قليلها كثير: النار، والعدوّ، والمرض» وفي حديث آخر «لا تستصغرن عدواً وإن ضعف»[١٣٣].

وكما يقول المثل: «إذا كان عدوك نملة، فلا تنم له» فعدو واحد يمكن أن يهزم جيشاً كاملاً إذا أمنّا مكائده.. ولهذا يذكر التاريخ: إن رجلاً يسمى «أبا غرة الجمحي» وقع في الأسر يوم بدر، فقال لرسول الله (ص):

«يا محمد، إني ذو عيلة فامنن عليّ».

فمنّ عليه رسول الله، واطلقه، واشترط عليه أن لا يعود إلى القتال. فعاد الرجل إلى مكة، فقال لقومه:

---

(١٣٢) نهج البلاغة الكتاب ٦٢.

(١٣٣) غرر الحكم رقم ١٠٣٣٠.

«سخرتُ بمحمد فاطلقني».

وعاد إلى القتال يوم أحد، فدعى عليه رسول الله (ص) أن لا يفلت.. فوقع في الأسر، فقال للنبي (ص) من جديد:
«إني ذو عيلة فأمنن عليّ».
فقال رسول الله (ص): «أمنّ عليك حتى ترجع إلى مكة فتقول في نادي قريش: سخرت بمحمد؟؟ لا يُلدغُ المؤمن من جحر مرتّين»[134].
ثم قتله (ص) بيديه!

ولقد كان حذر رسول الله، حتى من قواده، فقد روي أنه (ص) كان إذا وجّه جيشاً فأمّهم أميراً، بعث معهم من ثقاته من يتجسس له خبره.

* * *

من هنا جاءت روايات كثيرة، تطالب المؤمنين بالحذر سواء في الحالات العادية، أم في حالات الجهاد.

يقول الإمام علي (ع): «أولى الناس بالحذر أسلمهم من الغَير»[135].
ويقول: «أواخر مصادر التوقي أوائل موارد الحذر».
ويقول: «من كثر احتراسه سلم غيبه»[136].
ويقول: «من لم يتحرز من المكائد قبل وقوعها لم ينفعه الأسف بعد هجومها»[137].
ويقول: «من نام عن عدوّه، انبهته المكائد»[138].

فالاستهانة بالعدو تؤدي حتماً إلى الاندحار.. لأنها تؤدي إلى إهمال الأعداد، والتدريب والتسليح.. وهو ما يؤدي إلى انتصار العدو وهزيمة الصديق..

---

(١٣٤) مستدرك الوسائل: ج ٢ ص ٢٦٧ الباب ٥٣ من أبواب جهاد العدو ح ١.
(١٣٥) غرر الحكم رقم ٣١٨٩.
(١٣٦) غرر الحكم رقم ٨٥١٤.
(١٣٧) غرر الحكم رقم ٩٠٨٤.
(١٣٨) غرر الحكم رقم ٨٧٧١.

ويقول (ع): «لا نصح كالتحذير»[139].

ويقول (ع): «ينبغي لمن عرف نفسه أن لا يفارقه الحذر»[140].

ويقول (ع): «أحق الناس أن يُحذر السلطان الجائر، والعدوّ القادر والصديق الغادر»[141].

ومن هنا تعتبر الحيطة من أهم قواعد الانتصار، وبالطبع فإن ذلك يتطلب تحقيق الحماية، بناء على دراسة امكانات الخصم، والبحث عن مفاجأة هذا الخصم مع الاعتماد على تصرّفه المتوقع (أي التعرض مع الاحتماء).

فطالما لا يوجد أي ضمان مطلق ضد المباغتة فإن المثل الصيني (الحذر هو أم الحكمة) يجب أن يسود استعدادتنا وتعبئتنا وأي نشاط جهادي لنا..

المحافظة على الأسرار

أسرار العمل العسكري منطقة حرام، لا يجوز التفريط بها، أو الكشف عنها، بأي شكل من الأشكال.. فلربما يؤدي كشف سر صغير إلى هزيمة ماحقة، وإراقة دماء محترمة، وذلة لا نهاية لها..

فلا بدّ من كتمان أية معلومة صغيرة كانت أم كبيرة، والامتناع عن افشائها لأقرب الناس وأوثقهم..

يقول الله تعالى: ﴿وإذا جاءهم أمرٌ مِن الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوّه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾[142].

ولهذا كان من حق القائد أن يتستر على ما عنده من المعلومات، ولا يكشفها حتى لقواده..

---

(١٣٩) غرر الحكم رقم ١٠٥٦٠.
(١٤٠) غرر الحكم رقم ١١٠٦٣.
(١٤١) غرر الحكم رقم ٣٣٥٨.
(١٤٢) سورة النساء (٨٣).

يقول الإمام علي (ع): في رسالة له إلى أمراء جيشه:
«ألّا .. وإن لكم عندي أن لا أحتجز دونكم سراً إلّا في حرب»[١٤٣].

ويقول (ع): «الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأي، والرأي بتحصين الأسرار»[١٤٤].

ويقول (ع): «أنجح الأمور ما أحاط به الكتمان»[١٤٥].

ويقول لمالك الأشتر لمّا ولاه مصر: «.. ثم أنظر في حال كتابك فول على أمورك خيرهم، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة... ولا تقصر به الغفلة..»[٤٦].

فمن الضروري أن يحتفظ المجاهدون بأسرارهم، ويدفنونها في صدورهم..

يقول الإمام علي (ع): «إنفرد بسرك، ولا تودعه حازماً فيزل، ولا جاهلاً فيخون»[١٤٧].

فالرأي الصائب هو نتيجة حفظ الأسرار..

يقول الإمام علي (ع): «الرأي بتحصين الأسرار»[١٤٨].

أمّا إذاعة السر فهي ولا شك خيانة، يقول الإمام علي (ع): «كن بأسرارك بخيلاً، ولا تذع سراً أودعته، فإن الإذاعة خيانة»[١٤٩].

ويقول: «إنفرد بسرك، ولا تودعه حازماً فيزل، ولا جاهلاً فيخون»[١٥٠].

---

(١٤٣) نهج البلاغة الكتاب ٥٠.
(١٤٤) نهج البلاغة قصار الحكم ٤٨.
(١٤٥) غرر الحكم.
(١٤٦) نهج البلاغة الكتاب ٥٣.
(١٤٧) غرر الحكم رقم ٢٤٠٠.
(١٤٨) نهج البلاغة قصار الحكم ٤٨.
(١٤٩) غرر الحكم رقم ٧٢٥٤.
(١٥٠) غرر الحكم رقم ٢٤٠٠.

ويقول (ع): «سرك أسيرك فإن أفشيته صرت أسيره»[١٥١].

ويقـول (ع): «كلما كثر خزان الأسرار كثر ضياعها»[١٥٢].

ويقول (ع): «لا يسلم من أذاع سره»[١٥٣].

ويقول (ع): «من كتم سره كانت الخيرة بيده»[١٥٤].

ويقول (ع): «لا يسلم من أذاع سرّه»[١٥٥].

ويقول (ع): «من أقبح الغدر إذاعة السرّ»[١٥٦].

ويقـول (ع): «الإذاعة شيمة الأغمار»[١٥٧].

ويقول (ع): «إذاعة سرٍ أودعته، غدر»[١٥٨].

ويقول الإمام الصادق (ع): «يا معلىّ. . اكتم أمرنا ولا تذعه، فإن من كتم أمرنا ولم يذعه أعزّه الله به في الدنيا والآخرة، وجعل له نوراً بين عينيه في الآخرة، يقوده إلى الجنة. . يا معلىّ: إن الله يحب أن يُعبد في السر كما يحب أن يعبد في العلانية. . يا معلى: إن المذيع لأمرنا كالجاحد له»[١٥٩].

وفي حديث آخر: «إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له»[١٦٠].

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ويقتلون الأنبياء بغير حق﴾[١٦١]. قال: «اما واللهِ ما قتلوهم بأسيافهم، ولكن إذاعوا سرّهم وأفشوا عليهم، فقُتلوا»[١٦٢].

---

(١٥١) غرر الحكم رقم ٥٧١٠.
(١٥٢) غرر الحكم رقم ٧٢٧٥.
(١٥٣) غرر الحكم رقم ١٠٨٠٠.
(١٥٤) غرر الحكم رقم ٨٢٦٣.
(١٥٥) غرر الحكم رقم ١٠٨٠٠.
(١٥٦) غرر الحكم رقم ٩٣٥٧.
(١٥٧) غرر الحكم رقم ١١٤٦.
(١٥٨) غرر الحكم.
(١٥٩) البحار ج ٧٢ ص ٧٦ ح ٢٥.
(١٦٠) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٧١.
(١٦١) سورة آل عمران (١١٢).
(١٦٢) البحار ج ٧٢ ص ٨٧ ح ٤٠.

ومن هنا كان رسول الله يهتم بالمحافظة على سرّية التحركات العسكرية، فكان يتجه في بدء سيره ـ إلى بعض الغزوات ـ بعكس الجهة التي يريدها فعلاً، فقد يتجه شمالاً، وهو يريد الجنوب، أو بالعكس، وذلك من أجل التعتيم على العدوّ وربما كان يأمر باغلاق الطرق أحياناً كي لا تصل أخباره إلى العدوّ..

وحينما تهيأ لفتح مكة رفع طرفه إلى السماء قائلاً: «اللّهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها»(١٦٣).

ومن حفظه للأسرار كان.

١ ـ يجري التحضيرات بسرّية.

٢ ـ لا يعلّم أحداً إلا القليل ممن عُرفوا بالكتمان بالسر.

٣ ـ لا يبين غايته إلا في الوقت المناسب.

٤ ـ كان ربما يأمر بحجز كل من يدخل أو يخرج من المكان المطلوب الوصول إليه.

٥ ـ إنه كان يشرف شخصياً على هذه الإجراءات.

استخدام كافة أنواع الأسلحة

إذا توقف النصر على استعمال مختلف أنواع الأسلحة، فلا شك في ضرورة ذلك..

صحيح أن الإسلام يطالب بعدم استعمال أسلحة معينة، في الحالات العادية، مثل القاء السم في بلاد العدوّ، أو حرق محاصيلها، ولكن ذلك هو في الحالات العاديّة..

أمّا في الحالات الحرجة، حيث يتوقف النصر على استعمال كافة أنواع الأسلحة، بما فيها ما ذكر، فلا شك في جواز ذلك..

وقد روي عن حفص بن غياث قال: سألت أبا عبد الله الصادق (ع) عن

---

(١٦٣) نور الثقلين ج ٥ ص ٦٩٣.

مدينة من مدائن الحرب هل يجوز أن يُرسل عليها الماء، أو تحرق بالناس، أو ترمى بالمنجنيق حتى يُقتلوا، ومنهم النساء والصبيان والشيخ الكبير والأسارى من المسلمين، والتجار؟

فقال عليه السلام: «يُفعل ذلك بهم، ولا يُمسك عنهم، لهؤلاء، ولا ديّة عليهم للمسلمين ولا كفارة»[١٦٤].

وبالطبع فإننا حينما نجوز الحرب في موارد معينة، فكلما يتوقف عليه النصر يكون جائزاً. إذ قد نشكك في أصل الحرب، ولكن إذا كانت الحرب عادلة فلا بد من الانتصار فيها مهما كلف الثمن، وكما يُقتل الرجال الأشاوس، كذلك يُقتل غيرهم. ومن الصعب في بعض الأحيان التمييز بين المدني والعسكري. غير أن هذا لا يعني: جواز قتل من لا دخل له في الحرب، ولا يتوقف النصر على القضاء عليه. كما لا يعني جواز استخدام أسلحة تستخدم القتل ليس كوسيلة للنصر بل كوسيلة للانتقام مثلاً.. أو الفتك.

يقول الله تعالى: ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل، إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم﴾[١٦٥].

الاهتمام بموارد المياه وخطوط التموين

ماذا يجب أن نفعل إذا احتلّ العدوّ مورد الماء. أو قطع خطوط التموين؟

والجواب من الناحية العسكرية هو: لا بدّ من العمل السريع لاستعادة المورد، لأن الانتظار هنا يؤدي إلى الاستسلام الطوعي بشكل تدريجي نتيجة ضغط الجوع أو العطش، وعلى الأقل فإنه يؤدي إلى انقسام الجيش على نفسه.

---

(١٦٤) الوسائل: ج ١١ ص ٤٦ الباب ١٦ من أبواب جهاد العدو ح ٢.
(١٦٥) سورة الشورى (٤١ - ٤٢).

هذا ما يقوله الإمام علي (ع) عندما احتلّ معاوية شاطىء النهر في معركة صفّين:

«قد استطعموكم القتال!

(فأنتم إذن أمام أحد خيارين) فأقرّوا على مذلّة وتأخير محلّة. أو روّوا السيوف من الدماء ترووا من الماء.

فالموت (ليس في موت الجسد. وإنما) في حياتكم مقهورين (أذلاء).
والحياة (ليس في نبض الدمّ في العروف. وإنما) في موتكم قاهرين.

إلّا، وأن معاوية قاد لمّة من الغواة (المضلّلين) وعمس عليهم الخبر (من غير وعي بمصائرهم) حتى جعلوا نحورهم أغراض المنيّة»[١٦٦].

شعار الهجوم

كل عملية عسكرية، أو مناورة، لا بد أن تحمل تسميتها الخاصة بها..

فالشعار يحدد المسار، ويكشف عن الهدف، ويوضح الدوافع، فلتكن التسميات من صميم المبدأ، ونابعة من روح الإيمان..

يقول الإمام علي (ع): «إن رسول الله أمر بالشعار قبل الحرب، وقال: وليكن في شعاركم اسم من أسماء الله»[١٦٧].

ويقول (ع): «كان شعار أصحاب رسول الله (ص) يوم بدر يا منصور أمت».

ويقول الإمام الصادق (ع): «كان شعار المسلمين في يوم أحد: يا نصر الله إقترب..

وشعارهم يوم بني نضير: يا روح القدس أرح.
وشعارهم يوم بني قينقاع: يا ربّنا لا يغلبنّك.

---

(١٦٦) نهج البلاغة الخطبة ٥١.
(١٦٧) مستدرك الوسائل: ج ٢ ص ٢٦٥ الباب ٤٧ من أبواب جهاد العدو ح ٧.

وشعارهم يوم الطائف: يا رضوان.
وشعارهم يوم حنين: يا بني عبد الله، يا بني عبد الله.
وشعارهم يوم الأحزاب: حم. . لا يبصرن.
وشعارهم يوم بني قريظة: يا سلام، أسلمهم.
وشعارهم يوم بني مصطلق: ألا إلى الله الأمر.
وشعارهم يوم الحديبية: الا لعنة الله على الظالمين.
وشعارهم يوم الخيبر: يا علي آتهم من عل.
وشعارهم يوم الفتح: نحن عباد الله حقاً حقاً.
وشعارهم يوم تبوك: يا أحد يا صَمَد.
وشعارهم يوم بني ملوح: أمت أمت.
وشعارهم في صفّين: يانصر الله.
وكان شعار الحسين (ع): يا محمّـد»[١٦٨].

وفي حديث آخر: قال رسول الله (ص) لسرية بعثها: «ليكن شِعاركم «حم لا يُنصرون» فإنه اسم من أسماء الله تعالى عظيم».

اختيار ساعة الهجوم

لكل عملية توقيتها. .
فقد تكون الساعات الأولى من الفجر، هي أفضل الساعات للهجوم. .

وقد تكون اللحظات التي تسحب فيها الشمس بقايا أشعتها أجدر الأوقات لذلك. .

فمجمل أوضاع العدو، والصديق، والعوامل الجغرافية والعسكرية هي التي تحدد متى يبدأ المجاهدون هجومهم؟

فمثلاً كان الإمام علي (ع) يتوخى قلة القتلى، وتجنب إراقة الدماء في

---

(١٦٨) الوسائل: ج ١١ ص ١٠٥ الباب ٥٦ من أبواب جهاد العدو ح ١.

حروبه مع أصحاب معاوية، ولذلك كان (ع): لا يقاتل حتَّى تزول الشمس ويقول: تفتح أبواب السَّماء وتقبل التوبة وينزل النَّصر ويقول: هو أقرب إلى الليل وأجدر أن يقلَّ القتل، ويرجع الطالب ويفلت المنهزم(١٦٩).

وقد روى مثل ذلك عن رسول الله (ص) في بعض غزواته، ففي الحديث المروي: «كان النبي (ص) يحب أن ينهض إلى عدوّه عند زوال الشمس».

لأن هدف المؤمنين النهائي كان هداية الناس، وهدفهم التكتيكي إحراز الانتصار، ووسيلتهم لذلك هو القتال، فإذا كان يمكنهم تقليل عمليات القتال إلى أقل حد ممكن مع الاطمئنان إلى إحراز النصر، فإنهم لم يكونوا يوسعون دائرته، بل يتوخون التقليل منه مهما وجدوا إلى ذلك سبيلاً..

فساعة الهجوم يجب أن تضيف شيئاً إلى قوة المؤمنين، سواء بسبب المباغتة، أو الوقاية لزيادة قوة العدو، أو أي شيء آخر.

اختيار الموقع المناسب

الموقع العسكري، مهم جداً لإحراز النصر، ولا بدّ فيه من ملاحظة نقطتين مهمتين:

الأولى: أن يكون الموقع استراتيجياً.

الثانية: أن يكون مفيداً لمراقبة العدوّ، بالدقة اللازمة.

أمّا المناطق الاستراتيجية، فهي مثل: قمم الجبال، وسفوحها، وضفاف الأنهار، وشواطىء البحار...

والجبال تشكّل موقعاً استراتيجياً، لأنه يتيح للجيش الدفاع عن نفسه، كما يتيح له مراقبة العدو بشكل جيد.

يقول الإمام علي (ع):

---

(١٦٩) الوسائل: ج ١١ ص ٤٧ الباب ١٧ من أبواب جهاد العدو ح ٢.

«فإذا نزلتم بعدو، أو نزل بكم، فليكن معسكركم في قُبل الأشراف (قدام الأماكن المرتفعة من التلال والجبال)، أو سفاح الجبال، أو أثناء الأنهار (ومنعطفاتها التي تتحكم فيها) كيما يكون (الموقع) لكم ردءً (وعوناً) ودونكم مرداً (مدافعاً)»[١٧٠].

الدفاع عن النفس، مع مؤازرة أخوة القتال

من واجب المجاهد في ساعة المقاتلة، الدفاع عن النفس وضرب العدو، من غير إتكال على الآخرين، فلكل دوره الخاص به..

كما أن من واجبه مؤازرة أخوة القتال، ومساعدتهم والدفاع عنهم بقول الإمام علي (ع) عن الموضوع الأول: (في وصف المؤمن المجاهد):

«أجزأ امرىءٌ قِرنَه (أي يكف خصمه بنفسه فيقتله) وآسى أخاه بنفسه، ولم يكل قِرنَه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه» (أي لم يترك خصمه إلى أخيه فيجتمع على أخيه خصمان فيغلبانه ثم ينقلبان عليه فيهلكانه)[١٧١].

ويقول الإمام علي (ع) عن الموضوع الثاني:

«وأيّ إمرىء منكم أحسّ من نفسه رباطة (شجاعة) جأش عند اللّقاء (مع العدوّ) ورأى من أحد من إخوانه فشلاً (في التغلب على العدوّ) فليذب عن أخيه، بفضل نجدته (وشجاعته) التي فضل بها عليه كما يذب عن نفسه (فالشجاعة، أو الموقع الجيد نعمة لا بد من دفع ضريبتها وهي: الدفاع عن الزملاء). فلو شاء الله لجعله مثله»[١٧٢].

وهكذا فالدفاع عن النفس، واجب كالدفاع عن زميل الجهاد، فكل واحد

---

(١٧٠) نهج البلاغة الخطبة ١٢٤.
(١٧١) نهج البلاغة الكتاب ١١.
(١٧٢) نهج البلاغة الخطبة ١٢٣.

منهما يكمل الثاني . .

يقول الإمام علي (ع) لكميل بن زياد:

«يا كميل . . ذب عن المؤمن، فإن ظهره حمى الله، ونفسه كريمة على الله، وظالمه خصم الله».

وهذا ما فعله الإمام يوم بدر.

في دفاع الحرب من محور واحد

من الضروري أن يفرض المجاهدون موقع القتال على أعدائهم، ومن الضروري أن يتم التركيز على جبهة واحدة، إذا كانوا في موقع الدفاع، أو كان العدوّ أكثر عدداً، أو عدة، لأنّ فتح جبهات عديدة يضعف موقعهم العسكري.

يقول الإمام علي (ع):

«لتكن مقاتلتكم من وجه واحد . . أو إثنين»(١٧٣).

في الليل: اجعلوا السلاح قريباً

إذ جنّ الليل فلا بد أن يكون السلاح قريباً.

كما لا بد أن ينام المجاهدون قليلاً.

يقول الإمام علي (ع):

«إذا غشيكم اللّيل فاجعلوا الرماح كفة (أي إجعلوها حولكم مثل كفة الميزان)؛

ولا تذوقوا النوم إلا غراراً (قليلاً) أو مضمضمة (أي بشكل متقطع)»(١٧٤).

وفي نص آخر يقول الإمام (ع): «إذا غشيكم الليل فحفّوا العسكر بالرماح

---

(١٧٣) نهج البلاغة الكتاب ١١.

(١٧٤) نهج البلاغة الكتاب ١١.

وما اقتحم فكذلك كونوا لئلا تصاب منكم غرّة»[١٧٥].

حمل السلاح دائماً

لا يجوز في حالات الجهاد، أن يغفل المؤمن عن سلاحه أو يبتعد عنه.

روي عن أمير المؤمنين (ع): «إنه كره أن يُلقي الرّجل سلاحه عند القتال، فقد قال الله عز وجل عند ذكر صلاة الخوف وليأخذوا حذرهم..»[١٧٦].

وهكذا فإن على المجاهد أن لا يفارقه السلاح في أي حال..

يقول الله تعالى: ﴿وإذا كنتَ فيهم فأقَمتَ لهُمُ الصلاةَ فَلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأتِ طائفة أخرى لم يُصلوّا فليُصلّو معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودّ الذين كفروا لو تَغفُلُون عن أسلحِتكم﴾ ﴿وخذوا حذركم إن الله أعدّ للكافِرين عذاباً مُهيناً﴾.

جاء في سبب نزل هذه الآية: أنها نزلت والنبي (ص) بعُسفان والمشركون بضجنان، فتوافقوا، فصلى النبي (ص) وأصحابه صلاة الظهر، بتمام الركوع والسجود. فهمَّ المشركون بأن يغيروا عليهم فقال بعضهم: إن لهم صلاة أخرى أحب إليهم من هذه ـ يعنون صلاة العصر ـ فانزل الله عليهم هذه الآية فصلى بهم العصر صلاة الخوف[١٧٧]. وفي الحديث لما قتل محمد بن أبي بكر قال الإمام علي (ع): «رحم الله محمداً كان غلاماً حدثاً، لقد كنت أردت أن أوليّ المرقال هاشم بن عتبة: مصراً فإنه واللهِ لو ولّيها لما خلّي لابن العاص وأعوانه العرصة، ولا قُتل إلاّ وسيفه في يده»!

العناية بالسلاح

للسلاح في أيدي المجاهدين خطورته وقدسيته، فهو الشافي من الباطل،

---

(١٧٥) كما في البحار ج ٩٧ ص ٢٤ ح ٢٠.
(١٧٦) مستدرك الوسائل: ج ٢ ص ٢٦٨ الباب ٦١ في النوادر ح ١٧.
(١٧٧) تفسير القمي ج ١ ص ١٥٠.

والنـاصر للحق، فـلا بد من الاهتمـام به، والعنـاية بـه، وإعـداده دائمـاً للاستعمال. .

ولقد روي أن رسول (ص) كان قد رجع من غزوة فناول سيفه لابنته فاطمة (ع) «اغسلي عن هذا دمه يا بنيّة فوالله لقد صدقني اليوم». . كما يناولها سيف علي (ع) قائلاً: «وهذا أيضاً فاغسلي عنه دمه فوالله لقد صدقني اليوم».
وكان صلى الله عليه وآله، يعتني بفرسه أيضاً.

ضرورة العناية الدائمة بالسلاح حتى لا يخونك في وقت الحاجة. . يجب أن تعرفه، وتستحزه (الإمام الحسين).

كان الأئمة يهتمون بأسلحتهم: ويكتبون عليها كلمات وأدعية. ولذلك نجد أنه كلّما كان العظيم في التاريخ أكبر كلما كان سيفه أقوى (ثوبٍ قالي).

عن الإمام علي (ع): «وجدت في قائم سيف رسول الله (ص): معلقـة فيها ثلاثة أحرف: صل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحق ولو على نفسك»[178].

وفي الحديث: وجد في قائم سيف أمير المؤمنين (ع): «بسم الله الرحمن الرحيم بالله، بالله، بالله اسألك يا ملك الملوك القديم الأبدي الذي لا يزول ولا يحول، أحجب عني شر من أرادني بسوء»[179].

وفي آخر: «وُجد في غمد سيف رسول الله (ص) صحيفة مختومـة ففتحوها فوجدوا فيها: أعتى الناس على الله ثلاثة: من قتل غير قاتله، أو ضرب غير ضاربه، أو آوى محدثاً فلا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»[180].

تقديم الدروع

في المواجهة، لا بد أن يتقدم الأكثر مناعة، والأقوى سلاحاً، لكي يفتح

(١٧٨) كنز العمال خبر (٤٤٢٩٨).
(١٧٩) بحار الأنوار ج ٩٥ ص ١٣٨.
(١٨٠) كنز العمال خبر (٤٤٣٥٣).

الطريق أمام الآخرين. .

يقول الإمام علي (ع): «قدموا الدارع، وأخروا الحاسر. . . والتووا في أطراف الرماح، فإنه أمور للأسّنة، وغضّوا الأبصار فإنه أربط للجأش وأسكن للقلوب»[١٨١].

الرمي أولاً: والهجوم من محورين

من المهم جداً أن تبتدأ الرماية، ثم يبدأ الهجوم، فذلك يربك العدوّ، ويفتح الطريق.

يقول الإمام علي (ع): «قدّموا الرّماة، فليرشقوا بـالنبل، وليَتَنـاوِشِ الجنبتين. . »[١٨٢].

الاهتمام بالمركز واستغلال الفرص

في الوقت الذي يجب عدم التفريط بالمركز، فلا بدّ من استغلال أية ثغرة قد تبدو لدى العدوّ. فالاندفاع إلى الأمام لدى بروز أية فرصة لذلك ضروري لإحراز النصر على العدو.

يقول الإمام علي (ع): «لا تنشروا عن مراكزكم لفارس شذ من العدو ومن رأى فرصةً في العدو فلينتهز الفرصة بعد إحكام مركزه، فإذا قضى حاجته عاد إليه. . »[١٨٣].

وفي الحقيقة فإن استغلال الفرصة ـ مع عدم ضياع المركز ـ هو أهم ما يجب على المجاهدين الاهتمام به في حالة الجهاد.

ففي لحظات المواجهة، تمرّ فرص عظيمة، لو خسرها الإنسان فلن يظفر

---

(١٨١) نهج البلاغة الخطبة ١٢٤.
(١٨٢) دعائم الإسلام ج ١ ص ٣٧٢.
(١٨٣) دعائم الإسلام ج ١ ص ٣٧٢.

بعدها بشيء. وأي قائد عسكري يبحث في القتال عن الفرص المتاحة، والثغرات المتوفرة ليستغلّها فوراً، ويفوز على عدوّه..

يقول الإمام علي (ع): «استعمل مع عدوّك مراقبة الإمكان، وانتهاز الفرصة تظفر»[١٨٤].

ويقول (ع): «الفرصة غنم»[١٨٥].

ويقول (ع): «إضاعة الفرصة غصة»[١٨٦].

ويقول (ع): «من قعد عن الفرصة أعجزه الفوت».

ويقول (ع): «الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود»[١٨٧].

وهكذا فلا يجوز الخوف أو التردد من انتهاز الفرصة المتاحة.

يقول الإمام علي (ع): «قرنت الهيبة بالخيبة، والحياء بالحرمان، والفرصة تمرّ مرّ السحاب، فانتهزوا فرص الخير»[١٨٨].

المعاملة بالمثل

لا بد في الجهاد من الالتزام بكل الأصول الأخلاقية، والمثل الإنسانية، إلّا أنه لو خرق العدوّ تلك الأصول، واستغل امتناع المجاهدين عن ذلك، فيجوز المعاملة بالمثل.

يقول الإمام علي (ع): «الوفاء لأهل الغدر، غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر، وفاء عند الله»[١٨٩].

فمن غدر، يغدر به، لأن تلك هي اللغة الوحيدة التي يفهمها، ومن دون

---

(١٨٤) غرر الحكم رقم ٢٤٤١.

(١٨٥) غرر الحكم رقم ٢٤٧.

(١٨٦) نهج البلاغة قصار الحكم ١١٨.

(١٨٧) غرر الحكم رقم ٢١١٢.

(١٨٨) نهج البلاغة قصار الحكم ٢١.

(١٨٩) نهج البلاغة قصار الحكم ٢٥٩.

أن يذوق طعم الغدر، لن يتراجع عنه..

ومن هنا فإن العدو إذا استعمل الأسلحة الكيماوية، جاز معاملته بالمثل، أو إذا ضرب المدن، جاز ضرب مدنه.. وهو قوله تعالى: ﴿فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾[190].

ومن هنا فإن رسول الله (ص) نصب على أهل الطائف المنجنيق، وخرّب حصون بني النضير، وحصون خيبر، وهدم دورهم..

يقول الله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾[191].

القضاء على المعدات التي يمكن أن يستفيد منها العدوّ

«إذا إضطر المجاهد إلى ترك وسيلة من وسائله في موقع من المواقع إضطر للانسحاب منه، فليعمد إلى إتلافها لكي لا يستفيد منها العدو.

يقول رسول الله (ص): «إذا حرنت على أحدكم دابته يعني إذا قامت في أرض العدوّ في سبيل الله فليذبحها ولايعرقبها»[192].

ويقول الإمام الباقر (ع): «لمّا كان يوم مؤتة كان جعفر على فرسه فلمّا التقوا نزل عن فرسه فعرقبها بالسيف فكان أوّل من عرقب في الإسلام»[193].

حمل الجرحى

أكثر ما يحتاج إلى المساعدة هو الجريح، فالشهيد رائح إلى الله، فهو

---

(١٩٠) سورة البقرة (١٩٤).

(١٩١) سورة الشورى (٤٠).

(١٩٢) التهذيب ج ٦ ص ١٧٣ الباب ٧٩ في نوادر الجهاد ح ١٥.

(١٩٣) الوسائل ج ٨ ص ٣٩٦ الباب ٥٢ من أبواب أحكام الدواب ح ٢.

يُحمل إلى الجنة على أجنحة الملائكة..

فماذا عن الجريح؟

إن أية مجموعة مجاهدة لا بدّ أن تحسب ألف حساب لجرحاها، فلا يجوز أن يضيع الجريح في زحمة القتال، لأن الجريح هو شرف المجاهدين، وعزتهم، ودليل الكرامة لديهم..

يقول الإمام عليٍ (ع): «إذا رأيتم من إخوانكم في الحرب الرجل المجروح، أو من قد نُكِّل، أو من طمع عدوّه فيه، فقوه بأنفسكم»[١٩٤].

الابتعاد عن الجنس

من يفكّر في الجنس، ويميل إليه، لا يستطيع أن يجاهد العدوّ، ويغامر في سبيل الله..

ومن هنا كان الإمام علي (ع) إذا شيع جماعة تذهب إلى الجهاد، يقول لهم:

«إعذبوا عن النساء ما استطعتم»[١٩٥].

ومن الواضح أنّ من يفكر في الجنس، لن يصون الذمار، ولن يحقق الانتصار..

ألم تسقط البلاد الإسلامية في أيدي الأعداء بسبب ميوعة الحكام وانسياقهم وراء الشهوات من الذين ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾[١٩٦].

يقول المستشرق «كوندي» عن سقوط الأندلس: «العرب هووا عندما نسوا فضائلهم التي جاؤوا بها، وأصبحوا على قلب متقلّب، يميل إلى الخفة،

---

(١٩٤) الوسائل ج ١١ ص ٧٣ الباب ٣٤ من أبواب جهاد العدو ح ٥.

(١٩٥) نهج البلاغة غريب كلامه ٧.

(١٩٦) سورة مريم (٥٩).

والمرح، والاسترسال بالشهوات».

يقول الإمام علي (ع): «لا تجتمع عزيمة ووليمة»[197].

وإذا كان الجهاد بحاجة إلى شجاعة، فإن «أشجع الناس من غلب هواه[198]. يقول سليمان النبي (ص): «إن الغالب لهواه أشد من الذي يفتح المدينة وحده»[199].

وقيل، مرّ رسول الله (ص) بقوم فيهم رجلٍ يرفع حجراً يقال له حجر الأشداء، قال: «أفلا أخبركم بما هو أشد منه، رجلٌ سبّه رجل فحلم عنه فغلب نفسه وغلب شيطانه، وشيطان صاحبه»[200].

رعاية عائلات المجاهدين

ما من مجاهد في سبيل الله، إلاّ وقلقه الأساسي ليس على ما يجري عليه في ميدان القتال، بل على ما سيصيب زوجته وأولاده من بعده في بيوتهم، فإذا ما اطمأن إلى أنهم لن يضيعوا بعده بل سيجدون كل الرعاية من أبناء الأمة، فإنه حينئذٍ سيندفع إلى الجهاد بقلب مليء بالأمل مفعم بالإيمان..

من هنا كان لا بد من أن يهتم كل فرد مسلم بعائلة المجاهدين، من الشهداء والمهاجرين والمصابين، كما لا بد أن تهتم الدولة في أعلى مستوياتها بهم..

فقد روي أن رسول الله (ص) قال: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفى من المؤمنين، وترك ديناً فعلّي قضاؤه، ومن ترك مالاً فهو لورثته»[201].

فالتكافل الاجتماعي، يجب أن يكون في أروع صورة في رعاية عوائل

(١٩٧) نهج البلاغة الخطبة ٢٤١.

(١٩٨) البحار ج ٦٧ ص ٧٦ ح ٥.

(١٩٩) تنبيه الخواطر ص ٢٦٥.

(٢٠٠) تنبيه الخواطر ص ٢٦٥.

(٢٠١) كنز العمال ج ١١ رقم ٣٠٤٠٨.

المجاهدين، كما يقول ربنا تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾(٢٠٢).

ولا بد أن يقاسمهم المسلمون قوتهم وبيوتهم..

يقول رسول الله (ص): «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان معه فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له»(٢٠٣).

وإذا كان أولاد المجاهدين أيتاماً فإنّ من الواجب أن يعتبرهم المؤمنون إخوانهم، كما يقول تعالى: ﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم﴾(٢٠٤).

وقد حث رسول الله (ص) على رعاية الأيتام، قائلاً: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بأصبعيه السبّابة والوسطى ليدّل على أنهما قرينان(٢٠٥).

ويقول (ص): «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُساء إليه»(٢٠٦).

ويقول (ص): «حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم» ما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة، فيأخذ من حسناته ما شاء حتى يرضى..»(٢٠٧).

ويقول (ص): «أيكم يخلف الخارج في أهله، فله مثل أجره»(٢٠٨).

---

(٢٠٢) سورة التوبة (٧١).
(٢٠٣) كنز العمال ج ٦ رقم ١٧٥٢٣.
(٢٠٤) سورة البقرة (٢٢٠).
(٢٠٥) كنز العمال ج ٣ رقم ٦٠٢٥.
(٢٠٦) كنز العمال ج ٣ رقم ٥٩٩٤.
(٢٠٧) كنز العمال ج ٤ رقم ١٠٥٧٦.
(٢٠٨) كما في كنز العمال ج ٤ رقم ١٠٥٠٦.

ويذكر التاريخ أن رسول الله (ص) لم يعد بعد انتهاء المعركة في أحد إلى داره، على الرغم مما كان به من جراح، بل مرّ أولاً على دور المجاهدين الذين استشهدوا لمواساة أهليهم..

وبعد معركة مؤتة ذهب رسول الله (ص) إلى بيت جعفر بن أبي طالب الذي استشهد في المعركة، وطلب أن يرى بني جعفر، فلّما أتوا بهم إليه تشممهم وذرفت عيناه، ثم خرج (ص) إلى أهله، فقال لهم:

«لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم»[٢٠٩].

رعاية القوة البحرية

الإهتمام بالقوة البحرية، أو الجوية، يجب أن يكون بمستوى الإهتمام بالقوة البريّة، والإشتراك في هذه القوة له من الأجر ما للإشتراك في القوات الأخرى.

يقول رسول الله (ص): «من لم يدرك الغزو معي فليغز في البحر»[٢١٠].

ويقول (ص) «من جلس على البحر احتساباً ونية احتياطاً للمسلمين كتب الله له بكل قطرة في البحر حسنة»[٢١١].

ويقول (ص): «إن شهداء البحر أفضل عند الله من شهداء البرّ»[٢١٢].

تعليمات خاصة
إلى المحافظات الواقعة في طريق الجيش

البلاد التي يمرّ بها اليجش، في طريقه إلى ساحة المعركة بحاجة إلى

---

(٢٠٩) كنز العمال ج ١٥ رقم ٤٢٦٢٩.
(٢١٠) كنز العمال ج ٤ رقم ١٠٧٧٤ و١٠٧٧٥.
(٢١١) كنز العمال ج ٤ رقم ١٠٧٦٧.
(٢١٢) كنز العمال ج ٤ رقم ١١١٠٨.

تعليمات خاصة بهذا الشأن.

ومن أهم ما يجب أن تعرفه هذه البلاد هو:

أولاً: أن تبلغ بالأمر...

ثانياً: أن تصدر إليها تعليمات الحيطة والحذر خلال مرور الجيش، لكي لا يرتكب بعض أفراد القوات المسلحة ما ينافي الرسالة التي يتحملونها ويحاربون من أجلها.

ثالثاً: أن تخدم هذه البلاد قدسية الجيش، فلا يُساء إلى أي فرد من الجنود.

رابعاً: أن يُبلّغ الولاة ـ والمحافظون ـ أخبار الجيش إلى القيادة، على الأخص إذا كان هنالك نقص في تجهيز الجيش، أو صدر من أفراد الجيش ما يسيء حتى تبادر القيادة إلى إصلاحه.

يقول الإمام علي (ع) في رسالة إلى «المحافظين» الواقعة محافظتهم في طريق الجيش:

«من عبد الله، عليّ، أمير المؤمنين إلى من مر به الجيش من جباة الخراج وعمّال البلاد:

أمّا بعد..

فإنّي قد سيّرت جنوداً هي مارة بكم إن شاء الله. وقد أوصيتهم بما يجب لله عليهم من كفّ الأذى، وصرف الشذى (الشر)، وأنا أبرأ إليكم وإلى ذمتكم من معرّة الجيش (أذاه للناس) إلاّ (إذا كانت الأذية بمعنى الأكل من مال الناس) من جَوعَة المضطر (الذي) لا يجد عنها مذهباً إلى شبعه.

فنكلّوا من تناول منهم شيئاً ظلماً عن ظلمهم (فمن تناول شيئاً بلا اضطرار، فنكلّوا به).

وكفّوا أيدي سفهائكم عن مضادتهم، والتعرض لهم فيما استثنيناه منهم (مثل الأكل في حالة الاضطرار).

وأنا بين أظهر الجيش (فما عجزتم عن دفعه فردوّه إليّ، حتى أكفكم شره). فارفعوا إليّ مظالمكم (واكتبوها لي) وما عراكم (إذا عرض عليكم حادث) مما يغلبكم من أمرهم وما لا تطيقون دفعه إلّا بالله وبي فأنا أغيّره بمعونة الله، انشاء الله»[٢١٣].

(٢١٣) نهج البلاغة الكتاب ٦٠.

١٤
لاءات الجهاد

لا.. لتثبيط العزائم

في كل مجتمع يجري فيه الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل نجد، هنالك أربع فئات:

الأولى: الفئة الظالمة.

الثانية: الفئة المظلومة.

الثالثة: الفئة المجاهدة.

الرابعة: الفئة المثبطة.

وتثبيط العزائم يتم عبر التساؤل عن جدوى مجاهدة الظالمين، أو عبر اتهام المجاهدين بمختلف التهم، أو عبر التشكيك في دوافعهم، ومنطلقاتهم.

وإشاعاتهم في ذلك تُبث في صورة تساؤلات نقول مثلاً:

من يقول هذا أوان الجهاد؟

من أمر المجاهدين بالجهاد؟

من يضمن النتائج؟

من يضمن النصر؟

من قال أن نيّات المجاهدين سليمة؟

ولربما كان تثبيطهم عبر تخويف الناس من الإنخراط في موكب الجهاد، خاصةً في المراحل الأولى منه حيث تكون الضحايا كثيرة ولا يلوح في الأفق أي أمل في النصر.

ولقد كان أمثال هؤلاء كثيرون في التاريخ . .

يقول الله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا إذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فآسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً (٩) ، إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا (١٠) ، هنالك ابْتُلِيَ المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً (١١) ، وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً (١٢) ، وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقال لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً (١٣) ، ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً (١١) ، ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤولاً﴾ (١٥) .

ويقول تعالى:

﴿قد يعلم الله المعوِّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً، أشحّة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يُغْشَى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً (١٩) ، يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً (٢٠) ، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً (٢١) ، ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله . . . صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً (٢٣) ، ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب

---

(١) سورة الأحزاب (٩ ـ ١٥).

عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً (٢٤) ، وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً (٢٥) ، وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً (٢٦) ، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تَطَأوها وكان الله على كل شيء قديراً﴾ (٢٧) .

ويقول تعالى:

﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينّك بهم ثم لا يُجاورونك فيها إلاّ قليلاً ، ملعونين أينما ثُقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً﴾ [٣] .

يقول رسول الله (ص): أيّها الناس! أوصيكم بما أوصاني به الله في كتابه من العمل بطاعته، والتناهي عن محارمه، ثم إنّكم اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه، ثم وطّن نفسه على الصبر واليقين والجد والنشاط، فإنَّ جهاد العدوّ شديد كريه، قليل من يصبر عليه إلاّ من عزم له رشده. إن الله مع من أطاعه، وإن الشيطان مع من عصاه، فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالذي آمركم به فإنّي حريص على رشدكم. إن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضعف، وهو مما لا يحبّه الله ولا يعطي عليه النصر والظفر[٤].

ويقول الإمام علي (ع):

«غُلب ـ واللهِ المتخاذلون»[٥].

لا.. للتخلف عن الجهاد

حينما تهب رياح الجنة، ويدعو الداعي للرواح إلى الله تعالى، فلا

---

(٢) سورة الأحزاب (١٨ ـ ٢٧).

(٣) سورة الأحزاب (٦٠ ـ ٦١).

(٤) كلمة الرسول ص ٢٢٦ . الجهاد.

(٥) نهج البلاغة خطبة رقم (٣٤) ص ٧٨ .

تتخلف عن ركب المجاهدين. لأنك إن فعلت ذلك تكون قد تخلفت عن حظك في رفقة الشهداء والصديقين في جنان الله..

ومن يتأخر ساعات فلربما لن تمر عليه فرصة أخرى لكي يعوض عما فات..

أليس ذلك ما حدث للذين تخلفوا عن الإمام الحسين (ع) في كربلاء، ففاتهم الجهاد بين يديه، ولم ينفعهم الندم؟

إن الجهاد هو ذروة الإسلام وسنامه، ومن لا يبادر إليه يخسر ثواباً عظيماً.. وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.
يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (١١٩)، ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصبٌ ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين (١٢٠)، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾ (١٢١).
يقول المؤرخون: إن الإمام علي (ع) لم يكن في الجهاد يمشي إلى ساحات الوغى مشياً، بل كان يهرول إليها هرولة..

ويذكر المؤرخون أيضاً: إن رسول الله (ص) انطلق وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وحينما واجههم الأعداء، قال لهم رسول الله (ص): «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله جنة عرضها كعرض السماوات والأرض.

فقام إليه أحد أصحابه واسمه عمير بن الحمام الأنصاري، وقال: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟

---

(٦) سورة التوبة (١١٩ ـ ١٢١).

فقال النبي (ص): «نعم..

قال الرجل: بخ.. بخ!

فقال النبي (ص): ما يحملك على قول ذلك؟

قال: لا واللهِ يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها.

فقال النبي: فإنـك من أهلها..

ثم إن الرجل كانت بيده ثمرات، وهو يهم بأكلها، ولكنه قال: «أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلّا أن يقتلني هؤلاء (يعني الأعداء) واللهِ لئن بقيت حتى آكل هذه الثمرات إنها لحياة ثقيلة».

ورمى بالثمرات من يده، وتناول سيفه، وأسرع إلى الميدان مجاهداً وهو يقول:

سعياً إلى الله بغير زاد إلّا التقى والصبر في الله على الجهاد وكل زاد
غير التقى والبر والرشاد

وظل يجاهد في سبيل ربه حتى مات شهيداً.

* * *

إن الإسلام لا يسمح بالتخلف عن الجهاد، بالمال والنفس، إلّا لأصحاب الأعذار المشروعة الذين صدقت نياتهم، وصح إيمانهم، ولكن لديهم أعذار لا تمكنهم من الجهاد في سبيل الله. يقول الله تعالى: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾[7].

ويقول: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم﴾[8].

والنصيحة هنا قد تعني كل ما فيه مصلحة الأمة ومنها عرض الرأي

---

(٧) سورة الفتح (١٧).

(٨) سورةالتوبة (٩١).

الصالح، وكتمان السر عن الأعداء، ومقاومة خيانة الخائنين سراً وجهراً. .

أمّا من ليس صاحب عذر، فإنه يستحق كل تقريع، ويعاقب بالمقاطعة الشاملة، كما يقول تعالى: ﴿إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون﴾[٩].

وهذا ما حدث فعلاً بالنسبة إلى الثلاثة الذين تخلفوا عن ركب المجاهدين مع رسول الله في غزوة تبوك.

يقول تعالى:

﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العُسرة من بعد ما كاد يزيغُ قلوبُ فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم (١١٧)، وعلى الثلاثة خُلِّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفُسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم (١١٨)، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ (١١٩)[١٠].

فالتخلف عن الجهاد إذن جريمة يعاقب عليها الله عقاباً شديداً.

يقول تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل، إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير﴾[١١].

ويفهم من آية سورة التوبة (٤٤ ـ ٤٥)، إن الاستئذان في التخلف عن الجهاد من شأن المنافقين، وليس من شأن المؤمنين:

يقول الله تعالى: ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن

---

(٩) سورة التوبة (٩٣).

(١٠) سورة التوبة (١١٧ ـ ١١٩).

(١١) سورة التوبة (٣٨ ـ ٣٩).

يُجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين، إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾[١٢].

ويقول تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا باللهِ ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾[١٣].

لا.. للجبن

﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾[١٤].

.. أن تخاف مسألة لا اختيار لك فيها..

إما أن تعمل بخوفك، وأن تتراجع نتيجة الخوف، وأن تستسلم لما تخاف منه.. فذلك هو الجبن وهو ما يمكن تجنّبه.. (يقول رسول الله للجبان أجران)[١٥].

وفي الجهاد لأن الاحتمالات تتأرجح بين الانتصار والموت فإن حالة الخوف تكون شديدة.

ولكن هل يمكن إحراز أي تقدم من دون الاستعداد للمغامرة بحجمه؟
هل يمكن أن ينتصر أي قوم إذا خافوا؟
يقول الإمام علي (ع): «خض الغمرات للحق حيث كان»[١٦].

ويقول الإمام الحسين (ع): «.. ولكنكم مكّنتم الظلمة من منزلتكم وأسلمتم أمور الله في أيديهم، يعملون بالشبهات، ويسيرون بالشهوات سلطهم

---

(١٢) سورة التوبة (٤٤ ـ ٤٥).
(١٣) سورة ا لحجرات (١٥).
(١٤) سورة يونس (٦٢ ـ ٦٤).
(١٥) كنز العمال ج ٤ رقم ١١٢٩٨.
(١٦) نهج البلاغة ص ٣٩٣ كتاب ٣١ .

على ذلك فراركم من الموت، وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم»[١٧].

ويقول الإمام علي (ع): «إن الرعب والخوف من جهاد المستحق للجهاد والمتوازرين على الضلال، ضلال في الدين، وسلب للدنيا مع الذل والصغار، وفيه استيجاب النار بالفرار من الزحف عند حضرة القتال»[١٨]. ويقول: «لا تشركن في رأيك جباناً يُضعفك عن الأمر ويعظم عليك ما ليس بعظيم»[١٩].

ويقول: «البخل عار. والجبن منقصة. والعجز آفة. والصبر شجاعة»[٢٠].

ويقول: «قرنت الهيبة بالخيبة، والحياء بالحرمان، والفرصة تمر مر السحاب، فانتهزوا فرص الخير»[٢١].

ويقول: «شجاعة الرجل على قدر أنفته»[٢٢].

ويقول (ع): «شدة الجبن من عجز النفس وضعف اليقين»[٢٣].

ويقول: «احذروا الجبن فإنه عار»[٢٤].

لا يكون المؤمن جباناً ولا حريصاً ولا شحيحاً

يقول العلامة السيد جمال الدين الأفغاني (رحمه الله):

«ينبغي أن يكون أبناء الملة الإسلامية بمقتضى أصول دينهم أبعد الناس عن صفة الجبن الرديئة، فإنها أشد الموانع عن اداء ما يرضي الله ـ وأنهم لا يبتغون إلا رضاه.

---

(١٧) تحف ص ١٦٩ من كلامه.

(١٨) الوسائل: ج ١١ ص ٧١ الباب ٣٤ من أبواب جهاد العدو ح ١.

(١٩) غرر الحكم.

(٢٠) نهج البلاغة قصار الحكم ٣ و٤.

(٢١) نهج البلاغة قصار الحكم ٢١.

(٢٢) نهج البلاغة قصار الحكم ٤٧.

(٢٣) غرر الحكم رقم ٥٨٥١.

(٢٤) غرر الحكم رقم ٢٦٧٦.

ويعلم قراء القرآن أن الله قد جعل حب الموت علامة الإيمان، وامتحن به قلوب المعاندين. ويقول في ذم من ليسوا بمؤمنين ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كُتب عليهم القتال إذا فريق منهم بخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبتَ علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب﴾[٢٥].

الإقدام في سبيل الحق، وبذل الأموال والأرواح في إعلاء كلمته، أو سمةٌ يتسم بها المؤمنون.. لم يكشف الكتاب الإلهي بأن تقام الصلاة وتؤتى الزكاة وتكف الأيدي، وعد ذلك مما يشترك فيه المؤمنون والكافرون والمنافقون، بل جعل الدليل الفرد هو بذل الروح في إعلاء كلمة الحق والعدل الإلهي، بل عدّه الركن الوحيد الذي لا يُعتد بغيره عند فقده.

«لا يَظن ظان أنه يمكن الجمع بين الدين الإسلامي وبين الجبن في قلب واحد، كيف يمكن هذا وكل جزء من هذا الدين يمثل الشجاعة ويصور الإقدام، وأن عماده الإخلاص لله والتخلي عن جميع ما عداه، لاستحصال رضاه».

«فالمؤمن من يوقن أن الآجال بيد الله يصرّفها كيف يشاء ولا يفيده التباطؤ عن اداء الفروض زيادة في الأجل ولا ينقصه الإقدام دقيقة واحدة منه. المؤمن من ينتظر بنفسه إحدى الحسنيين: اما أن يعيش سيداً عزيزاً، واما أن يموت مقرباً سعيداً، وتصعد روحه إلى أعلى عليين، ويلتحق بالكروّبيين والملائكة المقربّين».

«من يتوهم أنه يجمع بين الجبن وبين الإيمان بما جاء به محمد (ص) فقد غش نفسه، وغرر بعقله ولعب به هوسُه، وهو ليس من الإيمان في شيء. فكل آية من القرآن تشهد على الجبان بكذبه في دعوى الإيمان».

* * *

وفي الحقيقة فإن أخطر التحديات التي يواجهها المجاهدون في المعركة،

---

(٢٥) سورة النساء (٧٧).

هو «الذعر» . . ومن ثم الجبن حيث يعتمل في نفس المقاتل صراع عنيف بين غريزة حب البقاء وبين الوفاء بالواجب وتحمل المسؤولية . .

فإذا تغلب الدافع الأول، واستسلم المقاتل لغريزة حب البقاء تتدهور قواه، وتقل كفاءته، وقد يستسلم، أو يفر من الميدان ولربما يسبب لنفسه الهلاك.

أمّا إذا تغلب دافع اداء الواجب، فإنه سيقاتل بشجاعة واستبسال ولا يبالي بالموت.

ثم إن الخوف إذا سيطر على المقاتل في المعركة فإن آثاره لا تقف عنده وحده، بل قد تمتد إلى غيره من المقاتلين، فالخوف كالأمراض المعدية التي تنتقل من المريض إلى الآخرين وهنا تكمن خطورة الخوف، فآثاره تمتد إلى الأمّة كلّها. .

وهذا ما يجعل التظاهر بالشجاعة ـ على الأقل ـ مطلوباً.
فإذا لم تكن شجاعاً فلا بد أن تتشجّع.

وإلّا فأنت ترتكب الحرام أولاً ـ وتؤدي بنفسك إلى الهلاك ثانياً ـ وتؤدي إلى هزيمة الأمة ثالثاً.

يقول الإمام علي (ع): «لا يحل للجبان أن يغزو، لأنه ينهزم سريعاً، ولكن لينظر ما كان يريد أن يغزو به فليجهّز به غيره، فإن له مثل أجره، ولا ينتقض من أجره شيء»[٢٦] ويقول: **«من أحس من نفسه جبناً فلا يغز»**[٢٧].

ويقول: «إن الرجل ليقاتل بطبعه من الشجاعة فيحمي من يعرف ومن لا يعرف، ويجبن (آخر) بطبيعته من الجبن فيسلّم أباه وأمّه إلى العدو وإنما المثال حتف من الحتوف، وكل امرىء على ما قاتل عليه. وإن الكلب ليقاتل دون أهله».

إن الجبن لا يمكن أن يسكن قلوب المؤمنين، لأنهم يتوكلون على الله،

(٢٦) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٤٩ .
(٢٧) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٤٩ .

ومن يتوكل على ربه فهو حسبه إن الله بالغ أمره..

يقول تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون، نحن أولياؤكم في الحياة الدّنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون﴾ (٢٨).

وكيف يخاف من كان الله وليّه؟

إن الشيطان هو الذي يخوف أولياءه، أمّا الله فهو يأمرنا أن لا نخاف فيقول: ﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ (٢٩). ويقول: ﴿فلا تخافوهم﴾ ويقول: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ (٣٠).

فالمجاهدون لا يخافون إلّا الله، فهم يطيعونه، ويجاهدون كما أمر، ويقاتلون كما أراد فهم ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (٣١).

ومن يُحمّله الله رسالته، فلا بد أن لا يخاف من أحد من خلقه فعندما أمر الله موسى أن يواجه هو وأخوه هارون، طاغوت عصره فرعون ﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى، قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾(٢٩).

وكثيراً ما كان الله يقول له: ﴿يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون﴾ (٣٣). ﴿فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (٣٤).

وكما قال ربنا ﴿فمن يؤمن بربّه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً﴾ (٣٥).

وهكذا فإن الإيمان هو منبع الشجاعة..

---

(٢٨) سورة فصلت (٣٠ - ٣١).

(٢٩) سورة طه (٦٨).

(٣٠) سورة آل عمران (١٧٥).

(٣١) سورة النحل (٥٠).

(٣٢) سورة طه (٤٥ - ٤٦).

(٣٣) سورة النمل (١٠).

(٣٤) سورة البقرة (٣٨).

(٣٥) سورة الجن (١٣).

يقول الإمام زين العابدين (ع): «عجبت لمن يخاف شيئاً، كيف لا يرجع إلى هذه الآية: ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾»[٣٧].

ولهذا كلّه كان الإمام علي (ع) إذا أراد الجهاد، استعاذ بالله من الجبن قائلاً: «اللهم.. وأعوذ بك من الجبن عند موارد الأهوال، ومن الضعف عند مساورة الأبطال، ومن الذنب المحبط للأعمال، فأحجمُ من شكٍ أو أمضى بغير يقين، فيكون سعي في تباب، وعملي غير مقبول».

ثم إن كل الثواب الذي يذكر في الآيات والروايات للمجاهدين إنما هو للصابرين الصامدين منهم، أمّا الخائف الهارب فإن له نار جهنم..

يقول الإمام علي (ع): «إن في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها الحُلل ومن أسفلها خيلٌ بلق مسرجة ملجمة ذوات أجنحة لا تروث ولا تبول فيركبها أولياء الله فتطير بهم في الجنة حيث شاؤوا»، فيقول الذي أسفل منهم:

يا ربّنا ما بلغ بعبادك هذه الكرامة؟

فيقول الله جل جلاله:

«انهم كانوا يقومون الليل ولا ينامون، ويصومون النهار ولا يأكلون، ويجاهدون العدوّ ولا يجبنون، ويتصدقون ولا يبخلون».

أمّا المتخوفون من الجهاد، فليس لهم إلاّ النار.

يقول الإمام علي (ع): «إن الرعب والخوف من جهاد (العدو) المستحق للجهاد، والمتوازرين على الضلال، ضلالٌ في الدين، وسلب للدنيا مع الذّل والصغار، وفيه استيجاب النار بالفرار من الزحف عند حفرة القتال»[٣٨].

لا.. للفرار من الزّحف

ساعة المواجهة، هي ساعة الحقيقة. وفيها تتكشف جواهر الرّجال وتتبيّن نفسياتهم، فالإيمان والشجاعة، والكرامة، والاستعداد للتضحية، وغيرها من

(٣٧) سورة آل عمران (١٧٣).

(٣٨) تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ١٣٨.

صفات الفروسية لا تظهر إلا في ساحة الوغى، وعند المواجهة الفعلية.

ولذلك فإن الحديث عن هذه الصفات شيء..

وممارستها لدى المواجهة شيء آخر..

ومن هنا فإن الكثيرين يُخيفهم منظر الدماء، وسقوط الشهداء، فتنتابهم حالة من الذعر، والخوف من الموت، ومن ثمّ فكوامن الضعف ربما تسيطر عليهم حين الالتحام مع العدو..

فإذا أضيف إلى ذلك ضعف الإيمان، والتمسك بالدعة، والراحة، وحب الدنيا، والجبن، فإن ذلك سيؤدي إلى اختيار الفرار من الزحف، بدل الانطلاق في المواجهة..

فكلّما كان الإنسان أضعف إيماناً، وأجبن، كان أكثر ميلاً للفرار، وهذا هو الذي يعبر عنه بالروح المعنوية، التي تعتبر أعظم عامل من العوامل المؤدية إلى تحقيق النجاح، فالمعارك إنما تكسب أولاً في قلوب الرجال، ثم يعلن عنها في ساعة المواجهة..

وكلّما كان الإنسان أصلب إيماناً وأقوى جناناً، كان أكثر صموداً في القتال..

فالجهاد معاناة قاسية لا يتحملها إلّا أصحاب العزائم الكبيرة..

ونظراً إلى ما يتركه «الفرار من الزحف» من قبل أي فرد من آثار مدمرة على بقية المجاهدين، فقد حرّمه الله تعالى، وأوعد عليه عذاب النار..

يقول تعالى:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ، وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [٣٩].

---

(٣٩) سورة الأنفال (١٥ - ١٦).

ويقول الإمام علي (ع):

«وليعلم المنهزم أنّه مسخط ربّه، ومِوبق نفسه وأن في الفرار موجدة (غضب) الله عليه، والذلَّ اللازم والعارُ الباقي، واعتصارَ الفيء من يده (تجريده من حقوقه) وفسادَ العيشِ عليه، وأن الفارّ لا يزيد في عمره، ولا يرضي ربّه. فموت المرء محقاً قبل إتيان هذه الخصال (النابعة من الهرب) خير من الرضا بالتلبس بها والإقرار عليها».

وروي أنَّ عليّاً (ع) لما رأى يوم صفين ميمنته قد عادت إلى مواقفها مصافّها وكشف من بازائها حتّى ضاربوهم في مواقفهم ومراكزهم أقبل حتّى انتهى إليهم فقال:

إنّي قد رأيت جولتكم، وانحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفاة الطغام وأعراب أهل الشام، وأنتم لهاميم العرب والسنام الأعظم وعمّار الليل بتلاوة القرآن وأهل دعوة الحق إذا ضلَّ الخاطئون، فلولا إقبالكم بعد إدباركم وكرَّكم بعد انحيازكم وجب عليكم ما وجب على المولّي يوم الزحف دبره وكنتم فيما أرى من الهالكين.

ولقد هوّن عليَّ بعض وجدي وشفى بعض وحاوح صدري أنّي رأيتكم بآخرة تحوزونهم كما حاوزكم وأزلتموهم من مصافّهم كما أزالوكم، تحوزونهم بالسّيوف ليركب أوّلهم آخرهم كالإبل المطردة إلهيم، فالآن فاصبروا أُنزلت عليكم السّكنية وثبّتكم الله باليقين[٤٠].

إن الانتصار هو نتيجة الاستقامة، وفي المواجهة إذا تم الالتحام فلا بد من الذهاب إلى نهايته، فقبل المواجهة قد يجوز بعض التردد أمّا إذا وقعت الواقعة، فلا يجوز الفرار.. لأنه الموت بعينه.

يقول الله تعالى:

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون[٣٠]، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي

---

(٤٠) نهج البلاغة خطبه رقم (٠٧).

الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفُسُكم ولكم فيها ما تَدَّعُون[31] . نزلاً من غفور رحيم﴾[32] .

إن الفرار من الزّحف، ليس موضوعاً يمكن تجاوزه بسهولة، ولذلك كان الإمام علي يعاتب أهل الكوفة عتاباً شديداً على حالتهم هذه، ويعتبرها سبباً من أسباب تعاستهم، وهزيمتهم.. يقول (ع):

«يا أهل الكوفة.. منيت منكم بثلاث، واثنين..

صمٌ ذووا أسماع.. وبكم ذووا كلام.. وعمي ذووا أبصار..

لا أحرار صدق عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء..

تربت أيديكم! ياأشباه الإبل غاب عنها رعاتها، كلما جمعت من جانب تفرقت من آخر.

والله لكأنّي بكم ـ فيما أخالكم ـ إن لو حمس الوغى (واشتدت المعارك) وحمي الضراب، قد انفرجتم عن ابن أبي طالب إنفراج المرأة عن قُبُلها. وأنّي لعلى بينة من ربّي، ومنهاج من نبيّي، وأنّي لعلى الطريق الواضح: ألقطه لقطاً»[42] .

ومن هنا فقد فرض الله على المسلم الجهاد، ولم يجوز له الفرار من العدو حتى لو كان أقوى منه عدداً، وأشد عدة..

جاء في تفسير علي بن إبراهيم في قوله تعالى:

﴿يا أيّها النَّبي حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً﴾[35] قال: كان الحكم في أوَّل النبوَّة في أصحاب رسول الله (ص) أنّ الرّجل الواحد وجب عليه أن يقاتل عشرة من الكفّار فإن هرب منهم فهو الفارّ من الزحف. والمائة يقاتلوا ألفاً ثمَّ علم الله

---

(٤١) سورة فصلت (٣٠ ـ ٣٢) .

(٤٢) نهج البلاغة خطبة رقم (٩٧) .

(٤٣) سورة الأنفال (٦٥) .

أنَّ فيهم ضعفاً لا يقدرون على ذلك فأنزل ﴿الآن خفّف الله عنكم وعلم أنَّ فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين﴾ [٤٤] ففرض الله عليهم أن يقاتل رجل من المؤمنين رجلين من الكفّار ، فإن فرّ منهما فهو الفارّ من الزحف ، وإن كانوا ثلاثة من الكفّار وواحد من المسلمين ففرّ المسلم منهم فليس هو الفارّ من الزَّحف .

ونتائج الفار من الزحف هي :

(أ) غضب الرب.

(ب) العار في الأعقاب.

(ج) الذلة والهوان.

(د) تجرؤ العدوّ.

وأمر تلك نتائجه فهو حرام في الشريعة. .

يقول الإمام علي (ع): «الفرار من الزحف من الكبـائر» [٤٥] .

ويقول في وصيته لأصحابه قبل القتال: «إذا لقيتم عدوكم في الحرب فأقلوا الكلام واذكروا الله عز وجل، ولا تولوهم الأدبار، فتسخطوا الله تبارك وتعالى وتستوجبوا غضبه».

ويقول (ع): «وفيـه استيجاب النار بالفرار من الزحف عند حضـرة القتـال» [٤٦] .

ويقول (ع): «استحيوا من الفرّ، فإنّـه عار في الأعقـاب، ونار يـوم الحساب» [٤٧] .

ويقول (ع): «وأيم اللهِ لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلمون من سيف الآخـرة» [٤٨] .

---

(٤٤) سورة الأنفال (٦٦) .

(٤٥) كنز العمال خبر (٤٣٢٦) .

(٤٦) تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ١٣٨ .

(٤٧) نهج السعادة ج ٤ ص ٢٣٢ .

(٤٨) نهج البلاغة خطبة رقم (١٢٤) .

وجاء عن عمران بن حصين قال: «لما تفرق الناس عن رسول الله (ص) يوم أحد، جاء عليٌ ـ عليه السلام ـ متقلداً سيفه حتى قام بين يديه فرفع رسول الله (ص) رأسه فقال له: ما بالك لم تفرّ مع الناس؟

فقال علي (ع): «يا رسول الله ارجع كافراً بعد إسلامي»؟

ثم إنه بمقدار ما للفرار من عقاب، فإن للثبات ثواباً عظيماً..

يقول الإمام علي (ع): «في الثبات عند الهزيمة، وحمل الرجل الواثق بشجاعته على الكتيبة، أجر عظيم».

ويقول رسول الله (ص): «إن الله يضحك (غاية الرضا) إلى اثنين: رجل قام من جوف الليل فتوضأ وصلّى، ورجل كان مع قوم فلقوا العدو فانهزموا، وحمل عليهم، فالله يضحك إليه».

وفي حديث آخر: «سئل رسول الله (ص): أي الشهداء أفضل؟ فقال (ص): «الذين يُلقون في الصِف، ولا يلفتون وجوههم حتى يُقتلوا، أولئك الذين يتلبطون (أي يتمرغون) في الغرف العلى من الجنة، يضحك إليهم ربك، وإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه» (٤٩).

لا للاستسلام.. لا للتراجع

﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم، الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ (٥٠).

من المعروف أن المواجهة هي «صراع إرادات» فمن كانت إرادته أقوى كان النصر معقوداً بناصيته، ومن كانت إرادته أضعف كانت الهزيمة من نصيبه..

---

(٤٩) كنز العمال خبر (١١١٢٠).

(٥٠) سورة آل عمران (١٧٢ ـ ١٧٣).

ومن المعروف أيضاً أن ظروف الجهاد الصعبة تأخذ بعواطف الإنسان ذات اليمين وذات الشمال، فلربّما تعتريه حالة الضعف في نفسيته، فيفكر في الفرار، أو الاستسلام . .

ومن المعروف كذلك، أن نتيجة الهزيمة ستكون ذلة في الحياة، وعاراً ممتداً في الأعقاب. . «فالعزّ ـ كما يقول الإمام علي (ع) إدراك الانتصار»[٥١] ولا انتصار من دون «إرادة الانتصار» وتحريم التراجع، والاستسلام على الذات.

من هنا كان الإمام الحسين (ع) يرفع شعارين مهمين في مواجهته مع أعدائه وهما:

(أ) «هيهات منا الذلّة يأبى الله ذلك لنا، ورسوله، وحجور طابت وطهرت، وأنوف أبية ونفوس زكيّة من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام».

(ب) «واللهِ لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد».

وهكذا لا بد من الثبات في المواجهة.

يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئةً فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾[٥٢].

إن الصبر موقعه هنا، و«لا يعدم الصبور الظفر، وإن طال به الزّمان»[٥٣].

ويذكر التاريخ: إنه كان من صفات رسول الله (ص) إنه لا يخاف ولا يفرّ ولا يستسلم. . .

يقول الإمام علي (ع): «كنا إذا اشتد بنا الوطيس نلوذ بعريش رسول الله (ص)، فما يكون أحد أقرب منه إلى العدوّ، ولقد رأيتنا يوم بدر، ونحن نلوذ بالنبي (ص) فكان يومئذٍ أشدّنا بأساً»[٥٤].

---

(٥١) غرر الحكم.

(٥٢) سورة الانفال (٤٥).

(٥٣) نهج البلاغة خطبة رقم (١٥٣).

(٥٤) كنز العمال خبر (٢٩٩٤٣).

كما كانت من صفاته إذا همّم على الجهاد فلا يتراجع. وفي غزوة أحد، كان النبي (ص) يرى الاكتفاء بموقف الدفاع داخل المدينة، وعدم الخروج، ولكنّ الأكثرية من المسلمين طالبوا بالخروج، فاستجاب لـرأيهم، وارتدى ملابس القتال، وخرج من غير ما تردد، وحينما غير بعض المسلمين رأيهم، وأشاروا إليه بالعودة عن ذلك، رفض قائلاً: «ما كان لنبي إذا لبس لامته، أن يضعها حتى يُقاتل، ويحكم الله بينه وبين عدوّه».

وحينما وقع الاضطراب في صفوف المسلمين وانهزم الجميع إلّا نفر قليل، بقي صامداً وهو ينادي بالمسلمين: «يا عباد الله.. من كرّ فله الجنة».

وبقي في موقعه يجالد ويطاعن، حتى تمزقت قوسه شظايا وسالت منه الدماء، ويصوّر «المقداد» ذلك الموقف بقوله: «.. فوالله الذي بعثه بالحقّ، ما زلت قدمه شبراً واحداً، وإنه لفي وجه العدوّ، تفيء إليه طائفة من أصحابه مرةً، وتفترق عنه مرة، وهو قائم يرمي عن قوسه، ويرمى بالحجر حتى انحازوا عنه»..

ولدى عودته (ص) إلى بيته، ناول سيفه إلى ابنته فاطمة الزهراء قائلاً: «اغسلي عن هذا دمه يا بنيّة، فوالله لقد صدقني اليوم..»!

* * *

وفي الحقيقة فإن الاستسلام، أو التراجع لا معنى لهما عند المجاهدين، لأن ذلك يعني التراجع عن الحق، والاستسلام للباطل.

يقول الإمام علي (ع):

«... المغرور من آثر الضلالة على الهدى.

فلا أعرفن أحداً منكم تقاعس وقال: في غيري كفاية.. فإن الذود (العدد القليل من الإبل) إلى الذود إبل (كثير). ومن لا يذد عن حوضه يتهدم.

ثم إني آمركم بالشدّة في الأمر، والجهاد في سبيل الله... وأن لا تغتابوا مسلماً.

(وبعد هذا) انتظروا النصر العاجل من الله إنشاء الله».

وهكذا فإن الثُبات في المواجهة، دليل الإيمان، كما أن التراجع والاستسلام دليل النفاق، أو الكفر.

ومن هنا فقد روي عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله: إنه قال لصحابته: «أتصبرون على البلاء»؟

فقالوا: نعم...

فعاد يسألهم: أتشكرون عند الرخاء؟..

وأجابوا: نعم...

فرجع يسألهم: أتثبتون عند اللقاء؟..

وكان جوابهم: نعم...

فقال لهم رسول الله: «مؤمنون ورب الكعبة»!..

وكان الإمام علي (ع) يوصي أصحابه في القتال قائلاً:

«إلزموا الأرض.. واصبروا على البلاء».

* * *

ولقد كان أصحاب رسول الله يثبتون حتى في حالات الهزيمة، والأسر، فلا يتراجعون عن مواقفهم وهم مُكبلون في القيود.. لأنّهم كانوا يرون تراجعهم كفراً ونفاقاً.

وهذا واحد منهم..

إنه الصحابي الجليل زيد بن الدثنة، الذي شهد غزوتي بدر واحد، وأبلى فيهما بلاء حسناً، ثم ابتلاه الله ـ جلت حكمته ـ بموقف من مواقف الابتلاء والاختبار، دفع فيه حياته الغالية، ولكنه مضى إلى ربه شهيداً مجيداً، وأبقى من ورائه مثلاً في الاحتمال، والثبات على العقيدة، وعمق الحب لرسول الله (ص).

فقد حدث في أواخر السنة الثالثة للهجرة أن انتهز المشركون فرصة الامتحان العصيب الذي مر بالمسلمين في غزوة أُحد، وأرادوا أن يوقعوا

بالمسلمين عن طريق الخيانة والغدر، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدد من قبيلتي عضل والقارة اللتين كان أهلهما يضمرون أشد البغض والعداوة لرسول الله (ص)، وتظاهروا بالإسلام، وقالوا له: إن فينا إسلاماً وخيراً، فابعث معنا نفراً من أصحابك، يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن، ويعلموننا شعائر الإسلام!

فأرسل النبي (ص) معهم عدداً من أصحابه، قيل أنهم ستة، وقيل أكثر من ذلك، وكان منهم زيد بن الدثنة، وفي أثناء الطريق، وحينما بلغوا موضعاً يسمى «الرجيع» ـ وهو الاسم الذي نسبت إليه البعثة ـ صعدوا رابية تسمى «الهداة»، وهنا فوجئوا بمرافقيهم من عضل والقارة يستصرخون عليهم كميناً من مائة رجل من المشركين أكثرهم من قبيلة هذيل، وحينما هم أولئك الصحابة الكرام بمهاجمة أعدائهم قالوا لهم: «لكم العهد والميثاق ـ إن نزلتم إلينا ـ الاّ نقتل منكم رجلاً».

فأبى ذلك جانب من هؤلاء الصحاب الكرام، وقاوموا حتى سقطوا شهداء، وكان من هذا الجانب الشهيد العاصم: عاصم بن ثابت رضوان الله عليه.

وأسر بعضهم الآخر ومنهم زيد بن الدثنة الأنصاري الذي أسروه، وقيدوه بالأغلال، وذهبوا به إلى مكة ليبيعوه فيها بيع العبيد.

وباعوه فعلاً إلى ألد الأعداء حينئذ، وهو صفوان بن أمية بن خلف، الذي كان مشركاً في ذلك الوقت.

ووالد صفوان هو أمية بن خلف الكافر الذي قتل في غزوة بدر، ولعل صفوان كان يريد ـ وهو ما زال في ظلمات الجاهلية ـ أن ينتقم لأبيه، فلما سيطر على زيد بن الدثنة، قيده بالأغلال، وأخذ في تعذيبه، ولكن البطل الصابر احتمل ما لحق به ثابتاً مؤمناً، ثم أمر صفوان عبداً له يسمى «نسطاس» بأن يقود زيداً المكبل بالأغلال إلى مكان يسمى «التنعيم» ليقتلوه.

والتنعيم موضع بجوار مكة، وسمي بالتنعيم - كما روى ياقوت الحموي لأنَّ جبلاً عن يمينه يقال له: نعيم، وآخر عن شماله يقال له: ناعم، والوادي يسمى: نعمان.

في هذا المكان تجمع الأعداء حول زيد، وأخذوا يرمونه بالنبال ليفتنوه عن دينه وإسلامه، فلم يزدد رضوان الله عليه إلاّ إيماناً وتثبيتاً.

* * *

وكان ممن حضر هذا المشهد أبو سفيان بن حرب فراعه من زيد هذا الصبر العجيب على طول التعذيب، فدنا منه وقال له.

- يا زيد، نشدتك الله، أتحب أن محمداً عندنا الآن مكانك، فتضرب عنقه، وإنك في أهلك؟

فأجاب زيد بشجاعة وثبات.

والله ما أحب أن محمداً الآن، في مكانه الذي هو فيه، تصيبه شوكة تؤذيه، وأني جالس في أهلي.

فازداد أبو سفيان تعجباً، وقال مقراً على الرغم منه بالحق الساطع:

- ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً!

* * *

وأخيراً يئس القوم من هذا المؤمن، المناضل الأعزل، الصابر الأمثل، فأقدموا على تنفيذ القتل فيه، فسألهم أن يمهلوه حتى يصلي لربه ركعتين.

وكان أول من سن أداء ركعتي صلاة قبل الاستشهاد..

وعقب انتهائه، أقبل طواغيت الشرك على المجاهد المفرد الأعزل، وقطعوا رقبته، لتصعد روحه إلى بارئها، لتنال كريم جزائها: ﴿إن المتقين في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾[٥٥].

ويروي بعض الرواة عن عبد الله بن عباس أنه قال:

---

(٥٥) سورة القمر (٥٤ - ٥٥).

لما قتل أصحاب الرجيع قال ناس من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا، لا هم أقاموا في أهليهم، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم. (يعنون النبي صلى الله عليه وآله وسلم).

«فأنزل الله عز وجل في هذه الواقعة قوله عن المشركين».

﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾ [٥٦].

وهكذا ضربوا أروع الأمثلة في الصمود والثبات..

* * *

ثم إن التراجع يؤدي إلى الهزيمة، وانتصار العدو..

ومن هنا نجد عتاباً مريراً من الإمام علي (ع) لأصحابه الذين تراجعوا مرات، وانهزموا مرات أخرى، واستسلموا للعدو ثالثة، وكانت النتيجة: هزيمة جبهة الإمام، وانتصار عدوّه.

يقول الإمام (ع): والله لأظن أن هؤلاء القوم سيداولون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم وبمعصيتكم أمامكم في الحق...» [٥٧].

وكثيراً ما كان يقول لهم:

«أفٍ لكم!.

لقد سئمتُ عتابكم!

أرضيتم بالحياة الدنّيا من الآخرة عوضاً (فلم إذن تتهربون من الجهاد) وبالذلّ من العزّ خلفاً؟

إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة ومن الذهول في سكرة، يرتج عليكم حواري فتعمهون فكأن قلوبكم مألوسة

---

(٥٦) سورة البقرة (٢٠٤ ـ ٢٠٦).

(٥٧) نهج البلاغة خطبة رقم (٢٥).

(مجنونة) فأنتم لا تعقلون.

ما أنتم لي بثقة سجيس اللّيالي، وما أنتم بركن يمال بكم (ويطمئن إليه) ولا زوافر (عشيرة) عزّ يفتقر إليكم. ما أنتم إلاّ كإبل ضل رعاتها، فكلّما جمعت من جانب انتشرت من جانب آخر. لبئس ـ لعمر الله ـ سعر (وقود) نار الحرب أنتم!.

تُكادون، ولا تكيدون؟
وتنتقص أطرافكم (ويحتل العدوّ مواقعكم) فلا تمتعضون؟
لا يُنام عنكم وأنتم في غفلة ساهون» ؟ [٥٨] .
أو يقول (ع):
«منيتُ (ابتليت) بمن لا يطيع إذا أمرتُ، ولا يجيبُ إذا دعوت.
لا أبا لكم ما تنتظرون بنصركم ربكم؟

أما دين يجمعكم، ولا حمية تحمشكم (تغضبكم) أقوم فيكم مستصرخاً وأناديكم متغوثاً فلا تسمعون لي قولاً، ولا تطيعون لي أمراً حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة، فما يدرك بكم ثار، ولا يبلغ بكم مرام. دعوتكم إلى نصر إخوانكم فجرجرتم جرَّة الجمل الأسر (تهامستم مع بعضكم مثل صوت البعير المصاب في حنجرته) وتثاقلتم تثاقل النضو الأدبر (الإبل المهزول المجروح). ثم خرج إليّ منكم جنيد متذائب ضعيف كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون [٥٩] .

كم أداريكم، كما تدار البِكار العَمِدة؟ (كالآبال الشابة التي نسف سنامها من التحميل) والثياب المتداعية (البالية) كلّما حيصت (خيطت) من جانب تهتكت من آخر؟

كلما أطلَّ عليكم منسر (عصابة) من مناسر أهل الشام أغلق كل رجل منكم بابه، وانجحر (في غرفته) انجحار الضبّة في جحرها، والضبع في وجارها؟

---

(٥٨) نهج البلاغة خطبة رقم (٣٤).
(٥٩) نهج البلاغة خطبة رقم (٣٩).

الذلّيل والله من نصرتموه. ومن رُمي بكم فقد رُمي بأفوق ناصل (السهم المكسور) وأنكم والله لكثير في الباحات، قليل تحت الرايات! وإني لعالم بما يصلحكم، ويقيم إودكم (إعوجاجكم) ولكني لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي.

أضرع الله خدودكم (أذل الله وجوهكم) وأتعس جدودكم (حظوظكم) (فأنتم) لا تعرفون الحق، كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل، كإبطالكم الحق» [٦٠].

ويقول (ع): لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرةً منكم، وأعطاني (رجلًا) واحداً منهم».

ولقد رأينا كيف أدى تراجع أصحاب الإمام إلى تفتت جبهته، وظهور الصراعات فيها، وفي النهاية انتصار أعدائه..

ولهذا كله: فلا استسلام في الجهاد، ولا تراجع.

لا.. للتجاوز عن الأخلاق

﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين﴾ [٦٢].

قد يقولن قائل: إذا كان الجهاد فرعاً هاماً من فروع الدين، وباباً خاصاً من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وضرورة حضارية لا يمكن أن يحرز المسلمون أي تقدم من دونه، فهو إذن حق مشروع في كل زمان، وكل مكان، ويجوز فيه ما لا يجوز في غيره: فلا حدود فيه، ولا استثناءات..

ولكن: هذا الرأي ينسى مجموعة من الحقائق، وهي:

أولًا: إن الجهاد هو لهدف. وليس هو هدفاً، فلا بد أن يكون ملازماً للهدف المقدس الذي وضع من أجله.

ثانياً: مناقبية الإسلام تأبى تجاوز المبادىء. وكما في الصلاة يجب أن

(٦٠) نهج البلاغة خطبة رقم (٦٩).
(٦١) نهج البلاغة خطبة رقم (٩٧).
(٦٢) سورة البقرة (١٩٠).

تكون مصبوغة «بصبغة الله» كذلك في الجهاد. فالغاية لا تبرر الوسيلة، بل تحددّها.

ثالثاً: إن الجهاد يبقى متميزاً عن الصراعات الهمجية التي تمارسها الأمم الأخرى، باعتباره «في سبيل الله». فهو ليس قتلاً، وحرباً، وتدميراً تقوم به جماعة ضد أخرى لتحقيق أغراض السيطرة أو الانتقام أو الاحتلال، أو أي شيء آخر. فلا بد أن تكون نية المجاهدين خالصةً لوجه الله، كما لا بد أن تخلو أعمالهم من كل ما من شأنه أن يُشين هذه العبادة المقدسة..

إن الإسلام هو نقيض الجاهلية. فلا بد أن يكون جهاد الإسلاميين متميزاً عن قتال الجاهليين في كل صغيرة وكبيرة. وإلا بطل كونه جهاداً.

وهكذا فللجهاد أهداف، وله حدود، ولا بد من الالتزام بالأهداف والتقيد بالحدود حتى يكون كما أراده الله. وحدود الجهاد هي حدود الحق، فمن لم يتلزم بها في أهدافه، ووسائله فليس مجاهداً.

يقول الله تعالى: ﴿الذين آمنوا يُقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾[٦٣]..

ويقول الحديث الشريف: «أول حدود الجهاد: الدعاء إلى طاعة الله من طاعة العباد، وإلى عبادة الله من عبادة العباد، وإلى ولاية الله من ولاية العباد» فالجهاد يجب أن يكون لطاعة الله، والنية فيه يجب أن تكون خالصة لله، فكيف بالأمور الأخرى؟

لقد قال رجل لرسول الله (ص): «إن الرجل يُقاتل للمغنم، والرجل يُقاتل للذْكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل الله؟

فقال النبي (ص): «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

---

(٦٣) سورة النساء (٧٦).

وأضاف (ص):

«إن الله لا يقبل من العمل إلّا ما كان خالصاً وابتغى به وجهُه».

وكما في النيّة، كذلك في الأساليب لا بد أن تكون شريفـةً، ونقيةً وطاهرة.

ومن هنا كان الإمام علي (ع) يُوصي قادة جنده بقوله لأحدهم:

«ووّل من جنودك أنقاهم جيباً (أي أطهرهم قلباً) وأفضلهم حلماً ممن يُبطىء عن الغضب، ويستريح إلى الغدر، ويرأف بالضعفاء وينبو عن الأقوياء، وممن لا يُثيره العنف».

* * *

وقد يقول قائل:

«في الحرب يقتل الإنسان عدوه، أو هو يحاول ذلك.

والقتل يعني إزهاق الروح، وحرمان صاحبها من الحياة إلى الأبد.

فالعدو يجرد سلاحه، وأنت تجرد سلاحك، وكل واحد منكما يريد أن يطعم صاحبه كأس الموت.

إذن.. فلا مكان للأخلاق هنا، ما دامت المجـابهة تصـل إلى حد القتل..».

ولكن.. لا.

إن الحرب التي يشنها الطغاة وأصحاب المصالح، قد لا تستطيع أن تلتزم بالأخلاق. أما الجهاد المقدس التي يشنها أصحاب أهداف إنسانية، فإنها لا يمكن أن لا تحمل ملامح أهدافهم في نوعية الوسائل، وطريقة استعمالها في كافة المراحل.

وإلا.. فإن الهدف يبطل أن يصبح هدفاً، إذا كان الذي يحارب من أجله يدوس عليه.

صحيح أن «الحرب خدعة» ويجوز فيها ما لا يجوز في غيرها أحياناً،

ولكن يبقى موضوع: «لا يطاع الله من حيث يعصى» ساري المفعول في كل مجريات الجهاد الإسلامي.

وعلى المحارب المؤمن أن يتقيد بالوسيلة الشريفة ما دام هدفه شريفاً.

* * *

إن الجهاد يجب أن يكون مثل جهاد الإمام الحسين (ع) الذي التزم بحدود الجهاد الأخلاقية فلم يشهر سلاحه في وجه عدوه، إلا بعد أن شهر هو سلاحه في وجهه، ورفض «السلام» معه، رغم عشرات الخطب التي ألقاها هو وأصحابه محاولين إبعاد العدو عن اقتراف جريمة القتل.

وفي كل مراحل ثورته: كان الإمام يلتزم، ويوصي، ويأمر بالأخلاق. حتى عاد أرشيف الثورة يحمل فصلاً مطولاً عن التزام المقاتلين، التزاماً مطلقاً، بالمناقبية الحربية طيلة أيام الثورة... فمثلاً:

- في أول مجابهة بين الإمام، وبين طلائع قوة العدو التي كانت تتدفق من الكوفة لقتاله، حصل الإمام على فرصة ذهبية للقضاء عليها، أو - على الأقل - إجبارها على التسليم، أو الفرار.

فالجيش المعادي كان متعباً قد أنهكته الطريق، كما أنهكه العطش.

ومعروف أن الجيش المحارب يفتش عادة عن طريقة قطع خطوط التموين عن العدو. لأن الجوع والعطش ينهكان الجيش أكثر مما ينهكه الحديد والنار. فالحديد والنار يمكن مقابلتهما بالحديد والنار، ولكن بماذا يمكن مقابلة الجوع والعطش؟

إن التاريخ يحتفظ في ذاكرته بأسماء جيوش كثيرة انهارت في الحرب لأن خط تموينها انقطع، فحاصرها الجوع، أو أنهكها العطش..

ولذلك كله فإن قطع الماء، أو ضرب خطوط التموين يعد ضربة قاضية للعدو..

وهو لا يُعدّ جريمة في القتال والمواجهة، خاصة إذا قام بذلك من اعتدى عليه.

ولقد حصل الإمام الحسين (ع) على فرصة ممتازة لممارسة هذا الأمر مع عدوه، عندما جابهته قوة قوامها ألف جندي بقيادة الحر بن زيد الرياحي، وكانت أول مجابهة بينه وبين أهل الكوفة.

وكان العدو يعاني من عطش حاد، وتعب شديد إذ أنه قضى عدة أيام صعبة في الصحراء، وفي فصل الصيف، حتى قطع المسافة بين الكوفة والغاضريات.

وعندما التقى بقوة دفاع الإمام، كانت آثار الإنهاك والعطش بادية في وجوه كل أفراد العدو.. بينما كانت قوة الإمام في أوج نشاطها، كما أنها كانت تحمل كميات من الماء تكفيها ليوم وبعض يوم..

فما كان من الإمام الحسين، إلا أن أمر جيشه أن يسقوا رجال قوة العدو واحداً واحداً.

ليس هذا فحسب، وإنما أمرهم أن يقوموا بسقي دوابهم أيضاً..

ولأن جيش العدو كان كبيراً بالقياس إلى جيش الإمام، فقد كان على كل واحد من أفراد قوة الإمام أن يقوم بسقي عدة رجال، وعدة دواب في وقت واحد.

ويذكر التاريخ أن الإمام الحسين قام بنفسه أيضاً بإرواء عدوه بيديه الكريمتين. وكان ينادي برجاله:

ـ إسقوا القوم وأرووهم من الماء. ورشفوا الخيل ترشيفاً.

وبهذا العمل الإنساني بدأ مجابهته مع عدوه. وأراد أن يكون العطاء منه رغم أن عدوه رد هذا العطاء بمنع الماء عنه يوم الحرب، وقبله، وترك بعض أطفاله، ونسائه، يموتون من شدة العطش على رمال الأرض.

ـ بعد أن رفض العدو السماح للإمام بالعودة إلى المدينة واتفقا على أن يسلك طريقاً لا يدخله الكوفة ـ من جانب ـ ولا ينتهي به إلى المدينة من جانب آخر، وأن يظل يدور في الصحراء تحت مراقبة العدو، حتى يتجلى الموقف،

ويعرف العدو الأوامر الصادرة من «ابن زياد».

وبالضبط يوم أن وصل إلى الإمام خبر مقتل قيس بن مصهر الصيداوي، الذي حمله الإمام رسالة إلى بعض شخصيات الكوفة، اقترح «طرماح بن عدي» على الإمام أن يذهب إلى عشيرة «طي» التي كانت تقطن بين جبلي: «أجا» و«سلمى» في شمالي العراق وضمن للإمام بعشرين ألف مقاتل يضربون بين يديه بأسيافهم..

وكان في استطاعة الإمام أن يذهب إلى «طي» ويحصل على العشرين ألف مقاتل. ولكنه لم يفعل، لأنه كان مقيداً مع عدوه باتفاقية المسير تحت مراقبته حتى تأتي الأوامر!

وكان فيما قاله الإمام للطرماح قوله:

«إن بيننا وبين القوم قولاً لا نقدر معه على الإنصراف. فإن يدفع الله عنا، فقديماً ما أنعم علينا. وإن يكن ما لا بد منه ففوزة وشهادة انشاء الله تعالى».

ولأجل أن لا يخرق الاتفاقية مع عدوه ترك عشرين ألف مقاتل!

- إن الإمام رفض أن يحارب عدواً لا يعرف نسبه، أو أهدافه، أو نتائج محاربته له.

ولذلك فقد أوضح لعدوه: أسباب ثورته، كما أوضح له آثار المقاتلة معه - دينياً ودنيوياً -. فقد ألقى أكثر من ست خطب، كما ألقى أصحابه عدداً مماثلاً من الخطب، في أفراد جيش العدو، ليوضحوا لهم: من هو الإمام الحسين (ع) ولماذا يحارب؟ وماذا يدعوه لذلك؟

ورغم أنه لم يبق بعد كل ما قاله الإمام وأصحابه للعدو أي عذر له إلى استجابته، مما فتح الطريق أمام الحسين وأصحابه لشهر السلاح، والدخول معه في المعركة ما دام مصراً على موقفه الخاطىء..

رغم كل ذلك فإن الإمام امتنع أن يبدأهم بالهجوم. مع كل ما في الهجوم من إغراء الانتصار..

وقد امتنع عن ذلك مرتين:

(أ) مرة عندما جابهه ألف جندي من جنود العدو، وكان مع الإمام إذ ذاك عدد مماثل تقريباً، قبل أن يتفرق عنه طلاب الدنيا ليلة عاشوراء وقبلها..

فقد قام العدو بتضييق الخناق على الإمام، فاقترح زهير بن القين الهجوم عليه، قائلاً:

- أبا عبد الله..

«إن والله لا أرى أن يكون بعد الذي ترون إلا أشدّ، وإن قتال هؤلاء الساعة، أهون علينا من قتل من يأتينا بعدهم».

ولكن الإمام رفض الاقتراح وقال:

- ما كنت لأبدأهم بالقتال!

(ب) ومرة أخرى يوم عاشوراء، عندما تقدم شمر بن ذي الجوشن مع الرجّالة لاكتساح معسكر الإمام، ففوجىء بالنيران التي تحيط بمعسكره من الخندق الذي حفروه في الليل. فقال للإمام:

- يا حسين استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة؟

فأجابه الإمام:

يا بن راعية المعزي أنت أولى بها صليا.

فطلب أحد جنود الإمام منه أن يسمح له أن يرميه بالسهم لأنه «من أعظم الجبارين - كما وصفه - فرفض الإمام الحسين ذلك، وقال: إني أكره أن أبدأهم بقتال!».

* * *

وفيما يلي بعض الأمور التي لا تجوز في الجهاد، مهما كانت الأسباب والمسببات..

١ - الخيانة، والغلول والسرقة والرياء:

يقول الحديث الشريف: «أربع لا يجزن في أربعة: الخيانة والغلول

والسرقة والرياء، لا تجوز في حج ولا عمرة ولا جهاد ولا صدقة».

يقول الله تعالى: ﴿وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفسٍ ما كسبت وهم لا يُظلمون﴾ [٦٤].

٢ ـ التوسل بالغدر:

يقول الحديث الشريف: «من آمن رجلاً على دمه ثم قتله، جاء يوم القيامة يحمل لواء الغدر»[٦٥].

٣ ـ قتل الأسرى، أو تعذيبهم.

يقول الإمام علي (ع) لمالك الأشتر: «يا مالك.. إذا أصبت أسيراً فلا تقتله».

وفي الحديث نهى رسول الله (ص) عن تعذيب الأسرى، وكان يقول: «لا تعذبوا عباد الله».

وعن عبد الله بن ميمون قال: أتى الإمام علي (ع): بأسير يوم صفين فبايعه، فقال له الإمام: «لا أقتلك إني أخاف الله رب العالمين»[٦٦].

٤ ـ تحقير الأسرى وإيذائهم:

جاء في الحديث: لمّا ورد سبي الفرس إلى المدينة أراد عمر بن الخطّاب بيع النساء وأن يجعل الرجّال عبيداً فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: إنَّ رسول الله (ص) قال: أكرموا كريم كلِّ قوم.

فقال عمر: قد سمعته يقول: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وإن خالفكم.

فقال أمير المؤمنين (ع): هؤلاء قوم قد ألقوا إليكم السّلم ورغبوا في الإسلام ولا بدّ من أن يكون لي منهم ذريّة، وأنا أشهد الله وأشهدكم أنّي قد أعتقت نصيبي منهم لوجه الله تعالى.

---

(٦٤) سورة آل عمران (١٦١).

(٦٥) كنز العمال باب الغدر.

(٦٦) كنز العمال خبر (٣١٧٠٣).

فقال جميع بني هاشم: قد وهبنا حقّنا أيضاً لك يا أبا الحسن فقال: اللّهم إشهد أنّي قد أعتقت ما وهبوني لوجه الله.

فقال المهاجرون والأنصار: قد وهبنا حقّنا لك يا أخا رسول الله (ص) فقال: اللّهمَّ إشهد أنّهم قد وهبوا لي حقّهم وقبلته واشهد أنّي قد أعتقتهم لوجهك.

فقال عمر: لم نقضت عليَّ عزمي في الأعاجم، وما الّذي رغبّك عن رأيي فيهم.

فأعاد عليه ما قاله رسول الله (ص) في إكرام الكرماء.

فقال عمر: قد وهبت لله ولك يا أبا الحسن ما يخصنّي وساير ما لم يوهب لك.

فقال الإمام علي (ع): اللّهمَّ اشهد على ما قاله وعلى عتقي إيّاهم.

فرغب جماعة من قريش في أن يستنكحوا النساء فقال الإمام علي (ع): هؤلاء لا يكرهن على ذلك، ولكن يخيّرن وما اخترنه عمل به.

فأشار جماعة إلى شهر بانويه بنت كسرى فخيّرت وخوطبت من وراء الحجاب، والجمع حضور فقيل لها:

«من تختارين من خطابك؟ وهل أنت تريدين زوجاً؟».

فسكتت، فقال الإمام علي (ع): «قد أرادت وبقي الاختيار».

فقال عمر: وما علمك بإرادتها البعل؟

فقال علي (ع): «إن رسول الله (ص) كان إذا أتته كريمة قوم لا وليّ لها، وقد خُطبت يأمر أن يُقال لها: أنت راضيةٌ بالبعل، فإن استحيت وسكتت، جعل صمتها أذنها، وأمر بتزويجها. وإن قالت: لا، لم تكن على ما تختاره».

ثم إن «شهربانو» أريت الخُطّاب، فأومأت بيدها إلى الحسين بن علي (ع)، فأعيد القول عليها في التخيير فأشارت بيدها، وقالت بلغتها: هذا إن كنت مخيّرة.. ثم جعلت وليها أمير المؤمنين (ع) وتكلم حذيفة بالخطبة.

فقال أمير المؤمنين (ع) ما اسمك؟

فقالت: شاه زنان بنت كسرى. فقال أمير المؤمنين: أنت شهربانـو، وأختك مرواريد بنت كسرى؟

فقالت: «آرى» بالفارسية ـ أي نعم!

* * *

وفي غزوة بدر قال النبي (ص) لأصحابه بعد أن فرق بينهم الأسرى «استوصوا بهم خيراً».

ويقول أبو عزيز بن عمير، وكان من أولئك الأسرى: «كنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم، وعشاءهم خصوني بالخبز دونهم وأكلوا التمر، لوصية رسول الله (ص) إياهم بنا، فما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلّا نقحني بها، فاستحي فاردها على أحدهم، فيردها عليّ وما يمسها».

* * *

وقصة سنانة ابنة حاتم الطائي معروفة..

فقد أرسل النبي (ص) سرية لمحاربة قبيلتها بني طي وكانت بقيادة الإمام علي (ع) على رأس مائة وخمسين من الأنصار، فأنزلت بهم الهزيمة، وأسرت مجموعة من النساء وجاءت بهم إلى رسول الله.

وفي حضور جمع من الأصحاب، والأسرى، قامت سفانة، وقالت لرسول الله (ص):

أي محمد.. أتأذن لي بالكلام؟

فقال لها النبي (ص): «نعم..

فقالت: مات الوالد، وغاب الوافد، فإن رأيت أن تخلي عني فإني ابنة كريم قومي، وكان أبي يحب مكارم الأخلاق يفك العاني، ويقتل الجاني، ويحفظ الجار ويحمي الزمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ويحمل الكل ويعين على نوابت الدهر. وما جاءه طالب إلّا ورده بها،

فقال لها النبي (ص): «هذه صفات المؤمنين. . فمَن أبوكِ؟

قالت: حاتم

فقال النبي (ص): حقاً لو كان أبوك مؤمناً لترحمنا عليه ثم التفت إلى أصحابه وقال:

خلوا عنها كرامة لأبيها. .

فقالت: أنا. . ومن معي؟؟

فقال النبي: خلّوا عمن معها كرامةً لها.

وأضاف (ص) إرحموا ثلاثاً وحق أن يرحموا: ذليلاً ذل من بعد عزّه. وغنياً افتقر من بعد غناه، وعالماً ضاع بين الجهّال.

فقالت: أتأذن لي بالدعاء.

فأشار النبي (ص) لها بذلك.

فقالت: أصاب الله ببرّك مواقعه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمة قومٍ إلاّ وجعلك سبباً لردها عليهم. .

فقال النبي (ص): آمين. .

ثم أمر لها بحمر النعم حتى سدّ ما بين جبلين، فقالت:

يا محمد. . هذا عطاء من لا يخاف الفقر.

فقال النبي (ص): هكذا أدبني ربي فأحسن تأديبي.

ثم إنّها همت بأن تخرج إلى قومها، فقال لها رسول الله: لا تعجلي حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادكِ».

وأقامت حتى قدم رهط من قومها فخرجت معهم.

* * *

ثم إن الروايات تتحدث في كثير منها عن الثواب العظيم الذي أعدّ لمن أكرم الأسير، أو أطعمه، أو كساه، أو آواه. .

ولقد أنزل الله سورة «الدهر» تكريماً لأهل البيت (ع) الذين أطعموا

المسكين واليتيم والأسير . .

يقول تعالى : ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً (٨) ، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً (٩) ، إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً (١٠) ، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهّم نضرة وسروراً (١١) ، وجزاهم بما صبروا جنة وحرير﴾ (١٢) [٦٧] . .

٥ ـ قطع الأشجار، والتمثيل:

جاء في الحديث: كان رسول الله (ص) إذا بعث سريّة بعث أميرها فأجلسه إلى جنبه وأجلس أصحابه بين يديه ثمَّ قال: سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله (ص) لا تغدروا ولا تغلّوا ولا تمثلوا ولا تقطعوا شجراً إلّا أن تضطروّا إليها ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبيّاً ولا إمرأة، وأيمّا رجل من أدنى المسلمين أو أقصاهم نظر إلى أحد من المشركين فهو جار حتّى يسمع كلام الله، فإذا سمع كلام الله فإن تبعكم فأخوكم في دينكم، وإن أبى فاستعينوا بالله عليه وأبلغوه إلى مـأمنه [٦٨] .

وفي الحديث عن رسول الله (ص) أنه قال: «إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور».

٦ ـ قتل الشيوخ والعجزة والأطفال والنساء:

عن عليّ بن الحسين (ع) قال: إن أخذت الأسير فعجز عن المشي ولم يكن معك محمل فأرسله ولا تقتله فإنّك لا تدري ما حكم الإمام فيه، وقال: الأسير إذا أسلم فقد حقن دمه وصار فيئـاً [٦٩] .

وعن رسول الله (ص) كلما جهّز جيشاً قال لهم: «إنطلقوا باسم الله ولله وعلى بركة الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا إمرأة ولا تغلوا وضمّوا غنائمكم، واصلحوا وأحسنوا، إن الله يحب المحسنين» [٧٠] .

---

(٦٧) سورة الإنسان (٨ ـ ١٢) .
(٦٨) بحار الأنوار ج ١٩ ص ١٧٧ .
(٦٩) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٣٣ .
(٧٠) كنز العمال خبر (١١٠١٣) .

وكان قد بلغ النبي (ص) ذات يوم أن أحد قواده قتل أحد الأطفال فغضب لذلك، وصعد المنبر وقال: «ما بال أقوام تجاوز بهم القتال حتى قتلوا الذرية.. ألا لا تقتلوا الذرية.. ألا لا تقتلوا الذريّة».

وروي، أن بعض أصحابه قتل في غزوة بعض الأطفال، وحينما عرف رسول الله بذلك، قال لهم:

«ما حملكم على قتل الذريّة؟ وهل خياركم إلّا أولاد المشركين»[٧١].

ثم أضاف (ص): «والذي نفس محمد بيده ما من نفس تُولد إلّا على الفطرة حتى يُعرب عنها لسانها»[٧٢].

٧ ـ قتل الرُسل والرهن:

يقول رسول الله (ص): «لا يُقتل الرُسّل ولا الرهن»[٧٣].

وفي الحديث أن النبي (ص) سمع كلاماً من رسولي مسيلمة الكذاب فلم يرضه، فقال لهما: «لو كنتَ قاتلاً رسولاً لقتلتكما».

وعن أمير المؤمنين (ع)، أنه قال: «إذا ظفرتم برجل من أهل الحرب فزعم أنه رسول إليكم، فإن عُرِفَ ذلك وجاء بما يدل عليه فلا سبيلٍ لكم عليه حتى يبلغ رسالته ويرجع إلى أصحابه، وإن لم تجدوا على قوله دليلاً فلا تقبلوا منه».

٨ ـ قتل المجبَرين:

عن أمير المؤمنين (ع) قال: سمعت رسول الله (ص) يوم بدر يقول «من استطعتم أن تأسروا من بني عبد المطلب فلا تقتلوهم، فإنهم إنما أخرجوا كرهاً».

٩ ـ قطع الماء، وقلع الأشجار:

في الحديث روي عن رسول الله (ص) أنّه نهى عن قطع الشجر المثمر أو

---

(٧١) كنز العمال (١١٠٩٥).

(٧٢) نفس المصدر.

(٧٣) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٣١.

إحراقه في دار الحرب، إلا أن يكون ذلك من صلاح للمسلمين فقد قال الله عز وجل ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين﴾ (٧٤) .

وفي حديث آخر: إن رسول الله حينما أراد غزو خيبر أشار إليه بعضهم على ماء كان يجري لليهود، وقال له: إن قطعت الماء عنهم استسلموا، فقال رسول الله (ص) «لا أفعل ذلك» ولم يقطع عنهم الماء..

وفي عهد الإمام علي (ع) رفض أن يمنع أصحاب معاوية في معركة صفّين عن الماء..

وفي الحديث أيضاً: «أن النبي (ص) كان إذا بعث أميراً على سرية أمره بتقوى الله عز وجل في خاصة نفسه، ثم في أصحابه عامة، ثم يقول: إغز بسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ولا متبتلاً في شاهق، ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تحرقوا زرعاً وضموا غنائكم، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين» (٧٥) .

١٠ ـ استخدام الفتك:

يقول رسول الله (ص) «الإسلام قيد الفتك».

وقد رفض مسلم بن عقيل ـ ره ـ اغتيال عبيد الله بن زياد في بيت هاني بن عروة، حينما زاره في بيته، وكان مسلم متخفياً فيه، معتبراً ذلك فتكاً به..

١١ ـ شتم العدوّ، وسبابه:

في معركة صفين أخذ بعض أصحاب الإمام (ع) يسبون أعداءهم ويشتمونهم، فأرسل إليهم الإمام قائلاً:

«إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين، شتّامين، تشتمون وتتبرؤون (٧٦) ..

---

(٧٤) سورة الحشر (٥) .

(٧٥) بحار الأنوار ج ١٩ ص ١٧٧ .

(٧٦) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١١ ص ٢١ .

ولكن لو وصفتم مساوي أعمالهم، فقلتم «من سيرتهم كذا، وكذا ومن عملهم كذا وكذا» كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر.

ولو قلتم، مكان لعنكم إيّاهم وبراءتكم منهم:

اللهم أحقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغيّ والعدوان من لهج به (تعود عليه)».

وجاء في وصية الإمام (ع) لأحد قواد جيشه «لا تشتمن مسلماً ولا مسلمة فتُوجب على نفسك، ما لعلّك تؤدّب غيرك عليه».

١٢ ـ كشف العورات، والتمثيل، وهتك الأسرار:

كان يقول الإمام علي(ع) لأصحابه: «لا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل، وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً إلّا بإذني، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلّا ما وجدتم في عسكرهم» (٧٧).

١٣ ـ تهييج النساء، وإذائهن..:

يقول الإمام علي (ع): «لا تهيجوا النساء بأذى، وإن شتمن أعراضكم، وسببن أمراءكم، فإنهن ضعيفات القوى، وإن كنا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالهراوة أو الحديد فيعَّير بها وعقبه من بعده» (٧٨).

لا.. للحميّة الجاهلية

لا قتال في عصبية، أو قبلية، أو عنصرية، إلّا وهو قتال باطل، وأمر سخيف..

يقول الله تعالى: ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحميّة حمية

(٧٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٥ ص ١٠٤.
(٧٨) شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد ج ٤ ص ٢٦ وكذا نهج البلاغة كتاب رقم (١٤).

الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلَها وكان الله بكل شيء عليماً﴾ (٧٩) .

ولقد قام النظام القبلي في الجاهلية على مبدأ الغزو والنهب والثأر، وكانت العصبية القبلية تفرض مساندة الغازين، ومناصرتهم، والتغني ببطولاتهم، وغزواتهم. .

ولكن الإسلام أبطل هذا النوع من القتال، لأنه قتال جاهلية، وعصبية.

إن الله خلق الناس سواسية كأسنان المشط، فمن حاول أن يفرض عصبة على عصبة، أو شعباً على آخر، أو قوماً على قوم فهو مخالف لسنة الله، ونواميسه.

إنه قتال يزيد بن معاوية لسيد الشهداء الحسين بن علي، وهو قتال بني أمية لبني هاشم، وقتال بني العباس لأهل البيت (ع).

ومن أبرز أمثلته في التاريخ ما قام به يزيد في مدينة رسول الله (ص).

فلقد أثار مقتل الإمام الحسين (ع) أهل الحجاز، فحاصر أهل المدينة بني أمية في دار مروان بن الحكم فأرسل هذا الآخر وجماعته كتاباً إلى يزيد يقولون له: «إنّا قد حُصرنا في دار مروان بن الحكم ومنعنا الماء العذب، ورُمينا بالحبوب.

وما أن قرأ يزيد رسالتهم، حتى أخذته نخوة القبلية، واستولت عليه الحمية الجاهلية، فسيرّ إليهم مسلم بن عقبة في إثني عشر ألفاً من الرجال، وأوصاه أن يقتل المقبل والمدبر، وأن يجهز على الجريح، وأن ينهب المدينة، ويستبيحها ثلاثاً. .».

فكانت موقعة الحرّة، حيث قتل في المعركة من الأنصار، والقرشيين ثلثمائة وستة رجال، وافتضت ألف بكر، وهدمت البيوت على رؤوس أصحابها. .

---

(٧٩) سورة الفتح (٢٦) .

وهكذا تصنع الحمية الجاهلية..

يقول الإمام علي (ع): «لا تحركوا سيوفكم في هوى ألسنتكم»[٨٠].

لا للانتقام

في الإعتداء الشخصي، القصاص العادل جائز لمن اعتدى عليه فالنفس بالنفس، والعين بالعين والجروح قصاص..

وحق الانتقام هذا، إنما وضع لردع الإعتداء حتى يعرف كل من تسول له نفسه ذلك، إنه لن ينجو من العقاب..

ولكن في جهاد الأمة لأعدائها لا مجال لحب الانتقام، وسحق المغلوب لأن الهدف هنا هو كسر شوكة العدو، والقضاء على عدوانه، وتجاوز العقبات التي ينصبها في طريق المؤمنين.. وليس القضاء على وجوده.

فإذا آمن، واستسلم فلا عدوان إلا على الظالمين ولذلك فإن نفس الشخص الذي يجوز ـ وربما يجب ـ قتله ما دام في جبهة الظلم والكفر، يجب الإحسان إليه إذا وقع أسيراً بأيدي الصالحين..

يقول الله تعالى: ﴿فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم، وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً﴾[٨١].

فحينما تكون الهداية هدفاً، فلا مجال للانتقام وإراقة الدماء..

وكما أنك لا تستطيع أن تصلح الشجرة إذا قلعتها من الجذور، كذلك فأنت لا تستطيع أن تهدي إنساناً إذا قطعت رأسه..

إن الجهاد للردع، لا للانتقام، وهو لتصحيح المسيرة لا للذبح.

ومن هنا لم يعرف التاريخ أمةً كالمسلمين كانوا يتجنبون الانتقام مهما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، فالعفو عند المقدرة شيمة الرجال والعفو أقرب للتقوى..

---

(٨٠) نهج البلاغة خطبة رقم (١٩٠).

(٨١) سورة النساء (٩٠).

هكذا علمهم رسول الله (ص) الذي حورب من قبل صناديد قريش، وقُتل بأيديهم خيرة صحابته، ولكنه حينما انتصر عليهم، قال لهم: أقول لكم ما قال أخي يوسف لإخوته ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ [٨٢] «إذهبوا فأنتم الطلقاء».

فكان عفوه هذا، أعظم من كل حروبه..

غير أن الأمر لم يقتصر على هذا النموذج، بل إننا نجد في تاريخ رسول الله (ص) عشرات الحوادث التي تكشف عن إنسانية الجهاد الإسلامي، وبعده عن حب القتل والانتقام، وفيما يلي بعض النماذج.

١ ـ رجل اسمه «تمامة بن أثال بن النعمان الحنفي» كان سيد قومه، من أهل اليمامة. وكان يعادي رسول الله (ص) كأشد ما يكون، وقد حلف ذات يوم أن يغتال الرسول، وأخبره جبرئيل بما نوى الرجل، فدعى النبي أن يمكنه منه.. كما أهدر دمه للمسلمين..

واستجاب القدر، حيث اعتقلت إحدى سرايا المسلمين ثمامة، بلا عقد ولا عهد، وهو عدو مهدور الدم، وهم لا يعرفونه، وأقبلوا به على رسول الله (ص)، فلما رآه قال لهم:

«أتدرون من أخذتم؟ هذا ثمامة بن أُثال الحنفي، فأحسنوا إساره».

وأمر بربطه في عمود من أعمدة المسجد. ومن يدري. لعل الرسول أمر بهذا لكي يتأثر ثمامة بجو المسجد. وما فيه من صلاة وذكر، وما تعرضه الصلاة من مساواة وخشوع وابتهال.

ورجع الرسول إلى أهله وقال لهم: إجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به إليه. وأمر أن يسقوه من لبن ناقته صباحاً ومساءً.

ثم غدا النبي على ثمامة وقال له: مالك يا ثمام، هل أمكن الله منك؟

فأجاب: قد كان ذلك يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم (أي صاحب دم مطلوب)، وإن تعف تعف عن شاكر. وإن تسأل مالاً تعطه. وفي رواية «الطبقات

---

(٨٢) سورة يوسف (٩٢).

الكبرى» أن ثمامة قال: «إن تعاقب تعاقب ذا ذنب، وإن تعف تعف عن شاكر».
وفي رواية «السيرة النبوية» لابن كثير أن ثمامة قال: «عندي خير يا محمد. إن تقتل تقتل ذا دم. وإن تنعم تنعم على شاكر. وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت».

وعندما أجاب ثمامة بذلك تركه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ثم كرر معه مثل هذا الحوار في اليومين التاليين، وكان جواب ثمامة هو الجواب.

وكأنما لمح النبي (ص) بوادر التوبة وملامح الإنابة في نفس ثمامة، فقال لأصحابه: أطلقوه.

ثم قال النبي لثمامة: قد عفوت عنك يا ثمامة.

وخرج ثمامة من المسجد وئيد الخطى، ومضى غير بعيد، ثم اغتسل وتطهر وطهر ثيابه. وعاد مسرعاً إلى رسول الله (ص) فقال له: يا محمد. لقد كنت وما وجه أبغض إليَّ من وجهك، ولا دين أبغض إلي من دينك، ولا بلد أبغض إليَّ من بلدك، ثم لقد أصبحت وما وجه أحب إليَّ من وجهك، ولا دين أحب إليَّ من دينك، ولا بلد أحب إلي من بلدك. وإني أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

وتحقق ظن الرسول في ثمامة وفرح بإسلامه ورجا له الخير.

ويظهر أن ثمامة كان في جاهليته أكولاً، وقد حدث عقب إسلامه أن جاؤوه بما كانوا يأتونه به من طعام، فلم ينل منه إلّا قليلاً، وجاؤوه باللبن فلم ينل منه إلّا قليلاً، فعجب المسلمون من ذلك. فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

مم تعجبون؟ أمن رجل أكل أول النهار في معي كافر، وأكل آخر النهار في معي مسلم؟ إن الكافر في سبعة أمعاء، وإن المسلم يأكل في معي واحد.

ثم قال ثمامة للرسول صلى الله عليه وآله.

إنني كنت قد خرجت معتمراً وأنا على دين قومي، فأسرني أصحابك في عمرتي، فسيِّرني ـ صلى الله عليك ـ في عمرتي. (أي ائذن لي في زيارة الكعبة). فوافق الرسول على ذلك، وما كاد ثمامة يدخل مكة، وأهلها يومئذ على الشرك، حتى رفع صوته بالتلبية:

«لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

فكان أول من لبى في الإسلام كما يروى؛ وفي ذلك يقول الشاعر الحنفي:

ومنـــا الـــذي لبّى بمكـــة معلنـــاً   برغم أبي سفيان في الأشهر الحرم

وسارع المشركون فأمسكوا به، وقالوا له:

«لقد صبأت.

فقال: والله ما صبأت ولكني أسلمت، وصدقّت محمداً وآمنت به، فإن دينه خير ديـن.

فعادوا يقولون له: لقد اجترأت علينا.

وهموّا بقتله، فقال قائل منهم: دعوه.. فإنكم تحتاجون إلى اليمامة في طعامكم.

وكانت مكة تعتمد حينئذٍ على اليمامة في تموينها من القمح. فاطلقوا سراحه.

وهنا قال ثمامة: والذي نفسي بيده لا تأتيكم حبة حنطة!

وحينما عاد إلى موطنه في اليمامة، منع عن مكة ما كان يأتيها من الحنطة، فوصل الخبر إلى رسول الله (ص) وكانت لا تزال عاصمة التآمر عليه، وكان أهلها هم جنود الشر والعدوان ضده، ومع ذلك فإنه ـ صلى الله عليه وآله ـ أرسل خبراً إلى أثامة يأمره أن يعيد إلى مكة ما كان يموّلها من القمح..».

ولقد أحسن إسلام ثمامة، فمع أن قومه من «بني حنيفة» إرتدوا مع مسيلمة الكذاب، إلاّ أنه بقي على إيمانه.

وجاء في «أسد الغابة» لابن الأثير: «لما إرتد أهل اليمامة عن الإسلام لم يرتد ثمامة، وثبت على إسلامه، هو ومن اتبعه من قومه، وكان مقيماً باليمامة ينهاهم عن اتباع مسيلمة وتصديقه». وكان يقول للذين إتبعوا مسيلمة:

«إنه لا يجتمع نبيان بأمر واحد، إن محمداً رسول الله لا نبي بعده ولا نبي يشرك معه». ثم قرأ عليهم قوله تعالى: ﴿حم، تنزيل الكتاب من الله العليم، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلّا هو إليه المصير﴾[83] ثم قال: «هذا كلام الله، أين هذا من: يا ضفدع نقي، لا الشراب تمنعين، ولا الماء تكدرين والله إنكم لترون أن هذا الكلام ما خرج من إل».

وكان مما قاله لهم أيضاً:

«إياكم وأمراً مظلماً لا نور فيه، وإنه لشقاء كتبه الله عز وجل على من أخذ به منكم، وبلاء على من يأخذ به منكم، يا بني حنيفة».

* * *

وضاق ثمامة بهؤلاء الآثمين ذرعاً، ورأى أن يخرج مهاجراً مع جماعة من المسلمين إلى البحرين، فقال ثمامة لأصحابه:

«إني والله ما أرى أن أقيم مع هؤلاء وقد أحدثوا، وإن الله ضاربهم ببلية لا يقومون بها ولا يقعدون، وما أرى أن نتخلف عن هؤلاء وهم مسلمون، وقد عرفنا الذي يريدون وقد مروا بنا، ولا أرى إلّا الخروج معهم، فمن أراد منكم فليخرج».

وخرج ثمامة مع أصحابه.

وظل ثمامة وفياً ثابتاً، على الحق قائماً، حتى نال نعمة الشهادة في السنة الثانية عشرة للهجرة.

ترى.. لو كان يُقتل حينما أخذ أسيراً هل كان له ذلك الدور فيما بعد؟

* * *

٢ - «وحشي بن حرب الحبشي الحمصي» الذي كان من سودان مكة وعبيدها، وكان ماهراً في قذف الحربة، وقلّما كان يخطىء في رميته..

---

(٨٣) سورة غافر (١ - ٣).

وكان مولاه جبير بن مطعم بن عدي، وبعد غزوة بدر جاءه سيده قبيل غزوة أحد، وقال له:

«أخرج مع الناس، فإن أنت قتلت حمزة بن عبد المطلب فأنت عتيق».

وأغرته هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان أيضاً، وقالت له:

«إن أنت قتلت محمداً أو حمزة أو علياً، فلك عندي ما تريد»..

واستطاع وحشي أن يرتكب جريمته، بعد أن هرب بعض المسلمين من حول رسول الله (ص) واضطربت جبهة المسلمين في غزوة أحد.

يقول وحشي: «إني لأنظر إلى حمزة يهد النـاس بسيفه (أي يقـطع ويهدم)، وقد عثر حمزة، فانكشف الدرع عن بطنه، فهززت حربتي، حتى إذا رضيت عنها دفعتها عليه، فوقعت في ثنته (تحت سرته) حتى خرجت من بين رجليه، فأقبل نحوي فغُلب، فوقع فأمهلته حتى إذا مات، جئته فأخذت حربتي، ثم تنحيت إلى المعسكر، ولم يكن لي في شيء حاجة غيره».

وهكذا انتظر وحشي حتى انتهت أنفاس حمزة الشهيد، وانقطعت حركته وأقبل نحوه فانتزع حربته من جسم البطل الصريع، وأطلق ساقيه للريح، ثم عاد إلى أسياده يطلب منهم ثمن جريمته وهو الحرية.

واشتد الحزن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمصابه الجلل في سيد الشهداء حمزة، وحق له ذلك، فقد شاهد ما فعله فجور الكفر وتجبر الثأر في جسم الشهيد من تمزيق وتقطيع، حتى قال رسول الله (ص): «لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم».

ولكن الوحي نزل عليه قائلاً: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ [٨٤].

وعلى أية حال: فلقد وقع استشهاد «حمزة» كالكارثة على قلب رسول الله، واشتد حزنه عليه، وقد دفنه في ثيابه بدمائه التي أصيب فيها، وزاده برداً

---

(٨٤) سورة النحل (١٢٦).

مقصّر عن رجليه، فدعا له بآخر فطرحه عليه. وصلى عليه سبعين صلاةً، وكبر عليه سبعين تكبيرة!

ومضت الأيام والأعوام، وأخذت أنوار الإسلام تنتشر وتسطع وأخذت كلمة المسلمين تعز وتقوى، وتوج الله ذلك كله بأن فتح مكة على عباده المجاهدين المخلصين، فتحقق النصر الكبير.

وضاقت الأرض بما رحبت على وحشي بن حرب، فجريمته النكراء ما زالت تجلله بعارها وشنارها. وقد أصبح النبي (ص) سيد الجزيرة ومالك زمامها. ففر وحشي بجلده، وهرب إلى الطائف حتى لا يقع في يد الرسول (ص). وبينما كان وحشي في هم مقعد مقيم، ينتظر القصاص العادل ما بين يوم وآخر، جاءه أحد الناس وأخبره أن رسول الله (ص) كريم مسماح، ولا يقتل من أعلن إسلامه كائناً من كان. قال له:

ويحك يا وحشي، إنه لا يقتل أحداً من الناس دخل دينه.

وتأكد وحشي لنفسه من ذلك حتى اطمأن إليه، ثم توجه إلى النبي (ص) متخفياً، ورفع صوته بكلمة التوحيد وشهادة الإسلام، قائلاً مكرراً: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

وعرف النبي (ص) أن الذي يقف أمامه هو وحشي بن حرب قاتل حمزة، فثارت الذكرى في نفسه لمصرع عمه الشهيد: وتذكر كيف جدعوا أنفه، وقطعوا أذنيه، وبقروا بطنه، وأخرجوا كبده، وأوسعوا فيه التمثيل، وفعلوا ما فعلوا.

ثارت الذكرى الأليمة في الصدر النقي الذكي الطهور، ويا لها من ذكَرى تعصف بالجبال الرواسي. ولكن وحشياً قد دخل في الإسلام وأعلن شهادته فعصم نفسه، وغالب الرسول (ص) عاطفته، وسأل وحشياً كيف قتل حمزة، فقص عليه ما حدث.

فقال له: «غيِّب عني وجهك يا وحشي حتى لا أراك».

وقيل حينما هم وحشي بالإنصراف، قال له النبي (ص): «يا وحشي،

أخرج فقاتل في سبيل الله، كما كنت تقاتل لتصد عن سبيل الله».

ويقال أن وحشي اشترك فيما بعد في الحرب ضد مسيلمة الكذاب وفي ذلك يقول وحشي:

«لمّا خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم، وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة، فلما التقى الناس رأيت مسيلمة الكذاب قائماً في يده السيف وما أعرفه، فتهيأت له، وتهيأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى، كلانا يريده، فهززت حربتي إذا رضيت عنها دفعتها عليه، فوقعت فيه، وشد عليه الأنصاري فضربه بالسيف، فربك أعلم أينا قتله، فإن كنت قتلته فقد قتلت خير الناس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قتلت شر الناس بعده».

* * *

٣ ـ في غزوة أحد، لم يستشهد سبعون من خيرة الصحابة فحسب، بل كاد أن يستشهد النبي (ص) أيضاً، فلقد تعاهد خمسة من شجعان قريش على النيل منه وقتله. وهم:

١ ـ عبد الله الشهاب، الذي كسر جبهة رسول الله.

٢ ـ عتبة بن أبي وقاص، الذي رمى النبي (ص) باربع حصاة وكسر رباعيته اليمنى.

٣ ـ ابن قميئة الذي أصاب وجه النبي (ص)، وكسر أربعة من أسنانه الكريمة.

٤ ـ عبد الله بن حميد، الذي حاول طعنه برمحه.

٥ ـ ابن أبي خلف الذي عاجله النبي (ص) بضربة، فجرحه ثم مات فيما بعد..

ومع أن النبي (ص) قاتل في هذه الغزوة بنفسه، حتى انكسر قوسه، وانتهت سهامه، وقع على الأرض في حفرة، فإنه رفض أن يدعو على قومه..

ففي الحديث أن رجلاً قال له: «ألا تدعو عليهم يا رسول الله» فرفع النبي

(ص) طرفه إلى السماء وقال: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[٨٥] !

٤ ـ كان لرسول الله (ص) ابن عم يقال له «المغيرة بن الحارث» بن عبد المطلب ولقبه «أبو سفيان». وكان أخا النبي (ص) في الرضاع أرضعتهما حليمة السعدية، وكان أبو سفيان شاعراً، فلما ظهر الإسلام لم يستجب له، وأخذ يهجو النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقصائد شديدة من شعره الكافر. وظل على ذلك سنوات وسنوات:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة ... على النفس من وقع الحسام المهند

ولقد روى الأصفهاني في «الأغاني» أن محمد بن سيرين قال: كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة رهط من قريش. عبد الله بن الزبعري، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعمرو بن العاص.

ثم قال النبي للأنصار: ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟

فقال حسان بن ثابت: أنا لها. وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسرني به مقول بين بُصْرى وصنعاء.

فقال له النبي: كيف تهجوهم وأنا منهم؟

قال حسان: إني أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين.

فكان ثلاثة من الأنصار يهجون المشركين، وهم حسان بن ثابت وكعب ابن مالك، وعبد الله بن رواحة، فكان حسان وكعب يعارضان المشركين بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر، ويعيرانهم بالمثالب، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر.

ثم ان للباغي أن يرتدع، وللضال أن يهتدي، فأضاءت شعلة الإيمان في صدر أبي سفيان المغيرة بن الحارث قبيل فتح مكة، وتوجه إلى الرسول (ص) ليعلن إسلامه، بعد تلك العداوة الشديدة الشرسة المسرفة، فلما صار أمام وجهه، وعرفه النبي (ص) أعرض عنه بوجهه، فتحول حتى صار في المواجهة،

---

(٨٥) كنز العمال خبر (٢٩٨٨٣).

فأعرض عنه الرسول مرة ثانية. فأخذ المغيرة يردد كلمة الشهادة ويعتذر إلى الرسول، فعفا عنه وقبل منه، وقال لابن عمه علي: يا علي، بصّر ابن عمك الوضوء والسنة، ورح به إلي (أي عد به).

ففعل علي ما أُمر به، وحسن إسلامه، وأخلص لله دينه، فأمر الرسول علياً بأن ينادي في الناس قائلاً: ألا إن الله ورسوله قد رضيا عن أبي سفيان بن الحارث فارضوا عنه.

ويروى أن أبا سفيان هذا حينما انشرح صدره للإسلام جاءه الإمام علي بن أبي طالب، ونصحه بأن يأتي النبي من قبل وجهه، ويقول له: ﴿تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ـ . وفعل أبو سفيان ذلك، فقال له الرسول: ـ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ [٨٦] . فأنشده أبو سفيان أبياتاً منها قوله:

لعمرك إني يوم أحمل راية لتغلب خيلُ اللات خيلُ محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله فهذا أواني حين أُهدي فأهتدي

وبدأ المغيرة بن الحارث مرحلة التكفير والتطهير، فأقبل يهجو الشرك وأهله، مقابل هجوه المسلمين بالأمس، وشهد مع رسول الله غزوة فتح مكة، وغزوة حنين، وغزوة الطائف، وكان ممن ثبت ـ ومعه ابنه جعفر ـ إلى جوار النبي في غزوة حنين، عندما انكشف عنه من انكشف من الناس.

ولقد سئل البراء فقال له: يا أبا عمارة، أوليتم يوم حنين؟ فأجاب: أشهد أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يول يومئذ، كان يقود بغلته أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فما رئي من الناس أحد يومئذ أشد منه.

ولقد كانت غزوة حنين درساً قاسياً للمسلمين، ولكن المغيرة بن الحارث

---

(٨٦) سورة يوسف (٩١ ـ ٩٢).

شهر سيفه، وجعل يدافع به عن رسول الله، ويفديه بنفسه، ورأى العباس هذا الصنيع، فقال للنبي معجباً: يا رسول الله، هذا أخوك وابن عمك أبو سفيان ابن الحارث، فارض عنه.

فقال النبي: قد فعلت فغفر الله له كل عداوة عادانيها.

وقال أبو سفيان من شعره يوم حنين:

إن ابن عم المرء من أعمامه
بني أبيه، قوة من قدامه
يقاتل الحرمي عن إحرامه
يقاتل المسلمُ عن إسلامه

والعجيب أن أبا سفيان هذا كان له أخ سبقه إلى الإسلام، واسمه «نوفل بن الحارث» وقد ترجم له ابن سعد في الطبقات، وكان نوفل شاعراً، وكانت أنفاسه في الشعر قريبة من أنفاس أخيه، فمن شعر نوفل قوله:

حرام علي حرب أحمد، إنني ... أرى أحمداً مني قريباً أواصره
وإن تك فهر ألبت وتجمعت ... عليه فإن الله لا شك ناصره

وقال نوفل أيضاً بعد أن أسلم: موجهاً حديثه إلى المشركين:

إليكم إليكم، إنني لست منكم ... تبرأت من دين الشيوخ الأكابر
لعمرك ما ديني بشيء أبيعه ... وما أنا إذ أسلمت يوماً بكافر
شهدت على أن النبي محمداً ... أتى بالهدى من ربه والبصائر
وإن رسول الله يدعو إلى التقى ... وإن رسول الله ليس بشاعر
على ذاك أحيا، ثم أبعث موقناً ... وأثوي عليه ميتاً في المقابر

ومع أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد عفا عن المغيرة ابن الحارث وغفر له، وأمر علياً بإعلان ذلك بين الناس، ظل بعد ذلك لا يستطيع أن يرفع رأسه في وجه الرسول الأكرم حياء منه، وواصل التكفير عن ماضيه بكثرة الصيام والصلاة والعبادة والجهاد، وتغيرت حاله تغيراً كلياً، فقد محصه الإخلاص تمحيصاً، وطهرته التوبة الصادقة تطهيراً، وأعزته التقوى إعزازاً،

وشرفه صدق الكفاح والنضال تشريفاً، وواصل الكفاح بلسانه وسنانه وجنانه.

ولذلك حزن حزناً شديداً حينما توفي رسول الله(ص)، وقال فيه رثاء بليغاً منه قوله:

أرقت فبات ليلي لا يزول	وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء، وذاك فيما	أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت	عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها	تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا	يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه	نفوس الناس، أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا	بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالاً	علينا، والرسول لنا دليل
أفاطم إن جزعت فذاك عذر	وإن لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر	وفيه سيد الناس الرسول

* * *

وتوالت السنون بعد وفاة رسول الله (ص)، وأبو سفيان ابن الحارث يوالي خطواته في سبل الخير والبر والنضال وبينما كان يؤدي الحج ازدياداً من الطاعة، أصيب بجرح في رأسه، وكان سبب موته بعد أيام. وكان يقول قبيل وفاته لأهله: «لا تبكوا عليَّ فإني لم أتنطف بخطيئة منذ أسلمت» ومعنى: «لم أتنطف». لم أتلطخ بعيب، ولم أتهم بريبة.

ومن عجيب ما حدث أنه تولى حفر قبره بنفسه، وكان أخوه نوفل بن الحارث قد مات قبله بقليل، فدعا أبو سفيان فقال: «اللهم لا تبقني بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا بعد أخي، وأتبعني إياهما».

وجاء في رواية أن عقيل بن أبي طالب رأى أبا سفيان بن الحارث يجول بين المقابر.

فقال له: يا بن عمي، ما لي أراك هنا؟ فقال: أطلب موضع قبري.

فأدخله داره، وأمره بأن يحفر في قاعها قبراً، ففعل، فقعد عليه أبو سفيان ساعة ثم انصرف.

فلم يلبث إلّا يومين حتى مات، فدفن فيه.

* * *

٥ ـ ثم إن التاريخ لا يتذكر رجلاً كان أشد على رسول الله (ص) وأخطر على الإسلام من «أبي سفيان بن حرب».

فقد وُصف بـ «شيخ المؤلبين على رسول الله (ص)».

وكان المحرض الأول على المسلمين.. وقائد جيوش الكفر في معظم حروب قريش ضد الرسالة..

وإليه تعود معظم المؤامرات التي دبرت لقتل رسول الله (ص) والنيل منه ومن صحابته. كما كان لزوجته «هند بن عتبة» دور كبير في التأليب والتحريض والمواجهة مع المسلمين..

ولو حوكم أبو سفيان، لوجهت له مجموعة كبيرة من التهم منها:

١ ـ التحريض، والتخطيط، والشروع في محاولة اغتيال رسول الله (ص) أكثر من مرة.

٢ ـ تهجير رسول الله والمسلمين معه.

٣ ـ شن الحروب على المسلمين، وقتل الكثير منهم.

٤ ـ محاصرة النبي (ص) والصحابة، وشن حرب اقتصادية عليه.

٥ ـ اتهام النبي (ص) بأقذر التهم، وشن حرب إعلامية شرسة ضده..

ومع كل هذه الجرائم.. ومع أن أبا سفيان أسلم خوفاً من الموت، قبيل فتح مكة، وظل يتآمر في خفاء على الرّسالة.

فإن رسول الله، لم يقبل منه إسلامه فحسب، بل أمر من ينادي في مكة: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن».

* * *

هذا.. ولقد نهتنا الروايات عن الانتقام، باعتباره عملاً مشيناً.

يقول الإمام علي (ع): «المبادرة إلى الانتقام من شيم اللئام..».

ويقول: «أقبح أفعال المقتدر الانتقام».

ويقول: «من انتقم من الجاني أبطل فضله في الدنيا وفاته ثواب الآخرة..».

كما أمرتنا الروايات بالعفو بعد المقدرة..

يقول الإمام علي (ع): «العفو زكاة الظفر..» [٨٧].

ويقول: «العفو زين القدرة.. وأحسن الانتصار» [٨٨].

ويقول: «المبادرة إلى العفو من أخلاق الكرام».

ويقول: «أولى الناس بالعفو، أقدرهم على العقوبة» [٨٩].

ويقول: «أحسن من استيفاء حقك، العفو عنه».

ويقول: «شيئان لا يوزن ثوابهما: العفو والعدل» [٩٠].

ويقول: «قلة العفو أقبح العيوب، والتسرع إلى الانتقام أعظم الذنوب» [٩١]

ويقول: «لا تندمن على عفو، ولا تبجّحن بعقوبة» [٩٢].

ويقول: «لا يقابل مسيء قط بأفضل من العفو عنه».

لا.. للغرور

الغرور آفة الانتصار، كما أن اليأس آفة الهزيمة.

وبمقدار ما يكون اليأس قاتلاً، يكون الغرور كذلك، فهما طرفي الإفراط والتفريط بالنسبة إلى الثقة بالنفس..

والمجاهدون قد يُصابون بالغرور ليس نتيجة انتصارهم، بل قبل ذلك

(٨٧) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٦٩.
(٨٨) غرر الحكم.
(٨٩) بحار الأنوار ج ٧١ ص ٤٢١.
(٩٠) غرر الحكم.
(٩١) غرر الحكم.
(٩٢) نهج البلاغة كتاب (٥٣).

أيضاً، حيث يُعجبون بما هم عليه من التفرغ للجهاد، أو التفوق في العتاد والرجال..

والعجب يؤدي بصاحبه إلى الخيلاء، وتحقير غيره، والزهو والتكبر، وكلّها صفات لا تعود لصاحبها إلّا بالاخفاق..

ومن هنا كان العجب والغرور من وعود الشيطان..

يقول الله تعالى: ﴿يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ (٩٣)

ويقول: ﴿يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾ (٩٤).

ويعتبر الغرور من وعود الظالمين، يقول تعالى: ﴿إنْ يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً﴾ (٩٥).

ولقد كان سقوط آدم وحواء في المعصية نتيجة غرورهم، يقول تعالى: ﴿فدلّاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سؤاتهما﴾ (٩٦).

وأساساً الغرور مطية إبليس لخداع الآدميين: ﴿وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور﴾ (٩٧). ﴿إن الكافرون إلّا في غرور﴾ (٩٨). ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا﴾ (٩٩).

وإذا كان العجب والغرور مضرين في الحالات العادية فهما في الجهاد قائلان..

إذ لا يجوز أن يجاهد الإنسان بعجبه أو غروره، بل بسلاحه وإيمانه وإرادته..

ولهذا جاءت عشرات الأحاديث التي تحذر من الغرور سواء في حالات السلم أم في حالات الحرب.

---

(٩٣) سورة النساء (١٢٠).

(٩٤) سورة الإنعام (١١٢)+.

(٩٥) سورة فاطر (٤٠).

(٩٦) سورة الأعراف (٢٢).

(٩٧) سورة الحديد (١٤).

(٩٨) سورة الملك (٢٠).

(٩٩) سورة الأنعام (٧٠).

وفيما يلي بعضها: يقول الإمام علي (ع): «سكر الغفلة والغرور، أبعد إفاقة من سكر الخمور».

ويقول: «غرور الأمل يفسد العمل . .»[100] .

ويقول: «جماع الغرور في الإستنامِة إلى العدوّ . .»[101] .

ويقول الإمام الصادق (ع): «من وثق بثلاثة كان مغروراً: من صدّق بما لا يكون، وركن إلى من لا يثق به، وطمع فيما لا يملك»[102] .

ويقول الإمام علي (ع): «من جهل اغتر بنفسه، وكان يومه شراً من أمسه»[103] .

ويقول: «من اغتر بمسالمة الزمن، اغتص بمصادمة المحن»[104] .

ويقول: «طوبى لمن لم تقتله قاتلات الغرور»[105] .

ويقول: «لا حزم مع غرة».

من هنا فإن على المجاهد أن يترك أعماله تزكيه ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾[106] ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾[107] .

يقول رسول الله (ص): «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه».

ويقول: «كفى بالمرء جهلاً إذا أعجب برأيه».

ويقول: «إن العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».

وكم من المعارك التي خسرها طرف بسبب غروره وعجبه وربحها طرفِ آخر بنظرته الواقعية، واتهامه لنفسه، وإرادته التي لا تعرف الملل والكلل. .

ألم يحدث ذلك في غزوة حنين، التي دخل العجب نفوس المسلمين حتى قالوا: «لن نُغلب اليوم عن قلة» فكانت الهزيمة كما يقول تعالى: ﴿ويوم

---

(١٠٠) غرر الحكم .

(١٠١) غرر الحكم .

(١٠٢) بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٢٣٢ .

(١٠٣) غرر الحكم .

(١٠٤) غرر الحكم .

(١٠٥) غرر الحكم .

(١٠٦) سورة النجم (٣٢) .

(١٠٧) سورة فاطر (٨) .

إن الحالة النفسية للمغرور، لا تسمح له بأن يدرك الحقائق، فإذا وقعت المواجهة، يفاجأ بتفوق العدو، ولا يملك حينئذٍ خياراً إلّا قبول الهزيمة. .

حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾ [١٠٨].

لقد جاءت غزوة حنين، بعد سلسلة من الانتصارات التي أحرزها المسلمون، خاصة فتح مكة، الذي أدى إلى توحيد شبه الجزيرة العربية كلها تحت لواء الإسلام، ولم يبق على الشرك إلّا قسم من القبائل، كقبيلتي هوازن وثقيف، وكان من الواضح أنّ قضية إسلام هذه القبائل كانت قضية وقت لا أكثر، بعد انهيار أكبر للحصن: أي مكة. ولانهيار أكبر عدو للمسلمين: أي قريش.

ولكن ما إن سمعت هوازن وثقيف وقسم من القبائل الأخرى بفتح مكة حتى قررت أن تقوم بغزو المسلمين، وأخذت تحشد قواتها في منطقة الطائف. .

فحشد المسلمون أكثر من إثني عشر ألف مقاتل، وتحركوا باتجاه حنين، واغتروا بكثرتهم حتى قالوا: «لن نغلب اليوم من قلّة»، غير أنهم لم يدخلوا وادي حنين فجراً حتى إنهالت عليهم نبال المشركين، من مواقعهم في التلال المحيطة بالوادي، مما أدى إلى إرباك المسلمين، وفزعهم، فانسحبت مقدمتهم، وجرفت أمامها القوات الأخرى فانقلب إنسحابهم إلى هزيمة، حيث ازدحمت المسالك بالسابلة، واختلطت القبائل ببعضها، وركبت الإبل على الإبل.

ورأى أبو سفيان هذه الهزيمة، فارتاح لها وقال: «لا تنتهي هزيمتهم دون البحر».

وثبت رسول الله (ص) ومعه سبعة من أصحابه فقط وهم: العباس بن عبد

---

(١٠٨) سورة التوبة (٢٥ ـ ٢٦).

المطلب، وعلي بن أبي طالب، وأبو سفيان بن الحارث، وعقيل بن أبي طالب، وعبد الله بن الزبير، والزبير بن العوام، وأسامة بن زيد».

وأخذ النبي (ص) يصرخ في جموع المسلمين الهاربة قائلاً: «إلى أين أيها الناس.. هلموا إليّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله.. أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»(١٠٩).

وقال لعمه العباس، يا عم.. أعنا بصوتك.. فأخذ العباس يصرخ في المسلمين: يا معشر الأنصار.. يا أصحاب البيعة يوم الحديبية..

وهكذا بدأ المسلمون بالتجمع من جديد حول رسول الله (ص) وصمدوا في مواضعهم حتى فتر المشركون، وكان النهار قد طلع، فتركوا مواضعهم التي كانوا قد احتلوها، فأدى صمود المسلمين العنيد إلى إيقاع بعض الخسائر بالمشركين، مما أدى إلى انهيارهم، وتراجعهم، ومع ازدياد عدد المسلمين الصامدين، بدأوا الهجوم المضاد، فانسحب المشركون من ميدان المعركة تاركين وراءهم نساءهم وأبناءهم غنيمة للمسلمين. ولم يكن للمشركين ساقة لحماية الانسحاب. فانقلب انسحابهم إلى هزيمة..

وهكذا فإن غرور المسلمين بكثرتهم انقلب إلى هزيمة في البداية، وكانت خسائرهم كبيرة جداً..

كما أن غرور المشركين، هو الآخر أدى بهم إلى هزيمة محققة في النهاية..

ويبدو أن هزيمة المسلمين في هذه الغزوة، كان ضرورياً لمنعهم من السقوط في حبائل الغرور الذي أصيبوا به نتيجة انتصارهم بفتح مكة..

ومن الملاحظ أن رسول الله (ص) في غزواته وحروبه، لم يكن منتصراً دائماً من الناحية العسكرية، بل كثيراً ما أصيبت قواته بالهزيمة، أو نصف هزيمة على الأقل.. وغالباً ما كانت تأتي هذه الهزائم بعد انتصار سابق..

فبعد غزوة بدر التي خرج منها رسول الله (ص) منتصراً، جاءت غزوة أحد

---

(١٠٩) كنز العمال خبر (٣٠٢١٤).

التي مني فيهـا المسلمون بـالهـزيمـة، وخسـروا سبعين شهيـداً من خيـرة الأصحاب . .

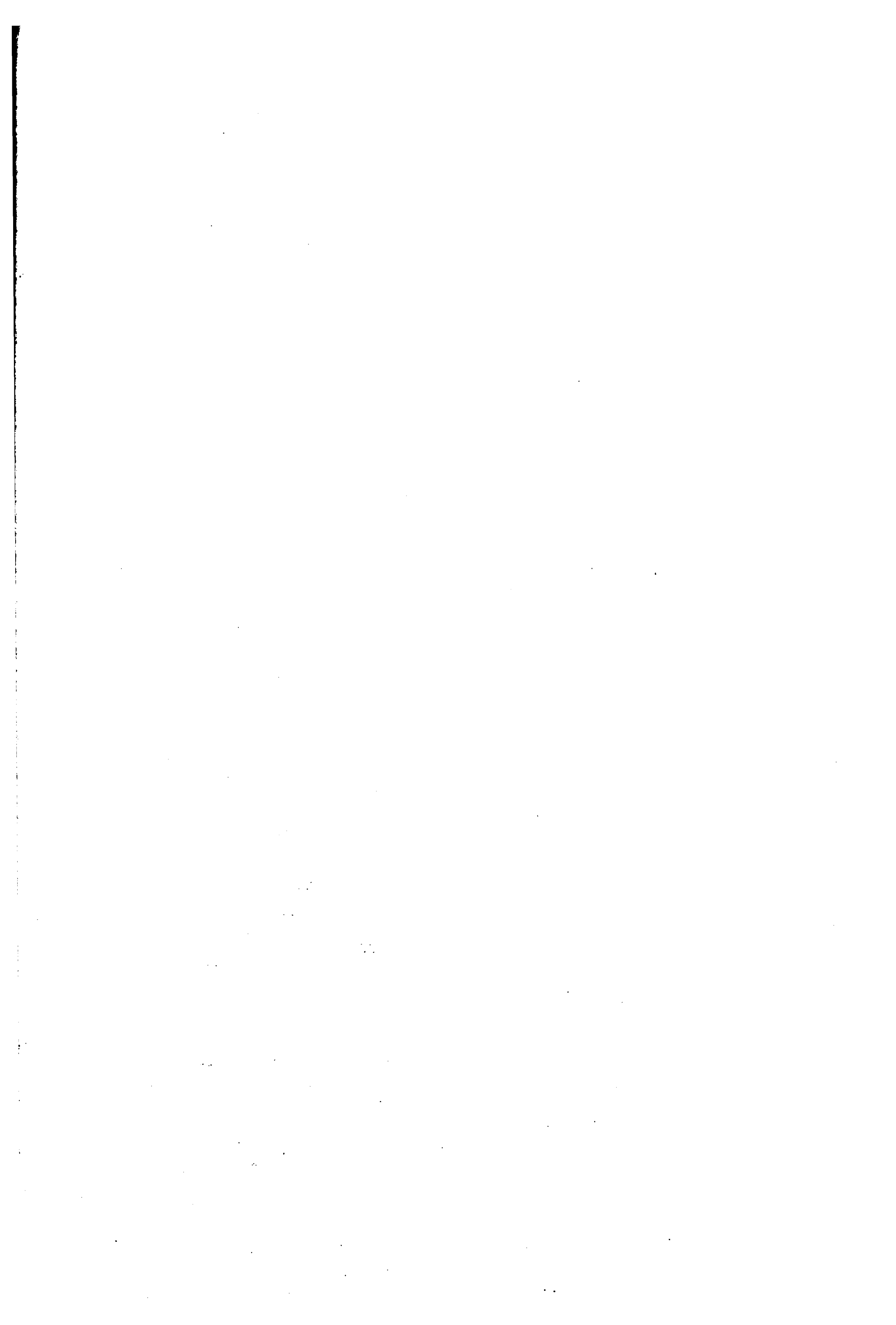
وبعد غزوات وسرايا النبي (ص) الناجحة عقب صلح الحديبية جاءت غزوة مؤتة التي قتل فيها قادة الجيش الإسلامي كلهم وبعد فتح مكة، كانت هزيمة الحنين . .

وبعد خضوع الجزيرة العربية للمسلمين، ودخول الناس أفواجاً في دين الله، جاءت غزوة تبوك . .

وهكذا . .

ترى . . إذا كان أصحاب رسول الله (ص) يُصـابون بالهزيمة بسبب الغرور، فكيف بغيرهم؟

حقاً إن الغرور حرام على المجاهدين، كحرمة اليأس والقنوط . .

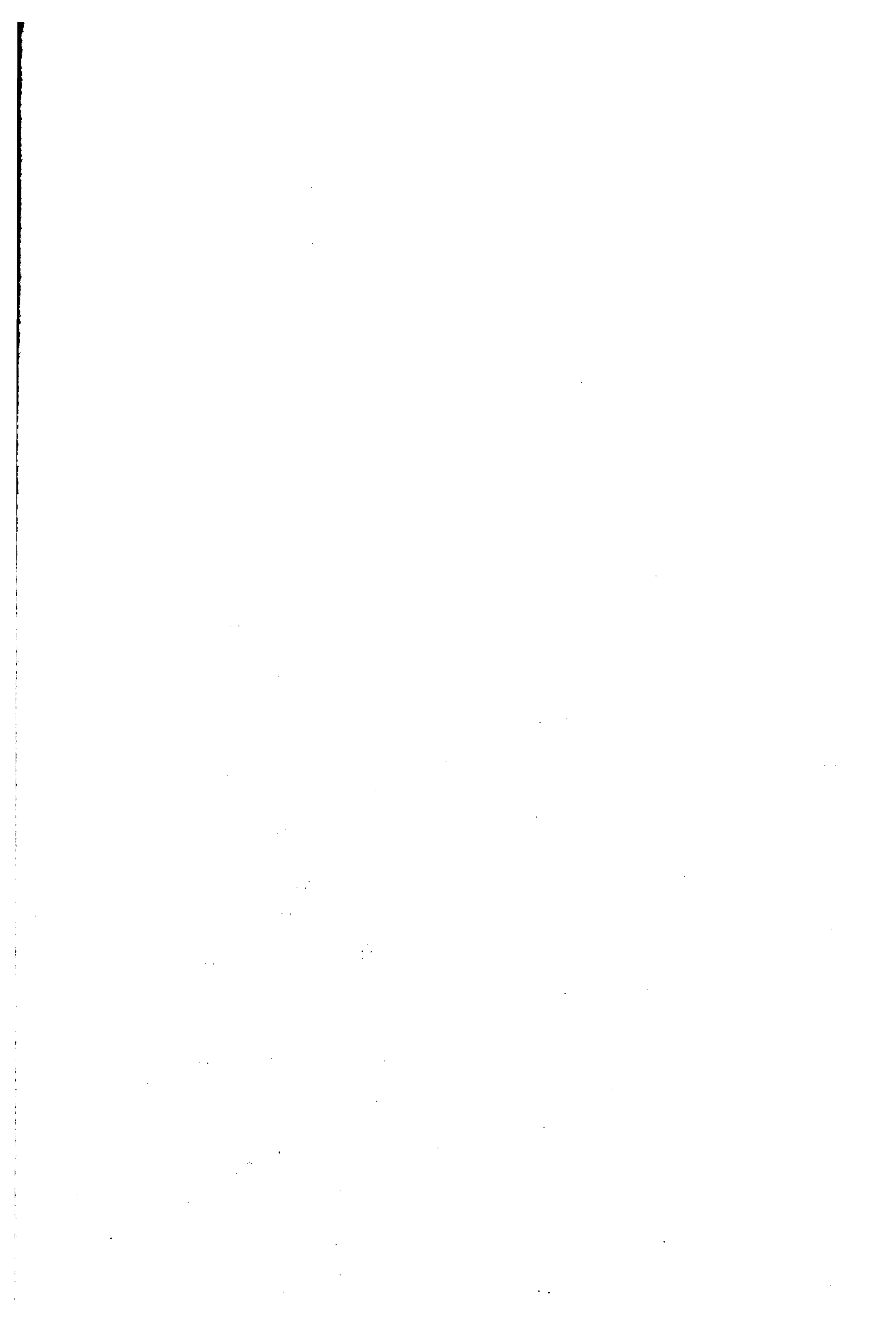


١٥

نماذج من جهاد رسول الله (ص)

١ ـ غزوة بدر الكبرى

٢ ـ غزوة تبوك



١ ـ غزوة بدر الكبرى
«ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة»

التاريخ: ١٧ /رمضان/ ٢ هجرية.
الموافق: ١٢/٣/٦٢٤ ميلادية.
اليوم: الجمعة.
عدد المسلمين: ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً.
عدد المشركين: تسع مئة وخمسون رجلاً.

العتاد: لدى المسلمين فرسان فقط، وسبعون بعيراً (يتعاقب الرجلان والثلاثة والأربعة على البعير الواحد) وستة أدرعة.
لدى المشركين مائتا فرس وعدد كبير من الإبل لركوبهم وحمل أمتعتهم.
شعار المسلمين: يا منصور أمت..
النتائج: انتصار ساحق للمسلمين.
قتل سبعين رجلاً من المشركين، وأسر سبعين آخرين.
استشهاد أربعة عشر رجلاً من المسلمين.

أمر رسول الله (ص) بقتل أسيرين، لأنهما كانا شديدي العداوة للرسالة وأصحابها، وقد شاركا بصورة مباشرة في التنكيل والتعذيب للمسلمين الذين بقوا في مكة بعد هجرة رسول الله (ص).
أما البقية فقد قبل الفدية فيهم.

آيات حول بدر[1].

﴿قل للّذين كفروا ستُغلبُون وتُحشرون إلى جهنّمَ وبئس المهادُ، قد كان لكم آيةٌ في فئتين إلتقتا فئةٌ تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرةٌ يرونهم مثلَيهم رأيَ العينِ والله يؤيّدُ بنصرِه من يشاءُ إنّ في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلّة فاتّقوا الله لعلّكم تشكرون، إذ تقولُ للمؤمنينَ ألن يكفيكم أن يمدّكم ربُّكم بثلاثةِ آلافٍ من الملائكةِ منزلين﴾[3].

﴿ألم تر إلى الّذين قيل لهم كفّوا أيديَكم وأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ فلمّا كُتب عليهم القتالُ إذا فريقٌ منهم يخشون الناسَ كخشيةِ اللهِ أو أشدّ خشيةً وقالوا ربّنا لمَ كتبت علينا القتالَ لولا أخّرتنا إلى أجلٍ قريب قل متاعُ الدنيا قليلٌ والآخرة خيرٌ لمن اتّقى ولا تُظلمون فتيلا (٧٧) ، أينما تكونوا يُدرِككُم الموتُ ولو كنتم في بروجٍ مشيّدةٍ وإن تُصبْهم حسنةٌ يقولوا هذه من عند الله وإن تُصبهم سيّئةٌ يقولوا هذه من عندِك قل كلٌّ من عند الله فما لهؤلاء القومِ لا يكادون يفقهون حديثاً﴾ (٧٨)[4].

﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفالُ لله والرسول﴾[5].

إلى قوله سبحانه:

﴿كما أخرجك ربُّك من بيتك بالحقّ وإنّ فريقاً من المؤمنين لكارهون (٥) ، يجادلونك في الحقّ بعدما تبيّن كأنّما يُساقُونَ إلى الموت وهم ينظرون (٦) ، وإذ يَعِدُكُم الله إحدى الطائفتين أنّها لكم وتودّون أنّ غيرَ ذاتِ الشوكةِ تكونُ لكم ويُريدُ الله أن يحقّ الحقّ بكلماتِهِ ويقطعَ دابرَ الكافرين (٧) ،

---

(١) بحار الأنوار ج ١٩.

(٢) سورة آل عمران (١٢ ـ ١٣).

(٣) سورة آل عمران (١٢٣ ـ ١٢٤).

(٤) سورة النساء (٧٧ ـ ٧٨).

(٥) سورة الأنفال (١).

ليحقّ الحقّ ويُبطلَ الباطلَ ولو كَرِهَ المجرِمون (٨) ، إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنّي مُمِدّكُم بألف من الملائكة مُردِفِينِ (٩) ، وما جعله الله إلاّ بشرى ولتطمئنّ به قلوبُكم وما النصرُ إلاّ من عند الله إنّ الله عزيز حكيمٌ (١٠) ، إذ يُغشِّيكم النعاسُ أمنةً منه وينزّلُ عليكم من السماء ماءً ليطهّركم به ويُذهب عنكم رجزَ الشيطانِ وليربطَ على قلوبِكم ويثبّت به الأقدام (١١) ، إذ يُوحِي ربُّك إلى الملائكة أنّي معكم فثبتوا الذين آمنوا سأُلقي في قلوب الذين كفروا الرعبَ فاضربوا فوق الأعناق وإضربوا منهم كلَّ بنان (١٢) ، ذلك بأنّهم شاقّوا الله ورسوله ومن يُشاقِقَ الله ورسولَه فإنّ الله شديدُ العقاب (١٣) ، ذلكم فذوقوه وأنّ للكافرين عذابَ النار (١٤) ، يا أيّها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تُولّوهُم الأدبار (١٥) ، ومن يُولِّهم يومئذٍ دُبُرَهُ إلاّ متحرّفاً لقتالٍ أو متحيّزاً إلى فئةٍ فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنّمُ وبئسَ المصير (١٦) ، فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم وما رميتَ إذ رميتَ ولكنّ الله رمى وليُبليَ المؤمنينَ منه بلاءً حسناً إن الله سميعٌ عليم (١٧) ، ذلكم وأنَّ الله موهنٌ كيدِ الكافرين (١٨) ، إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خيرٌ لكم وإن تعودوا نَعُد ولن تُغني عَنكم فئتُكم شيئاً ولو كَثُرت وأنّ الله مع المؤمنين﴾ (١٩) [٦] .

وقال سبحانه: ﴿إنّ الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله فسينفقونها ثمّ تكونُ عليهم حسرةَ ثمّ يُغلبون﴾[٧].

إلى قوله تعالى: ﴿ليميزَ الله الخبيث من الطيّبِ ويجعلَ الخبيثَ بعضَه على بعضٍ فيَركُمَه جميعاً فيجعلَه في جهنّمَ أُولئك هم الخاسرون، قل لّلذين كفروا إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنّةُ الأوّلين﴾[٨].

وقال سبحانه: ﴿واعلموا أنما غنِمتُم من شيء فأنّ لله خُمُسَه وللرسولِ

---

(٦) سورة الأنفال (٥ ـ ١٩).

(٧) سورة الأنفال (٣٦).

(٨) سورة الأنفال (٣٧ ـ ٣٨).

ولذي القربى واليتامى والمساكين وابنِ السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفُرقان يوم التقى الجمعان والله على كلّ شيء قدير (٤١) ، إذ أنتم بالعُدوة الدنيا وهم بالعُدوة القصوى والركبُ أسفلَ منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليَقضيَ الله أمراً كان مفعولاً ، ليَهلِكَ من هَلَكَ عن بيّنةٍ ويحيى من حَيَّ عن بيّنةٍ وإنّ الله لسميعٌ عليم (٤٢) ، إذ يُريكَهُم الله في منامِك قليلاً ولو أريكهم كثيراً لفَشِلتُم ولتنازعتُم في الأمر ولكنّ الله سلّم إنّه عليمٌ بذات الصُدور (٤٣) ، وإذ يُريكُمُوهُم إذا إلتقَيتُم في أعينكم قليلاً ويُقلّلكُم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله تُرجعُ الأمور (٤٤) ، يا أيّها الّذين آمنوا إذا لقيتم فئةً فاثبُتوا واذكروا الله كثيراً لعلّكم تُفلحون (٤٥) ، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشَلوا وتذهبَ ريحُكم واصبروا إنّ الله مع الصابرين (٤٦) ، ولا تكونوا كالّذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاءَ الناسِ ويصدّون عن سبيل الله والله بما يعملون محيطٌ (٤٧) ، وإذا زَيَّن لهم الشيطانُ أعمالَهم وقال لا غالبَ لكم اليومَ من الناس وإنّي جارٌ لكم فلمّا تراءتِ الفئتانِ نكصَ على عقبيه وقال إنّي بريءٌ منكم إنّي أرى ما لا ترون إنّي أخافُ (٤٨) . . . ومن يتوكّل على الله فإنّ الله عزيزٌ حكيم (٤٩) ، ولو ترى إذ يَتَوفَّى الّذين كفروا الملائكةُ يَضرِبُون وجوهَهُم وأدبارَهم وذُوقُوا عذابَ الحريق (٥٠) ، ذلك بما قدّمت أيدِيكم وأنّ الله ليس بظلّام للعبيد﴾ (٥١) [٩] .

وقال سبحانه : ﴿ما كان لنبيّ أن يكونَ له أسرى حتّى يُثخِنَ في الأرض تُريدون عرضَ الدنيا والله يُريدُ الآخرة والله عزيز حكيم (٦٧) ، لولا كتابٌ من الله سبقَ لمَسَكم فيما أخذتُم عذابٌ عظي (٦٨) ، فكُلُوا ممّا غَنِمتم حلالاً طيّباً واتّقوا الله إنّ الله غفور رحيم (٦٩) ، يا أيّها النبيُّ قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يَعلم الله في قلوبكم خيراً يُؤتِكم خيراً ممّا أُخذ منكم ويَغفِر لكم والله غفور

---

(٩) سورة الأنفال (٤١ ـ ٥١).

رحيم (٧٠) ، وإن يُرِيدُوا خِيانَتَك فقد خانوا الله من قبلُ فأمكن منهم والله عليم حكيم﴾ (٧١) [١٠] .

﴿هذان خصمان اختصموا في ربّهم فالّذين كفروا قطّعت لهم ثياب من نار﴾[١١] .

□ بعد ثلاثة عشر عاماً من المبعث النبوي الشريف، هاجر رسول الله (ص).

وبعد تسعة عشر شهراً من الهجرة، خاض معركة بدر الكبرى.

وبين تاريخ الهجرة ومعركة بدر، حدثت ثمان محاولات عسكرية من قبل المسلمين للتصدي للمشركين، ولم يحدث أي اصطدام مباشر بين الطرفين إلا في الأخيرة منها.

حيث بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سريّة من المسلمين فأمّر عليهم عبد الله بن جحش الأسدي وهو ابن عمّ النبيّ (ص)، وذلك قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهراً من مقدمة المدينة.

فانطلقوا حتّى هبطوا نخلة فوجدوا بها عمرو بن الحضرميّ في عير تجارة لقريش في آخر يوم جمادي الآخرة. وكانوا يرون أنّه من جمادي وهو رجب، فاختصم المسلمون فقال قائل منهم:

هذا غرَّة من عدوّ وغنم رزقتموه فلا ندري أمن الشهر الحرام هذا اليوم أم لا؟

فقال قائل منهم: لا نعلم هذا اليوم إلّا من الشهر الحرام، ولا نرى أن تستحلّوه لطمع أشفيتم عليه، فشدوّا على ابن الحضرميّ فقتلوه وغنموا عيره، فبلغ ذلك كفّار قريش.

وكان ابن الحضرميّ أوّل قتيل قتل بين المشركين والمسلمين، وذلك أوّل فيء أصابه المسلمون، فركب وفد كفّار قريش حتّى قدموا على النبيّ (ص)،

---

(١٠) سورة الأنفال (٦٧ ـ ٧١).

(١١) سورة الحج (١٩).

فقالوا: أيحلّ القتال في الشهر الحرام؟ فأنزل الله هذه الآية[١٢].

﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفرٌ به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾[١٣].

أرى أن هنالك ثلاثة أهداف استراتيجية كان يتوخاها المسلمون، من وراء هذه المحاولات الثمان العسكرية:

١ ـ إبراز المسلمين كقوة دينية وسياسية وعسكرية في الجزيرة العربية، وذلك عبر كسر شوكة العدو اللدود الذي يتربص بهذه القوة الجديدة الدوائر، ويحمل هدف القضاء عليها. ولا يدّخر جهداً في التشويه الإعلامي ضدها.

٢ ـ ضرب حصار اقتصادي على قريش، عبر تهديد قوافلها التجارية، وهذا بدوره كان يساهم بصورة كبيرة في زعزعة قوة قريش، خصوصاً وأن قريش تساهم كلها في هذه التجارة، كما أن هذا المصدر الاقتصادي، يعتبر المصدر الأول والأساس بالنسبة لهم.

٣ ـ إرجاع الممتلكات التي صادرها المشركون من مسلمي مكة، وهي ثروة مهمة جداً بالنسبة للمسلمين حينذاك، حيث أن المهاجرين اقتسموا العيش مع الأنصار بالمدينة، مما ضيق الاقتصاد العام للمسلمين. ولمّا كان المسلمون لا يقدرون على إرجاع ممتلكاتهم من مكة، ولا يسمح لهم القرشيون المشركون بالرجوع إليها، إضطر المسلمون لمهاجمة القوافل التجارية، كحل وحيد لاسترداد حقوقهم.

وجاءت غزوة بدر الكبرى لتكون المرحلة الحاسمة لتحقيق هذه الأهداف، ولمّا فاتت المسلمين القافلة التجارية التي قادها أبو سفيان، كان لا بد من المعركة.

في أوائل الخريف من السنة الثانية هجرية، خرج أبو سفيان بن حرب في قافلة تجارية كبيرة إلى الشام ساهم فيها كل فرد من قريش، وقد أراد المسلمون اعتراضها، عند ذهابها إلى الشام، ولكنها تملصت منهم. وقد أخبر رسول الله

---

(١٢) بحار الأنوار ج ١٩.

(١٣) سورة البقرة (٢١٧).

(ص) المسلمين أن الله وعده إحدى الطائفتين إما العير أو قريش. إن ظفر بهم.

وتحيّن رسول الله (ص) عودة القافلة من الشام، وبعث سرية استطلاع لتوافيه بآخر أخبارها أولاً بأول. وجاء الخبر لرسول الله (ص) أن القافلة راجعة إلى مكة عبر الطريق الذي يمر ببدر. فحرّض المؤمنين للخروج لملاقاة القافلة التجارية.

وفي الثامن من شهر رمضان المبارك، تحرك المسلمون من المدينة المنورة باتجاه بدر، وكانوا بالترتيبات العسكرية التالية:

١ ـ دورة استطلاع أمامية للحصول على المعلومات عن اتجاهات القافلة التجارية ونيات قريش.

٢ ـ القسم الأكبر مؤلف من كتيبتين: كتيبة المهاجرين ورايتها مع الإمام علي (ع)، وكتيبة الأنصار ورايتها مع سعد بن معاذ، وكانتا ـ الرايتان ـ سوداوين.

٣ ـ مؤخرة بإمرة قيس بن أبي صعصعة.

٤ ـ راية المسلمين العامة بيضاء مع مصعب بن عمير.

وقد سلكت قوات المسلمين طريق القوافل بين المدينة وبدر البالغ طوله حوالي (١٦٠) كيلو متراً.

□ حينما وافىٰ أبو سفيان منطقة البهرة، وهي موضع بنواحي المدينة، وعلم بخروج المسلمين إليه، استأجر ضمضم بن عمرو الخزاعي بعشرة دنانير.

وقال له: إمض إلى قريش وأخبرهم أن محمداً والصباة ـ الخارجين على دين آبائهم ـ من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم فأدركوا العير، وأوصاه أن يخرج ناقته، ويقطع أذنها حتّى يسيل الدم، ويشقّ ثوبه من قبل ودبر.

فإذا دخل مكّة ولّى وجهه إلى ذنب البعير وصاح بأعلى صوته وقال: يا آل غالب يا آل غالب، اللطيمة اللطيمة، العير العير، أدركوا أدركوا وما أراكم تدركون، فإنّ محمّداً والصباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرَّضون لعيركم.

وبادر ضمضم مسرعاً إلى مكة، فلما وصل فعل بنفسه ما أوصاه أبو سفيان، وأخذ ينادي بأعلى صوته: يا آل غالب، يا آل غالب، اللطيمة اللطيمة،

العير العير، أدركوا ما أراكم تدركون، فإنّ محمّداً والصباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرّضون لعيركم الّتي فيها خزائنكم.

فتصايح الناس بمكّة، وتهيّأوا للخروج، وقام سهيل بن عمرو وصفوان بن أميّة، وأبو البختري بن هشام، ومنبّه ونبيه ابنا الحجّاج، ونوفل بن خويلد فقال: يا معشر قريش والله ما أصابكم مصيبة أعظم من هذه أن يطمع محمّد والصباة من أهل يثرب أن يتعرّضوا لعيركم الّتي فيها خزائنكم، فوالله ما قرشيّ ولا قرشيّة إلّا ولها في هذا العير نشّ فصاعداً، وإنّه لمن الذلّ والصغار أن يطمع محمّد في أموالكم ويفرّق بينكم وبين متجركم، فاخرجوا.

وأخرج صفوان بن أُميّة خمسمائة دينار وجهّز بها، وأخرج سهيل بن عمرو، وما بقي أحد من عظماء قريش إلّا أخرجوا مالاً وحملوا وقووا، وخرجوا على الصعب والذلول لا يملكون أنفسهم كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس﴾[١٤].

وأخرجوا معهم القيان يشربون الخمور ويضربون بالدفوف[١٥].

□ ولما وصل رسول الله (ص) مع قوته المؤلفة من ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، قرب موقع بدر، وعلى ليلة منها، بعث سرية استطلاع، لتستعلم وضع القافلة التجارية وتستطلع أخبار خروج قريش ومواضعهم، وهي تتكون من رجلين هما بسيس بن أبي الزغبا، وعدي ابن عمر.

فأتيا ماء بدر وأناخا راحلتيهما واستعذبا من الماء، وسمعا جاريتين قد تشبثت إحداهما بالأخرىٰ تطالبها بدرهم كان لها عليها، فأجاباتها: عير قريش نزلت أمس في موضع كذا وكذا، وهي تنزل غداً ههنا، وأنا أعمل لهم وأقضيك.

فرجعا إلى رسول الله (ص)، وأخبراه بما سمعا.

□ وحينما شارف أبو سفيان على بدر، تقدم العير وأقبل وحده حتى انتهى إلى ماء بدر، وكان بها رجل من جهينة يقال له: كسب الجهنيّ.

---

(١٤) سورة الأنفال (٤٧).

(١٥)بحار الأنوار ج ١٩.

فقال له: يا كسب. هل لك علم بمحمد وأصحابه؟

قال: لا.

قال واللاّت والعزّى لئن كتمنا أمر محمد لا تزال قريش لــك معادية آخر الدهر، فإنّه ليس أحد من قريش إلاّ وله شيء في هذا العير فلا تكتمني.

فقال: والله مالي علم بمحمّد، وما بال محمّد وأصحابه بالتّجار إلاّ أنّي رأيت في هذا اليوم راكبين أقبلا فاستعذبا من الماء وأناخا راحلتيهما ورجعا، فلا أدري من هما.

فجاء أبو سفيان إلى موضع مناخ إبلهما ففتّ أبعار الإبل بيده فوجد فيها النوى، فقال: هذه علائف يثرب، هؤلاء والله عيون محمّد.

فرجع مسرعاً وأمر بالعير فأخذ بها نحو ساحل البحر وتركوا الطريق ومرّوا مسرعين.

وقد أرسل النبي (ص) عيناً له على العير اسمه عدي، وقد رجع العين، بعد أن رأى القافلة قد غيرت مسيرها وأخبر النبي بذلك.

□ إذن.. خبران تبادرا إلى رسول الله (ص).

الأول: أن قريشا قد خرجت لقتاله وأصحابه.

الثاني: أن عير أبي سفيان قد أفلتت من أيديهم.

حينها أخبر أصحابه أن العير قد جازت، وأن قريشاً قد أقبلت لتمنع غيرها، وأنها تريد الحرب، وأن الله قد أمره بمحاربتهم.

ويبدو أن المسلمين داخلهم بعض التخوف، وذلك لسببين:

الأول: أنهم ما خرجوا بقصد الحرب، وإنما بقصد السيطرة على القافلة التجارية الراجعة من الشام بقيادة أبي سفيان. وبالطبع يختلف التهيؤ النفسي والعسكري، باختلاف القصدين.

الثاني: إن هذه التجربة هي الأولى بالنسبة لهم، التي يصطكون فيها وجه لوجه مع قريش، التي حشدت الطاقات، للقضاء عليهم.

لذلك أراد رسول الله (ص) أن يخبر نيّاتهم، وأن يبادلهم المشاورة، لكي

تهدأ نفوسهم. ويضعهم أمام الأمر الواقع، وهو الحرب.
فقال رسول الله (ص): أشيروا عليَّ.

فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله (ص) إنّها قريش وخيلاؤها ما آمنت منذ كفرت ولا ذلّت منذ عزّت ولم نخرج على هيئة الحرب.
فقال رسول الله (ص): اجلس فجلس.
فقال: أشيروا عليّ فقام المقداد فقال: يا رسول الله إنّها قريش وخيلاؤها، وقد آمنّا بك وصدّقناك، وشهدنا أنّ ما جئت به حقّ من عند الله، والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضنا معك، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾[١٦].

بل نقول: «اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون».

فجزاه النبي خيراً، ثم قال: أشيروا عليّ أيها الناس، وكان يعني الأنصار، إذ أنهم كانوا يمثلون الغالبية من المسلمين حينذاك. وإنما أراد معرفة رأيهم، لأنهم حينما بايعوه بالعقبة قالوا: إنّا براء من ذمّتك حتّى تصل إلى دارنا، ثمّ أنت في ذمّتنا نمنعك ممّا نمنع آباءنا ونساءنا.

فكان (ص) يتخوّف أن لا يكون الأنصار ترى عليها نصرته إلاّ على من دهمه بالمدينة من عدوّ، وأن ليس عليهم أن ينصروه بخارج المدينة.
فقام سعد بن معاذ فقال: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله كأنّك أردتنا؟
فقال: نعم.
فقال: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، إنّا قد آمنّا بك، وصدّقناك، وشهدنا أنّ ما جئت به حقّ من عند الله، فمرنا بما شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، واترك منها ما شئت، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك، ولعلّ الله أن يريك ما تقرّ به عينك، فسر بنا على بركة الله.

ففرح بذلك رسول الله (ص) وقال: سيروا على بركة الله، فإنّ الله وعدني

---

(١٦) سورة المائدة (٢٤).

إحدى الطائفتين، ولن يخلف الله وعده، والله لكأنّي أنظر إلى مصرع أبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وفلان وفلان، وأمر رسول الله (ص) بالرحيل، وخرج إلى بدر. ونزلوا على العدوة الشامية[١٧].

وقبل أن تصل القوات الإسلامية إلى بدر، أرسل النبي (ص) دورية استطلاع لتمشيط المنطقة وكشف الثغرات فيها، وما إذا كان العدو قد أرسل إليها عيوناً أم لا. وقد كانت هذه الدورية بقيادة الإمام علي (ع).

وعلى بئر بدر رأت الدورية عبيداً لقريش، فسألوهم:

ـ من أنتم؟

ـ نحن عبيد قريش.

ـ أين العير؟ «يقصدون معسكر القرشيين».

ـ لا علم لنا بها.

فأقبلوا يَجرّونهم إلى رسول الله (ص).

وكان رسول الله (ص) يصلي فانفتل من صلاته، وقال:

ـ من أنتم؟

ـ يا محمد نحن عبيد قريش.

ـ كم القوم؟

ـ لا علم لنا بعددهم.

ـ كم ينحرون في كل يوم جزوراً؟!

ـ تسعة إلى عشرة.

فقال رسول الله (ص): تسعمائة إلى ألف.

ثم أمر بهم فحبسوا.

□ وبعد أن ضبّط المسلمون مواقعهم العسكرية، واختاروا الموقع المناسب، أقبلت قريش ونزلت بالعدوة اليمانية، والتي يسميها القرآن بالعدوة القصوىٰ.

---

(١٧) بحار الأنوار ج ١٩.

وبلغهم نبأ أسر عبيدهم، فعلموا أن عيرهم قد أفلتت من أيدي المسلمين، وأن أهدافهم قد غيرها دعاة الحرب في صفوفهم.

ولقي عتبة بن ربيعة أبا البختري بن هشام.

فقال له: أما ترى هذا البغي؟ والله ما أبصر موضع قدمي، خرجنا لنمنع عيرنا وقد أفلتت فجئنا بغياً وعدواناً، والله ما أفلح قوم قطّ بغوا، ولوددت أن ما في العير من أموال بني عبد مناف ذهب كلّه، ولم نسر هذا المسير.

فقال له أبو البختري: إنّك سيّد من سادات قريش فتحمّل العير الّتي أصابها محمّد وأصحابه بنخلة ودم ابن الحضرميّ فإنّه حليفك.

فقال عتبة: أنت عليّ بذلك، وما على أحد منّا خلاف إلّا ابن الحنظليّة يعني أبا جهل، فصر إليه وأعلمه أنّي قد تحمّلت العير الّتي قد أصابها محمّد ودم ابن الحضرميّ.

فقال أبو البختريّ: فقصدت خباه وإذا هو قد أخرج درعاً له.
فقلت له: إنَّ أبا الوليد بعثني إليك برسالة.
فغضب ثمّ قال: أما وجد عتبة رسولاً غيرك؟

فقلت: أما والله لو غيره أرسلني ما جئت، ولكن أبا الوليد سيّد العشيرة.

فغضب غضبة أُخرى، فقال: تقول سيّد العشيرة؟
فقلت: أنا أقوله وقريش كلّها تقوله، إنّه قد تحمّل العير ودم ابن الحضرميّ.

فقال: إنَّ عتبة أطول الناس لساناً، وأبلغهم في الكلام، ويتعصّب لمحمد فإنّه من بني عبد مناف وابنه معه، ويريد أن يخذل الناس، لا واللّات والعزّى حتّى نقحم عليهم بيثرب ونأخذهم أُسارى، فندخلهم مكّة، وتتسامع العرب بذلك، ولا يكون بيننا وبين متجرنا أحد نكرهه.

* * *

يقول بعض المفسرين: لما بلغ أصحاب رسول الله (ص) كثرة قريش

ففزعوا فزعاً شديداً وشكوا وبكوا واستغاثوا، فأنزل الله على رسوله ﴿إذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم أنّي ممدّكم بألف من الملائكة مردفين، وما جعله الله إلّا بشرى لكم ولتطمئنّ قلوبكم به وما النصر إلّا من عند الله العزيز الحكيم﴾[١٨].

فلمّا أمسى رسول الله (ص) وجنّه الليل ألقى الله على أصحابه النعاس حتّى ناموا، وأنزل الله تبارك وتعالى عليهم الماء وكان نزول رسول الله (ص) في موضع لا يثبت فيه القدم، فأنزل الله عليهم المطر ولبّد الأرض حتّى ثبتت أقدامهم.

وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزّل عليكم من السماء ماء ليطهّركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبّت به الأقدام﴾[١٩].

وكان المطر على قريش مثل العزالي، وعلى أصحاب رسول الله (ص) رذاذاً ما لبّد الأرض، وخافت قريش، فأقبلوا يحرسون مواقعهم، يخافون الهجوم ليلاً عليهم.

* * *

وتحت ستار الظلام بعث رسول الله (ص) عمّار بن ياسر وعبد الله بن مسعود فقال: أدخلا في القوم وائتونا بأخبارهم، فكانا يجولان بعسكرهم لا يرون إلّا خائفاً ذعراً، إذا صهل الفرس وثبت على جحفلته، فسمعوا منبّه بن الحجّاج يقول:

لا يترك الجوع لنا مبيتاً لا بدّ أن نموت أو نميتا

قال: قد والله كانوا شباعى، ولكنّهم من الخوف قالوا هذا، وألقى الله في قلوبهم الرعب كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾[٢٠].

---

(١٨) سورة آل عمران (١٢٦).

(١٩) سورة الأنفال (١١).

(٢٠) سورة آل عمران (١٥١).

□ في صباح يوم المعركة عبأ رسول الله (ص) أصحابه، وابتكر «باستشارة أصحابه» تكتيكات جديدة لإدارة المعركة:

١ ـ انتخب (ص) موضعاً مشرفاً على منطقة القتال في بدر، وبنى فيه مقره ـ العريش ـ وأمّن حراسته.

٢ ـ جرى ترتيب المقاتلين في صفوف، وساوى الرسول (ص) بين الصفوف بعد أن حرّض أصحابه على القتال.

٣ ـ أعطى توجيهاته العسكرية:
«غضوا أبصاركم ولا تبدأوهم بالقتال ولا يتكلّمنَ أحد».

«إذا إكتنفكم لقوم، فانضحوهم بالنبل، ولا تحملوا عليهم حتى تؤذنوا. . .».

أما قريش فلمّا نظرت إلى قلّة أصحاب رسول الله (ص) قال أبو جهل: ما هم إلّا أُكلة رأس، لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد.

فقال عتبة بن ربيعة: أترى لهم كميناً ومدداً؟

فبعثوا عمرو بن وهب الجمحيّ وكان فارساً شجاعاً فجال بفرسه حتّى طاف بعسكر رسول الله (ص)، ثمَّ صعد في الوادي وصوّب، ثمَّ رجع إلى قريش.

فقال: ما لهم كمين ولا مدد، ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع، أما ترونهم خرس لا يتكلّمون يتلمّظون تلمّظ الأفاعي، ما لهم ملجأ إلّا سيوفهم، وما أراهم يولّون حتّى يُقتلوا، ولا يُقتلون حتّى يقتلوا بعددهم فارتأوا رأيكم.

فقال أبو جهل: كذبت وجبنت وانتفخ سحرك حين نظرت إلى سيوف أهل يثرب.

ولم يشأ رسول الله (ص) أن يدخل معهم في الحرب، قبل أن يلقي عليهم الحجة، ويستجيب لقوله تعالى: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل

على الله﴾ [٢١].

فبعث إلى قريش قائلاً: يا معشر قريش ما أحد من العرب أبغض إليّ من أن أبدأ بكم فخلّوني والعرب، فإن أك صادقاً فأنتم أعلى لي عيناً، وإن أك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمري فارجعوا.

فقال عتبة: والله ما أفلح قوم قطّ ردّوا هذا، ثمَّ ركب جملاً له أحمر.

فنظر إليه رسول الله (ص) يجول في العسكر وينهي عن القتال.

فقال: إن يكن عند أحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا.

فأقبل عتبة يقول: يا معشر قريش اجتمعوا واسمعوا ثمَّ خطبهم فقال: يمن مع رحب، فرحب مع يمن.

يا معشر قريش أطيعوني اليوم، واعصوني الدهر، وارجعوا إلى مكّة واشربوا الخمور، وعانقوا الحور، فإنّ محمّداً له إلٌّ وذمّة وهو ابن عمّكم فارجعوا ولا تردوّا رأيي، وإنّما تطالبون محمّداً بالعير الّتي أخذها محمّد بنخلة ودم ابن الحضرميّ وهو حليفي وعليّ عقله.

فلمّا سمع أبو جهل ذلك غاظه وقال: إنَّ عتبة أطول الناس لساناً، وأبلغهم في الكلام، ولئن رجعت قريش بقوله ليكوننّ سيّد قريش آخر الدهر.

ثمّ قال: يا عتبة نظرت إلى سيوف بني عبد المطّلب وجبنت وانتفخ سحرك، وتأمر النّاس بالرجوع، وكان على فرس فأخذ بشعره، فقال الناس: يقتله، فعرقب فرسه.

فقال عتبة: أمثلي يجبن؟ وستعلم قريش اليوم أيّنا الألأم والأجبن، وأيّنا المفسد لقومه، لا يمشي إلاّ أنا وأنت إلى الموت عياناً، ثمّ قال:

هــذا جنــاي وخيــاره فيــه   وكــلّ جان يــده إلى فيــه

---

(٢١) سورة الأنفال (٦١).

ثمّ أخذ بشعره يجرّه فاجتمع إليه الناس فقالوا: يا أبا الوليد الله الله لا تفتّ في أعضاد الناس، تنهي عن شيء تكون أوّله؟

فخلّصوا أبا جهل من يده.

□ بدء المعركة: برز من المشركين عتبة، وأخوه شيبة، أبناء ربيعة، والوليد بن عتبة. ونادى عتبة: يا محمّد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش.

فبرز إليه ثلاثة نفر من الأنصار: عود، ومعود، وعوف بن عفراء.

فقال عتبة: من أنتم؟ انتسبوا لنعرفكم.

فقالوا: نحن بنو عفراء أنصار الله وأنصار رسوله.

فقال: إرجعوا فإنّا لسنا إيّاكم نريد، إنّما نريد الأكفاء من قريش.

فبعث إليهم رسول الله صلّى الله عليه وآله أن إرجعوا، فرجعوا، وكره أن يكون أوّل الكرّة بالأنصار فرجعوا ووقفوا مواقفهم.

ثمَّ نظر رسول الله (ص) إلى عبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب وكان له سبعون سنة فقال له: قم يا عبيدة، فقام بين يديه بالسيف. ثمَّ نظر إلى حمزة ابن عبد المطّلب فقال له: قم يا عمّ، ثمّ نظر إلى أمير المؤمنين (ع) فقال له: قم يا عليّ، وكان أصغرهم سنّا.

فقاموا بين يدي رسول الله (ص) بسيوفهم، فقال: فاطلبوا بحقّكم الّذي جعله الله لكم، فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها، تريد أن تطفىء نور الله، ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره.

ثمَّ قال (ص): يا عبيدة عليك بعتبة، وقال لحمزة: عليك بشيبة، وقال لعليّ: عليك بالوليد بن عتبة.

فمروّا حتّى انتهوا إلى القوم.

فقال عتبة: من أنتم؟ انتسبوا نعرفكم، فقال عبيدة: أنا عبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب.

فقال: كفو كريم، فمن هذان؟

فقال: حمزة ابن عبد المطّلب وعليّ بن أبي طالب.

فقال: كفوان كريمان.

فقال شيبة لحمزة: من أنت؟

فقال: أنا حمزة بن عبد المطّلب أسد الله وأسد رسوله.

فقال له شيبة: لقد لقيت أسد الحلفاء، فانظر كيف تكون صولتك يا أسد الله، برز حزة لشيبة، وبرز عبيدة لعتبة، وبرز عليّ للوليد فقتل حمزة شيبة، وقتل عبيدة عتبة، وقتل عليّ الوليد، وضرب عتبة رجل عبيدة فقطعها فاستنقذه حمزة وعليّ، وحمل عبيدة حمزة وعليٌّ حتّى أتيا به رسول الله (ص) فاستعبر، فقال يا رسول الله ألست شهيداً؟ قال: بلى أنت أوّل شهيد من أهل بيتي.

ورغم أن بداية المعركة كانت سيئة بالنسبة للمشركين، إلا أن أبا جهل أصر على غيه وقال لقريش: لا تعجلوا ولا تبطروا كما عجّل وبطر ابنا ربيعة، عليكم بأهل يثرب فاجزروهم جزراً، وعليكم بقريش فخذوهم أخذاً حتّى ندخلهم مكّة، فنعرّفهم ضلالتهم الّتي كانوا عليها.

فرفع رسول الله (ص) يديه إلى السماء وقال:

«يا رب إن تهلك هذه العصابة لا تعبد، وإن شئت أن لا تعبد لا تعبد».

ثم قال لأصحابه: هذا جبرئيل قد أتاكم في ألف من الملائكة مردفين.

وقال أبو جهل: اللهم ربنا ديننا القديم، ودين محمد الحديث، فأيّ الدينين كان أحب إليك وأرضى عندك فانصر أهله اليوم.

فأخذ رسول الله (ص) كفًا من حصى فرمى به في وجوه قريش وقال: شاهت الوجوه.

وقال أيضاً: اللهم لا يفلتنّ فرعون هذه الأمة أبو جهل بن هشام.

ومع أن المشركين بدأوا برشق المسلمين بوابل من سهامهم وهاجموهم بفرسانهم، إلا أن صفوف المسلمين بقيت صامدة في مواضعها، تصوب نبالها على المشركين، مركزة على ساداتهم بالدرجة الأولىٰ، ولم يفطن المشركون أسلوب المسلمين الجديد في القتال، مما جعل رجالات قريش تتهاوى بوابل نبال المسلمين المصوّبة نحوهم بدقة وتركيز.

ونزل رسول الله (ص) بنفسه يقود صفوف المسلمين، وأخذت هذه الصفوف تقترب رويداً رويداً من فلول المشركين التي فقدت قادتها. . حتى تبعثرت قوات المشركين. وأمر رسول الله (ص) بمطارتهم، فقتل منهم سبعون، وأسر سبعون آخرون.

والتقى عمرو بن الجموع مع أبي جهل فضرب عمرو أبا جهل على فخذه، وضرب أبو جهل عمروا على يده فأبانها من العضد فعلقت بجلده، فاتّكا عمرو على يده برجله ثمّ رمى في السماء فانقطعت الجلدة ورمي بيده.

وقال عبد الله بن مسعود: انتهيت إلى أبي جهل وهو يتشحّط في دمه فقلت: الحمد لله الّذي أخزاك، فرفع رأسه فقال: إنّما أخزى الله عبد ابن أُمّ عبد، لمن الدين ويلك؟ قلت: لله ولرسوله وإنّي قاتلك، ووضعت رجلي على عنقه.

فقال: لقد ارتقيت مرتقاً صعباً يا رويعي الغنم، أما إنّه ليس شيء أشدّ من قتلك إيّاي في هذا اليوم، ألاّ تولّي قتلي رجل من المطلّبين، أو رجل من الأحلاف، فاقتلعت بيضة كانت على رأسه فقتلته وأخذت رأسه، وجئت به إلى رسول الله (ص) فقلت: يا رسول الله البشرى هذا رأس أبي جهل بن هشام، فسجد لله شكراً، (وقيل إن الّذين قتلا أبا جهل هما غلامان من الأنصار حديثا السن).

وأسر أبو بشر الأنصاريّ العبّاس ابن عبد المطلّب وعقيل بن أبي طالب، وجاء بهما إلى رسول الله (ص)، فقال للعبّاس: إفد نفسك وابن أخيك، فقال: يا رسول الله قد كنت أسلمت، ولكنّ القوم استكرهوني.

فقال رسول الله (ص): الله أعلم بإسلامك، إن يكن ما تذكر حقّاً فإنّ الله يجزيك عليه، فأمّا ظاهر أمرك فقد كنت علينا.

ثمّ قال: يا عبّاس إنّكم خاصمتم الله فخصمكم، ثمَّ قال: إفد نفسك وابن أخيك، وقد كان العبّاس أخذ معه أربعين أوقيّة من ذهب، فغنمها رسول الله (ص)، فلمّا قال رسول الله للعبّاس: إفد نفسك.

قال: يا رسول الله إحسبها من فدائي.

فقال رسول الله: لا، ذاك شيء أعطانا الله منك، فافد نفسك وابن أخيك.

فقال العبّاس: فليس لي مال غير الّذي ذهب منّي.

قال: بلى المال الذي خلفته عند أُمّ الفضل بمكّة، فقلت لها: إن يحدث عليّ حدث فاقسموه بينكم، فقال له: أتتركني وأنا أسأل الناس بكفّي؟ فأنزل الله على رسوله في ذلك: ﴿يا أيّها النبيّ قل لمن في أيدكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً ممّا أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم﴾ [٢٢]. قال: ﴿وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم﴾ [٢٣].

ثمَّ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعقيل: قد قتل الله يابا يزيد أبا جهل بن هِشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومنبّه ونبيه إبنا الحجّاج ونوفل بن خويلد، وأُسر سهيل بن عمرو والنضر بن الحارث بن كلدة وعقبة بن أبي معيط وفلان وفلان، فقال عقيل: إذاً لم تنازعوا في تهامة، فإن كنت قد أثخنت القوم وإلّا فاركب أكتافهم، فتبسم رسول الله (ص) من قوله.

ثم جمع المسلمون الأسارى وساقوهم على أقدامهم، وجمعوا الغنائم، فنظر رسول الله (ص) إلى عقبة بن أبي معيط وإلى نضر بن الحارث بن كلدة وهما في قران واحد، فقال النضر لعقبة: يا عقبة أنا وأنت مقتولان.

قال عقبة: من بين قريش.

قال: نعم، لأن محمداً نظر إلينا نظرة رأيت فيها القتل.

فقال رسول الله (ص): يا علي عليّ بالنضر وعقبة.

فقال النضر: يا محمد أسألك بالرحم بيني وبينك إلا أجريتني كرجل من

---

(٢٢) سورة الأنفال (٧٠).

(٢٣) سورة الأنفال (٧١).

قريش، إن قتلتهم قتلتني وإن فاديتهم فاديتني، وإن أطلقتهم أطلقني.

فقال رسول الله (ص): لا رحم بيني وبينك، قطع الله الرحم بالإسلام. قدمه يا علي فاضرب عنقه.

فضرب علي (ع) عنقه، وعنق عقبة.

وقبل الفداء في بقية الأسرىٰ.

□ هنا ينبري سؤال:

كيف انتصر المسلمون على المشركين، مع أن عدد المشركين وعدتهم كان أكثر من المسلمين بنسبة واحد إلى ثلاثة تقريباً؟

والجواب:

كما يرى المحللون العسكريون كان انتصار المسلمين للأسباب التالية، منها:

١ ـ إن القيادة العسكرية الإسلامية كانت مركزية أو موحدة، على العكس منها مع المشركين، حيث أن كل رأس فيهم كان يرى في نفسه قائداً مستقلاً، إضافة إلى الخلاف الذي وقع بين رؤوسهم، ومما لا شك فيه، إن الاختلاف بؤرة الإنهزام.

٢ ـ اتباع المسلمين لأسلوب جديد في القتال، إذ الحرب ينتصر فيها من يبتكر جديداً في السلاح وطريقة القتال.

٣ ـ إن المسلمين كانوا يشعرون في قتالهم، إنهم يدافعون عن الحق والقيم الإلهية، على العكس من جنود المشركين، فإن الكثير منهم لم يكونوا مؤمنين بمواقفهم، إذ أن عيرهم التجارية قد فلتت من أيدي المسلمين.

٤ ـ المعنويات العالية التي كان يتمتع بها المسلمون.

قال عبد الرحمن بن عوف:

إني لفي الصف يوم بدر، إذ التفتُ فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: يا عم! أرني أبا جهل. فقلت: يابن أخي، ما تصنع به؟

قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه.

وقال لي الآخر سراً من صاحبه مثله، فأشرت لهما إليه، فشدا عليه مثل الصقرين: فضرباه حتى ـ أظن انهما ـ قتلاه.

وقد استشهد هذان البطلان في بدر.

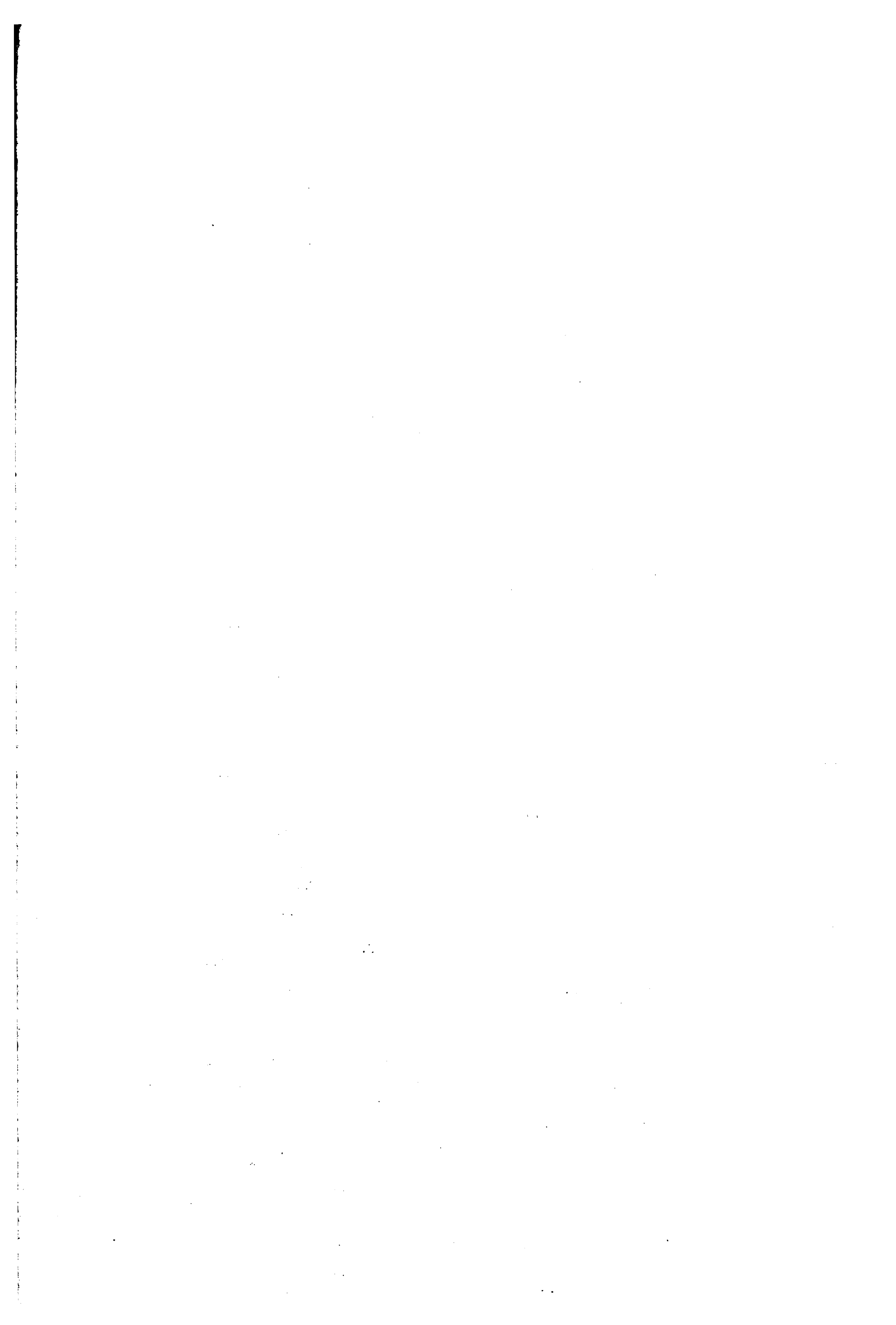
٥ ـ امتص رسول الله (ص) أسباب الهزيمة من نفوس أصحابه قبل بدء المعركة بعدة أمور:

(أ) استشارهم في كثير من الواقع.

(ب) وعدهم بالظفر بإحدى الطائفتين، اما العير المحملة واما قريش.

(ج) قوى معنوياتهم حينما، أكد لهم أن الملائكة تساندهم.

(د) ألقىٰ الحجة على المشركين، بطرح الدعوة للسلم، لكي يضع أصحابه أمام الأمر الواقع ويريهم أن هؤلاء جاؤوا لقتالهم، وليس طلباً لعيرهم فحسب.



٢ ـ غزوة تبوك

□ يقول التاريخ : تحرك جيش المسلمين من المدينة قاصدين تبوك في شهر رجب للسنة التاسعة من الهجرة .

عدد المسلمين: ثلاثون ألف مقاتل.

عدد الروم: قوات نظامية كبيرة، يساندها العرب من لخم وجُذام وعاملة وغسان. ومع أننا لم يصلنا رقم دقيق من عدو جيش الروم، إلا أن القرائن تدل أنهم كانوا أكثر من جيش المسلمين.

وقد رابط الروم في تبوك، في حشود عظيمة، ولكنّ المعلومات التي وصلتهم عن ضخامة جيش المسلمين وارتفاع معنوياتهم اضطرتهم إلى الإنسحاب من تبوك شمالاً.

□ كانت تبوك آخر غزوة لرسول الله (ص)، وبعدها التحق بربّ السماوات والأرضين.

وهي الغزوة الوحيدة التي لم يورّى فيها، ولم يكتم نياته فيها، كما كان يفعل في الغزوات التي قبلها، إذ كان (ص) قلّما يريد غزوة إلا ورّى بغيرها.

وكأن ذلك لأمرين:

الأول: إنه (ص) أراد أن لا يعطي لأي فرد من المسلمين أي مبرّر،

للتراجع أو التقاعس. خاصة وأن توقيت الغزوة قارن بداية غياب رسول الله بعد أن غنم المسلمون الكثير وفتح الله لهم البلاد وقد سبقتها حالة جدب وقحط، وهذه عوامل تجعل الإنسان ينشد إلى الأرض ويبتعد قليلاً عن السماء، فجاءت كلمات رسول الله (ص) حول هذه الغزوة صريحة وواضحة لا تدع مجالاً للشك أو التردد.

ثم إن المسلمين، وبعد أن كبر عددهم، دبّ في نفوس بعضهم روح التواكل والتبرير. وقد كان للمنافقين والمشركين الذين أسلموا تحت حد السيف، دور كبير في إثارة هذه الروح في أوساط المسلمين، فجاءت نداءات رسول الله لتكون برنامجاً تربوياً يقلع هذه الحالة من الإنهزامية والتبرير لدى البعض، ولتكون صفعة قوية ليشرى روح الإنهزام والمنافقين.

الثاني: أنه أراد بذلك ابلاغ الروم، أن المسلمين على أهبة الاستعداد لمواجهتهم، وأرادها رسول الله بذلك حرباً شاملاً - كما في المصطلحات العسكرية، أي حرباً حضارية.

إن وصول أخبار ضخامة الاستعدادات الإسلامية للروم، ستأخذ من وضعهم النفسي، مما يؤدي إلى تراجعهم أمام المسلمين نفسياً، قبل ساعة الصفر. وبالفعل كان هذا ما حدث، فقد حمل التجار أخبار قوات المسلمين إلى هرقل، مما أدخل الرعب في قلبه، فاصدر قرار التراجع من تبوك قبل وصول جيش المسلمين إليها..

□ آيات حول تبوك:

التوبة ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحقّ من الذين أُتوا الكتاب حتّى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾[٢٤].

وقال سبحانه: ﴿يا أيّها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل

(٢٤) سورة التوبة (٢٩).

الله أثّاقلتم إلى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلاّ قليل (٣٨) ، إلاّ تنفروا يعذِّبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضرّوه شيئاً والله على كلّ شي قدير (٣٩) ، إلاّ تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الّذين كفروا ـ إلى قوله تعالى : ـ إنفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (٤١) ، لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لا تبعوك ولكن بعدت عليهم الشقّة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنّهم لكاذبون (٤٢) ، عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبيّن لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين (٤٣) ، لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين (٤٥) ، إنّما يستأذنك الذين لا يؤمنون بَالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يتردّدون (٤٥) ، ولو أرادو الخروج لأعدّوا له عدّة ولكن كره الله انبعاثهم فثبّطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين (٤٦) ، لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلاّ خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغون الفتنة وفيكم سمّاعون لهم والله عليم الظالمين (٤٧) ، لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلّبوا لك الأمور حتى جاء الحقّ وظهر أمر الله وهم كارهون (٤٨) ، ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتنّي ألا في الفتنة سقطوا وإنْ جهنّم لمحيطة بالكافرين (٤٩) ، إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا . . منكم ولكنّهم قوم يفرقون (٥٦) ، لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدّخلا لولّوا إليه وهم يجمحون (٥٧)﴾ (٢٥) .

إلى قوله سبحانه: ﴿ومنهم الذين يؤذون النبيّ ويقولون هو أُذن قل أُذن خيرٍ لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾ (٢٦) .

إلى قوله: ﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحقّ أن يرضوه إن كانوا مؤمنين﴾ (٢٧) .

---

(٢٥) سورة التوبة (٣٨ ـ ٥٧).

(٢٦)سورة التوبة (٦١).

(٢٧) سورة التوبة (٦٢).

إلى قوله: ﴿يحذر المنافقون أن تنزّل عليهم سورة تنبّئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إنّ الله مخرج ما تحذرون، ولئن سألتهم ليقولنّ إنّما كنّا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذّب طائفة بأنّهم كانوا مجرمين﴾ (٢٨) .

إلى قوله: ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهمّوا بما لم ينالوا وما نقموا إلّا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولّوا يعذّبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من وليّ ولا نصير﴾ (٢٩) .

وقال تعالى: ﴿فرح المخلّفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحرّ قل نار جهنّم أشد حرّاً لو كانوا يفقهون (٨١) ، فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون (٨٢) ، فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدّواً إنّكم رضيتم بالقعود أوّل مرّة فاقعدوا مع الخالفين (٨٣) ، ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنّهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون (٨٤) ، ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنّما يريد الله أن يعذّبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون (٨٥) ، وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين (٨٦) ، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون (٨٧) ، لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون (٨٨) ، أعدّ الله لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ، (٨٩)، وجاء المعذّرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم

---

(٢٧) سورة التوبة (٦٤ ـ ٦٦).

(٢٨) سورة التوبة (٧٤).

عذابٌ أليم (٩٠) ، ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرجٌ إذا نصحوا الله ورسوله ما على المحسنين من سبيلٍ والله غفورٌ رحيم (٩١) ، ولا على الّذين إذا ما اتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألّا يجدوا ما ينفقون (٩٢) ، إنّما السبيل على الّذين يستأذنوك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون (٩٣) ، يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبّأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثمّ تردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبّكم بما كنتم تعملون (٩٤) ، سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنّهم رجس ومأواهم جهنّم جزاء بما كانوا يكسبون (٩٥) ، يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإنّ الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ (٩٦) [٣٠] .

إلى قوله سبحانه: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً عسى الله أن يتوب عليهم إنّ الله غفورٌ رحيمٌ﴾ [٣١] .

إلى قوله تعالى: ﴿وآخرون مرجون لأمر الله إمّا يعذّبهم وإمّا يتوب عليهم والله عليم حكيمٌ﴾ [٣٢] .

إلى قوله سبحانه: ﴿لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين والأنصار الّذين اتّبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثمّ تاب عليهم إنّه بهم رؤوفٌ رحيمٌ، وعلى الثلاثة الّذين خلّفوا حتّى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنّوا أن لا ملجأ من الله إلّا إليه ثمّ تاب عليهم ليتوبوا إنّ الله هو التوّاب الرحيم﴾ [٣٣] .

إلى قوله: ﴿وما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلّفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنّهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب

---

(٣٠) سورة التوبة (٨١ ـ ٩٦).

(٣١) سورة التوبة (١٠٢).

(٣٢) سورة التوبة (١٠٦).

(٣٣) سورة التوبة(١١٧ ـ ١١٨).

ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطأ يغيظ الكفّار ولا ينالون من عدوّ نيلا إلّا كتب لهم به عمل صالح إنّ الله لا يضيع أجر المحسنين، ولا ينفقون نفقةً صغيرةً ولا كبيرةً ولا يقطعون وادياً إلّا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾ (٣٤) .

□ جاءت غزوة تبوك بعد فتح مكة، وبعد أن أخضع المسلمون مشركي قريش الذين كانوا من أشد القوى عداء لهم في الجزيرة العربية، وبعد إخضاع هوزان، حينها أصبح المسلمون مسيطرين سياسياً وعسكرياً واقتصادياً ودينياً، على شتى أرجاء الجزيرة العربية، حتى حدودها مع الشام والعراق.

إلا أن الإسلام ما جاء للجزيرة العربية فحسب، ولا للعرب فقط، بل جاء كافة للناس، وعليه فإن الأهداف الإسلامية لم تتحقق بعد، ولم يظهر الإسلام على الدين كله.

وحينذاك كان يسيطر على العالم قوتان، تمثلتا في الروم والفرس، وكان لا بد للمسلمين من تحرير الإنسان من سيطرة هاتين القوتين. إلى عبادة الله سبحانه وتعالى.

وهكذا. . خرج الرساليون مبشرين بالدين الجديد في أوساط العرب، الذين كانوا خاضعين للسيطرة الرومانية أو الفارسية، وأسلم جزء منهم.

وكيف لا يسلمون والدين الجديد يدعوهم للحرية والعدل والمساواة والمحبة، بينما هم تحت ظل الروم أو الفرس، يعيشون الأمرين من الظلم والإضطهاد. وقد كانت أحوال الإمبراطورية الرومانية مضطربة، لا سيما في بلاد الشام، إذ كثر التذمر من ظلم الرومان وإرهاقهم بالضرائب، فأقبل كثير من القبائل العربية على اعتناق الإسلام.

وقد أسلم فروة بن عمر الجذامي قائد إحدى الفرق الرومانية التي قاتلت المسلمين في غزوة مؤته، فقبض عليه بتهمة الخيانة، وأراد هرقل الإفراج عنه، شرط عودته للمسيحية، إلا أن الإسلام خالط قلبه وعقله وضميره، ففضل الحمام على السلام، فقتل رحمة الله عليه.

---

(٣٤) سورة التوبة (١٢٠ ـ ١٢١).

□ بات واضحاً لدى هرقل ملك الروم أن الدين الإسلامي بدأ يشكل خطراً على ملكه، فالقيم التي يحملها للناس والقوة التي كان يملكها كانت تهدد نظامه وملكه. وها هو يرى القبائل العربية المحادية للحدود مع الجزيرة العربية تدخل في دين الإسلام، وتحول وِلاءها إلى رسول الله محمد (ص).

فاستشار قومه في شن حرب «صليبية» على الدين الجديد وأصحابه، فرأى في بعضهم التردد والتخوف من عواقب الإنكسار، فالأخبار الواردة من الجزيرة العربية تنبىء أن القوة الجديدة لا يستهان بها.

وأخيراً. . وبعد أخذ ورد، واحتكاك في التفكير بشأن الخطر الجديد، تغلب رأي دعاة الحرب ضد المسلمين. خاصة وأن هرقل خشي من قيام المسلمين بحملة انتقامية لقتل فروة. . والداخلين في دين الإسلام.

وبدأوا بحشد قواتهم على حدود الشام الجنوبية استعداداً لمهاجمة المسلمين، واستخدموا الانباط الذين كانوا يتاجرون مع المدينة لنقل المعلومات إليهم عن المسلمين.

ووزع هرقل مرتبات سنة كاملة على قواته النظامية، كما وزّع كثيراً من المال على القبائل العربية الخاضعة لسيطرته، تشجيعاً لهم على معاونة جيشه في الحرب.

ثم أرسل طلائع من جيشه إلى البلقاء وهي كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمّان. لستر التحشد الذي يزمع إرساله إلى تبوك.

□ كما كان لهرقل هدف القضاء على الدين الجديد، كذلك كان هدف المسلمين ردع الروم من جهة وإخرج الناس من تحت سيطرتهم، وإدخالهم في الإسلام، وبعد أن أثبت المسلمون انهم قوة كبرى في الجزيرة العربية، أرادوا إثبات أنهم قوة جديدة عظمة في عالمهم حينذاك.

من هنا فإن رسول الله (ص)، وحينما وصلته أبناء الحشود الرومانية، حرض المسلمين على الحرب الشاملة، عبر الصيافة الذين كانوا يقدمون المدينة

من الشام، وأشاعوا بالمدينة أن الروم قد اجتمعوا يريدون غزو بلاد المسلمين في عسكر عظيم، وإن هرقل قد سار في جنوده وجلب معهم غسّان وجذام وفهرا وعاملة، وقد قدم عساكره البلقاء، ونزل هو حمص.

حينها أمر رسول الله أصحابه التهيّؤ إلى تبوك وهي من بلاد البلقاء، وبعث إلى القبائل حوله وإلى مكّة وإلى من أسلم من خزاعة ومزينة وجهينة، فحثّهم على الجهاد.

وأمر رسول الله (ص) بعسكره فضرب في ثنيّة الوداع وأمر أهل الجدة أن يعينوا من لا قوّة به، ومن كان عنده شيء أخرجوا وحملوا وقوّوا وحثّوا على ذلك.

وخطب رسول الله (ص) فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «أيّها الناس إنّ أصدق الحديث كتاب الله وأولى القول كلمة التقوى وخير الملل ملّة إبراهيم، وخير السنّة سنن محمّد وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عزائمها وشرّ الأمور محدثاتها، وأحسن الهدى هدى الأنبياء، وأشرف القتل قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدى ما اتّبع، وشرّ العمى عمى القلب واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قلّ وكفى خير ممّا كثر وألهى، وشرّ المعذرة حين يحضر الموت، وشرّ الندامة يوم القيامة، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلّا نُزراً، ومنهم من لا يذكر الله إلّا هجرا، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذب وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، وخير ما أُلقي في القلب اليقين، والإرتياب من الكفر، والتباعد من عمل الجاهليّة، والغلول من جمر جهنّم والسكر جمر النار، والخمر جماع الإثم، والنساء حبائل إبليس، والشباب شعبة من الجنون، وشرّ المكاسب كسب الربا، وشرّ المآكل أكل مال اليتيم والسعيد من وعظ بغيره، والشقيّ من شقي في بطن أُمّه، وإنّما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع، والأمر إلى آخره، وملاك العمل خواتيمه، وأربى الربا الكذب، وكلٌّ ما هو آت قريب وشنآن المؤمن فسق وقتال المؤمن

كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن توكّل على الله كفاه، ومن صبر ظفر، ومن يعف يعف الله عنه ومن كظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر على الرزيّة يعوّضه الله، ومن يتبع السمعة يسمّع الله به، ومن يصم يضاعف الله له، ومن يعص الله يعذّبه، اللّهمّ اغفر لي ولأمّتي، اللّهمّ اغفر لي ولأمّتي، أستغفر الله لي ولكم».

فرغب الناس في الجهاد لمّا سمعوا هذا من رسول الله (ص)، وقدمت القبائل من العرب ممّن استنفرهم.

ولكون الوضع الاقتصادي حينئذ كان ضائقاً إذ كانت تلك السنة سنة جفاف وقحط، فقد حرّض الرسول الناس على الإنفاق، وتجهيز الجيش، الذي سمي بجيش العسرة. فأنفق فيها بعض أصحابه حيث جاء أحدهم بأواقي من فضّة فصبّها في حجر رسول الله (ص) فجهّز ناساً من أهل الضّعف، وهو الذي يقال: إنّه جهّز جيش العسرة، وقدم العبّاس على رسول الله (ص) فأنفق نفقة حسنة وجهّز، وسارع فيها الأنصار، وأنفق عبد الرحمن والزبير وطلحة وأنفق ناس من المنافقين رياء وسمعة، فنزل القرآن بذلك.

□ وجاء البكاؤون إلى رسول الله وهم سبعة من بني عمرو بن عوف: سالم بن عمير فقد شهد بدراً لا اختلاف فيه، ومن بني واقف هرميّ بن عمير، ومن بني حارثة عليّة بن زيد وهو الذي تصدّق بعرضه.

وذلك أنّ رسول الله (ص) أمر بصدقة فجعل الناس يأتون بها، فجاء عليّة فقال: يا رسول الله والله ما عندي ما أتصدّق به وقد جعلت عرضي حلاً، فقال له رسول الله (ص): قد قبل الله صدقتك.

ومن بني مازن بن النجّار أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب، ومن بني سلمة عمر بن غنمة ومن بني زريق سلمة بن صخر، ومن بني الغرّ ناصر بن سارية السلميّ.

هؤلاء جاؤوا إلى رسول الله (ص) يبكون، فقالوا: يا رسول الله ليس لنا بنا قوّة أن نخرج معك، فأنزل الله فيهم: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى

ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا الله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ـ إلى قوله: ـ ألّا يجدوا ما ينفقون﴾ ثمّ قال: ﴿إنّما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ (٣٥).

□ وقعد عن الخروج قوم من المنافقين، منهم الجد بن قيس، وقد لقيه رسول الله فقال له: يا أبا وهب ألا تنفر معنا في هذه القرى لعلّك أن تحتفد بنات الأصفر؟

فقال: يا رسول الله، والله إنّ قومي ليعلمون أنّه ليس فيهم أحد أشدّ عجباً بالنساء منّي، وأخاف إن خرجت معك أن لا أصبر إذا رأيت بنات الأصفر، فلا تفتنّي، وائذن لي أن أُقيم.

وقال لجماعة من قومه: لا تخرجوا في الحرّ.

فقال ابنه: تردّ على رسول الله (ص)، وتقول له ما تقول، ثمّ تقول لقومك: لا تنفروا في الحرّ؟ والله لينزلنّ الله في هذا قرآناً يقرأه الناس إلى يوم القيامة، فأنزل الله على رسوله في ذلك: ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتنّي ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين﴾ (٣٦).

ثمّ قال الجدّ بن قيس: أيطمع محمّد أنّ حرب الروم مثل حرب غيرهم؟ لا يرجع من هؤلاء أحد أبداً.

□ وقيل تخلف عن رسول الله (ص) يوم سار إلى تبوك ثلاثة من الأنصار: أبو لبابة بن عبد المنذر، وثعلبة بن وديعة، وأوس بن حذام، فلمّا بلغهم ما أُنزل فيمن تخلّف عن نبيّه (ص) أيقنوا بالهلاك، فأوثقوا أنفسهم بسواري المسجد فلم يزالوا كذلك حتّى قدم رسول الله (ص)، فسأل عنهم فذكر له أنّهم أقسموا لا يحلّون أنفسهم حتّى يكون رسول الله (ص) محلّهم فقال رسول الله (ص): وأنا

---

(٣٥) سورة التوبة (٩٣).

(٣٦) سورة التوبة (٤٩).

أقسم لا أكون أوّل من حلّهم إلّا أن أؤمر فيهم بأمر، فلمّا نزل ﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ [٣٧] . عمد رسول الله (ص) إليهم فحلّهم فانطلقوا فجاؤوا بأموالهم إلى رسول الله (ص) فقالوا: هذه أموالنا الّتي خلّفتنا عنك فخذها وتصدَّق بها عنّا فقال (ص): ما أُمرت فيها بأمر، فنزل ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ [٣٨] فقبل ثلث أموالهم.

□ وتخلف عن رسول الله قوم أهل نيّات وبصائر لم يكن يلحقهم شكّ ولا إرتياب، ولكنّهم قالوا: نلحق برسول الله، منهم أبو خيثمة.

وكان له زوجتان وعريشتان فكانتا زوجتاه قد رشتّا عريشتيه وبرّدتا له الماء وهيّأتا له طعاماً فأشرف على عريشتيه فلمّا نظر إليهما قال:

لا والله ما هذا بإنصاف، رسول الله (ص) قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، قد خرج في الضحّ والريح، وقد حمل السلاح يجاهد في سبيل الله، وأبو خيثمة قويّ قاعد في عريشته وإمرأتين حسناوين، لا والله ما هذا بإنصاف.

ثمّ أخذ ناقته فشدّ عليها رحله فلحق برسول الله (ص) فنظر الناس إلى راكب على الطريق فأخبروا رسول الله بذلك.

فقال رسول الله (ص): كن أبا خيثمة.

أقبل فأخبر النبيّ (ص) بما كان فجزاه خيراً ودعا له.

وكان أبو ذرّ رحمه الله تخلّف عن رسول الله (ص) ثلاثة أيّام، وذلك أنّ جمله كان أعجف فلحق بعد ثلاثة أيّام ووقف عليه جمله في بعض الطريق فتركه وحمل ثيابه على ظهره، فلمّا ارتفع النهار نظر المسلمون إلى شخص مقبل.

فقال رسول الله: كن أبا ذرّ.

فقالوا: هو أبو ذرّ.

---

(٣٧) سورة التوبة (١٠٢).

(٣٨) سورة التوبة (١٠٣).

فقال رسول الله (ص): أدركوه بالماء فإنّه عطشان، فأدركوه بالماء ووافى أبو ذرّ رسول الله (ص) ومعه إداوة فيها ماء فقال رسول الله (ص): يابا ذرّ معك ماء وعطشت؟

فقال: نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمّي انتهيت إلى صخرة عليها ماء السماء فذقته فإذا هو عذب بارد، فقلت: لا أشربه حتّى يشربه حبيبي رسول الله (ص).

فقال رسول الله (ص): يابا ذرّ رحمك الله تعيش وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك، وتدخل الجنّة وحدك، يسعد بك قوم من أهل العراق، يتولّون غسلك وتجهيزك والصلاة عليك ودفنك.

□ إن الحرب الشاملة، لا يجوز لأحد أن يتخلف فيها، وفي الدول القائمة على أساس الظلم والعدوان، تعالج قضية المتخلفين بالإعدام، ونصب الفاصل، أما الإسلام فيعالجها بطريقة أخرى. فيحاول إقناع كل قادر على حمل السلاح، أو مقاطعته إذا تخلف عن ذلك كما حدث بالنسبة إلى الثلاثة الذين ورد ذكرهم في القرآن.

* * *

□ بعد أن حرّض رسول الله (ص) كل المسلمين للخروج لغزوة تبوك، وتعبئتها بالمؤن والمعدات، خلّف علياً أمير المؤمنين (ع) على المدينة، وقال له:

«إنه لا بد للمدينة مني أو منك».

ولما عرف المنافقون ذلك أرجفوا بعلي وقالوا: لم يستخلفه رسول الله إكراماً له، وإجلالاً ومودة وإنما خلّفه استثقالاً له.

فلّما بلغ علياً ذلك، أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم، فلحق بالنبي (ص).

فقال: يا رسول الله إن المنافقين يزعمون أنك خلّفتني استثقالاً ومقتاً.

فقال (ص): طالما أذت الأمم أنبياءها..

«إرجع يا أخي إلى مكانك، فإن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، فأنت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا إنه لا نبي بعدي..».

فقال علي (ع): قد رضيت.. قد رضيت.

ثم رجع إلى المدينة.

فاستشاط المنافقون غضباً لذلك، وقرروا التآمر على علي في المدينة، حينما يبتعد المسلمون ورسول الله (ص) عنها.

وهكذا كان.. ولكن الله مسلّم.

فقد دبّروا حيلة لقتل الإمام علي (ع). إذ حفروا له في طريقه حفيرة طويلة بقدر خمسين ذراعاً، ثم غطوها بحصر دقاق، ونثروا فوقها يسيراً من التراب، بقدر ما غطّوا وجوه الحصر، وكان ذلك على طريقه الذي لا بد له من سلوكه، ليقع هو ودابته في الحفيرة التي قد عمّقوها، وكان ما حوالي المحفور أرضاً ذات حجارة لمرد.

وإذا وقع في الحفيرة مع دابته كبسوه بالأحجار، حتى يقتلوه.

إلا أن الإمام علي (ع) اكتشف المؤامرة قبل حينها، وباءت خطة المنافقين بالفشل.

* * *

□ بعد أن اكتمل الجيش، أعطى رسول الله (ص) الأوامر بالتحرك من المدينة في رجب في السنة التاسعة من الهجرة، وسار الجيش بالتشكيلة العسكرية التالية:

الرسول (ص) قائداً.

الزبير بيده راية المهاجرين.

طلحة بن عبد الله بيده راية الميمنة.

عبد الرحمن بن عوف بيده راية الميسرة.

وحينما وصل جيش المسلمين إلى الجرف، رجع رأس المنافقين

عبد الله بن أبي، بغير إذن من رسول الله (ص)، فقال (ص):

«حسبي الله، هو الذي أيدني بنصره وبالمؤمنين، وألفّ بين قلوبهم».

ولم يتراجع معه أحد من المسلمين، رغم حالة العسـرة التي كانت تحوطهم. فقد كان العشرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثمّ ينزل فيركب صاحبه كذلك.

وكان زادهم الشعير المسوس، والتمر المدود، والإهالة السنخة وكان النفر منهم يخرجون ما معهم من التمرات بينهم، فإذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمر فلاكها حتّى يجد طعمها، ثمّ يعطيها صاحبه فيمصهّا، ثمّ يشرب عليها جرعة من ماء، كذلك حتّى يأتي على آخرهم، فلا يبقى من التمرة إلّا النواة.

وعلى هذا الحال واصل المسلمون المسير، مع الحر الشديد، وحطوّا بتبوك في شهر شعبان، وكان يوم وصولهم هو يوم الثلاثاء.

* * *

□ كان من المتوقع، أن يلتقي جيش المسلمين، بجيش الروم في تبوك، وهنالك تدور رحى معركة حضارية بين المسلمين لأصحاب الرسالة الجديدة، والرومان المنحرفين عن رسالة السيد المسيح.

إلا أن أخبار ضخامة الجيش الإسلامي، والاستعدادات القتالية، التي نقلها عيون الرومان لقائدهم، فرضت على هرقل إتخاذ قرار الإنسحاب، واختيار السلام المفروض، على الاصطدام المتوقع.

ومع ذلك بقي الرسول في تبوك عشرين يوماً.

وفي هذه الأيام أنجز ما يلي:

١ ـ أرسل النبي (ص) رسالة إلى يوحنا بن رؤبة صاحب (أيلَة)، يطلب فيها منه أن يذعن للمسلمين أو يغزوه، فأقبل يوحنا بنفسه إلى النبي (ص) وقدم له الهدايا والطاعة، وتم عقد وثيقة الصلح بين المسلمين ويوحنا، وهي كما يلي:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

هذه آمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنا بن رؤبة، وأهل آيلة سفنهم وسياراتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه وإنه طيب لمحمد أخذه من الناس.

«وإنه لا يحل أن يمنعوا ما يريدونه ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر».

واتفق الطرفان على أن تدفع آيلة جزية قدرها ثلاثمائة دينار في كل عام.

٢ ـ صالح أهل الجرباء ـ وهي قرية في منطقة عمان بالبلقاء من أرض الشام ـ على أن تدفع جزية قدرها مئة دينار.

٣ ـ صالح أهل (أذرخ)، على الجزية أيضاً.

٤ ـ بعث سرية قوامها أربعمائة وعشرين فارساً، إلى دومة الجندل.

فباغتت تلك السرّية الأكيدر الكندي ملكها وأخاه حسّان وهما يطاردان بقر الوحش، فقُتل حسان وأسر الأكيدر، وهدد بالقتل إن لم تفتح دومة الجندل أبوابها للمسلمين.

ففتحت المدينة أبوابها فداء لملكها، فدخلها المسلمون وغنموا منها ألفي بعير وثمانمائة شاة وأربعمائة وسق من بر وأربعمائة درع، وذهبت بها السرية ومعه الأكيدر حتى لحق النبي، فحقن الرسول دم الأكيدر، وصالحه على الجزية.

وتركه يعود إلى قومه.

ولمّا أيقن الرسول أن هرقل، اختار السلام المفروض، قفل (ص) راجعاً إلى المدينة.

□ مؤامراتان خطط لهما المنافقون في هذه الفترة، ولكنهما فشلتا.

الأولى: لقتل الإمام علي بن أبي طالب (ع) في المدينة المنورة، وقد أحبطها عليه السلام، ومر ذكرها.

الثانية: لقتل الرسول (ص)، حين رجوعه من تبوك، وهي كما يلي:

حينما أمر رسول الله (ص) جيشه، بمغادرة تبوك ليلاً، أمر مناديه فنادى:

ألا فلا يسبقن رسول الله (ص) أحد إلى العقبة ولا يطأها حتّى يجاوزها رسول الله (ص)، ثمّ أمر حذيفة أن يقعد في أصل العقبة فينظر من يمرّ به، ويخبر رسول الله (ص)، وكان رسول الله (ص) أمره أن يتشبّه بحجر وجاء أربعة وعشرون ـ من المنافقين ـ على جمالهم وبين أيديهم رجّالتهم، يقول بعضهم لبعض: من رأيتموه ههنا كائناً من كان فاقتلوه لئلّا يخبروا محمّداً أنّهم قد رأونا هنا فينكص محمّد، ولا يصعد هذه العقبة إلّا نهاراً فيبطل تدبيرنا عليه، فسمعها حذيفة واستقصوا فلم يجدوا أحداً، وكان الله قد ستر حذيفة بالحجر عنهم فتفرّقوا فبعضهم صعد على الجبل وعدل عن الطريق المسلوك، وبعضهم وقف على سفح الجبل عن يمين وشمال، وهم يقولون: ألا ترون حين محمّد كيف أغراه، بأن يمنع الناس من صعود العقبة حتّى يقطعها هو لنخلو به ههنا فيمضي فيه تدبيرنا وأصحابه عنه بمعزل، وكلّ ذلك يوصله الله من قريب أو بعيد إلى أذن حذيفة ويعيه حذيفة.

فلمّا تمكّن القوم على الجبل حيث أرادوا. ذهب حذيفة إلى رسول الله (ص) وأخبره بما سمع.

فقال رسول الله (ص): أو عرفتهم بوجوههم؟

قال: يا رسول الله كانوا متلثّمين، وكنت أعرف أكثرهم بجمالهم فلمّا فتّشوا الموضع فلم يجدوا أحداً أحدروا اللثام فرأيت وجوههم فعرفتهم بأعيانهم وأسمائهم فلان وفلان حتّى عدّ أربعة وعشرين.

فقال رسول الله (ص): يا حذيفة إذا كان الله يثبّت محمّداً لم يقدر هؤلاء ولا الخلق أجمعون أن يزيلوه، إنّ الله تعالى بالغ في محمّد أمره ولو كره الكافرون.

ثمّ قال: يا حذيفة فانهض بنا أنت وسلمان وعمّار، وتوكّلوا على الله، فإذا جزنا الثنيّة الصعبة فائذنوا للناس أن يتبّعوا.

فصعد رسول الله (ص) وهو على ناقته وحذيفة وسلمان أحدهما آخذ بخطام ناقته يقودها، والآخر خلفها يسوقها، وعمّار إلى جانبها، والقوم على جمالهم ورجّالتهم منبثّون حوالي الثنيّة على تلك العقبات.

وقد جعل الذين فوق الطريق حجارة في دباب فدحرجوها من فوق لينفروا الناقة برسول الله (ص) لتقع في المهوى الذي يهول الناظر النظر إليه من بعده، فلمّا قربت الدباب من ناقة رسول الله (ص) تنحت عنها جانباً، ثمّ سقطت في جانب المهوى، ولم يبق منها شيء إلّا صار كذلك، وناقة رسول الله (ص) كأنّها لا تحسّ بشيء من تلك القعقعات التي كانت للدباب.

ثمّ قال رسول الله (ص) لعمّار: إصعد الجبل فاضرب بعصاك هذه وجوه رواحلهم فارم بها.

ففعل ذلك عمّار فنفرت بهم وسقط بعضهم فانكر عضده ومنهم من انكسرت رجله، ومنهم من انكسر جنبه، واشتدّت لذلك أوجاعهم، فلمّا جبرت واندملت بقيت عليهم آثار الكسر إلى أن ماتوا.

□ وقبل أن نغلق هذا النموذج من جهاد رسول الله (ص)، نضع أمامنا مجموعة من الدروس المستفادة من هذه الغزوة المباركة، إن كانت في المجال العسكري أو المجالات الأخرى.

١ ـ قيل أن رسول الله (ص)، كان على علم أنه لن يحارب في هذه الغزوة، ومع ذلك، عبأ جميع المسلمين لها، ولم يسمح لأحد بالتخلف إلا الضعفاء.

لماذا؟

قد يكون السبب في ذلك، أن الأمة حينما تكبر، تزداد معها عوامل التواكل، وأسباب التبرير، فأراد رسول الله (ص) أن يعطي الأمة درساً في الحفاظ على الحالة الجهادية حتى تعرف أن كبرها يزيد من مسؤولياتها كما أن وسعة الساحة التي تسيطر عليها، لا تعني أبداً أن أهداف الرسالة قد تحققت،

كما أن هذه الغزوة من قبل رسول الله كانت تعني أن لواء الجهاد لا بد أن يرفع، وأن تخوض الأمة حالة الحرب الشاملة، طالما كانت هنالك قوة عظمى تتهدد الأمة الإسلامية.

٢ ـ مهما يكن فإن القيادة الرسالية، يجب أن تحسب للمنافقين، والمصلحين الذين التحقوا بالثورة الإسلامية حين انتصارها، ولأسباب مصلحية وشخصية، ألف حساب، فهؤلاء لن يهدأ لهم بال، وسيستغلون أي فرصة، وتحت أي ظرف وتغطية من أجل القضاء على الرسالة وحملتها.

٣ ـ إعطاء منهج للحرب الشاملة وهي التي قد تسمى بالحرب الاعتصابية أو الحرب المطلقة أو الحرب الإجماعية ومعناها: حشد كل قوى الأمة ـ لا الجيش وحده ـ المادية والمعنوية والعقلية للأغراض الحربية.

ولكن هناك فرقاً واحداً بين حرب الأمم الحديثة وحرب المسلمين قديماً، هذا الفرق هو أن حرب المسلمين كانت حرباً دفاعية غايتها نشر السلام وتوطيد أركانه، لا التعدي على أحد، فهي حرب تحترم العهود والمواثيق، وتلتزم بالفروسية بكل ما في الكلمة من معانٍ: يسالم المسلمون من يسالمهم، ولكنهم لا يقبلون الإعتداء عليهم، ويدافعون عن عقيدتهم وعن حرية نشرها بين الناس لتكون كلمة الله هي العليا. فإذا تراجع الكفار، تراجع المسلمون أيضاً إذ لا حب لإراقة الدماء.

يقول القرآن الكريم: ﴿إنفرون خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾ [٣٩]، لذلك فقد كان المسلمون كلهم جنوداً وكانت أموالهم كلها لإمداد هؤلاء الجنود.

كان عدد المسلمين ثلاثين ألفاً في غزوة (تبوك) بينهم عشرة آلاف فارس، وقد تحرّكوا صيفاً في موسم قحط شديد لمسافة طويلة في الصحراء، فليس من السهل إمداد مثل هذا الجيش الكبير في مثل تلك الظروف القاسية بمواد الإعاشة

---

(٣٩) سورة التوبة (٤١).

والماء والنقلية والسلاح، لذلك سمي هذا الجيش بجيش العسرة: اشترك فيه المسلمون كلهم عدا ثلاثة تخلفوا عنهم، واشترك المسلمون كلهم في تجهيزه.

إن المسلمين عرفوا الحرب الشاملة قبل أن يعرفها العالم بأربعة عشر قرناً؛ ولكن شتان بين حرب العدالة التي عرفها المسلمون، وحرب العدوان التي عرفها العصر الحديث.

٤ ـ لقد تحمّل جيش العسرة مشقات لا تقل صعوبة عن مشقات التدريب العنيف في الجيوش إن لم تكن أصعب منها بكثير: تركوا المدينة في موسم نضجِ ثمارها، وقطعوا مسافات طويلة شاقة في صحراء شبه الجزيرة العربية صيفاً، وتحمّلوا الجوع والعطش مدة طويلة.

إن غزوة تبوك تدريب عنيف للمسلمين، كان غرض النبي (ص) منه إعدادهم لتحمّل رسالة حماية حرية نشر الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية وتكوين الدولة الإسلامية المترامية الأطراف.

٥ ـ المسير الليلي (السُري):

قطع المسلمون أكثر المراحل بين المدينة وتبوك ليلاً، ليتخلصوا من الحر الشديد.

إن الحركة ليلاً في موسم الحر ضرورية جداً خاصة في الصحراء؛ وهذا ما تطبقه الجيوش الحديثة في العصر الحاضر.

٦ ـ أفضل عقاب للمتخلفين عند جهاد الكافرين مع المسلمين.. المقاطعة.

٧ ـ لقد وضعت غزوة تبوك، الدولة الإسلامية التي أنشأها رسول الله (ص) كقوة عالية تنافس القوىٰ الأخرىٰ، بل تقدمت عليهم كثيراً في الزخم الحضاري مما دفع الكثير من القبائل إلى إرسال وفودها إلى المدينة وإعلان إسلامها، وضم رايتها تحت راية الإسلام.

١٦
آيات وروايات في الجهاد



القتال واجب مكتوب:

○ ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾[1].

الموت والحياة بيد الله:

○ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزّى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون﴾[2].

الشهداء أحياء عند ربهم:

○ ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم

---

(١) سورة البقرة (٢١٦).

(٢) سورة آل عمران (١٥٦ ـ ١٥٨).

يرزقون (١٦٩) . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألّا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١٧٠) ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين (١٧١) ، الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ، للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم (١٧٢) ، الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل (١٧٣) ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم (١٧٤) ، إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ (١٧٥) [٣] .

انفروا . . جميعاً:

○ ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو أنفروا جميعاً (٧١) ، وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله عليّ إذ أكن معهم شهيداً (٧٢) ، ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً (٧٣) ، فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً (٧٤) ، وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً (٧٥) ، الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً (٧٦) ، ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيدكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً (٧٧) ، أينما تكونوا يدرككم

---

(٣) سورة آل عمران (١٦٩ ـ ١٧٥).

الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾ (٧٨) [٤] .

التراجع عن القتال حرام:

○ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير، فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً إن الله سميع عليم﴾[٥].

قاتلوهم حتى لا تكون فتنة:

○ ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير، وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير﴾[٦].

الثبات في القتال:

○ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾[٧].

أعدوا لقتال عدوكم:

○ **﴿إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون (٥٥) ، الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون (٥٦) ، فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون (٥٧) ، وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين (٥٨) ، ولا يحسبن الذين**

---

(٤) سورة النساء (٧١ ـ ٧٨).
(٥) سورة الأنفال (١٥ ـ ١٧).
(٦) سورة الأنفال (٣٨ ـ ٤٠).
(٧) سورة الأنفال (٤٥ ـ ٤٦).

كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون (٥٩) ، وأعدوا لهم ما ستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون (٦٠) ، وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم (٦١) ، وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين (٦٢) ، وألف بينهم إنه عزيز حكيم (٦٣) ، يأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين (٦٤) ، يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون (٦٥) ، الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾ (٦٦) [٨] .

لا ولاية لمن لا يهاجر في سبيل الله!

○ ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير (٧٢) ، والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير (٧٣) ، والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم (٧٤) ، والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم﴾ (٧٥) [٩] .

أذان الجهاد:

○ ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين (١) ، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر وأعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي

(٨) سورة الأنفال (٥٥ ـ ٦٦).
(٩) سورة الأنفال (٧٢ ـ ٧٥).

الكافرين (٢) ، وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفْروا بعذاب أليم (٣) ، إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين (٤) فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم (٥) ، وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون (٦) ، كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين (٧) ، كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون (٨) ، اشتروا بايآت الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون (٩) ، . . . وإن نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون (١٢) ، ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشوهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين (١٣) ، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين (١٤) ، ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليكم حكيم (١٥) ، أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون﴾ (١٦) [١٠] .

درجة المجاهدين:

○ ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم، خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم﴾[١١] .

(١٠) سورة التوبة (١ ـ ١٦).

(١١) سورة التوبة (٢٠ ـ ٢٢).

قاتلوا الذين لا يؤمنون:

○ ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين (٢٤) ، لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين (٢٥) ، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين (٢٦) ، ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم (٢٧) ، يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم (٢٨) ، قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون (٢٩)﴾[١٢] .

قاتلوا المشركين كافة:

○ ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾[١٣] .

جاهدوا بأموالكم وأنفسكم:

○ ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل (٣٨) ، إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير (٣٩) ، إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا

---

(١٢) سورة التوبة (٢٤ ـ ٢٩).

(١٣) سورة التوبة (٣٦).

ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم (٤٠) ، إنفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (٤١) ، لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون (٤٢) ، عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين (٤٣) ، لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين (٤٤) ، إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون (٤٥) ، ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين (٤٦) ، لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين (٤٧) ، لقد ابتغوا من قبل وقلّبوا لكِ الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون (٤٨) ، ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (٤٩) ، إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون (٥٠) ، قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون (٥١) ، قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون (٥٢)﴾[١٤] .

لا عذر في الجهاد:

○ ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون (٨١) ، فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون (٨٢) ، فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع

---

(١٤) سورة التوبة (٣٨ ـ ٥٢).

الخالفين (٨٣) ، ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون (٨٤) ، ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون (٨٥) ، وإذا أُنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين (٨٦) ، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطُبع على قلوبهم فهم لا يفقهون (٨٧) ، لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون (٨٨) ، أعد الله لهم جنات تجري من تحت الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم (٨٩) ، وجاء المعذَرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم (٩٠) ، ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم (٩١) ، ولا على الذين ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولو وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون (٩٢) ، إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون (٩٣) ، يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون (٩٤) ، سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون (٩٥) ، يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين (٩٦)﴾[١٥] .

الجنة ثمن القتال:

○ ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فَيَقْتُلون ويُقْتَلون وعدا عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾[١٦] .

---

(١٥) سورة التوبة (٨١ ـ ٩٦).

(١٦) سورة التوبة (١١١).

توبة الله للصامدين في ساعة العسرة:

○ ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريقٍ منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم (١١٧) ، وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم (١١٨) ، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (١١٩) ، ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين (١٢٠) ، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون (١٢١)﴾[١٧] .

الثبات في القتال:

○ ﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين، وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين﴾[١٨] .

التحريض على الحرب:

○ ﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً﴾[١٩] .

الغيب يحسم النصر لصالح المؤمنين:

○ ﴿وإذا غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع

---

(١٧) سورة التوبة (١١٧ ـ ١٢١).
(١٨) سورة آل عمران (١٤٦ ـ ١٤٨).
(١٩) سورة النساء (٨٤).

عليم (١٢١) ، إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١٢٢) ، ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون (١٢٣) ، إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين (١٢٤) ، بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين (١٢٥) ، وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم (١٢٦) ، ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين (١٢٧)﴾[٢٠] .

الحرب ضرورة حضارية.

○﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨) ، أُذن للذين يُقاتَلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩) ، الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز (٤٠)﴾[٢١] .

النصر لمن يقتل في سبيل الله:

○ ﴿والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين، ليدخلنهم مُدخلاً يرضونه وإن الله لعليم حليم﴾[٢٢] .

الحَرب تفرز المجاهدين:

○ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً(٩) ، إذ جاءوكم من

---

(٢٠) سورة آل عمران (١٢١ ـ ١٢٧).

(٢١) سورة الحج (٣٨ ـ ٤٠).

(٢٢) سورة الحج (٥٨ ـ ٥٩).

فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا(١٠) ، هنالك أبْتُلِيَ المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً (١١) ، وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً (١٢) ، وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً (١٣) ، ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً (١٤) ، ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤولاً (١٥) ، قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تُمَتَّعون إلا قليلاً (١٦) ، قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً (١٧) ، قد يعلم الله المعوِّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً (١٨) ، أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يُغْشَى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً (١٩) ، يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً (٢٠) ، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً (٢١) ، ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً (٢٢) ، من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً (٢٣) ، ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً (٢٤) ، ورَدَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً (٢٥) ، وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً (٢٦) ، تقتلون وتأسرون فريقاً . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها ، وكان الله على كل شيء قديراً (٢٧)﴾[٢٣] .

---

(٢٣) سورة الأحزاب (٩ ـ ٢٧).

الشدة في منازلة العدو:

○ ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم(٤) ، سيهديهم ويصلح بالهم(٥) ، ويدخلهم الجنة عرفها لهم(٦)﴾[٢٤] .

المتقاعسون:

○ ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم(٢٠) ، طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم(٢١)﴾[٢٥] .

لا .. للاستسلام:

○ ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم(٣١) ، إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم(٣٢) ، يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم(٣٣) ، إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم(٣٤) ، فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم(٣٥)﴾[٢٦] .

قضايا الجهاد:

○ ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبياً(١) ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر

---

(٢٤) سورة محمد (٤ ـ ٦).

(٢٥) سورة محمد (٢٠ ـ ٢١).

(٢٦) سورة محمد (٣١ ـ ٣٥).

ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً(٢) ، وينصرك الله نصراً عزيزاً(٣) ، هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليماً حكيماً(٤) ، ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً(٥) ، ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً(٦) ، ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً(٧) ، إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً(٨) ، لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً(٩) ، إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنا ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً(١٠) ، سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً(١١) ، بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً(١٢) ، ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا اعتدنا للكافرين سعيراً(١٣) ، ولله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفوراً رحيماً(١٤) ، سيقول المخلفون إذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذورناً نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً(١٥) ، قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً(١٦) ، ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتولى يعذبه عذاباً أليماً(١٧) ، لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً(١٨) ، ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً(١٩) ، وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً(٢٠) ، وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً(٢١) ، ولو قاتلكم الذين كفروا لولو الأدبار

ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً(٢٢) ، سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً(٢٣) ، وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً(٢٤) ، هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفاً أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً(٢٥) ، إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً(٢٦) ، لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً(٢٧)﴾[٢٧] .

لا . . للحرب بين المؤمنين:

○ ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾[٢٨] .

ساندوا الجبهات بالمال:

○ ﴿وما لكم ألاّ تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير(١٠) ، من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم(١١)﴾[٢٩] .

---

(٢٧) سورة الفتح (١ ـ ٢٧).
(٢٨) سورة الحجرات (٩).
(٢٩) سورة الحديد (١٠ ـ ١١).

بصائر في الجهاد:

○ ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار(٢) ، ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار(٣) ، ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب(٤) ، ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين(٥) ، وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير(٦) ، ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب(٧) ، للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون(٨) ، والذين تبوّؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون(٩) ، والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم(١٠) ، ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قُوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون(١پ) ، لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قُوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون(١٢) ، لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون(١٣) ، لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون(١٤) ، كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم(١٥)﴾[٣٠] .

---

(٣٠) سورة الحشر (٢ ـ ١٥).

○ ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾[31].

الجهاد.. التجارة الرابحة:

○ ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم(١٠)، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون(١١)، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن، ذلك الفوز العظيم(١٢)، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين(١٣)﴾[32].

الحياة والخلود للشهداء:

﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾[33].

أخلاقيات القتال:

﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلكونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين(١٩٠)، واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل(١٩١)﴾[34].

بائعوا أنفسهم لله:

﴿ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾[35].

---

(٣١) سورة الصف (٤).
(٣٢) سورة الصف (١٠ ـ ١٣).
(٣٣) سورة البقرة (١٥٤).
(٣٤) سورةالبقرة (١٩٠ ـ ١٩١).
(٣٥) سورة البقرة (٢٠٧).

القتال من أجل الرحمة:

﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله﴾[٣٦].

﴿وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم﴾[٣٧].

إعلان الجهاد:

﴿وقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشفِ صدور قوم مؤمنين، ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم﴾[٣٨].

الجهاد أعلى مراتب العمل:

﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين(١٩) الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون(٢٠)، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم(٢١)، خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم(٢٢)﴾[٣٩].

الحرب الشاملة:

﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾[٤٠].

---

(٣٦) سورة البقرة (٢١٨).

(٣٧) سورة البقرة (٢٤٤).

(٣٨) سورة التوبة (١٤ ـ ١٥).

(٣٩) سورة التوبة (١٩ ـ ٢٢).

(٤٠) سورة التوبة (٣٦).

ليس للمتقاعسين إلا النار:

﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل (٣٨) ، إلّا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير (٣٩)﴾[٤١] .

لا يحق التخلف عن ساحات الجهاد:

﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾[٤٢] .

جاهدوا . . تدخلوا الجنة:

﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾[٤٣] .

التجلد في الحرب:

﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين﴾[٤٤] .

الجهاد . . حطة للذنوب:

﴿فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا

---

(٤١) سورة التوبة (٣٨ ـ ٣٩).

(٤٢) سورة التوبة (١٢٠).

(٤٣) سورة آل عمران (١٤٢).

(٤٤) سورة آل عمران (١٤٦).

لأكفرن عنهم سيآتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾[٤٥].

أجر عظيم. . ودرجات. . ومغفرة. . ورحمة. . :

﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بـأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنىٰ وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً﴾[٤٦].

وقال رسول الله (ص):

أيّها الناس! أوصيكم بما أوصاني به الله في كتابه من العمل بطاعته، والتناهي عن محارمه، ثم إنّكم اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه، ثم وطّن نفسه على الصبر واليقين والجد والنشاط، فإنَّ جهاد العدوّ شديد كريه، قليل من يصبر عليه إلّا من عزم له على رشده. إن الله مع من أطاعه، وإن الشيطان مع من عصاه، فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالذي آمركم به فإنّي حريص على رشـدكم. إن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضعف، وهو مما لا يحبّه الله ولا يعطي عليه النصر والظفر.

أيّها الناس! إنّه قد قُذف في قلبي أنَّ من كان على حرام فرغب عنه ابتغاء ما عند الله غفر له ذنبه، ومن صلّى عليَّ صلّى الله عليه وملائكته عشراً. ومن أحسن من مسلم أو كافر وقع أجره على الله في عاجل دنياه أو في آجل آخرته، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة إلّا صبيّاً أو امرأة أو مريضاً أو عبداً مملوكاً. ومن استغنى عنها استغنى الله عنه والله غنيّ حميدِ. ما أعلم من عملٍ يقرّبكم إلى الله إلّا وقد أمرتكم به. ولا أعلم من عمل يقرّبكم

---

(٤٥) سورة آل عمران (١٩٥).

(٤٦) سورة النساء (٩٥ ـ ٩٦).

إلى النّار إلا وقد نهيتكم عنه، وإنّه قد نفث الروح الأمين في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها لا ينقُص منه شيء وإن أبطأ عنها.

فاتقوا الله ربّكم وأجملوا في طلب الرزق، ولا يحملنّكم استبطاؤه على أن تطلبوه بمعصية ربّكم، فإنّه لن يقدر على ما عنده إلّا بطاعته، قد بيّن لكم الحلال والحرام غير أنَّ بينهما شبهاً من الأمر لم يعلمه كثير من الناس إلا من عصم، فمن تركها حفظ عرضه ودينه، ومن وقع فيها كان كالراعي إلى جنب الحمى أوشك أن يقع فيه، وما من ملك إلا وله حمى، ألا وإنّ حمى الله محارمه، والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى إليه سائر جسده، والسلام عليكم(٤٧).

وقال (ص): حملة القرآن عرفاء أهل الجنة والمجاهدون في سبيل الله قوادها والرسل سادة أهل الجنة(٤٨).

وقال (ص): أوصي أُمتي بخمس: بالسمع والطاعة والهجرة والجهاد والجماعة، ومن دعا بدعاء الجاهلية فله حثوة من حثي جهنم(٤٩).

وقال الصادق (ع): أتى رجل رسول الله (ص) فقال إني راغب نشيط في الجهاد، قال (ص): فجاهد في سبيل الله فإنك إن تقتل كنت حياً عند الله ترزق، وإن مت فقد وقع أجرك على الله وإن رجعت خرجت من الذنوب إلى الله، وهذا تفسير ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً إلى آخر الآية(٥٠).

وقال النبي (ص) لجابر: إن الله لم يكلم أحداً إلا من وراء حجاب وكلم أباك مواجهة فقال له: سلني أعطك. قال اسألك أن تردني إلى الدنيا حتى أجاهد مرة أخرى فاقتل، فقال تعالى أنا لا أرد أحداً إلى الدنيا، سلني غيرها فقال أخبر الأحياء بما نحن فيه من الثواب حتى يجتهدوا في الجهاد لعلهم

---

(٤٧) كلمة الرسول الأعظم للشهيد السيد حسن الشيرازي (ص ٢٢٦).
(٤٨) الموسوعة الفقهية للإمام الشيرازي «كتاب الجهاد» ص ٨.
(٤٩) المصدر نفسه ص ٩.
(٥٠) المصدر نفسه ص ٩.

يقتلون فيجيئون إلينا. فقال تعالى: ﴿أنا رسولك إلى المؤمنين، فانزل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾[٥١].

وقال (ص): مثل المجاهدين في سبيل الله كمثل القائم القانت لا يزال في صومه وصلوته حتى يرجع إلى أهله، وقال (ص) إذا خرج الغازي من عتبة بابه بعث الله ملكاً بصحيفة سيئاته فطمس سيئاته[٥٢].

وقال (ص) ما من أحد يدخل الجنة فيتمنى أن يخرج منها إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات مما يرى من كرامة الله[٥٣].

ورأى النبي (ص) رجلاً يدعو: اللهم اني اسألك خير ما تسأل فاعطني أفضل ما تعطي فقال (ص): أن استجيب لك أهريق دمك في سبيل الله[٥٤].

وقال (ص): كل حسنات بني آدم تحصيها الملائكة إلا حسنات المجاهدين فإنهم يعجزون عن علم ثوابها[٥٥].

وقال (ص) لا يجمع الله كافراً وقاتله في النار وقال (ص) لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان في جهنم وقال (ص) السيوف مفاتيح الجنة[٥٦].

وقال (ص): طوبى لمن أكثر ذكر الله في الجهاد فإن له بكل كلمة سبعين ألف حسنة كل حسنة عشرة أضعاف، مع ماله عند الله من المزيد. قالوا يا رسول الله والنفقة في سبيل الله على قدر ذلك للضعفاء؟ قال: نعم[٥٧].

وقال (ص) إن لي حرفتين اثنتين: الفقر والجهاد (والظاهر أن المراد احتراف الفقر بأن لا يبقى الإنسان لنفسه مالاً وإن تمكن عليه)[٥٨].

---

(٥١) المصدر نفسه ص ١١.
(٥٢) المصدر نفسه ص ١٤.
(٥٣) المصدر السابق ص ١٤.
(٥٤) المصدر السابق ص ١٤.
(٥٥) المصدر السابق ص ١٤.
(٥٦) المصدر السابق ص ١٤.
(٥٧) (٥٨) المصدر السابق ص ١٤.

وقال (ص) غدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها[٥٩].

وقال صلى الله عليه وآله: من خرج في سبيل الله مجاهداً فله بكل خطوة سبعمائة ألف حسنة، ويمحي عنه سبعمائة سيئة، ويرفع له سبعمائة ألف درجة.

وكان في ضمان الله بأي حتف مات كان شهيداً، وإن رجع رجع مغفوراً له مستجاباً دعاؤه[٦٠].

وقال عثمان بن مظعون: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن نفسي تحدثني بالسياحة وأن الحق بالجبال، فقال: يا عثمان، لا تفعل، فإن سياحة أمتي الغزو والجهاد[٦١].

وقال (ص): للشهيد سبع خصال من الله:

١ ـ أول قطرة من دمه مغفور له كل ذنب.

٢ ـ يقع رأسه في حجر زوجتيه من الحور العين، وتمسحان الغبار عن وجهه وتقولان: مرحباً بك، ويقول هو مثل ذلك لهما.

٣ ـ يكسى من كسوة الجنة.

٤ ـ تبتدره خزنة الجنة بكل ريح طيبة، أيهم يأخذه معه.

٥ ـ يرى منزله من الجنة.

٦ ـ يقال لروحه: اسرح في الجنة حيث شئت.

٧ ـ ينظر في وجه الله، وإنها لراحة لكل نبي وشهيد[٦٢].

وقال الإمام علي بن أبي طالب (ع): ثلاثة إن أنتم عملتوهن لم ينزل بكم بلاء، جهاد عدوكم وإذا دفعتم إلى أئمتكم حدودكم فحكموا فيها وما لم يتركوا الجهاد[٦٣].

---

(٥٩) المصدر السابق ص ١٤.

(٦٠) المصدر السابق ص ١٥٢.

(٦١) المصدر السابق ص ١٥١.

(٦٢) المصدر السابق ص ١٥١.

(٦٣) المصدر السابق ص ٩.

وقال الإمام الصادق (ع): أصل الإسلام الصلاة وفرعه الزكاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله[٦٤].

وقال أمير المؤمنين (ع): من ترك إنكار المنكر بقلبه ولسانه، ويده فهو ميت بين الأحياء[٦٥].

وقال الإمام علي (ع) إن رسول الله (ص) قال: سافروا تصحوا، جاهدوا تغنموا، حجوا تستغنوا[٦٦].

وقال (ع): الإيمان أربعة أركان: الصبر واليقين والعدل والجهاد[٦٧].

وقال (ع): عليكم بالجهاد في سبيل الله مع كل إمام عادل. فإن الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة[٦٨].

وقال (ع) جاهدوا في سبيل الله بأيديكم فإن لم تقدروا فجاهدوا بألسنتكم فإن لم تقدروا فجاهدوا بقلوبكم[٦٩].

وقال رسول الله (ص) يرفع الله المجاهد في سبيله على غيره مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض[٧٠].

وقال (ص): خير الناس رجل حبس نفسه في سبيل الله يجاهد أعداءه يلتمس الموت أو القتل في مظانه[٧١].

وقال (ص): مقام أحدكم يوماً في سبيل الله أفضل من صلاة في بيته سبعين عاماً، ويوم في سبيل الله خير من ألف يوم في ما سواه[٧٢].

---

(٦٤) المصدر السابق ص ١٣.
(٦٥) المصدر نفسه ص ١٦٤.
(٦٦) المصدر نفسه ص ١٤.
(٦٧) المصدر السابق ص ١٤.
(٦٨) المصدر السابق ص ١٤.
(٦٩) المصدر السابق ص ١٤.
(٧٠) المصدر السابق ص ١٥.
(٧١) المصدر السابق ص ١٥.
(٧٢) المصدر السابق ص ١٥.

وقال (ص): ثلاثة يشفعون إلى الله عز وجل فيشفعهم: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء[٧٣].

سئل الإمام أمير المؤمنين (ع) عن النفقة في الجهاد إذا لزم أو استحب، فقال: أما إذا لزم الجهاد بأن لا يكون بإزاء الكافرين من سائر المسلمين فالنفقة هناك الدرهم عند الله بسبعمائة ألف درهم. فأما المستحب الذي قصده الرجل وقد ناب عنه من سبقه واستغنى عنه فالدرهم بسبعمائة حسنة كل حسنة خير من الدنيا وما فيها مائة مرة[٧٤].

وقال رسول الله (ص): أفضل الأعمال عند الله الإيمان لا شك فيه وغزو لا غلول فيه وحج مبرور[٧٥].

وقال (ص): جاهدوا في سبيل الله القريب والبعيد في الحضر والسفر، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة وأنه ينجي صاحبه من الهم والغم[٧٦].

وقال (ص) إنه قال إن جبرئيل أخبرني بأمر قرت به عيني وفرح به قلبي، قال يا محمد (ص) من غزا غزوة في سبيل الله من أمتك؛ فما أصابته قطرة من الماء أو صداع إلا كانت له شهادة يوم القيامة[٧٧].

وقال (ص) يقول: من رمى بسهم في سبيل الله فبلغ أخطأ أو أصاب كان سهم ذلك كعدل رقبة من ولد إسماعيل ومن خضبت به شيبة في سبيل الله، كانت له نوراً في القيامة[٧٨].

وقال (ص): قال من قال لغاز مرحباً وآهلاً حياه الله يوم القيامة، واستقبلته الملائكة بالترحيب والتسليم[٧٩].

---

(٧٣) المصدر السابق ص ١٥.
(٧٤) المصدر السابق ص ١٥.
(٧٥) المصدر السابق ص ١٦.
(٧٦) المصدر السابق ص ١٦.
(٧٧) المصدر السابق ص ١٦.
(٧٨) المصدر السابق ص ١٦.
(٧٩) المصدر السابق ص ١٦.

روي أن رجلاً أتى جبلاً ليعبد الله فيه فجاء به أهله إلى رسول الله (ص) فنهاه عن ذلك وقال: إن صبر المسلم في بعض مواطن الجهاد يوماً واحداً خير له من عبادة أربعين سنة[٨٠].

وقال (ص): من أعان غازياً بدرهم، فله مثل أجر سبعين دراً من درر الجنة، وياقوتها ليست منها حبة إلّا وهي أفضل من الدنيا[٨١].

وقال (ص) إنه قال: من جهز غازياً بسلك أو ابرة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[٨٢].

وقال (ص) لعلي (ع): يا علي إن الله تعالى قد كتب على المؤمنين الجهاد في الفتنة من بعدي كما كتب عليهم الجهاد مع المشركين معي فقلت يا رسول الله وما الفتنة التي كتب علينا فيها الجهاد؟ قال فتنة قوم يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وهم مخالفون لسنتي وطاعنون في ديني فقلت فعلام نقاتلهم يا رسول الله وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله؟ فقال على إحداثهم في دينهم وفراقهم لأمري واستحلالهم دماء عترتي[٨٣].

وقال الإمام علي (ع) قال القتل قتلان قتل كفارة وقتل درجة والقتال قتالان، قتال الفئة الباغية حتى يفيئوا وقتال الفئة الكافرة حتى يسلموا[٨٤].

وقال أبو جعفر الباقر (ع): الخبر كله في السيف وتحت السيف وفي ظل السيف وإن الخير كل الخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة[٨٥].

وقال الإمام الصادق (ع): ثلاثة دعوتهم مستجابة، أحدهم الغازي في سبيل الله[٨٦].

---

(٨٠) المصدر السابق ص ١٦.
(٨١) المصدر السابق ص ١٧.
(٨٢) المصدر السابق ص ١٧.
(٨٣) المصدر السابق ص ١٨.
(٨٤) المصدر السابق ص ١٩.
(٨٥) المصدر السابق ص ١٥١.
(٨٦) المصدر نفسه ص ٥١٢.

وروى الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ قال: كتب الله الجهاد على الرجال والنساء، فجهاد الرجال: بذل الأموال والأنفس في سبيل الله، وجهاد النساء حسن التبعّل[٨٧].

وقال الرسول (ص): للجنة باب يقال له: باب المجاهدين، يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلدون بسيوفهم، والجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم. قال: فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً وفقراً في معيشته أو محقاً في دينه. إن الله أعز أمتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها[٨٨].

وكتب الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام إلى بعض خلفاء بني أمية: الجهاد الذي فضله الله على الأعمال، وفضل عامله على العمال، تفضيلاً في الدرجات والمغفرة، لأنه ظهر به الدين. وبه يدفع عن الدين، وبه اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة بيعاً مفلحاً منجحاً. اشترط عليهم فيه حفظ الحدود[٨٩].

وقال الإمام الصادق (ع): الجهاد أفضل الأشياء بعد الفرائض[٩٠].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: أول حدود الجهاد: الدعاء إلى طاعة الله من طاعة العباد وإلى عبادة الله من عبادة العباد. وإلى ولاية الله من ولاية العباد[٩١].

وخطب الإمام أمير المؤمنين (ع) يوم الجمل، فقال: أيها الناس إن الموت لا يفوته المقيم، ولا يعجزه الهارب، ليس عن الموت محيص، ومن لم يمت يقتل. وإن أفضل الموت القتل. والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على فراش[٩٢].

---

(٨٧) المصدر نفسه ص ٥١٢.

(٨٨) المصدر نفسه ص ١٤٩.

(٨٩) المصدر السابق ص ١٤٩.

(٩٠) المصدر السابق ص ١٤٩.

(٩١) المصدر السابق ص ١٤٩.

(٩٢) المصدر السابق ص ١٥٠.

وقال (ع): إن الله فرض الجهاد وعظمه، وجله نصره وناصره. والله ما صلحت دنيا ولا دين إلا به[٩٣].

وقال الإمام الباقر (ع): من مشى إلى سلطان جائر فأمره بتقوى الله، ووعظه وخوفه، كان له مثل أجر الثقلين الجن والأنس، ومثل أعمالهم[٩٤].

وقال أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب (ع): فإنَّ في الجنّة لشجرة يخرج من أعلاها الحلل ومن أسفلها خيل بلق مسرجة ملجمة ذوات أجنحة لا تروث ولا تبول فيركبها أولياء الله فتطير بهم في الجنّة حيث شاؤوا، فيقول الّذي أسفل منهم: يا ربّنا ما بلغ بعبادك هذه الكرامة؟ فيقول الله جلَّ جلاله: إنّهم كانوا يقومون اللّيل ولا ينامون ويصومون النّهار ولا يأكلون. ويجاهدون العدوّ ولا يجبنون، ويتصدّقون ولا يبخلون[٩٥].

وقال رسول الله (ص): من بلغ رسالة غاز كان كمن أعتق رقبة وهو شريكه في باب غزوته[٩٦].

وقال (ص): الخير كلّه في السّيف، وتحت ظلّ السّيف، ولا يقيم النّاس إلّا السّيف، والسّيوف مقاليد الجنّة والنّار[٩٧].

وقال (ص): خيول الغزاة هي خيولهم في الجنّة[٩٨].

وقال الإمام الصادق: ثلاث من كنّ فيه زوّجه الله من الحور العين كيف شاء: كظم الغيظ، والصّبر على السّيوف لله عزَّ وجلَّ، ورجل أشرف على مال حرام فتركه لله عزّ وجلَّ[٩٩].

---

(٩٣) المصدر السابق ص ١٥٠.
(٩٤) المصدر السابق ص ١٦٤.
(٩٥) بحار الأنوار ج ٩٧ ـ ص ٨.
(٩٦) المصدر نفسه ج ٩٧ ـ ص ٨.
(٩٧) المصدر نفسه ج ٩٧ ـ ص ٨.
(٩٨) المصدر نفسه ج ٩٧ ـ ص ٨.
(٩٩) المصدر نفسه ج ٩٧ ـ ص ١٠.

في خبر أبي ذرّ أنّه سأل النبيّ (ص): أيّ الأعمال أحبّ إلى الله عزَّ وجلَّ؟ فقال: إيمان بالله، وجهاد في سبيله، قال: قلت: فأيّ الجهاد أفضل؟ قال: من عقر جواده وأهريق دمه في سبيل الله[١٠٠].

قال الإمام عليٌّ بن الحسين (ع): بينما أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) يخطب النّاس ويحضّهم على الجهاد إذ قام إليه شابٌّ فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن فضل الغزاة في سبيل الله؟ فقال عليٌّ (ع): كنت رديف رسول الله (ص) على ناقته العضباء ونحن قافلون من غزوة ذات السّلاسل فسألته عمّا سألتني عنه فقال: إنَّ الغزاة إذا همّوا بالغزو كتب الله لهم براءة من النّار، فإذا تجهّزوا لغزوهم باهى الله تعالى بهم الملائكة، فإذا ودّعهم أهلوهم بكت عليهم الحيطان والبيوت ويخرجون من ذنوبهم كما تخرج الحيّة من سلخها، ويوكّل الله عزَّ وجلَّ بهم بكلِّ رجل منهم أربعين ألف ملك يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، ولا يعمل حسنة إلّا ضعفت له ويكتب له كلّ يوم عبادة ألف رجل يعبدون الله ألف سنة كلّ سنة ثلاث مائة وستّون يوماً، واليوم مثل عمر الدّنيا، وإذا صاروا بحضرة عدوّهم انقطع علم أهل الدُّنيا عن ثواب الله إيّاهم، فإذا برزوا لعدوّهم وأشرعت الآسنّة وفوّقت السّهام وتقدَّم الرَّجل إلى الرَّجل حفّتهم الملائكة بأجنحتهم ويدعون الله لهم بالنّصر والتثبيت، فينادي مناد: الجنّة تحت ظلال السّيوف، فتكون الطعنة والضربة على الشهيد أهون من شرب الماء البارد في اليوم الصّائف، وإذا زال الشهيد عن فرسه بطعنة أو ضربة لم يصل إلى الأرض حتّى يبعث الله عزَّ وجلَّ زوجته من الحور العين فتبشّره بما أعدَّ الله له من الكرامة، فإذا وصل إلى الأرض تقول له: مرحباً بالرُّوح الطيّبة الّتي أُخرجت من البدن الطيّب، أبشر فإنَّ لك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويقول الله عزَّ وجلَّ: أنا خليفته في أهله ومن أرضاهم فقد أرضاني ومن أسخطهم فقد أسخطني، ويجعل الله روحه في حواصل طير خضر تسرح في الجنّة حيث تشاء تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلّقة

---

(١٠٠) المصدر نفسه ج ٩٧ ـ ص ١٠.

بالعرش، ويعطي الرَّجل منهم سبعين غرفةٍ من غرف الفردوس (ما بين صنعاء والشام يملأ نورها ما بين الخافقين في كلِّ غرفة سبعون باباً على كلّ باب) سبعونٍ مصراعاً من ذهب على كلِّ باب ستور مسبلة، في كلِّ غرفة سبعون خيمة في كلِّ خيمة سبعون سريراً من ذهب قوائمها الدّر والزبرجد موصولة بقضبان من زمرّد على كلِّ سرير أربعون فرشاً غلظ كلِّ فراشٍ أربعون ذراعاً، على كلِّ فراش زوجة من الحور العين عرباً أتراباً، قال الشابُّ: يا أمير المؤمنين أخبرني عن العربة؟ قال: هي الغنجة الرضيّة المرضيّة الشهيّة لها سبعون ألف وصيف وسبعون ألف وصيفة صفر الحليّ بيض الوجوه عليهم تيجان اللؤلؤ، على رقابهم المناديل بأيديهم الأكوبة والأباريق، وإذا كان يوم القيامة يخرج من قبره شاهراً سيفه تشخب أوداجه دماً، اللّون لون الدَّم والرّائحة رائحة المسك يخطو في عرصة القيامة.

فوالّذي نفسي بيده لو كان الأنبياء على طريقهم لترجّلوا لهم لما يرون من بهائم حتّى يأتوا إلى موائد من الجواهر فيقعدون عليها، ويشفع الرَّجل منهم سبيعن ألفاً من أهل بيته وجيرته، حتّى أنَّ الجارَين يختصمان أيّهما أقرب فيقعدون معه ومع إبراهيم على مائدة الخلد فينظرون إلى الله تعالى في كلِّ بكرة وعشيّة[١٠١].

وقال الإمام الباقر (ع): ما من قطرة أحبّ إلى الله من قطرة دم في سبيل الله أو قطرة من دموع عين في سواد اللّيلِ من خشية الله، وما من قدم أحب إلى الله من خطوة إلى ذي رحم، أو خطوة يتمّ بها زحفاً في سبيل الله، وما من جرعة أحبّ إلى الله من جرعة غيظ أو جرعة تردّ بها العبد مصيبته[١٠٢].

وقال (ع): أتى رجل رسول الله (ص) فقال: إنّي راغب نشيط في الجهاد قال: فجاهد في سبيل الله فإنك إن تقتل كنت حيّاً عند الله ترزق، وإن متَّ فقد وقع أجرك على الله، وإن رجعت خرجت من الذّنوب إلى الله، هذا تفسير ﴿ولا

(١٠١) المصدر نفسه ـ ج ٩٧ ـ ص ١٢.
(١٠٢) المصدر نفسه ـ ج ٩٧ ـ ص ١٤.

تحسبنّ الّذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾[١٠٣].

وقال رسول الله (ص): حمَلة القرآن عرفاء أهل الجنّة، والمجاهدون في الله تعالى قوّاد أهل الجنّة، والرُّسل سادات أهل الجنّة[١٠٤].

وقال (ص): أوصي أُمّتي بخمس بالسّمع والطاعة والهجرة والجهاد والجماعة، ومن دعا بدعاء الجاهليّة فله حثوة من حثي جهنّم[١٠٥].

وقال الإمام علي (ع): عليكم بالجهاد في سبيل الله مع كلّ إمام عدل فإنّ الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنّة[١٠٦].

وقال رسول الله (ص): من اغتاب غازياً في سبيل الله أو آذاه أو خلفه بسوء في أهله نصب له يوم القيامة علم غدر فيستفرغ حسناته ثمّ يركس في النّار[١٠٧].

وذات مرة لقي عبّاد البصري، عليّ بن الحسين (ع) في طريق مكّة فقال له: يا عليّ بن الحسين! تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت على الحجّ ولينه وإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون﴾ إلى قوله: ﴿وبشّر المؤمنين﴾ فقال عليُّ بن الحسين عليهما السّلام: إذا رأينا هؤلاء الّذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحجّ[١٠٨].

وقال الإمام علي (ع): لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولّي الله أُموركم شراركم ثمّ تدعون فلا يستجاب لكم دعاؤكم[١٠٩].

---

(١٠٣) المصدر نفسه ـ ج ٩٧ ـ ص ١٤.
(١٠٤) المصدر نفسه ـ ج ٩٧ ـ ص ١٥.
(١٠٥) المصدر السابق ـ ج ٩٧ ـ ص ١٥.
(١٠٦) المصدر السابق ـ ج ٩٧ ـ ص ٥٠.
(١٠٧) المصدر السابق ـ ج ٩٧ ـ ص ٥٠.
(١٠٨) المصدر السابق ـ ج ٩٧ ـ ص ١٨.
(١٠٩) المصدر السابق ـ ج ٩٧ ـ ص ٥٧.

وقال عليه الصّلاة والسّلام: أوحى الله تعالى جلّت قدرته إلى شعياً [شعيب] (ع) إنّي مهلك من قومك مائة ألف: أربعين ألفاً من شرارهم وستّين ألفاً من خيارهم فقال (ع): هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فقال: داهنوا أهل المعاصي فلم يغضبوا لغضبي(١١٠).

وقال رسول الله (ص): رأيت رجلاً من أُمّتي في المنام قد أخذته الزبانية من كلّ مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فخلّصاه من بينهم وجعلاه من الملائكة(١١١).

وقال الصادق (ع): ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١١٢).

وقال النبيُّ (ص): كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم، ولم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر، قيل: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم وشرّ من ذلك، فكيف بكم إذا أتيتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ فقيل له: يا رسول الله ويكون ذلك؟ قال: نعم وشر من ذلك. كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً»(١١٣).

قال الإمام أمير المؤمنين علي (ع):

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱلْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ ٱلْجَنَّةِ، فَتَحَهُ ٱللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ، وَدِرْعُ ٱللهِ ٱلْحَصِينَةُ، وَجُنَّتُهُ ٱلْوَثِيقَةُ. فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ ٱللهُ ثَوْبَ ٱلذُّلِّ، وَشَمِلَهُ ٱلْبَلَاءُ، وَدُيِّثَ بِالصَّغَارِ وَٱلْقَمَاءَةِ، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِٱلإِسْهَابِ، وَأُدِيلَ ٱلْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ ٱلْجِهَادِ، وَسِيمَ ٱلْخَسْفَ، وَمُنِعَ ٱلنَّصَفَ.

---

(١١٠) المصدر السابق ـ ج ٩٧ ـ ص ٧٧.
(١١١) المصدر السابق ـ ج ٩٧ ـ ص ٨١.
(١١٢) المصدر السابق ـ ج ٩٧ ـ ص ٩١.
(١١٣) المصدر نفسه ـ ج ٩٧ ـ ص ٩١.

لله أَبُوهُمْ! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ ٱلْعِشْرِينَ، وَهَاأَنَذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ! وَلٰكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ(١١٤)!

وقال (ع):
أُفٍّ لَكُمْ! لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ! أَرَضِيتُمْ بِٱلْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ ٱلآخِرَةِ عِوَضاً؟ وَبِالذُّلِّ مِنَ ٱلْعِزِّ خَلَفاً؟ إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ، كَأَنَّكُمْ مِنَ ٱلْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ، وَمِنَ ٱلذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ. يُرْتَجُ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ، وَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ، فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ. مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ ٱللَّيَالِي، وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ، وَلَا زَوَافِرُ عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ. مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ ٱنْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ، لَبِئْسَ ـ لَعَمْرُ ٱللهِ ـ سُعْرُ(١١٥).

وقال (ع):
ٱسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، وَدَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَجَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا، أَشُهُودٌ كَغُيَّابٍ، وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ! أَتْلُو عَلَيْكُمُ ٱلْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا، وَأَعِظُكُمْ بِٱلْمَوعِظَةِ ٱلْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا، وَأَحُثُّكُمْ عَلَىٰ جِهَادِ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ فَمَا آتِي عَلَىٰ آخِرِ قَوْلِي حَتَّىٰ أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِيَ سَبَا. تَرْجِعُونَ إِلَىٰ مَجَالِسِكُمْ، وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ، أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً، وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً، كَظَهْرِ ٱلْحَنِيَّةِ، عَجَزَ ٱلْمُقَوِّمُ، وَأَعْضَلَ ٱلْمُقَوَّمُ(١١٦).

---

(١١٤) الدليل على موضوعات نهج البلاغة ص ٣١٠.
(١١٥) المصدر نفسه ص ٣١٠.
(١١٦) المصدر السابق ص ٣١١.

وقال (ع):
إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ ٱلْمُتَوَسِّلُونَ إِلَىٰ ٱللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ٱلْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَٱلْجِهادُ فِي سَبِيلِهِ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ ٱلْإِسْلَامِ(١١٧).

وقال (ع):
وَعَضُّوا عَلَىٰ ٱلْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ، وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَىٰ نَاعِقٍ نَعَقَ: إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ. وَقَدْ كَانَتْ هٰذِهِ ٱلْفَعْلَةُ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوهَا.

فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَإِنَّ ٱلْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَىٰ ٱلآبَاءِ وَٱلأَبْنَاءِ وَٱلْإِخْوَانِ وَٱلْقَرَابَاتِ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَىٰ كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيمَاناً، وَمُضِيًّا عَلَىٰ ٱلْحَقِّ، وَتَسْلِيماً لِـلأَمْرِ، وَصَبْـراً عَلَىٰ مَضَضِ ٱلْجِرَاحِ. وَلٰكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي ٱلْإِسْلَامِ عَلَىٰ مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَٱلإِعْوِجَاجِ، وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ. فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ يَلُمُّ ٱللهُ بِهَا شَعَثَنَا، وَنَتَدَانَىٰ بِهَا إِلَىٰ ٱلْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا، رَغِبْنَا فِيهَا، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا(١١٨).

لَا أَبَا لِغَيْرِكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَٱلْجِهَادِ عَلَىٰ حَقِّكُمْ؟ ٱلْمَوْتَ أَوِ الذُّلَّ لَكُمْ؟ فَوَٱللهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي ـ وَلَيَأْتِيَنِّي ـ لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ(١١٩).

وقال (ع):
قَدِ ٱسْتَطْعَمُوكُمُ ٱلْقِتَال. فَأَقِرُّوا عَلَىٰ مَذَلَّةٍ، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ؛ أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ ٱلْمَاءِ؛ فَالمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ،

---

(١١٧) المصدر السابق ص ٣١١.
(١١٨) المصدر السابق ص ٣١٢.
(١١٩) المصدر السابق ص ٣١٢.

وَٱلْحَيَاةُ في مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ[١٢٠].

وقال (ع):

مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا ٱلَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ ـ وَهُمْ بِصِفِّينَ ـ أَلَّا يَكُونُوا ٱلْيَوْمَ أَحْيَاءً؟ يُسِيغُونَ ٱلْغُصَصَ وَيَشْرَبُونَ الرَّنْقَ! قَدْ ـ وَٱللهِ ـ لَقُوا ٱللهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ ٱلْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ.

أَيْنَ إِخْوَانِي ٱلَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، وَمَضَوْا عَلَىٰ ٱلْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ؟ وَأَيْنَ ٱبْنُ التَّيِّهَانِ؟ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟ وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَىٰ ٱلْمَنِيَّةِ، وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَىٰ ٱلْفَجَرَةِ!

قال: ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة، فأطال البكاء، ثم قال عليه السلام:

أَوِّهِ عَلَىٰ إِخْوَانِي ٱلَّذِينَ تَلَوُا ٱلْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا ٱلْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوُا السُّنَّةَ وَأَمَاتُوا ٱلْبِدْعَةَ. دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَثِقُوا بِـٱلْقَائِـدِ فَاتَّبَعُوهُ.

ثم نادى بأعلى صوته:

ٱلْجِهَادَ ٱلْجِهَادَ عِبَادَ ٱللهِ! أَلَا وَإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هٰذا؛ فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَاحَ إِلَىٰ ٱللهِ فَلْيَخْرُجْ[١٢١]!

وقال (ع):

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، دَعَا إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَاداً عَنْ دِينِهِ؛ لَا يَثْنِيهِ عَنْ ذٰلِكَ ٱجْتِمَاعٌ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِ، وَٱلْتِمَاسٌ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ[١٢٢].

---

(١٢٠) المصدر نفسه ٣١٢.

(١٢١) المصدر نفسه ص ٣١٣.

(١٢٢) المصدر نفسه ص ٣١٣.

وقال (ع):
وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ، إِنْ شَاءَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ. فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتاً؟ فَٱنْفُذُوا عَلَىٰ بَصَائِرِكُمْ، وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ.

فَلَقَدْ أَرَدْتُ ٱلْمَسِيرَ إِلَىٰ ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَىٰ جِهَادِ ٱلْعَدُوِّ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ، إِنْ شَاءَ ٱللهُ[١٢٣].

وقال (ع):
أَيْنَ ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ دُعُوا إِلَىٰ ٱلْأَسْلَامِ فَقَبِلُوهُ، وَقَرَؤُوا ٱلْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَهِيجُوا إِلَى ٱلْجِهَادِ فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقَاحِ إِلَىٰ أَوْلَادِهَا، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا، وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ ٱلْأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً، وَصَفًّا صَفًّا. بَعْضٌ هَلَكَ، وَبَعْضٌ نَجَا، لَا يُبَشَّرُونَ بِٱلْأَحْيَاءِ، وَلَا يُعَزَّوْنَ عَنِ ٱلْمَوْتَىٰ. مُرْهُ ٱلْعُيُونِ مِنَ ٱلْبُكَاءِ، خُمْصُ ٱلْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ ٱلشِّفَاهِ مِنَ ٱلدُّعَاءِ، صُفْرُ ٱلْأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ. عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ ٱلْخَاشِعِينَ. أُولٰئِكَ إِخْوَانِي ٱلذَّاهِبُونَ. فَحَقٌّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ، وَنَعَضَّ ٱلْأَيْدِيَ عَلَىٰ فِرَاقِهِمْ. إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، وَيُعْطِيَكُمْ بِٱلْجَمَاعَةِ ٱلْفُرْقَةَ، وَبِٱلْفُرْقَةِ ٱلْفِتْنَةَ. فَٱصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ، وَٱقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْهِمْ، وَٱعْقِلوهَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ[١٢٤].

وقال (ع):
وَٱللهَ ٱللهَ فِي ٱلْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ[١٢٥].

---

(١٢٣) المصدر نفسه ص ٣١٤.
(١٢٤) المصدر نفسه ص ٣١٤.
(١٢٥) المصدر نفسه ص ٣١٥.

وقال (ع):

جِبَايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَٱسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا[126].

وقال (ع):

وَٱلْجِهَادُ مِنْهَا عَلَىٰ أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَىٰ ٱلأَمْرِ بِٱلْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ، وَالصِّدْقِ فِي ٱلْمَوَاطِنِ، وَشَنَآنِ ٱلْفَاسِقِينَ: فَمَنْ أَمَرَ بِٱلْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ نَهَىٰ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُنُوفَ ٱلْكَافِرِينَ؛ وَمَنْ صَدَقَ فِي ٱلْمَوَاطِنِ قَضَىٰ مَا عَلَيْهِ؛ وَمَنْ شَنِىءَ ٱلْفَاسِقِينَ وَغَضِبَ للهِ، غَضِبَ ٱللهُ لَهُ وَأَرْضَاهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ[127].

وقال (ع):

وَمَا أَعْمَالُ ٱلْبِرِّ كُلُّهَا وَٱلْجِهَادُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ، عِنْدَ ٱلأَمْرِ بِٱلْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ، إِلَّا كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍ[128].

وقال (ع):

مَعَاشِرَ ٱلْمُسْلِمِينَ: ٱسْتَشْعِرُوا ٱلْخَشْيَةَ، وتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ، وَعَضُّوا عَلَىٰ النَّوَاجِذِ، فَإِنَّهُ أنبى لِلسُّيُوفِ عَنِ ٱلْهَامِ. وَأَكْمِلُوا الـلأْمَةَ، وَقَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا. وَٱلْحَظُوا ٱلْخَزْر، وَٱطْعنُوا الشَّزْرَ، وَنَافِحُوا بِالظُّبَا، وَصِلُوا السُّيُوفَ بِٱلْخُطَا، وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ ٱللهِ، وَمَعَ ٱبْنِ عَمِّ رَسُولِ ٱللهِ. فَعَاوِدُوا ٱلْكَرَّ، وَٱسْتَحْيُوا مِنَ ٱلْفَرِّ، فَإِنَّهُ عَارٌ فِي ٱلأَعْقَابِ، وَنَارٌ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ. وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْساً، وَٱمْشُوا إِلَىٰ

---

(١٢٦) المصدر نفسه ص ٣١٥.

(١٢٧) المصدر نفسه ص ٣١٥.

(١٢٨) المصدر نفسه ص ٣١٥.

ٱلْمَوْتِ مَشْياً سُجُحاً، وَعَلَيْكُمْ بِهٰذَا السَّوَادِ ٱلأَعْظَمِ ، وَالرِّوَاقِ المُطَنَّبِ، فَٱضْرِبُوا ثَبَجَهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ في كِسْرِهِ، وَقَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً، وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلاً. فَصَمْداً صَمْداً ! حَتَّىٰ يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ ٱلْحَقِّ «وَأَنْتُمُ ٱلأَعْلَوْنَ، وَٱللهُ مَعَكُمْ، وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ»[129].

وقال (ع):
يَا أَشْبَاهَ ٱلإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا! كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ آخَرَ، وَٱللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُكُمْ: أَنْ لَوْ حَمِسَ ٱلْوَغَى، وَحَمِيَ الضِّرَابُ، قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أبي طَالِبٍ انْفِرَاجَ المرْأةِ عَنْ قُبُلِهَا. وَإِنِّي لَعَلَىٰ بَيِّنَة مِنْ رَبِّي، وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي، وَإِنِّي لَعَلَىٰ الطَّرِيقِ ٱلْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقطاً.

ٱنْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نبِيِّكُمْ فَٱلْزَمُوا سَمْتَهُمْ، وَٱتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى، فَإِنْ لبَدُوا فَالْبُدُوا، وَإِنْ نَهضُوا فَٱنْهضُوا. وَلاَ تَسْبِقُوهُمْ فَتضِلُّوا، وَلاَ تتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا[130].

وقال (ع):
فَقَدِّمُوا ٱلدَّارِعَ، وَأَخِّرُوا ٱلْحَاسِرَ، وَعَضُّوا عَلَىٰ ٱلأَضْرَاسِ ؛ فَإِنَّهُ أَنْبَىٰ لِلسُّيُوفِ عَنِ ٱلْهَامِ ؛ وَٱلْتَوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ ، فَإِنَّهُ أَمْوَرُ لِلأَسِنَّةِ؛ وَغُضُّوا ٱلأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبطُ لِلْجَأْشِ ، وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوب؛ وَأَمِيتُوا ٱلأَصْوَاتَ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ للفشل، وَرَايَتَكُمْ فَلاَ تُمِيلُوهَا وَلاَ تُخِلُّوها، وَلاَ تَجْعَلُوهَا إلاَّ بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ، وَٱلمَانِعِينَ ٱلذِّمَارَ مِنْكُمْ، فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَىٰ نُزُولِ ٱلْحَقَائِقِ هُمُ الَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ، وَيَكْتَنِفُونَهَا: حفَافَيْهَا،

---

(١٢٩) المصدر نفسه ص ٣١٦.
(١٣٠) المصدر نفسه ص ٣١٧.

وَوَرَاءَهَا، وَأَمَامَهَا؛ لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا. أَجْزَأَ آمْرُؤٌ قِرْنَهُ، وَآسَىٰ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَىٰ أَخِيهِ فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ. وَآيْمُ ٱللهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ ٱلْعَاجِلَةِ، لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ ٱلآخِرَةِ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ ٱلْعَرَبِ، وَالسَّنَامُ ٱلأَعْظَمُ. إِنَّ فِي ٱلْفِرَارِ مَوْجِدَةَ ٱللهِ، وَالذُّلَّ اللَّازِمَ، وَٱلْعَارَ ٱلْبَاقِيَ. وَإِنَّ ٱلْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ، وَلَا مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ. مَنِ الرَّائِحُ إِلَىٰ ٱللهِ كَالظَّمْآنِ يَرِدُ ٱلْمَاءَ؟ ٱلْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ ٱلْعَوَالِي! ٱلْيَوْمَ تُبْلَىٰ الأَخْبَارُ! وَاللهِ لَأَنَا أَشْوَقُ إِلَىٰ لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ. اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا ٱلْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ، وَأَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ. إِنَّهُم لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ: يَخْرُجُ مِنْهُمُ النَّسِيمُ؛ وَضَرْبٍ يَفْلِقُ ٱلْهَامَ، وَيُطِيحُ ٱلْعِظَامَ، وَيُنْدِرُ السَّوَاعِدَ وَٱلأَقْدَامَ؛ وَحَتَّىٰ يُرْمَوْا بِٱلْمَنَاسِرِ تَتْبَعُهَا ٱلْمَنَاسِرُ؛ وَيُرْجَمُوا بِٱلْكَتَائِبِ تَقْفُوهَا ٱلْحَلَائِبُ؛ وَحَتَّىٰ يُجَرَّ بِبِلَادِهِمُ ٱلْخَمِيسُ يَتْلُوهُ ٱلْخَمِيسُ؛ وَحَتَّىٰ تَدْعَقَ ٱلْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ، وَبِأَعْنَانِ مَسَارِبِهِمْ وَمَسَارِحِهِمْ(١٣١).

وقال (ع):

وَٱللهِ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ وَمُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ، وَمُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ، لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ، فَشُدُّوا عُقَدَ ٱلْمَآزِرِ، وَٱطْوُوا فُضُولَ ٱلْخَوَاصِرِ، وَلَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ. مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ ٱلْيَوْمِ، وَأَمْحَىٰ الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ ٱلْهِمَمِ!

تَزُولُ ٱلْجِبَالُ وَلَا تَزُلْ! عَضَّ عَلَىٰ نَاجِذِكَ، أَعِرِ ٱللهَ جُمْجُمَتَكَ. تِدْ فِي ٱلأَرْضِ قَدَمَكَ. آرْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى ٱلْقَوْمِ، وَغُضَّ بَصَرَكَ، وَٱعْلَمْ أَنَّ

---

(١٣١) المصدر نفسه ص ٣١٨.

النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ[١٣٢].

وقال (ع):
فَإِنْ عَادُوا إِلَىٰ ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذاكَ الَّذِي نُحِبُّ، وَإِنْ تَوافَتِ ٱلْأُمُورُ بِٱلْقَوْمِ إِلَىٰ الشِّقَاقِ وَٱلْعِصْيَانِ فَٱنْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَىٰ مَنْ عَصَاكَ، وَٱسْتَغْنِ بِمَنِ ٱنْقَادَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ، فَإِنَّ ٱلْمُتَكَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ، وَقُعُودُهُ أَغْنَىٰ مِنْ نُهُوضِهِ[١٣٣].

وقال (ع):
فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ، فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِي قُبُلِ ٱلْأَشْرَافِ، أَوْ سِفَاحِ ٱلْجِبَالِ، أَوْ أَثْنَاءِ ٱلْأَنْهَارِ، كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِدْءًا، وَدُونَكُمْ مَرَدًّا. وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوِ ٱثْنَيْنِ، وَٱجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي ٱلْجِبَالِ، وَمَنَاكِبِ ٱلْهِضَابِ، لِئَلَّا يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ. وَٱعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ ٱلْقَوْمِ عُيُونُهُمْ، وَعُيُونَ ٱلْمُقَدِّمَةِ طَلَائِعُهُمْ. وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ: فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَٱنْزِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا ٱرْتَحَلْتُمْ فَٱرْتَحِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا غَشِيَكُمُ اللَّيْلُ فَٱجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً، وَلَا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً[١٣٤].

وقال (ع):
ٱتَّقِ ٱللهَ الَّذِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ، وَلَا مُنْتَهَىٰ لَكَ دُونَهُ. وَلَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ. وَسِرِ ٱلْبَرْدَيْنِ، وَغَوِّرْ بِالنَّاسِ، وَرَفِّهْ فِي السَّيْرِ، وَلَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ ٱللهَ جَعَلَهُ سَكَناً، وَقَدَّرَهُ مُقَاماً لَا ظَعْناً، فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ، وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ. فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ، أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ ٱلْفَجْرُ،

---

(١٣٢) المصدر نفسه ص ٣١٩.
(١٣٣) المصدر نفسه ص ٣١٩.
(١٣٤) المصدر نفسه ص ٣١٩.

فَسْرْ عَلَىٰ بَرَكَةِ ٱللهِ. فَإِذَا لَقِيتَ ٱلْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطاً، وَلَا تَدْنُ مِنَ ٱلْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ ٱلْحَرْبَ. وَلَا تَبَاعَدْ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ ٱلْبَأْسَ، حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ أَمْرِي، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ عَلَىٰ قِتَالِهِمْ، قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَٱلْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ(١٣٥).

وقال (ع):
وَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَىٰ مَنْ فِي حَيِّزِكُمَا مَالِكَ بْنَ ٱلْحَارِثِ ٱلْأَشْتَرَ، فَٱسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا، وَٱجْعَلَاهُ دِرْعاً وَمِجَنًّا، فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يُخَافُ وَهْنُهُ وَلَا سَقْطَتُهُ وَلَا بُطْؤُهُ عَمَّا ٱلْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَىٰ مَا ٱلْبُطءُ عَنْهُ أَمْثَلُ(١٣٦).

وقال (ع):
لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ يَبْدَؤُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ ٱللهِ عَلَىٰ حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّىٰ يَبْدَؤُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَىٰ لَكُمْ عَلَيْهِمْ فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِراً، وَلَا تُصِيبُوا مُعْوِراً، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَىٰ جَرِيحٍ، وَلَا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاؤَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ ٱلْقُوَىٰ وَٱلْأَنْفُسِ وَٱلْعُقُولِ؛ إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِٱلْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ؛ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ ٱلْمَرْأَةَ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ بِٱلْفَهْرِ أَوِ ٱلْهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ(١٣٧).

وقال (ع):
لَا تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ، وَلَا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمْلَةٌ، وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا، وَوَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا، وَٱذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَىٰ

---

(١٣٥) المصدر نفسه ص ٣٢٠.

(١٣٦) المصدر نفسه ص ٣٢٠.

(١٣٧) المصدر نفسه ص ٣٢٠.

الطَّعْنِ ٱلدَّعْسِيِّ، وَالضَّرْبِ ٱلطِّلَحْفِيِّ، وَأَمِيتُوا ٱلأَصْوَاتَ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ. فَوَالَّذِي فَلَقَ ٱلْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَسْلَمُوا وَلٰكِنِ ٱسْتَسْلَمُوا، وَأَسَرُّوا ٱلْكُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ[138].

وقال (ع):
أَوَّلُ مَا تُغْلَبُونَ عَلَيْهِ مِنْ ٱلْجِهَادِ الجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ، ثُمَّ بِأَلْسِنَتِكُمْ، ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ؛ فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفاً، وَلَمْ يُنْكِرْ مُنْكَراً، قُلِبَ فَجُعِلَ أَعْلاَهُ أَسْفَلَهُ، وَأَسْفَلُهُ أَعْلاَهُ[139].

وقال (ع):
فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا، وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا، فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا، وَعَلاَ سَنَاهَا، وَٱسْتَشْعِرُوا ٱلصَّبْرَ، فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَىٰ ٱلنَّصْرِ[140].

وقال (ع):
وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ إِذَا ٱحْمَرَّ ٱلْبَأْسُ، وَأَحْجَمَ النَّاسُ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَىٰ بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَٱلأَسِنَّةِ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ ٱلْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ. وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ ٱسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَلٰكِنَّ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ، وَمَنِيَّتَهُ أُجِّلَتْ[141].

وقال (ع):
أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ ٱللهِ، لاَ يَنَامُ أَيَّامَ ٱلْخَوْفِ، وَلاَ يَنْكُلُ عَنِ ٱلأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ، أَشَدَّ عَلَىٰ ٱلْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ،

---

(١٣٨) المصدر نفسه ص ٣٢١.
(١٣٩) المصدر نفسه ص ٣٢٣.
(١٤٠) المصدر نفسه ص ٣٢٣.
(١٤١) المصدر نفسه ص ٣٢٣.

وَهُوَ مَالِكُ بْنُ ٱلْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ ، فَٱسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ ٱلْحَقَّ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ ٱللهِ، لَا كَلِيلُ الظُّبَةِ، وَلَا نَابِي الضَّرِيبَةِ: فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَٱنْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا، فَإِنَّهُ لَا يُقْدِمُ وَلَا يُحْجِمُ، وَلَا يُؤَخِّرُ وَلَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَنْ أَمْرِي؛ وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَىٰ نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ(١٤٢).

وقال (ع):
وَلَا تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ، مُصَلٍّ وَلَا مُعَاهَدٍ، إِلَّا أَنْ تَجِدُوا فَرَساً أَوْ سِلَاحاً يُعْدَىٰ بِهِ عَلَىٰ أَهْلِ ٱلْإِسْلَامِ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذٰلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ ٱلْإِسْلَامِ ، فَيَكُونَ شَوْكَةً عَلَيْهِ(١٤٣).

وقال (ع):
لَبِئْسَ ـ لَعَمْرُ ٱللهِ ـ سُعْر نَارِ ٱلْحَرْبِ أَنْتُمْ! تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ، وَتُنْتَقَصُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ؛ لَا يُنَامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ، غُلِبَ وَٱللهِ ٱلْمُتَخَاذِلُونَ! وَآيْمُ ٱللهِ إِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ ٱلْوَغَى، وَٱسْتَحَرَّ ٱلْمَوتُ، قَدِ ٱنْفَرَجْتُمْ عَنِ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ ٱنْفِرَاجَ الرَّأْسِ . وَٱللهِ إِنَّ ٱمْرَأً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرُقُ لَحْمَهُ، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ، وَيَفْرِي جِلْدَهُ، لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ، ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ. أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ؛ فَأَمَّا أَنَا فَوَاللهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذٰلِكَ ضَرْبٌ بِٱلْمَشْرَفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشُ ٱلْهَامِ ، وَتَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَٱلْأَقْدَامُ، وَيَفْعَلُ ٱللهُ بَعْدَ ذٰلِكَ مَا يَشَاءُ(١٤٤).

---

(١٤٢) المصدر نفسه ص ٣٢٣.
(١٤٣) المصدر نفسه ص ٣٢٤.
(١٤٤) المصدر نفسه ص ٣٢٤.

وقال (ع):

«أيها الناس.. استعدوا للمسير إلى عدوّ، في جهاده القربة إلى الله، ودرك الوسيلة عنده: حيارى في (معرفة) الحق، جفاة عن الكتاب (ومنهاج الحياة) نكّب عن الدّين (والإلتزامات الفردية والاجتماعية) يعملون في الطغيان، ويعكفون في غمرة الضلال، فأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، وتوكلوا على الله، وكفى وكيلاً، وكفى به نصيراً»[145].

وقال (ع):

«لا تشتدنّ عليكم فرّة (فرار) بعدها كرة (هجوم)، ولا جولة (انسحاب من وجه العدوّ) بعدها حملة، وأعطوا السيوف حقوقها، ووطئوا للجنوب مصارعها (أضربوهم بحيث لا يقومون)، وأذمروا أنفسكم (أحملوا أنفسكم) على الطعن الدعسى (الطاحن)، والضرب الطلحفي (الشديد)، وأميتوا الأصوات فإنّه أطرد للفشل، فوالذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، ما أسلموا (الإسلام الحقيقي) ولكن استسلموا، وأسروا الكفر فلمّا وجدوا أعواناً عليه أظهروه (فلا تخيفكم مظاهر الإسلام فتمتنعوا عن مواصلة قتالهم)»[146].

وقال (ع):

«اللهم... إنّك أعلنتَ سبيلاً من سبلك فجعلتَ فيه رضاك، وندبت إليه أولياءك، وجعلته أشرف سبلك عندك ثواباً، وأكرمها لديك مآباً، وأحبّها إليك مسلكاً، ثم اشتريت فيه من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة، يقاتلون في سبيلك فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً فاجعلني ممّن اشترى فيه منك نفسه ثمّ وفّى ببيعك الذي بايعك عليه، غير ناكث ولا ناقض عهداً، ولا مبدّل تبديلاً، إلاّ استنجازاً لموعودك

---

(١٤٥) مستدرك نهج البلاغة ص ٦٣.

(١٤٦) نهج البلاغة الرسالة رقم ١٦.

واستيجاباً لمحبتك وتقرباً به إليك. . . فصلّ على محمّد وآله واجعله (القتل في سبيلك) خاتمة عملي، وارزقني فيه لك وبك مشهداً توجب لي به الرّضا وتحط عنّي به الخطايا، اجعلني في الأحياء المرزوقين بأيدي العداة العصاة، تحت لواء الحقّ وراية الهدى ماض على نصرتهم قدماً، غير موّل دبراً ولا محدث شكاً، وأعوذ بك عند ذلك من الذنب المحبط للأعمال(١٤٧).

وقال (ع):

«. . . المغرور من آثر الضلالة على الهدى.

فلا أعرفن أحداً منكم تقاعس وقال: في غيري كفاية. . . فإن الذود (العدد القليل من الإبل) إلى الذود إبل (كثير). ومن لا يذد (يدافع) عن حوضه يتهدم.

ثم إني آمركم بالشدّة في الأمر، والجهاد في سبيل الله. . . وأن لا تغتابوا مسلماً (لئلّا يتفتت الصف).

(وبعد هذا) انتظروا النصر العاجل من الله إنشاء الله»(١٤٨).

وقال (ع):

أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَىٰ قِتَالِ هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ لَيْلاً وَنَهاراً، وَسِرًّا وَإِعْلَاناً، وَقُلْتُ لَكُمْ: ٱغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَٱللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا. فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ ٱلْغَارَاتُ، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَوْطَانُ. وَهٰذَا أَخُو غَامِدٍ وَقَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ ٱلْأَنْبَارَ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ ٱلْبَكْرِيَّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَىٰ ٱلْمَرْأَةِ ٱلْمُسْلِمَةِ، وَالْأُخْرَىٰ الْمُعَاهَدَةِ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرُعُثَهَا، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ

(١٤٧) نهج السعادة كتاب الدعاء ص ٣٢٣.

(١٤٨) مستدرك نهج البلاغة ص ٤٧.

وَالِاسْتِرْحَامِ. ثُمَّ ٱنْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ، وَلَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ؛ فَلَوْ أَنَّ ٱمْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هٰذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً؛ فَيَا عَجَباً! عَجَباً ـ واللهِ ـ يُمِيتُ ٱلْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ مِن ٱجْتِمَاعِ هٰؤُلَاءِ الْقَومِ عَلَىٰ بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ! فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً، حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَىٰ: يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ، وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ، وَيُعْصَىٰ ٱللهُ وَتَرْضَوْنَ! فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الحَرِّ قُلْتُمْ: هذه حَمَارَّةُ القَيْظِ، أَمْهِلْنَا يُسَبَّخ عَنَّا الْحَرُّ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هٰذِهِ صَبَارَّةُ ٱلْقُرِّ، أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا ٱلْبَرْدُ؛ كُلُّ هٰذَا فِرَاراً مِنَ ٱلْحَرِّ وَٱلْقُرِّ؛ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ ٱلْحَرِّ وَٱلْقُرِّ تَفِرُّونَ؛ فَأَنْتُمْ وَٱللهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ(١٤٩)!.

وقال (ع):

وَلٰكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي ٱلْإِسْلَامِ عَلَىٰ مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَٱلِاعْوِجَاجِ، وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ. فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ يَلُمُّ ٱللهُ بِهَا شَعَثَنَا، وَنَتَدانَىٰ بِهَا إِلَىٰ ٱلْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا، رَغِبْنَا فِيهَا، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا.

ٱللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ، وَلَا ٱلْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ ٱلْحُطَامِ، وَلٰكِنْ لِنَرِدَ ٱلْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ ٱلْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، فَيَأْمَنَ ٱلْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ ٱلْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ، ٱللَّهُمَّ إِنِي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ، وَسَمِعَ وَأَجَابَ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ بِالصَّلَاةِ(١٥٠).

---

(١٤٩) الدليل على موضوعات نهج البلاغة ص ٣٢٦.

(١٥٠) المصدر السابق ص ٣٢٨.

وقال (ع):

إنِّي وَٱللهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ وَاحِداً وَهُمْ طِلاَعُ ٱلأَرْضِ كلِّهَا مَا بَالَيْتُ وَلاَ ٱسْتَوْحَشْتُ، وَإِنِّي مِنْ ضَلاَلِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ وَٱلْهُدَىٰ الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلَىٰ بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي وَيَقِينٍ مِنْ رَبِّي. وَإِنِّي إِلَىٰ لِقَاءِ ٱللهِ لَمُشْتَاقٌ، وَحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ؛ وَلَكِنَّنِي آسَىٰ أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هٰذِهِ ٱلأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وَفُجَّارُهَا، فَيَتَّخِذُوا مَالَ ٱللهِ دُوَلاً. وَعِبَادَهُ خَوَلاً، وَالصَّالِحِينَ حَرْباً، وَٱلْفَاسِقِينَ حِزْباً، فَإِنَّ مِنْهُمُ الَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمُ ٱلْحَرَامَ، وَجُلِدَ حَدّاً فِي ٱلإِسْلاَمِ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ حَتَّىٰ رُضِخَتْ لَهُ عَلَىٰ ٱلإِسْلاَمِ الرَّضَائِخُ فَلَوْلاَ ذلِكَ مَا أَكْثَرْتُ تأْلِيبَكُمْ وَتَأْنِيبَكُمْ، وَجَمْعَكُمْ وتَحْرِيضَكُمْ، وَلَتَرَكْتُكُمْ إِذْ أَبَيْتُمْ وَوَنَيْتُمْ.

أَلاَ تَرَوْنَ إِلَىٰ أَطْرَافِكُمْ قَدِ ٱنْتَقَصَتْ، وَإِلَىٰ أَمْصَارِكُمْ قَدِ ٱفْتُتِحَتْ، وَإِلَىٰ مَمَالِكِكُمْ تَزْوى. وَإِلَىٰ بِلاَدِكُمْ تُغْزَىٰ! ٱنْفِرُوا ـ رَحِمَكُمُ ٱللهُ ـ إِلَىٰ قِتَالِ عَدُوِّكُمْ، وَلاَ تَثَّاقَلُوا إِلَى ٱلأَرْضِ فَتُقِرُّوا بِٱلْخَسْفِ، وَتَبُوؤُا بِالذُّلِّ، وَيَكُونَ نَصِيبُكُمُ ٱلأَخَسَّ. وَإِنَّ أَخَا ٱلْحَرْبِ ٱلأَرِقُ، وَمَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عَنْهُ، وَالسَّلاَمُ(١٥١).

وقال (ع):

فَٱلْجُنُودُ، بِإِذْنِ ٱللهِ، حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ ٱلْوُلاَةِ، وَعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ ٱلأَمْنِ، وَلَيْسَ الرَّعِيَّةُ إِلاَّ بِهِمْ. ثُمَّ لاَ قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلاَّ بِمَا يُخْرِجُ ٱللهُ لَهُمْ مِنَ ٱلْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِم.

---

(١٥١) المصدر السابق ص ٣٢٩.

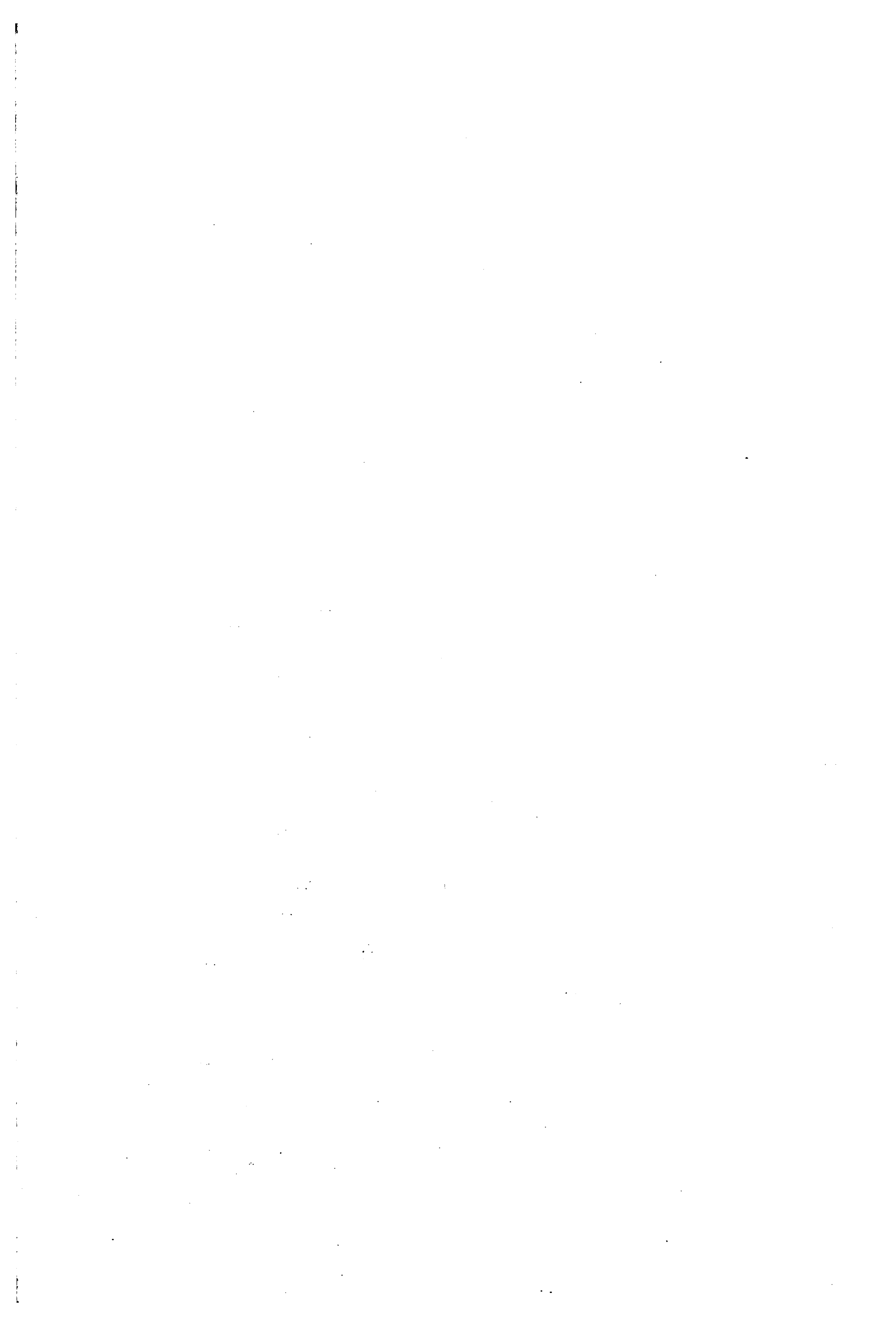
وَٱلْجِهَادَ عِزًّا لِلإِسْلَامِ[١٥٢]

وقال (ع):

أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ، إِنَّهُ مَنْ رَأَىٰ عُدْوَاناً يُعْمَلُ بِهِ وَمُنْكَراً يُدْعَىٰ إِلَيْهِ، فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرِىءَ؛ وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ، وَمَنْ أَنكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ ٱللهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَىٰ، فَذٰلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ ٱلْهُدَىٰ، وَقَامَ عَلَىٰ الطَّرِيقِ، وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ ٱلْيَقِينُ[١٥٣].

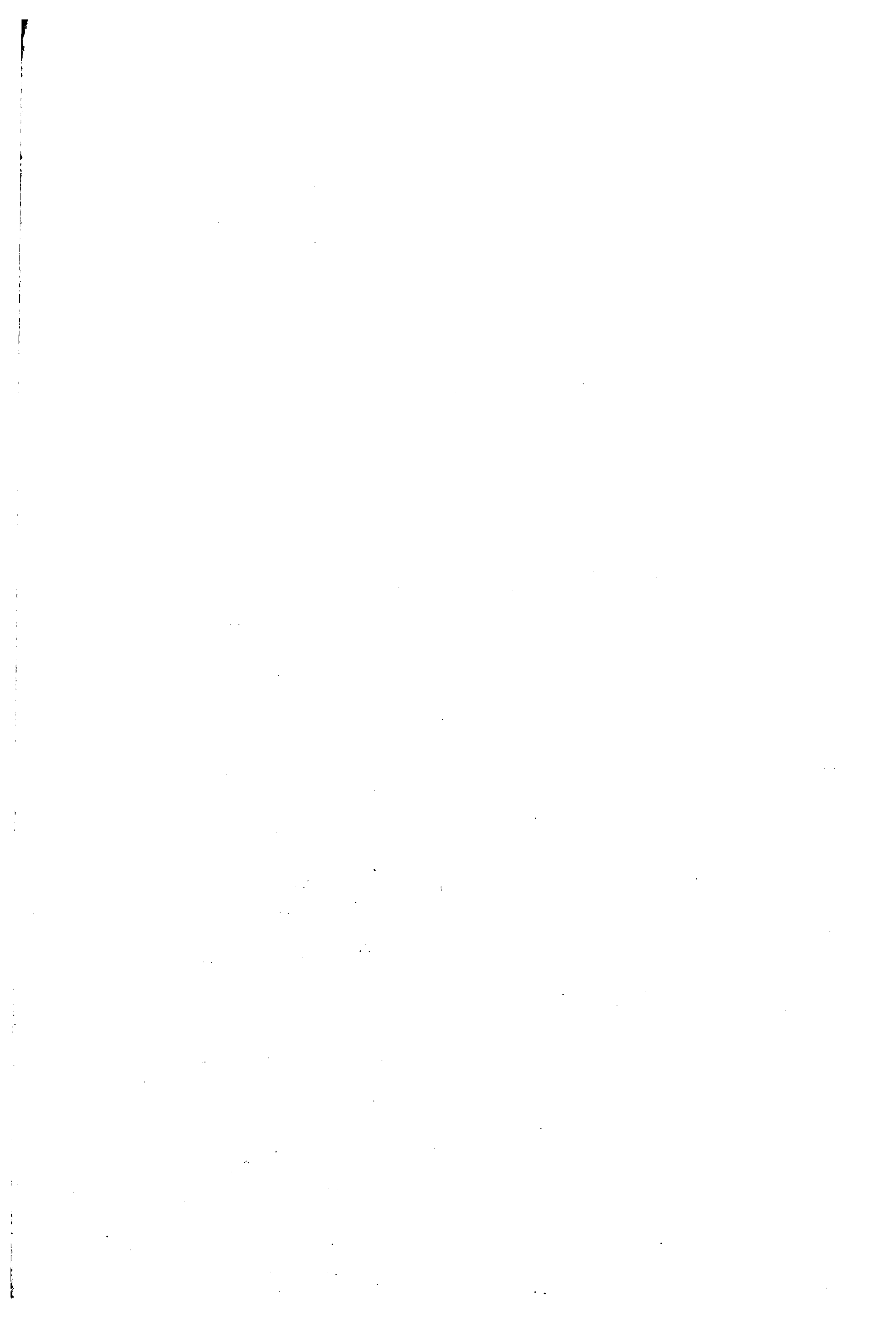
(١٥٢) المصدر السابق ص ٣٣٠.

(١٥٣) المصدر السابق ص ٣٣٠.



١٧

دعـــاء



كان من دعاء الإمام زين العابدين (ع) للمجاهدين قوله:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

اللّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَصِّنْ ثُغُورَ المُسْلِمِينَ بعزَّتِكَ، وَايِّدْ حُمَاتَهَا بِقُوَّتِكَ، وَاسْبِغْ عَطَايَاهُمْ مِنْ جِدَتِكَ اللّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَكَثِّرْ عِدَّتَهُمْ، وَآشْحَذْ اسْلِحَتَهُمْ، وَاحْرُسْ حَوْزَتَهُمْ، وَامْنَع حَوْمَتَهُمْ، وَالِّفْ جَمْعَهُمْ، وَدَبِّرْ امْرَهُمْ، وَوَاتِرْ بَيْنَ مِيَرِهِمْ، وَتَوَحَّدْ بِكِفَايَةِ مُؤَنِهِمْ، وَاعْضُدْهُمْ بِالنَّصْرِ، وَاعِنْهُمْ بِالصَّبْرِ، وَالْطُفْ لَهُمْ فِي الْمَكْرِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَعَرِّفْهُمْ مَا يَجْهَلُونَ، وَعَلِّمْهُمْ مَا لاَ يَعْلَمُونَ، وَبَصِّرْهُمْ مَا لاَ يُبْصِرُونَ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَآنْسِهِمْ عِنْدَ لِقَائِهِمُ الْعَدُوَّ وَذِكْرَ دُنْيَاهُمُ الْخَدَّاعَةِ الْغَرُورِ، وَامْحُ عَنْ قُلُوبِهِمْ خَطَرَاتِ آلْمَالِ الْفَتُونِ، وَاجْعَلِ الْجَنَّةَ نَصْبَ اعْيُنِهِم، وَلَوِّحْ مِنْهَا لِأَبْصِارِهِمْ مَا اعْدَدْتَ فِيهَا مِنْ مَسَاكِنِ الْخُلْدِ وَمَنَازِلِ الْكَرَامَةِ وَالْحُورِ الْحِسَانِ وَالأَنْهَارِ الْمُطَّرِدَةِ بِانْوَاعِ الأَشْرِبَةِ وَالأَشْجَارِ الْمُتَدَلِّيَةِ بِصُفُوفِ آلثَّمرِ حَتَّىٰ لاَ يَهُمَّ احَدٌ مِنْهُمْ بِالإِدْبَارِ، وَلاَ يُحَدِّثَ نَفْسَهُ عَنْ قِرْنِهِ بِفِرَارٍ. اللَّهُمَّ افْلُلْ بِذَلِكَ عَدُوَّهُمْ، وَاقْلِمْ عَنْهُمْ اظْفَارَهُمْ، وَفَرِّقْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اسْلِحَتِهِمْ، وَاخْلَعْ وَثَائِقَ افْئِدَتِهِمْ،

وَبَاعِدْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ازْوِدَتِهِمْ، وَحَيِّرْهُمْ فِي سُبُلِهِمْ، وَضَلِّلْهُمْ عَنْ وَجْهِهِمْ، وَاقْطَعْ عَنْهُمْ الْمَدَدَ، وَٱنْقُصْ مِنْهُمُ الْعَدَدَ، وَامْلأْ افْئِدَتَهُمُ ٱلرُّعْبَ، وَاقْبِضْ ايْدِيَهُمْ عَنِ البَسْطِ، وَاخْزِمْ الْسِنَتَهُمْ عَنِ النُّطْقِ، وَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ، وَنَكِّلْ بِهِمْ مَنْ وَرَاءَهُمْ، وَاقْطَعْ بِخِزْيِهِمْ اطْمَاعَ مَنْ بَعْدَهُمْ اللَّهُمَّ عَقِّمْ ارْحَامَ نِسَائِهِمْ، وَيَبِّسْ اصْلاَبَ رِجَالِهِمْ، وَاقْطَعْ نَسْلَ دَوَابِّهِمْ وَانْعَامِهِمْ، لاَ تَأْذَنْ لِسَمَائِهِمْ فِي قَطْرٍ، وَلاَ لِأَرْضِهِمْ فِي نَبَاتٍ. اللَّهُمَّ وَقَوِّ بِذَلِكَ مَحَالَّ اهْلِ الإِسْلاَمِ، وَحَصِّنْ بِهِ دِيَارَهُمْ وَثَمِّرْ بِهِ امْوَالَهُمْ، وَفَرِّغْهُمْ عَنْ مُحَارَبَتِهِمْ لِعِبَادَتِكَ، وَعَنْ مُنَابَذَتِهِمْ لِلْخُلْوَةِ بِكَ حَتَّىٰ لاَ يُعْبَدَ فِي بِقَاعِ الأَرْضِ غَيْرُكَ، وَلاَ تُعَفَّرْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ جَبْهَةٌ دُونَكَ. اللَّهُمَّ اغْزُ بِكُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ مَنْ بِإِزَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَامْدِدْهُمْ بِمَلاَئِكَةٍ مِنْ عِنْدِكَ مُرْدِفِينَ حَتَّىٰ يَكْشِفُوهُمْ إِلَىٰ مُنْقَطَعِ التُّرَابِ قَتْلاً فِي ارْضِكَ وَاسْراً، اوْ يُقِرُّوا بِانَّكَ انْتَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلٰهَ إِلاَّ انْتَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ اللَّهُمَّ وَاعْمُمْ بِذَلِكَ اعْدَآءَكَ فِي اقْطَارِ البِلاَدِ مِنَ الْهِنْدِ وَالرُّومِ وَالتُّرْكِ وَالخَزَرِ وَالْحَبَشِ وَالنُّوبَةِ وَالزَّنْجِ وَالسَّقَالِبَةِ وَٱلدَّيَالِمَةِ وَسَائِرِ امَمِ الشِّرْكِ، الَّذِينَ تَخْفَىٰ اسْمَآؤُهُمْ وَصِفَاتُهُمْ، وَقَدْ احْصَيْتَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ، وَاشْرَفْتَ عَلَيْهِمْ بِقُدْرَتِكَ. اللَّهُمَّ اشْغَلِ الْمُشْرِكِينَ بِالْمُشْرِكِينَ عَنْ تَنَاوُلِ اطْرَافِ الْمُسْلِمِينَ، وَخُذْهُمْ بِٱلنَّقْصِ عَنْ تَنَقُّصِهِمْ، وَثَبِّطْهُمْ بِالْفُرْقَةِ عَنِ الاحْتِشَادِ عَلَيْهِمْ. اللَّهُمَّ اخْلِ قُلُوبَهُمْ مِنَ الأَمَنَةِ، وَابْدَانَهُمْ مِنَ الْقُوَّةِ، وَاذْهِلْ قُلُوبَهُمْ عَنِ ٱلاحْتِيَالِ وَاوْهِنْ ارْكَانَهُمْ عَنْ مُنَازَلَةِ الرِّجَالِ وَجَبِّنْهُمْ عَنْ مُقَارَعَةِ الأَبْطَالِ وَابْعَثْ عَلَيهِمْ جُنْداً مِنْ مَلاَئِكَتِكَ بِبَأْسٍ مِنْ بَأْسِكَ كَفِعْلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ تَقْطَعُ بِهِ دَابِرَهُمْ، وَتَحْصُدُ بِهِ شَوْكَتَهُمْ وَتُفَرِّقُ بِهِ عَدَدَهُمْ اللَّهُمَّ وَامْزُجْ مِيَاهَهُمْ بِالوَبَاءِ، وَأَطْعِمتَهُمْ بِالأَدْوَاءِ، وَارْمِ بِلاَدَهُمْ بِالْخُسُوفِ، وَالِحَّ عَلَيْهَا بِالْقُذُوفِ، وَافْرَعْهَا بِالْمُحُولِ. وَاجْعَلْ مِيَرَهُمْ فِي احَصِّ ارْضِكَ وَابْعَدِهَا عَنْهُمْ، وَامْنَعْ حُصُونَهَا مِنْهُمْ اصِبْهُمْ بِالْجُوعِ الْمُقِيمِ وَالسُّقمِ الأَلِيمِ. اللَّهُمَّ وَايُّمَا غَازٍ غَزَاهُمْ مِنْ اهْلِ مِلَّتِكَ اوْ مُجَاهِدٍ جَاهَدَهُمْ مِنْ اتْبَاعِ سُنَّتِكَ

لِيَكُونَ دِينُكَ ٱلْأَعْلَىٰ وَحِزْبُكَ الأَقْوىٰ وَحَظُّكَ الأَوْفَىٰ فَلَقِّهِ ٱلْيُسْرَ وَهَيِّىءْ لَهُ الأَمْرَ، وَتَولهُ بِٱلنُّجحْ وَتَخَيَّرْ لَهُ الأَصْحَابَ وَاسْتَقْوِ لَهُ الظَّهْرَ وَاسْبغْ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّفقَةِ وَمَتِّعْهُ بِـٱلنَّشَاطِ وَاطْفِ عَنْهُ حَرارَةَ الشَّوْقِ وَاجِرْهُ مِنْ غَمِّ الْوَحْشَةِ، وَانْسِهِ ذِكْرَ ٱلْأَهْلِ وَٱلْوَلَدِ وَآثُرْ لَهُ حُسْنَ ٱلنِّيَّةِ وَتَوله بِالْعَافِيَةِ وَاصْحِبْهُ السَلاَمَةَ وَاعْفِهِ مِنَ الْجُبْنِ وَالْهِمْهُ الْجُرْآةَ، وَارْزُقْهُ ٱلشِّدَّةَ وَايِّدْهُ بِالنُّصْرَةِ وَعَلمْهُ السِّيَرَ وَٱلسُّنَنَ وَسَدِّدْهُ فِي الْحُكْمِ وَاعْزِلْ عَنْهُ الرِّيَاءَ، وَخَلِّصْهُ مِنَ ٱلسُّمْعَةِ وَاجْعَلْ فِكْرَهُ وَذِكْرَهُ وَظَعْنَهُ وَإِقَامَتَهُ فِيْكَ وَلَكَ فَإذَا صَافَّ عَدُوَّكَ وَعَدْوَّهُ فَقَلِّلْهُمْ فِي عَيْنِهِ، وَصَغِّرْ شَأْنَهُمْ فِي قَلْبِهِ وَادِلْ لَهُ مِنْهُمْ، وَلاَ تُدِلْهُمْ مِنْهُ فَإنْ خَتَمْتَ لَهُ بِٱلسَّعَادَةِ، وَقَضَيْتَ لَهُ بِالشَّهَادَةِ فَبَعْدَ انْ يَجْتَاحَ عَدُوَّكَ بِالْقَتْلِ وَبَعْدَ انْ يَجْهَدَ بِهِم الأَسْرُ وَبَعْدَ انْ تَأْمَنَ اطْرَافُ الْمُسْلِمِينَ وَبَعْدَ انْ يُوَلِّيَ عَدُوَّكَ مُدْبِرِينَ اللّهُمَّ وَايُّمَا مُسْلِمٍ خَلَفَ غَازِياً اوْ مُرَابِطاً فِي دَارِهِ اوْ تَعَهَّدَ خَالِفِيْهِ فِيْ غَيْبَتِهِ اوْ اعَانَهُ بِطَائِفَةٍ مِنْ مَالِهِ اوْ امَدَّهُ بِعَتَادٍ اوْ شَحَذَهُ عَلَىٰ جِهَادٍ، اوْ اتْبَعَهُ فِي وَجْهِهِ دَعْوَةً، اوْ رَعىٰ لَهُ مِنْ وَرَآئِهِ حُرْمَةً فَأَجْرِ لَهُ مِثْلَ أَجْرِهِ وَزْناً بِوَزْنٍ وَمِثْلاً بمِثْلٍ وَعَوِّضْهُ مِنْ فِعْلِهِ عِوَضاً حَاضِراً يَتَعَجَّلُ بِهِ نَفْعَ مَا قَدَّمَ وَسُرُورَ مَا اتىٰ إلَىٰ انْ يَنْتَهِيَ بِهِ الْوَقْتُ إلَىٰ مَا اجْرَيْتَ لَهُ مِنْ فَضْلِكَ وَاعْدَدْتَ لَهُ مِنْ كَرَامَتِكَ. اللّهُمَّ وَايُّمَا مُسْلِمٍ اهَمَّهُ امْرُ الإسْلاَمِ وَاحْزَنَهُ تَحَزُّبُ اهْلِ الشِّرْكِ عَلَيْهِمْ فَنَوَىٰ غَزْواً اوْ هَمَّ بِجِهَادٍ فَقَعَدَ بِهِ ضَعْفٌ اوْ ابْطَأتْ بِهِ فَاقَـةٌ اوْ اخَّرَهُ عَنْهُ حَادِثٌ اوْ عَرَضَ لَهُ دُونَ إرَادَتِهِ مَانِعٌ فَاكْتُبِ اسْمَهُ فِي الْعَابِدِينَ وَاوْجِبْ لَهُ ثَوَابَ الْمُجَاهِدِينَ وَاجْعَلْهُ فِي نِظَامِ الشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِينَ. اللّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَآلِ مُحَمَّدٍ صَلاَةً عَالِيَةً عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ مُشْرِفَةً فَوْقَ التَّحِيَّاتِ صَلاَةً لاَ يَنْتَهِي مَدَدُهَا، وَلاَ يَنْقَطِعُ عَدَدُهَا كَاتَمِّ مَا مَضىٰ مِنْ صَلَوَاتِكَ عَلَىٰ احَدٍ مِنْ أوليائك إنَّكَ الْمَنَّانُ الْحَمِيدُ الْمُبْدِىءُ الْمُعِيدُ الفَعَّالُ لِمَا تُرِيْدُ(١) .

---

(١) الصيحفة السجادية دعائه لأهل الثغور .

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

الفهـــرس